

جسور

نشرة غير دورية محكمة في اللسانيات والنقد الأدبي

الإصدار الخامس ٢٠١٧ م - ١٤٣٨ هـ

الإشراف العلمي

محمد العبد

مدير التحرير

فاطمة حمدي

هدى عبد الغني باز

محمد سعيد القللي

عبد العزيز السيد البيدي

نمي مختار يوسف

هيئة المستشارين

أحمد درويش

صلاح فضل

محمد حسن عبد العزيز

محمد عبد المطلب

محمد عوني عبد الرؤوف

هدى وصفي

قواعد النشر

- ألا يزيد البحث عن ٨٠٠٠ كلمة.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- أن يكون مجموعاً بالحاسوب IBM ومرفقاً به القرص المدمج.
- يمكن إرسال المشاركات علي البريد الإلكتروني: gosoor@yahoo.com
- يرفق بالدراسة سيرة ذاتية مختصرة.
- تقبل جسور المقالات والأبحاث المترجمة، ومتابعات المؤتمرات، وكذلك عروض الكتب الحديثة في مجالي النقد الأدبي واللسانيات.
- تخضع الدراسات المقدمة للتحكيم بشكل سري.

رقم الإيداع: ٩١١٥ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي (تدمك): 7 - 71 - 6149 - 977 - 978 ISBN

ISSN 2314 - 8489

من محاور الأعداد قادمة

إبداعات الشباب الأدبية والأنواع الأدبية الجديدة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فهرس الموضوعات	٢
افتتاحية: محمد العبد	٤
• دراسات نقدية	٥
مناهج الحداثة والتراث العربي: محمد عبد المطلب	٦
رواية الطريق في تجلياتها الجديدة — تأسيس جمالي لتصنيف نوعي: سيد محمد قطب	٢٠
"الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ محمد إبراهيم أبي سنة: نهى عبده يوسف	٢٨
المكان والهوية في "الأسود يليق بك" — رؤية سردية: سعاد أمين	٦٧
• دراسات لسانية	٨٩
مستويات العربية المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي (الواجهة والبراق) أنموذجاً: أشرف عبد البديع عبد الكريم	٩٠
سلطة الاختصاص في الصحف العربية دراسة على مدونة حاسوبية: علي محمد آل مشهور	١٢١
الاستجواب — دراسة تحليلية في الدلالة الاصطلاحية: صبيحة عبد الرحمن الفرحان	١٥٦
إشكالية تعدد المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي الواحد في القواميس اللسانية المختصة — المستوى الصوتي أنموذجاً: أفنان السلوم وديمة العتيبي	١٧٣
آراء النحاة و بعض اللغويين في قراءة الكسائي: إخلاص حسين محمد حامد	١٩٠
أسلوب الشرط في الحديث النبوي — دراسة تطبيقية في نماذج من صحيح البخاري: فاطمة محمد علي عمر	٢١٦
• دراسات في الترجمة	
أحمد مختار عمر — من الترجمة الآلية إلى الترجمة الفنية : أشرف عبد البديع	٢٣٩
• جسور مع الرواد	
العالم اللغوي أ.د. محمد عوني عبد الرؤوف بين أصدقائه وتلاميذه (في حفل تكريم الأستاذ الدكتور/ محمد عوني عبد الرؤوف بالمجلس الأعلى للثقافة يوم ١٤ / ١ / ٢٠١٦ م)	٢٧١
كلمة: حمدي إبراهيم	٢٧٢
كلمة: محمود فهمي حجازي	٢٧٤
كلمة: محمد العبد	٢٧٦

الصفحة	الموضوع
٢٧٨	كلمة: إيمان السعيد جلال-----
٢٨٣	كلمة: كرمة سامي-----
٢٨٦	كلمة: إيمان رمزي-----
٢٨٧	كلمة: هالة جمال القاضي-----
٣٠٥	• متابعات-----
٣٠٦	ندوات ومؤتمرات-----
٣٠٦	ملتقى القاهرة الدولي الثاني للنقد الأدبي - الحوار مع النص - "دورة عبد القادر القط" - ٨- ١٠ مايو ٢٠١٧ : آمال شوقي محمد يحيى-----
٣١٦	المؤتمر الثاني لقسم اللغة العربية بكلية الألسن - جامعة عين شمس: الاستشراق والثقافة العربية بين الأيديولوجيا والإنجاز المعرفي ٢٨ - ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦: هدى عبد الغني باز- رسائل جامعية-----
٣٣٢	الصورة الشعرية في مدائح البحثري من المكون التشكيلي إلى القراءة الثقافية: نهى مختار محمد-----
٣٣٩	الأسس النظرية للمشروع الفكري لأسين بلاتئوس وأثرها على أعماله عن ابن حزم القرطبي - دراسة وتحليل: إيناس علي أحمد-----
٣٤٥	البنية اللغوية للمفردات ودلالاتها في اللغتين الإسبانية والفرنسية: مروة مصطفى عبد الحميد--
٣٤٧	تعبيرات أعضاء جسم الإنسان الاصطلاحية في اللغتين الروسية والعربية - دراسة تقابلية في علم اللغة الثقافي : سعيد أحمد محمد عبد الحميد-----

افتتاحية

توحيد الجهود في الشأن الثقافي - وكذلك في كل شأن من شئون الحياة - من الأهمية بمكان. يكون كذلك مثلاً من خلال مؤتمر أو إصدار علمي يسهم فيه الأفراد بما يستطيعون في موضوع بعينه أو قضية بعينها. ونحن الآن بحاجة ماسة إلى ثقافة الفريق حتى لا تسود ثقافة الفرد. ولعل فيما نلاحظه من غلبة روح الفردية على روح الفريق ما يدعونا إلى القول بأن ثقافتنا ثقافة لا تحرز أهدافاً أو لا تحرز أهدافاً كافية لأن تحتل مكاناً متقدماً في جدول الترتيب العلمي العالمي؛ وذلك لأن أفراد الفريق تتقصهم روح العمل الجماعي الدائم. في أعداد سابقة من "جسور" كنا دعونا الباحثين إلى الإسهام بالكتابة في موضوعين رأينا لهما أهمية بالغة، أحدهما عن إبداعات الشباب الأدبية تحليلًا وتقويماً، والآخر عن الأنواع الأدبية الجديدة كالقصة القصيرة جداً، أو أنواع لم تحظ بما تستحقه من عناية كالإيجراما والمسرواية. ولما كان ما تلقته "جسور" في الموضوعين السابقين لا يكفي حتى اليوم، فإنها تجدد الدعوة للكتابة فيهما، وتدفع في هذا الإصدار بمجموعة مختارة من الدراسات النقدية واللغوية لأساتذة كبار أو لباحثين من الشباب في تقديم أحدث بحوثهم إلى القراء وإضافة أسمائهم إلى سجل الباحثين الجادين. وبالإضافة إلى تلك الدراسات المختارة قدمت "جسور" باباً جديداً عنوانه "جسور مع الرواد" من أجل جمع الجهود العلمية حول أحد الأعلام الرواد في مجالات البحث النقدي واللغوي، وكان للعالم اللغوي الكبير أستاذنا الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف - أطال الله في عمره ونفع الناس بعلمه - مكان يليق به في هذا العدد، وهي جهود قدمها عدد من أصدقائه و تلاميذه في احتفال أقامه المجلس الأعلى للثقافة منذ فترة وأردنا أن نقدمه للقراء على نطاق أوسع احتفاءً بدوره في مجالات الاستشراق والبحث اللغوي والعمل الثقافي بعامة. أما فريق العمل الذي قام على العمل في هذا الإصدار جمعاً وقراءة وتصويماً وإعداداً فنياً حتى اللحظة الأخيرة، وهم : فاطمة حمدي وهدى عبد الغني ومحمد سعيد وعبد العزيز البديوي ونهى مختار، فإنهم جميعاً أهل للثقة والثناء والتقدير.

رئيس التحرير

محمد العبد

دراسات نقدية

مناهج الحداثة والتراث العربي

محمد عبد المطلب

(1)

إنَّ تحولات الواقع الثقافي العربي - في الزمن الأخير - ما هي إلا صدى لتحولات الثقافة الغربية، لكن - بالضرورة - هناك مفارقة بين التحولات التي تجري في الواقع العربي، والتحولات التي تجري في الغرب، ذلك أن تحولات الغرب رد فعل للتحوّل الحضاري والثقافي، بينما التحولات العربية مجرد نقل لتحولات الغرب، وربما يفسر لنا ذلك كيف أن مراحل التحول في العالم العربي لم تبدأ إلا بعد انتهاء زمنها في الغرب، وهو ما يدعونا إلى متابعة المساحة الزمنية لهذه التحولات هنا وهناك لتوثيق مقولة إننا كنا نقلة لا مبتكرين.

بدأت (الكلاسيكية) في الغرب مع عصر النهضة - القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، واستمرت سيطرتها الإبداعية والنقدية حتى قامت (الرومانتيكية) على أنقاضها في القرن الثامن عشر، واستمرت سيطرتها إلى القرن التاسع عشر، حيث جاءت (الواقعية) في نهاية القرن، واستمرت إلى أوائل القرن العشرين، ومع بداية هذه القرن فرضت (الحداثة) حضورها إلى منتصف الأربعينيات، لتبدأ مرحلة (ما بعد الحداثة) بأسطة نفوذها إلى زمن التسعينيات من القرن العشرين، إذ في هذا الزمن ظهرت مرحلة طارئة مجاوزة ما سبقها من مراحل، هي مرحلة: (بعد ما بعد الحداثة) التي استمرت حتى لحظة الحاضر.

أما في العالم العربي فقد بدأت (الكلاسيكية) بعد غيابها في الغرب، أي في أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ثم جاءت (الرومانتيكية) في عشرينيات القرن، واستمرت سيطرتها الإبداعية والنقدية حتى منتصف الأربعينيات، لتتدخل (الواقعية) بأسطة سيطرتها حتى بداية السبعينيات، حيث فرضت (الحداثة) حضورها إلى بداية التسعينيات، وتزاحمها في سلطتها مرحلة (ما بعد الحداثة) التي مازالت مهيمنة حتى لحظة الحاضر، أي أن الواقع العربي لم يدخل بعد مرحلة (بعد ما بعد الحداثة). ولابدّ أن نعي أن هذا التحديد الزمني هنا وهناك، تحديد تقريبي، إذ إن المراحل تتداخل أحياناً، كما أن كل مرحلة كانت تحمل إرثها بالمرحلة القادمة.

والمهم أن مجمل هذه التحولات في الغرب كانت صدى للتحوّل الحضاري والثقافي - كما سبق أن ذكرت - إذ جاءت الكلاسيكية مع عصر النهضة الأوروبية التي قامت على إحياء التراثين: اليوناني والروماني، مع الاحتكام للعقل المنطقي وفصل الأجناس بخواصها الفارقة، ثم جاءت الرومانتيكية صدى للثورة الصناعية، وإعلاء الذات الفردية، والاحتكام للعاطفة، ثم تبعها الواقعية بوصفها صدى للثورة العلمية وتوابعها الحضارية والثقافية لكشف سلبيات الواقع.

(2)

لقد بدأت الحداثة (modernism) في الغرب مع نهاية القرن التاسع عشر، واستمر حضورها الفاعل حتى منتصف الأربعينيات تقريباً، وكانت بدايتها موازية لرفض الواقع الذي أراه إبداع يعتمد

المحاكاة والمماثلة التي تميل إلى الرفض؛ لأنَّ العقيدة الجمالية الحداثية ترى أن للإبداع عالمه الخاص، وخصوصيته تكمن في تنافيه مع هذا الواقع، ومع هذا التنافي، ازدادت ملامح الشؤم من ناحية، وتفككت عناصر الواقع المركزية من ناحية أخرى، ثم خضع كل ذلك للشك في منجزات العلم الحديث التي أصبحت صاحبة السلطة في العالم الجديد، ومن هنا تعددت وجهات النظر، ومال الوعي الإنساني إلى (النسبية)، وابتعد قدر الإمكان عن (المطلق والكلي والعام).

وصاحبت الحداثة كل هذه التحولات وتوابعها التنفيذية حتى وصلت إلى ما يمكن أن نسميه: (أزمة) داخل الحداثة بين الواقع بكل محمولاته الفكرية والنفسية، وبين التطلعات المستقبلية بكل خصوصيتها المأمولة، ، وأخذت ملامح الأزمة في الظهور في كثير من الإحباط الذي سيطر على (جيل ١٩٦٨)، الذي رفض مجمل المواضعات الفنية والأدبية التي صاحبتهم منذ أخريات القرن التاسع عشر.

لا شك أنَّ هذه التحولات، كانت بمثابة تمهيد لمرحلة قادمة، هي: (ما بعد الحداثة): (postmodernism)، وكانت ملامح هذه المرحلة آخذة في التجلي منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، واستمرت صاحبة السيادة الثقافية حتى زمن التسعينيات، ويؤرخ البعض لظهور هذه المرحلة بظهور (التفكيكية) وتردد مقولات (دريدا) عن تجدد المعنى النصي مع كل قراءة، بل نظر إلى القراءة الجديدة بوصفها تفسيراً آخر للنص، مع صعوبة الوصول إلى المعنى النهائي (الذي يحسن الوقوف عليه) - كما يقول البلاغيون العرب - وتبع ذلك فك الارتباط بين اللغة ومرجعها الخارجي والمعجمي، ومن ثم ساد (الشك والاختلاف والإرجاء) ليكون ذلك كله علامة واضحة على مرحلة ما بعد الحداثة. ولم يكن النص بعيداً عن هذه التحولات، التي لاحقت كثيراً من المقولات التي تنتمي له، والتي أخذت مكانة شبه مقدسة تبعاً لبعدها الزمني والإبداعي، وفي مقدمتها مقولة (المعنى)، إذ لم يعد للمتلقي حقوقاً قبله، كما لم يعد النص يتقبل شروطاً ومواصفات (سابقة التجهيز)، فالنص صاحب الحق الشرعي في إنتاج مواصفاته، وتحديد شروطه، وتبعاً لذلك أوغلت النصية في التحليق في الأفق المفرغة دلاليًا، والسير في الطرق غير المعبدة، والتعامل مع غير المعقول أو المنطقي، يستوي في ذلك النص الشعري والنثري.

وبالطبع لم يكن السرد بعيداً عن كل هذه التحولات المتسارعة، فقد اغتالت (الحداثة وما بعد الحداثة) كثيراً من خواصه الفارقة، إذ غاب (الخط الأفقي) الذي يحكم مسيرة السرد الحكائية، وغاب الربط بين الوقائع والأحداث والشخصيات منطقياً وسببياً، ولم تعد النتائج مرتبطة بمقدمات تحتمها، أي أن النصية وقفت على مسافة التحدي من الموروث النقدي، وتبعاً لذلك تعددت المسارات الأفقية والرأسية، وتعددت الحكايات في النص الواحد وتداخلت بعضها في بعض، وهو ما ملأ النص بالفراغات الزمنية والمكانية والحداثية.

ويجب الإشارة إلى أن هذه التحولات قادت الحداثة وما بعدها إلى (الأزمة) المزدوجة التي مهدت لتردد مجموعة من المصطلحات التي تكاد تربط بين الحداثة وما بعد الحداثة، وهي المصطلحات

التي حددها الباحث الأمريكي: (راؤول إيشلمان Raoul Eshelman) وترجمتها الباحثة (أماني أبو رحمة): الحداثة العائدة - الحداثة الزائفة - الحداثة الآلية - الحداثة المغيرة - الحداثة الرقمية - الحداثة الفائقة - الحداثة الأدائية - performatism) ويبدو أن المصطلح الأخير هو أقربها لمرحلة (بعد ما بعد الحداثة) (post-postmodernism).

(3)

إنَّ الملاحظ أن مرحلة الحداثة حرصت على إحداث نوع من التوازن مع الواقع العام - على الرغم من طبيعتها الرافضة - وبخاصة في زمن الانفلات الإنساني خلال الحربين العالميتين، وهو انفلات سيطرت عليه غيبوبة العقل والمنطق، وشاعت فيه العدوانية، وتمثلت ملامح هذا التوازن في استعادة الإبداع للانسجام الداخلي الذي يعمل على أن يستعيد الإنسان إنسانيته أولاً، ومن ثم يستعيد العالم هذا الانسجام الإنساني ثانياً.

وعلى هذا التأسيس اتجه إبداع الحداثة إلى الإيغال في الحقائق المعرفية الإنسانية، لتكون بديلاً عن (العرض) الزائف الذي شوّه الإنسان في زمن الصراع التدميري خلال الحربين العالميتين، وكان لكل فعل رد فعل، قد يكون إيجابياً، وقد يكون سلبياً، ويبدو أن السلبية في هذا الاتجاه تمثلت في تغلب الانشغال المعرفي على الذائقة الجمالية، أو لنقل إنها أراححت النسق الجمالي إلى الهامش، ولعل هذا كان أحد دوافع إبداع ما بعد الحداثة إلى استعادة الجمالي وفق شروطه، لا وفق شروط سابقة التجهيز، دون أن ينفي ذلك الموقف المتحفظ للحداثة وما بعدها على (المعنى) على وجه العموم.

ويمكن القول إنَّ هذا التحفظ على المعنى، ربط إبداع الحداثة وما بعدها (باللحظة الراهنة)، وتبع ذلك مقاربتة (للمحاكاة) مرة أخرى، مع إشباعها بقدر وافر من السخرية، أي أنها أصبحت: (محاكاة ساخرة)، ومعها دخل الزمن سيولة غيبت ثلاثيته الخالدة: (الماضي - الحاضر - الآتي)، ثم تدخلت (التفكيكية) ساعية إلى طمس مجموع الثنائيات الوجودية التي اكتسبت قدراً من القداسة من عمقها الزمني، مثل ثنائيات: (المحسوس والمعقول، والحضور والغياب، والبال والمدلول، والأدب والنقد، والذكورة والأنوثة)، وكان البديل الطارئ: (اللعب الحر) وهو بديل منذر بالعبثية المنهجية.

معنى هذا أنَّ الحداثة استهدفت استعادة النظام في مواجهة النزعة التدميرية، ثم جاء ما بعد الحداثة محاولاً تقويض هذا النظام، واستمر الجدل المعرفي والواقعي بين المرحلتين إلى بداية التسعينيات تقريباً، وكان هذا الجدل التبادلي ممهداً لمرحلة جديدة، هي مرحلة: (بعد ما بعد الحداثة)، وكان ظهورها في الوعي الإنساني نوعاً من مقاربة الحسم لإنهاء التذبذب الذي سيطر على ثلاثة أزمنة: (ما قبل الحداثة - الحداثة - ما بعد الحداثة)، وهو ما يمكن إيجازه في عناصر محددة: (الحداثة) معها النظام والتجديد المنضبط، (ما بعد الحداثة) (المحاكاة الساخرة) ثم: (بعد ما بعد الحداثة)، ومعها تعددت الإحالات والتعارضات والتدخلات النصية وارتباط المجاز بالتداول الحياتي واتساع الفضاءات النصية تأسيساً على ظاهرة (الانعكاس).

(4)

إنَّ الفواصل الزمنية التي ارتبطت بها: (الحداثة وما بعد الحداثة وبعد ما بعد الحداثة) تكاد تكون فواصل تقديرية، لا تخضع للحسم الرقمي، وما جد في (بعد ما بعد الحداثة) كان في زمن التسعينيات من القرن الماضي، ويمكن القول إن (الزمن) فيها أصبح زمن السرعة التي تكاد لا تدرك، إذ أصبحت السرعة تفوق قدرة الإبداع والنقد على الملاحقة، (الثانية) أصبحت الوحدة الزمنية التي يقاس بها الوجود، بل إن الزمن دخل فيما يسمى (الفيمتو ثانية)، وهو ما أعجز الإنسان عن ملاحقة التحولات والمواقف والتقنيات والآلات، وكل ما استوعبه أصبح من ذاكرة الماضي، وأن عليه أن ينتظر ما تأتي به (الثانية) القادمة، فهو في حالة انتظار وترقب لا تتوقف.

في هذا الزمن تداخلت الأعراف والتقاليد، وأخذت الفروق النوعية والجنسية في الذوبان، ووصل هذا التداخل ذروته في كسر الحاجز بين ثنائية (الإنسان والحيوان)، ومن توابعه تكاثر الجماعات المطالبة بحقوق الحيوان على نحو شبيه بالدعوة التي تتبناها جماعات الدفاع عن حقوق الإنسان، ثم اجتمعت الدعوتان السابقتان في مقولة واحدة، هو: الحفاظ على حقوق (الكائنات الحية).

ثم امتد ذوبان النوعية إلى ثنائية: (الإنسان والآلة)، مفيدة من منجزات العلم الحديث فيما وصل إليه من إنتاج (الإنسان الآلي) الذي يمتلك قدرات تفوق قدرات الإنسان الحي الجسدية والعقلية، وهذه الثنائية، ساعدت زمن (بعد ما بعد الحداثة) على الوصول إلى الثنائية الأخيرة - مؤقتا - لتذويبها، وهي ثنائية: (الطبيعي والصناعي)، إذ إن العلم بمنجزاته الخارقة وصل إلى تصنيع (الأعضاء البشرية)، وتصنيع (الأنوثة والذكورة)، و(الجمال المصنع) و(الرشاقة المصنعة) و(المطر الصناعي) و(الزهور والجواهر الصناعية) وتصنيع الجمادات والمزروعات، وتصنيع العقول الآلية الحاسبة والمفكرة بقدرتها التخزينية الهائلة.

ومع ظاهرة التصنيع تأثرت كثير من القضايا النظرية التي تتعلق بالخطاب النقدي مثل (نظرية الاتصال)، فهي - في جوهرها - تعتمد ثلاث ركائز: مصدر الإنتاج - الرسالة - المتلقي، صارفين النظر عن (الموضوع والكود) فهما داخلان في الركائز السابقة، والذي أراه أن نظرية الاتصال قد تم تعديلها جوهريا من نظرية ثلاثية الركائز، إلى نظرية رباعية الركائز: (مصدر إنتاج - رسالة - متلق - جهاز كمبيوتر) وهذا الأخير يمتلك قدرات تخزينية وإنتاجية هائلة، ويمتلك إمكانات فكرية وعملية تتيح له التدخل والمشاركة عند الاستدعاء، بل إنه قد يمارس هذا التدخل دون استدعاء، أي أنه أصبح شريكا مركزيا في نظرية الاتصال، وهي مشاركة لها مخاطرها في تهميش مصدر الإنتاج، وقد يدفعه هذا التهميش إلى نوع من السلبية اعتمادا على أن جهاز الكمبيوتر يؤدي المهمة التي كان يقوم بها المبدع في استكمال الناقص، واستحضار الغائب، وتعديل المعوج، أي أن الجهاز قد احتل مكان ومكانة المنتج، إذ إنه يقدم المعلومة المطلوبة وغير المطلوبة، ويقدم الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة.

إنَّ هذا المنجز العلمي فاق كل تصورات الخيال، وهو ما يذكرنا بمنجزات سابقة كان لها تأثيرها الثقافي في المنتج الإبداعي وغير الإبداعي، وبخاصة في الخطاب السردي الذي ضم بعض الحوارات

التي لا يحضر أطرافها في الخطاب، وإنما تحضر عن طريق (الهاتف)، ومعها ظهرت (الرسائل البرقية) و(البريد السريع) و(الفاكس)، وكان لكل ذلك تأثير في زمنها يوازي تأثير (الفضاء الإلكتروني) و(النت)، مع الفارق بين هذه وتلك. لقد استحوذت هذه الأجهزة على كثير من حقوق اللغة المنطوقة والمكتوبة، وأصبح من المألوف أن يجمع الخطاب السردى بين شخص متباينة زماناً ومكاناً، وشخص ربما لم تتقابل قط، ولم يكن بينها علاقة ما، وعلى الرغم من ذلك تتحاور وتتبادل الرأي والفكر، بل تتبادل التأثير والتأثر دون مواجهة مباشرة.

(5)

ومن المهم أن نشير إلى أن ذوبان النوعية في مرحلة (بعد ما بعد الحداثة) وصل إلى ما يسمى (الحداثة الرقمية)، وقد سبق الإشارة إلى هذا المصطلح، وتأتي أهمية الإشارة إليه من تأثيره البالغ في النصية الأدبية، لأنه عدل فيها على نحو غير مسبوق، وهنا لا بد أن نسترجع بعض مقولات مرحلة (ما بعد الحداثة) وبخاصة مقولة: (النص المفتوح والنص المغلق)، ويهمننا هنا أن نستعيد مقولة (النص المفتوح)، إذ كان المقصود منه: انفتاح النص على تعدد النواتج الدلالية، ثم خضوع هذه النواتج للاحتمال والشك والتأجيل، وهو ما يغاير مفهوم الانفتاح مع (الحداثة الرقمية)، لأن الانفتاح فيه يعني (تعدد المؤلف)، و(تعدد مستويات النص)، فعلى (شبكة الاتصال العالمية) (الإنترنت)، يقدم المؤلف نصه للقراء، سواء أكان النص شعراً أم نثراً، وهنا يتتابع القراء على هذا النص بالتعليق تارة، والإضافة تارة أخرى، وكل إضافة تنتمي إلى صاحبها بوصفها بصمة تعبيرية وثقافية له، وقد تتوافق مع النص الأول، وقد تتنافر معه، أو تكون في حالة بين التوافق والتنافر.

معنى هذا أن الحداثة الرقمية ألغت على نحو ما (الإبداع الفردي)، واستحدثت بديله في: (الإبداع الجماعي)، وغياب الفردية، وسيطرة الجماعية يقود الأدبية - تلقائياً - إلى غياب البصمة التعبيرية، وإلى تعدد مستويات النص، سواء كان التعدد على المستوى الصياغي، أو كان على المستوى الفكري والثقافي، وفي هذا وذاك يمكن أن تغيب الجمالية البلاغية، وهو ما يهدد النصية بالتخريب لحساب الذين تدخلوا في إنتاج النص رغماً عنه، ورغماً عن مبدعه الأول. ويبدو أن (النصية الرقمية) قد أتاحت للمبدع سياقاً (للانتشار السريع)، ودخل هذا السياق - فيما سبق - كان يحتاج إلى سنوات طوال، وتراكم إبداعي مستمر، وهو ما يمكن أن يتيح لأنصاف الموهوبين، أو فاقدى الموهبة أن يدخلوا سياق الانتشار الذي أسميه (الانتشار الكاذب) وبالمثل يمكن أن يتيح هذا المنجز العلمي لفاقدى المعرفة النقدية وغير المؤهلين أن يمارسوا عملاً نقدياً، هو أشبه (بالغش الصناعي)، وقد ساعد على كل هذه السلبيات أن معظم المتعاملين مع هذه (التكنولوجيا) هم من أجيال الشباب وطلبة المراحل التعليمية المختلفة الذين لم تستحكم ملكاتهم ومواهبهم الأدبية والنقدية. إنَّ هذه الإطلالة الموجزة على المراحل الثلاثة: (الحداثة - ما بعد الحداثة - بعد ما بعد الحداثة) يمكن أن تقفنا على موقف ثقافي معرفي تبنته كل

مرحلة على نحو نسبي، وعلى نحو ظاهر حيناً، ومضمر حيناً آخر، وأقصد هنا موقف هذه المراحل من (التراث) وكل مَنْ عايش زمن (الحداثة)، وتابع مقولات روادها، يدرك أن مقولها الحضاري كان (القطيعة مع التراث)، وأن (الحداثة انقطاع) أو (انفصال) أو (ابتعاد) وترددت كثيراً على ألسنة الحداثيين هذه المقولات .

ثم جاءت مرحلة (ما بعد الحداثة) لتكون أكثر إيغالا في هذا الموقف الثقافي، إذ أقامت فلسفتها الحداثية على (هدم التراث) أو الخلاص منه تماماً وكأنه المبنى الخرب الذي يحتاج الإزالة الفورية. وكان لكل مرحلة من هاتين المرحلتين وجهة نظرها، ومنطقها، وحججها، ثم كانت المفاجأة في مرحلة (بعد ما بعد الحداثة) التي أهملت المقولتين السابقتين، مؤثرة مقولة: (الانعكاس) التي تربط مظاهر التقدم الحضاري الراهن بالجذور الأولى، أي أن المرحلة استردت للتراث حقه في أن يكون شريكاً في لحظة الحاضر دون قطيعة، ودون هدم، لا بوصفه دخيلاً غريباً، وإنما بوصفه شريكاً ممهداً، وربما يتوافق هذا مع المقولات التراثية: (لا جديد لمن لا قديم له) و(كل قديم كان جديداً في زمنه) و(لا أبناء دون آباء)، وهو ما يمكن أن يساعد في أن تستعيد الجمالية والبلاغية بكل بعديهما التراثي والحداثي مكانتهما الأدبية مرة أخرى.

ولعل كل ذلك يفسر لنا بعض التحولات الإبداعية الأخيرة، إذ مع استعادة الاحترام للتراث، استعادت بعض التقنيات التي هجرها الإبداع احترامها مرة أخرى، إذ أخذت النصية تحاصر الغموض، وتحويله إلى طبيعة شفافة، واتجهت إلى (المجاز الحياتي)، واستعاد النسق السردى طبيعته المحفوظة في التسلسل والترابط، وحجم الفجوات الزمنية والمكانية، ولاعم بين الشخص ووظائفها السردية، ثم لاعم بينها وبين مجمل الوقائع، مع اختصار تقنيات (علم السرد) حفاظاً على النصية من تكاثرها المدمر، وهي تقنيات جاوزت خمسين تقنية لاحقت الزمان والمكان والشخص واللغة على نحو تقني لا يقبله منطق الإبداع، ولا تقبله الذائقة الفنية الجمالية.

(6)

إنَّ مقولتنا عن استعادة التراث لبعض حقوقه الشرعية تدعونا إلى التوقف السريع أمام بعض المناهج النقدية الحداثية الوافدة للكشف عن موازيتها التراثي، على أن يكون في الوعي دائماً: أن هناك مفارقة ضرورية بين ما تقدمه الحداثة وما يقدمه التراث، نظراً للسياق الحضاري والثقافي المغاير تاريخياً.

وربما كانت (الأسلوبية) من أهم المناهج النقدية الوافدة، والتي فرضت سيطرتها على الخطاب النقدي العربي في سبعينيات القرن الماضي، وإن كانت جذورها الوافدة ترجع إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتمثلت ملامحها في ثلاثة مسارات:

أ - الصلة بين الشكل والفكرة المُعبر عنها.

ب - الطريقة الفردية في بناء الأسلوب.

- ج - التعبير عن الفكرة بأفضل السبل التعبيرية.
- ومع الستينيات جاءت (أسلوبية الانحراف)، ثم تبعها انشطار الأسلوبية إلى ثلاثة مسارات:
- أ - الأسلوبية الإنتاجية، التي تربط الأسلوب بمننتجه.
- ب - الأسلوبية التأثيرية التي تربط الأسلوب بمستقبله.
- ج - الأسلوبية التعبيرية التي تربط الأسلوب بخواصه الصياغية. (١)
- وقد أثرت هذا التفصيل لكي أكشف عن المشابهات المركزية لكل هذه الإجراءات الأسلوبية في التراث العربي، ولا يسمح المجال بالإفاضة في ذلك، لكن المؤكد أن هناك أوجهًا كثيرة للتلاقح بين الوافد الغربي والتراث العربي على مستوى التحديد المعرفي وعلى مستوى الإجراءات التطبيقية، فعلى مستوى التحديد المعرفي، يقول الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "سلكت أسلوب فلان، أي: طريقته وكلامه على أساليب حسنة" (٢).
- وعلى مستوى التقديم النظري نجد عند الباقلاني إشارات مبكرة عن الأسلوب وأقسامه وصلته بصاحبه، يرى الباقلاني أن الأسلوب قسمان: الأسلوب النفسي الداخلي - أي الفكرة - والأسلوب الخارجي - أي المنطوق أو المكتوب، ثم يضيف إلى ذلك قسمين مهمين، هما:
- أ - الأداء الفني في الشعر والرسائل والخطب، وهي مجال الفصاحة والبلاغة.
- ب - الأداء اليومي المألوف الدائر في المحاورات، ويتميز بشدة التفاوت، لأن التعامل فيه قليل.
- ثم يخرج الباقلاني على الموروث النقدي السابق عليه والذي وجد حرجًا في ربط الأسلوب بمننتجه عند القول في الإعجاز القرآني، وكان خروجه قريبًا مما قدمته الحداثة في مقولتها الأثرية: (الأسلوب بصمة لصاحبه)، ذلك أن الرجل اعتمد ربط الأسلوب بمننتجه عندما ربطه (بالنطق والخط)، فالنطق هو مجسد حركة المعنى داخليًا، والخط هو مصورها المرئي. (٣)
- وتصل مباحث الأسلوب في التراث إلى قمته عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة)، ومتابعة الفكر الأسلوبي في هذين الكتابين يحتاج إلى دراسة مستقلة، ومن ثم أشير إلى بعض الركائز الأساسية عنده:
- أ - ربط الأسلوب بنظريته في النظم، أي العلاقات النحوية التي تربط بين المفردات والجمال داخل السياق الكلامي، مجملًا ذلك في مقولته: "الأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه" (٤)
- ب - ربط الأسلوب بازدواجية الداخل النفسي المتمثل في الحركة الذهنية، والخارج المنطوق أو المكتوب بكل تقنياته التعبيرية والتخييلية..
- والحق أن متابعة التراث في الأسلوبيات تكشف عن حضورها الكثيف ولكنه حضور مبعثر، ولم يتجمع في نسق مكتمل إلا عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء الذي عقد فيه (منهجًا عن الأسلوب) واستطاع أن يوفق فيه بين ما جاءه من عبد القاهر الجرجاني وما جاءه من أرسطو عن الأسلوب.

(7)

ومن المناهج التي جاءت في زمن الحداثة وكان لها قبولٌ مؤثراً في الخطاب النقدي العربي: (التداولية: pragmatics) وكانت بداياتها في المنشأ موازية زمنياً للأسلوبية، أي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومع تأسيسات سوسير - أيضاً - عن (اللغة والكلام) وقد تتابع الباحثون على هذه الركيزة بالشرح والتفصيل والإضافة وصولاً إلى: (هوسرل وأوستن وسيرل)، وقد حلت في الساحة العربية في سبعينيات القرن الماضي بوصفها رد فعل على البنيوية التي أغلقت النص على نظامه الداخلي، ويمكن القول إنها كانت - أيضاً - رد فعل على ما أسسته الحداثة عن اللغة داخل النص وخارجه، فهي خارج النص مهمتها التوصيل، وداخله مهمتها أن توصل ذاتها، أما عند التداوليين فهي محكومة بمجموعة من الركائز التي تحدد مهمتها داخل النص وخارجه:

١ - السياق الخارجي بكل محتوياته من المتكلم والمتلقي والرسالة اللغوية والزمن والمكان، وداخل النص بكل أدواته الإنتاجية، مثل الضمائر والإشارة والموصول والخبر والإنشاء.

٢ - الاستعمال.

٣ - الصدق والقصد.

٤ - أفعال الكلام.

٥ - وقد استعانت التداولية بالحوار والحجاج.

والحق أن الفكر التداولي له ما يمكن أن يناظره في الفكر التراثي اللغوي والبلاغي العربي، فالسياق بكل محتوياته لا يبتعد كثيراً عن مصطلحي (الحال والمقام) وبخاصة أن بعض البلاغيين وسعوا مفهوم الحال ليشمل حال المتكلم وحال المتلقي،^(٥) لكن الأهم أن اللغة العربية - في الأصل - لغة سياق قبل أن تكون لغة معجم، ونظرة على المعجم العربي توثق هذه المقولة، فأصحاب المعاجم لا يقدمون معنى الكلمة إلا من خلال النموذج الكلامي الذي يحتويها.

أما مصطلح (الاستعمال) فهو مصطلح مركزي في الفكر البلاغي، وهو ما نعاينه في تعريف البلاغيين للحقيقة والمجاز، (فالحقيقة هي: الكلمة المستعملة فيما وضعت له، والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له)^(٦)، وهو ما يعنى أن الثقافة البلاغية ربطت الاستعمال بالمواضعة اللغوية، فالكلمة قبل الاستعمال في منطقة الصفر، ولا تدخل منطقة الدلالة إلا بعد الاستعمال، وهو ما أشرنا له في قولنا عن أن اللغة العربية لغة سياق استعمالي لا لغة معجم صامت، فالفعل (ضرب) - مثلاً - تتغير دلالاته داخل سياقه الاستعمالي، فمعنى (ضرب الشرطي اللص) غير (ضرب في الطريق) غير (ضرب أخماساً في أسداس) غير (ضرب النقود).

ومقولة التداولية عن أفعال الكلام، عليها تحفظات كثيرة، فهناك كثير من الجمل فاقدة للفعل، بل هي غير مقبولة استعمالاً وعقلياً، وهو ما يستدعى من التراث مقولة سيبويه عن أنواع الجمل المستعملة، حيث قسم الكلام خمسة أقسام:

أ - المستقيم الحسن، مثل: أتيتك أمس، وسأتيتك غداً.

ب - المحال، مثل: أتيتك غداً، وسأتيتك أمس.

ج - المستقيم الكذب. مثل: حملت الجبل، وشربت ماء البحر.

د - المستقيم القبيح، مثل: قد زيدا أكرمت، وكى محمداً قابلت.

هـ - المحال الكذب ومثل: حملت الجبل غداً، وسأشرب ماء البحر أمس.

فكثير من هذه الجمل ليس لها رد فعل، بل ليس لها مقبولية منطقية أو لغوية. وهو ما يسقط مقولة (أفعال الكلام) أو على الأقل يضعها تحت سلطة الاحتمال، حتى إن بعض رواد هذه التداولية شككوا في هذه المقولة في مثل قولنا: كلمت محمداً، وأنت تقصد: كلمني محمد.

وهنا يجب التوقف المؤقت أمام مقولة أوستن عن (أفعال الكلام) وعلاقتها بعملية (الإسناد) الثلاثية، ذلك أن النسبة المعتمدة عند (أوستن) لم تتوقف أمام النسبة غير المفيدة التي تنبئ لها البلاغيون العرب في جمل مكتملة، في مثل قولنا: (إن جاء خالد) و(جاء الذي)، واللافت أنني وجدت عند أحد البلاغيين المتأخرين: (محمد بن عرفة الدسوقي) ت (١٢٣٠هـ = ١٨٢٥م) توافقاً يثير الدهشة بين ما قدمه في هذا السياق وما قدمه أصحاب التداولية، ذلك أنه جعل النسبة الإسنادية ثلاثية الأركان: فهي (نسبة كلامية) وهي ما يوازي (الفعل اللفظي) عند أوستن، كما لو قلنا: (خالد قائم)، وهي (نسبة ذهنية)، والمقصود بها: تصور وقوع الفعل، لا الفعل ذاته، أي تصور (قيام خالد)، وهي ما يوازي (الفعل الكلامي) عند أوستن، وهي (نسبة خارجية)، وهو ما يوازي (الإنجاز) عند أوستن، والنسبة الخارجية عند ابن عرفة والإنجاز عند أوستن يتوافقان في استحضار متلقي هذا الإنجاز.^(٧)

على أن يلاحظ أن الكلام الملفوظ والفعل التنفيذي - عند البلاغيين العرب - يبتعدان - غالباً - عن (أصل المعنى)، فعندما أقول: (لم أتناول طعاماً لمدة يومين) يكون أصل المعنى محدداً وواضحاً، وهو (عدم تناول الطعام لمدة يومين)، أما الخروج على أصل المعنى فإنه يفتح السياق على تعدد النواتج الدلالية، فقد يكون المقصود: طلب معونة مالية لشراء الطعام، وقد يكون المقصود: أن يظهر المتكلم قدرته على تحمل الجوع لمدة يومين، إلى غير ذلك من النواتج الاحتمالية التي ترتبط بسياق الموقف الكلامي، وهي من الإضافات التي لم تنتبه لها التداولية في أفعال الكلام.

والحق أن البلاغيين العرب في مقولهم الذي يكاد يقارب مقول (أفعال الكلام) يشير إلى أنهم لم يقعوا فيما وقع فيه (أوستن) ومن تابعه من الباحثين والمترجمين العرب، ذلك أن الرجل فصل بين البناء النحوي للكلام والفعل التنفيذي له، بينما تعامل معهما البلاغيون العرب على الترابط على نحو ما تابعناه عند ابن عرفة في حاشيته.

بل إن الفصل البلاغي بين الأسلوب الإنشائي والخبري في التحديد المعرفي والبنية الصياغية يكاد ينتفي عند الفعل التنفيذي، لأنهم يقرون بأن الإنشائي فرع عن الخبري، ومن ثم فكل منهما قابل لدخول نسق الآخر تبعاً للسياق الاستعمالي، فعندما أقول لشخص ما: (المذاكرة تقودك إلى النجاح)

يتحول هذا الأسلوب الخبري في الفعل التنفيذي إلى الإنشاء، أي: (ذاكر لتتج)، وعلى العكس يتحول الإنشاء إلى الخبر في قولنا: (هل ينجح المهمل ؟)، إذ يتحول الفعل التنفيذي إلى: (لا ينجح المهمل) .

(8)

أما الذي أراه من قصور في (أفعال الكلام) فيرجع إلى التأسيس النظري الذي قامت عليه، ذلك أن هذا التأسيس أغفل ركيزة وثيقة الصلة بعملية (البيان) الكاشفة عن التفاعلات الفكرية الداخلية المستورة وأن مهمة البيان نقل المستور إلى مكشوف ظاهر، والمجهول إلى معلوم، وهو ما أشار إليه الجاحظ بقوله: إن المعاني مستورة في ذهن المتكلم، والوصول إليها له وسائل خمس، منها وسيلتان متوافقتان مع أفعال الكلام، هما: (اللفظ والخط)، أما الثلاثة الباقية فإنها تلحق بنظرية أفعال الكلام مع شيء من التكلف، مثل (الإشارة) والمقصود بها: (الكلام الصامت)، وهي كما حددها الجاحظ: تعتمد على توظيف الأعضاء الجسدية في إنتاج المعنى المقصود، مثل وضع الإصبع على الفم طلباً للصمت، وهز الرأس للرفض أو القبول.

ثم أكمل الجاحظ وسائل البيان المؤدية للفهم والإفهام، فذكر (العقد) والمقصود به: الدلالة المستفادة من مواقع النجوم والكواكب التي عن طريقها يتم حساب الشهور والسنوات، ثم أضاف إلى وسائل البيان ما أسماه: (النسبة) أي: الحال الدالة الناطقة بالمعنى ^(٨).

ووسائل البيان على هذا النحو الذي نقلناه عن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تكاد تغفله نظرية أفعال الكلام، ولن يكون لها علاقة بكلام الجاحظ إلا في شيء كبير من الكلفة، وهذا القصور لا يرجع إلى غياب وسائل البيان فحسب وإنما يرجع إلى الغموض الكثيف الذي يتخلل مفاصل النظرية، وقد أشرنا إلى بعضه، وهناك غيره الكثير يجب متابعته والتنبه له.

(9)

ومن هذه المناهج الوافدة (علم لغة النص) وتوابعه في مفهوم الخطاب والتماسك النصي، والأخير له إجراءات التي اهتم بها هذا العلم، وهي:

أ - الإحالة القبليّة والبعدية، وأدواتها: الضمائر والإشارة، وأدوات المقارنة، مثل أبنية التشبيه والطباق ورد العجز على الصدر والترديد وغيرها من الأشكال البديعية .

ب - الاستبدال، وهو ما تحمله الأبنية الصياغية من عمليات الإحلال والتبديل والحذف والذكر والإضافة والتبعية.

ج - الفصل والوصل، وكل أدوات الربط كالعطف والجر والشرط.

د - الاتساق المعجمي في المصاحبات اللغوية والدلالية والمطابقات العددية والنوعية.

ومن فضول القول الكشف عن كل هذه الأدوات ووظائفها الدلالية والنصية في علوم النحو والبلاغة بل ربما كان للتراث بعض تحفظ على إجراءات الإحالة، وبخاصة الإحالة البعدية في الضمائر والإشارة والموصول، أما الفصل والوصل فقد وصل بهما عبد القاهر الجرجاني إلى ما لم

تصل إليه جهود الباحثين في علم لغة النص، كما أن جهوده النظرية والتطبيقية في مباحث الحذف والذكر والزيادة تكاد تجاوز جهود الحداثة الوافدة والحداثة العربية.

وقد تابع الباحثون في علم لغة النص سعيهم لتأكيد مفهوم النصية المتماسكة المفيدة باستدعاء مصطلحين مركزيين هما: (السبك والحبك)، وغالباً ما يكون السبك تعبيراً عن التماسك الصياغي بالاعتماد على الأدوات اللغوية المحفوظة في الذاكرة، مثل أدوات العطف والجر والشرط، ويكون (الحبك) تعبيراً عن التماسك الدلالي حيث يكون النص أشبه بلوحة متناسقة الأشكال والألوان، يكمل بعضها بعضاً، وقد أوجز (أسامة بن منقذ) هذا الفهم في قوله: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"^(٩)

والذي يمكن أن نخلص إليه من الوافد الغربي من ناحية، والوافد من التراث العربي من ناحية أخرى، يؤكد ارتباط (علم لغة النص) بالنحو والبلاغة على صعيد واحد ولأنه يجمع بين السلامة النحوية بكل إجراءاتها الإفرادية والتركيبية، وبين الجمالية الإبداعية بكل طاقتها التخيلية، وإن رأى علماء لغة النص أن هذا العلم لا صلة له بالهدف الجمالي، لأن مهمته الأساسية هي عملية الاتصال فحسب.

ومن المهم أن نتوقف شيئاً ما عند مقولة (الإحالة) التي أسس عليها علماء علم لغة النص إجراءات السبك والحبك، ذلك أن الإحالة عندهم قبلية وبعدية على وجه الإطلاق، لكنها في اللغة العربية ليست على هذا النحو الوافد، فالإحالة بالضمير تقوم على الإحالة قبلية فقط، سواء أكان المرجع السابق ملفوظاً أم مفهوماً، ولا يجوز عود الضمير على المتأخر - لفظاً ورتبة - إلا في حالات محددة، مثل (ضمير الفصل) كما في قولنا: (خالد هو القائد العظيم)، فالضمير هنا يعود إلى ما بعده: (القائد العظيم) لكن سوغ ذلك أن المرجع كان له حضور سابق (خالد)، ومثل (ضمير الشأن) الذي يسميه البعض (ضمير الحكاية)، وهو - غالباً - ما يتردد في البناء السردى، ومرجع الضمير يكون مفهوماً من السياق، ويأتي المرجع الملفوظ متأخراً عن الضمير، لكن السياق يربطه دائماً بالمتقدم المفهوم من هذا السياق، كأن يمر شخص على حديقة، ثم يقول: (هو الزهر يملأ أرجاءها) فقد عاد الضمير على ما بعده (الزهر)، وهناك حالات أخرى يعود فيها الضمير على متأخر ولكنها ضعيفة العلاقة بالإحالة، مثل (ضمير نعم وبئس) مثل: (نعمه رجلاً)، وضمير (ربّ) مثل: (ربه رجلاً)، أي أن مقولة الإحالة قبلية والبعدية لا تصلح أن تكون مع الضمير على الإطلاق كما هي عند علماء لغة النص.

أما الإحالة مع (مع اسم الإشارة واسم الموصول، فهي مغايرة - أيضاً - لما هي عليه في (علم لغة النص)، لأن الإحالة فيهما تكون ثنائية تارة وثلاثية تارة أخرى، وازدواج الإحالة يتأتى مع اسم الإشارة، لأنّ السياق الذي يحتويه يتضمن عملية الاتصال الثلاثية: (المنتج - المتلقي - الرسالة) ومن طبيعة استعمال هذه الإشارة أن يكون المتكلم على دراية كاملة بالمشار إليه قبل التلفظ، من حث التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، ومن حيث كونه عاقلاً أو غير عاقل، ومن حيث قربه أو بعده أو

توسطه، لأن كل حالة من هذه الحالات لها صيغتها المناسبة، وهو ما يعني أن العلم بالمشار إليه سابق على اسم الإشارة ضرورة، وهذه إحالة قبلية، ثم هي بعدية لأنها تقدم المشار إليه للمتلقي صراحة في مثل قولنا: (هذا صديقي خالد).

وهذه الإشارة الثنائية تتحول إلى ثلاثية مع اسم الموصول، لأن سياقه قريب من سياق اسم الإشارة في ضرورة أن يكون المتلقي على علم سابق به على وجه الإجمال، لكن الذي يوضح مرجعية الاسم الموصول هو (جملة الصلة) التي تأتي بعده ضرورة، ثم إن هذه الجملة تتضمن ضميراً يعود - أيضاً - على الاسم الموصول، أي أن الإحالة هنا أصبحت إحالة ثلاثية: الأولى هي علم المتلقي بمرجعية الاسم الموصول، والثانية هي جملة الصلة التي توضحه، والثالثة هي الضمير المزروع في جملة الصلة، فأقول: (جاء الذي أحترمه)، ولا أقول هذه الجملة إلا لمن عنده علم سابق بأن هناك شخصاً أحترمه، ثم يتحدد هذا الشخص بجملة الصلة: (أحترمه)، ثم تتأكد الإحالة بهذا الضمير في (أحترمه)، لكن هناك احتباساً ضرورياً، إذ قد لا يكون المتلقي على علم بالمقصود من الاسم الموصول، وهو ما يعني تحول الإحالة القبلية إلى إحالة مضمرة، ويكون الهدف إعلام المتلقي بما يجهله عن مرجعية الاسم الموصول، وجهل المتلقي سابق - بالضرورة - على الاسم الموصول.

وهذه الإحالة المركبة يمكن استخلاصها من كلام عبد القاهر الجرجاني: "إنك لا تصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق للسامع علم بها، وأمر قد عرفه له... وإن كان المخاطب لا يعلمها، فإنه لا بد أن يكون قد علمها على الجملة، وحُدِّث بها، فإنك على كل حال لا تقول: (هذا الذي قدم رسولاً) لمن لا يعلم أن رسولاً قدم، ولم يبلغه ذلك في جملة ولا تفصيل" (١٠).

والحق أن منجزات علم النص لم تتناول الإحالة على هذا النحو الذي تناوله التراث العربي في النحو والبلاغة.

(10)

وآخر مناهج الحداثة التي نطل على منجزها في هذا العرض الموجز: (النقد الثقافي) الذي حلَّ في الثقافة النقدية العربية في زمن (ما بعد الحداثة) متكئاً على مصطلحين مركزيين، هما: (النسق والسياق)، والحق أن كثيراً من الباحثين قد خلطوا فيهما، وغاب عنهم أن النسق مكانه الصحيح داخل النص، وأن السياق مكانه خارجه.

وقد أثرت - في دراساتي - تعديل المصطلح، من (النقد الثقافي) إلى (القراءة الثقافية)، لأنَّ مفهوم مصطلح (النقد) ينتهي بالناقد إلى إصدار أحكام القيمة على النص بالجودة أو الرداءة، وهذا الحكم يمتد من النص إلى الثقافة التي أنتجته، أما القراءة، فإنها تقوم بالتحليل والتأويل والتفسير، دون إصدار أحكام القيمة التي تكون ظالمة للثقافة في معظم الأحوال. (١١)

والمصطلح في صورته الوافدة، تعامل مع النص بوصفه مجموعة أنساق رمزية تشير إلى أفكار ووقائع وأحوال غائبة عن النص، لكنها تدخلت في إنتاجه على نحو غير مباشر، وهذا التدخل يحرك

النص حركة أمامية مرتبطة بالنظر إلى الخلف ومخلفاته الثقافية الظاهرة والمضمرة والواضحة والخفية والجزئية والكلية والفردية والجماعية والهامشية والمنتية.

وعلى الرغم من أن هذا المنهج النقدي قد حلَّ في الخطاب النقدي العربي في الثمانينيات، نجد له بعض تجليات في مطلع القرن العشرين في دراسات طه حسين عن الأدب الجاهلي والمنتبي وأبي العلاء.

أما التراث العربي فله إطلالة مبكرة على الثقافة وأثرها في الإبداع عمومًا، ويمكن متابعة بعض هذه الإطلالة في المرويات النقدية الجاهلية للناطقة على شعر حسان بن ثابت، عندما عاب عليه قوله:

ولدنا بني العنقاء وابني نحرق * فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

لأنَّ الشاعرَ افتخرَ بمنَّ ولد، والثقافة العربية تفتخر بالأباء لا الأبناء، وبعيدًا عن هذه المرويات الكثيرة التي قدمتها لنا كتب التراث، نتوقف قليلًا مع واحد من أهم الكتب التراثية التي قدمت الوعي الثقافي في أبهى تجلياته، أعني: كتاب (طبقات فحول الشعراء) (لابن سلام الجمحي ٢٣٢ هـ) وسوف أكتفي هنا بمقولته التي تمثل دستور الوعي الثقافي في التراث العربي، يقول ابن سلام: " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تتقنه العين، ومنها ما تتقنه الأذن، ومنها ما تتقنه اليد، ومنها ما يتقنه اللسان"^(١٢)، ومع هذه الجملة التراثية قدم الرجل منهجا ثقافيا في إخراج كتابه، من حيث الترتيب الزمني، والبعد البيئي، والمرجعية الدينية، ثم الهدف الدلالي.

ويطول بنا الأمر لو تابعنا تجليات القراءة الثقافية عند الجاحظ في البيان والتبيين، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، وابن طباطبا العلوي في عيار الشعر، والمرزباني في الموشح والسكاكي في مفتاح العلوم، وهو ما نعد له دراسة مستقلة^(١٣).

الهوامش:

- ١ - انظر: البلاغة والأسلوبية - د / محمد عبد المطلب - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤: ٢٥ وما بعدها.
- ٢ - أساس البلاغة - الزمخشري - كتاب الشعب ١٩٦٠: سلب.
- ٣ - إعجاز القرآن - الباقلائي - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف ١٩٦٣: ٣٥.
- ٤ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - قراءة شاعر - الخانجي ١٩٨٤: ٣٦٨.
- ٥ - انظر صحيفة بشر بن المعتمر. البيان والتبيين - الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨: ١ / ١٣٥.
- ٦ - مفتاح العلوم - السكاكي - دار الكتب العلمية: ١٥٢، ١٥٣.
- ٧ - حاشية الدسوقي - ضمن شروح التلخيص - البابي الحلبي ١٩٣٧: ١ / ١٦٤.
- ٨ - البيان والتبيين: ١ / ١٦٤.
- ٩ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ - تحقيق د / أحمد بدوي، ود / حامد عبد المجيد - البابي الحلبي ١٩٦٠: ١٦٣.
- ١٠ - دلائل الإعجاز: ٢٠٠، ٢٠١.
- ١١ - انظر: القراءة الثقافية - محمد عبد المطلب - المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٣: ٢٠.
- ١٢ - الموشح - المرزباني - المكتبة السلفية ١٣٨٥ هـ: ٥٤، ٥٥.
- ١٣ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجمحي - قراءة شاعر - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠١: ١ / ٥.

رواية الطريق في تجلياتها الجديدة تأسيس جمالي لتصنيف نوعي

سيد محمد قطب

رواية الطريق: الميلاد من رواية الرحلة في رحلة الرواية:

أولاً: النوع الروائي والسياق المعرفي:

تتحرك النظرية الأدبية من سياق معرفي شامل تتفاعل فيه منظومة الأفكار مع تطبيقات التكنولوجيا بصورها المتعددة، فينتج عن هذا التفاعل تجديد الرؤية الإبداعية التي تطوّر أشكال الإبداع القولي والتشكيلي.

الحديث عن رواية الطريق في نماذجها المعاصرة لابد أن يراعي مسار التطور الحضاري الذي ساعد على السفر وتعلّم اللغات وامتلاك السيارات والتجارة عبر القارات، هذه العوامل أدت إلى ظهور الطريق بوصفه شخصية محورية في الإبداع المعاصر الذي يتجدد مواكبا تطوّر تكنولوجيا الاتصال والإعلام الكوني، محاولاً أن يتجاوز ما يراه المتلقي من مادة إعلامية تتضخم كالمارد ثم تختفي كال دخان.

وليست رواية الطريق بجديدة لأن أدب الرحلة نشأ مع حركة الإنسان في الكون وفي الأبجدية السردية، وكتب الأدب العربي حافلة بألوان من الرحلات الواقعية التسجيلية والمتخيّلة، لكن اتخاذ الطريق نفسه فضاء درامياً بدأ في الظهور مع رواية "على الطريق On the road" للكاتب الأمريكي جاك كيرواك عام ١٩٥٧م وهو أحد أعلام "الجيل الصارخ المعروف بجيل بيت Beat generation" الذي تبلورت أعماله في الأدب والموسيقى بعد الحرب العالمية الثانية، والطريف أن أنيس منصور (١٩٢٤ - ٢٠١١م) صاحب أكثر كتب الرحلات العربية شهرة في العصر الحديث ذكر عبارة الجيل الصارخ وأطلقها على جاك كيرواك ومن يكتب على شاكلته؛ لأن أفكار هذا الجيل تجاه الحرية وتحقيق الذات تلتقي مع الفلسفة الوجودية التي كان أنيس منصور يتبناها وهو يؤلف كتاب الرحلات الذائع الصيت "حول العالم في ٢٠٠ يوم" في مطلع ستينيات القرن العشرين.

لكن السينما كانت أكثر التقاطاً للطريق بوصفه فضاء جامعاً للشخصيات ومنطلقاً للسيارات ومحماً بالمواقف وملتقى الثقافات، فظهر فيلم الطريق "La strada" للمخرج الإيطالي فيليني عام ١٩٥٤م قبل رواية جاك كيرواك بسنوات قليلة. وقد سبقت السينما رواية الطريق في مصر أيضاً فالطريف أن العام نفسه ١٩٥٤ الذي ظهر فيه فيلم الطريق الإيطالي تم عرض الفيلم المصري "حياة أو موت" للمخرج كمال الشيخ وهو فيلم شهير مازالت تتردد منه عبارات في الحياة الاجتماعية، ويحكي عن طفلة ذهبت لشراء الدواء لوالدها المريض فأخطأ الصيدلي وحضر لها مادة أخرى بها سم، ويصوّر الفيلم حركة الفتاة في شوارع العاصمة ومركباتها وهي ممسكة بزجاجة الدواء والصيدلي يبحث عنها مع الشرطة، استمر توظيف الطريق في السينما المصرية كما رأينا في أفلام مهمة مثل

"مشوار عمر" لمحمد خان، و"ليلة ساخنة" لعاطف الطيب، و"إشارة مرور" لخيري بشارة، و"على جنب يا أسطى" لسعيد حامد، وفي مجال السرد يمكن الإشارة إلى كتاب "تاكسي - حوايت المشاوير" - لخالد الخميسي.

إن الحديث عن رواية الطريق يتطلب أولاً الانطلاق سريعاً إلى طريق الرواية العربية كي نصل إلى النماذج الجديدة التي نشير إليها في هذا المقال.

ثانياً: طريق التجديد الروائي:

ينزع العمل الإبداعي إلى التجديد، تلك حقيقة في تاريخ الآداب والفنون القولية منها والتشكيلية. ويمكن القول إن الأعمال التي تقف عند التقليد لا يكاد يحسب لها حساب في ذاكرة الإبداع، فالتقليد مفهوم يتنافى مع ماهية العمل الإبداعي الذي يكتسب قيمته من المغامرة المعرفية في رحلة البحث عن تشكيل كيان مغاير في متواليات التميز.

يحدث التجديد في الأعمال الإبداعية بنسب متفاوتة لها حساباتها، من أهم هذه الحسابات في السياق الثقافي أن يتعرّف المتلقي على العمل بوصفه مندرجاً في التصوّر العام لشكل بعينه، ومن هنا تأتي أزمة بعض الأعمال التي تخالف العقد التداولي لمفهوم الشكل في منظومة إنتاج الإبداع من حيث التأليف والتلقي.

يمكن النظر إلى الإبداع الروائي بوصفه مجالا خصبا للتجريب والتجديد، فالخطاب السردى يسمح بتنوّع الأداء في التعامل مع كتابة الرواية، تلك الكتابة التي تمتد من البوح الذاتي بالتجارب الواقعية المتصلة والمنقطعة، التي تحلّق في خيال مغرق أو ترسو على المرافئ القريبة مكتفية بتسجيل غرائب المشهد الواقعي الذي يتجاوز الخيال أحيانا.

في الوقت نفسه تقسّم الرواية مجالا واسعا للأفكار كي تنمو في المواقف الدرامية تصريحا أو تلميحا لأن الشخصيات التي ينشأ عن تقاطع غاياتها وتشابك علاقاتها، تلك المواقف تمتلك أصواتا يساندها الراوي الداخلي حيناً ويدعمه المؤلف في كثير من الأحيان، أو قد يمتلك المؤلف من رحابة الصدر والبراعة الفنية والرؤية البعيدة ما يمنح شخصياته تلك الأصوات القادرة على تمثيل التوجّهات الفكرية المتنوّعة الواردة من قصة العقل البشري وهو يصوغ تجاربه عبر العصور في فلسفات تلتقي في البحث عن مغزى الرحلة وتتعارض في الطرق التي تلجأ إليها للوصول إلى ذاك المغزى.

تكاد الرواية تصدر الأيديولوجيا في خطابها الممتد منذ أن عرف الإنسان كيف يحكي تاريخه صانعا من الكلام مرويّات يبيث فيها تصوّره عما حدث، مختلطا بما كان يتمنى، ليرسم لتجاربه صورا كلامية في الأفق الكوني، تاركا بصمته في فضاء القول، على أمل أن يلتقط المار في مسار الحكي صوته فيكمل بناءه الشعوري والذهني، فتكتسب تجاربه قيمة في واقع قادم، مما يعني أنه يقاوم الاندثار.

إن البحث عن أشكال التجديد والتجريب في رحلة الرواية يتجاوز المواضيع والأشكال لأنه لا يفصل بينهما، فتحديد التجليات الجمالية في الظاهرة الروائية يكشف أصالة العمل وجدته ولا يفصل المضمون الفكري عن الشكل التعبيري.

عرفت الرواية العربية كثيراً من التقنيات التي تؤسس جماليات السرد متجاوزة التقليدية سواء بمواكبة حركة الرواية العالمية أم باستلهاهم طرائق المجتمع في حكاياته، وقد بدأت الرواية تاريخها الحديث من منطقة يتنازعها الوافد من الغرب مع ترجمة رفاعة (١٨٠١ - ١٨٧٣م) لمواقع الأفلاك في وقائع تليماك في صياغة بديعية لرواية فنلون (١٦٥١ - ١٧١٥م) مغامرات تليماك، أو تستعيد خبرات الموروث الجمالي مثل حديث عيسى بن هشام للمولحي (١٨٥٨ - ١٩٣٠م) مع الوضع في الاعتبار محاولات تمثل السرد التراثي في تجارب تعليمية وتربوية مثل علم الدين لعللي مبارك (١٨٢٤ - ١٨٩٣م)، و"نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال" لعائشة التيمورية (١٨٤٠ - ١٩٠٢م)، و"حسن العواقب أو غادة الزاهرة" لزينبفواز (١٨٦٠ - ١٩١٤م) التي استوحت فيها عنوان كتاب "المكافأة وحسن العقبي" لأحمد بن يوسف المصري المعروف بابن الداية (ت ٣٣٤هـ)، ويعد كتاب ابن الداية أول مجموعة قصصية في تاريخ الأدب العربي الإسلامي بمصر.

بدأت مرحلة الريادة في الإبداع الروائي مع اهتمام رفاعة بصوت السارد الغربي حين ترجم مغامرات تليماك واستمر المد الغربي رافداً في حركة تجديد الرواية في شكلها الأوربي فكتب محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦م) رواية "زينب" التي عبرت من نهر الصفحات المطبوعة إلى شاشة السينما السحرية.

بعد الرواد يدخل الفرسان الثلاثة القادمون من باريس طه حسين وتوفيق الحكيم ويحيي حقي عالم الرواية أيضاً، فقد فتح طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) باباً في كتابة السيرة - التي تعد نموذجاً لالتقاء الشرق بالغرب في شكل سردي عبر الأمكنة والعصور - حين صاغ صورته في "الأيام" ليؤكد عالمية السرد الروائي في حوار ثقافي بين "أيام العرب" و"الاعتبار" و"المنقذ من الضلال" و"اعترافات جان جاك روسو"، وأضاف ملفاً في رواية الأزمة الحضارية فكتب رواية "أديب" ووضع حجر الأساس في أدب روائي نسوي يكتبه الرجل معبراً عن أزمة المرأة في "دعاء الكروان" و"الحب الضائع".

سرعان ما التقط توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧م) تجربة طه حسين الروائية وطورها فمزج السيرة الذاتية الروائية برواية الأزمة الحضارية حين كتب "عصفور من الشرق" وتجاوز الإبداع الروائي المحيط به حين ألف "يوميات نائب في الأرياف" معتمداً على تقنية اليوميات، ومحلقاً بدرجة عالية من الأداء الفني في مونولوج روائي يستخدم شكل الرسائل في "زهرة العمر" التي تأثر فيها بتيار الوعي، مواكبا تيار الحداثة الذي اطلع عليه في باريس حين قرأ جيمس جويس الأيرلندي في روايته "عوليس" أو شاهده في المتاحف أو استمع إليه في الموسيقى، ولا يمكن أن تنتهي فقرة توفيق الحكيم في عرض مناهج تجديد الرواية العربية إلا بذكر روايته "عودة الروح" التي صورت المجتمع المصري

من الناحيتين الاجتماعية والنفسية في أعقاب ثورة ١٩١٩م فأرست لبنة مهمة في صرح الرواية السياسية.

ولا يكتمل سرد التأسيس في الملف الروائي إلا باستحضار يحيى حقي (١٩٠٥ - ١٩٩٢م) الذي شارك في رواية الأزمة الحضارية متخذاً من الرواية القصيرة شكلاً تعبيرياً قادراً على تمثيل الأفكار فكتب "قنديل أم هاشم" وكتب الرواية السياسية الرمزية في عمله "صح النوم".

يمثل نجيب محفوظ مرحلة تأصيل الرواية العربية في طموحها إلى العالمية بوعي فكري يرسى فلسفة الرواية وموهبة سردية قادرة على تحميل المحتوى المحلي في شكل عالمي، ويواصل الجيل الآتي في صحبته حركة التطوير بمهارة تحمل الرواية بأماكن جديدة "الجبل" لفتحي غانم، أو تتجاوز الواقعية بأنواعها الثلاثة (الطبيعية والنقدية والاشتركية) لتؤسس معرفة شعورية في أعمال إدوار الخراط الذي نظر للحساسية الجديدة، ويصل إبراهيم أصلان في روايته "مالك الحزين" لشكل تعبيرى نابع من روح المكان الشعبي، فاستطاع أن يؤلف رواية تجمع الحكايات المتفرقة في سياق مترابط كأشجار تنمو حول النيل أو كسرب طيور يحلق في وحدة تشكيلية مع أن كل طائر فيه يخفي جرحه الخاص.

حملت التسعينيات من القرن العشرين صوت جيل يوازن بين الهم التاريخي الاجتماعي والعمق الإنساني والوعي بهوية الرواية، وتجلت روايات مصطفى ذكرى ومنتصر القفاش ومي التلمساني وسحر الموجي ناطقة بجماليات التشكيل وإنسانية القضايا ومناقشة مفهوم الإبداع السردى نفسه في بحث عن علاقة المتخيل بالواقعي بالشعوري في تجربة صياغة الإدراك.

ومع كثرة الدوريات الأدبية سقطت الحواجز بين الرواية والقصة القصيرة وظهر شكل سردي أطلق عليه من يكتب فيه تعبير المتتالية السردية، أتى مع إدوار الخراط في "أمواج الليالي"، وإبراهيم أصلان في "ورديّة ليل"، وجمال الغيطاني في "متون الأهرام"، واستمر حتى الآن مع هدى توفيق في "رسائل لم تعد تكتب".

ووسط سيل السرديات الروائية المنهمر من المطابع تختفي أعمال وتظل أعمال محتفظة ببصمات أصحابها وهم يواصلون بصبر تحقيق مشاريعهم، وهؤلاء أكثر من بينهم عادل عصمت الذي يسير بخطوات محسوبة وعز الدين شكري وميرال الطحاوي ومي خالد، ويظهر أحمد مراد بوضوح في جيله بقدرته على تحقيق المعادلة الصعبة بين العمل الروائي الذي يمكن أن يكون مشروعاً والخطاب السردى الذي يؤدي دوره في التسلية أو يحاول أن يلهث في طريق الأكثر مبيعاً وسلاسل الجوائز، وينضم إليه في طريق الرواية الجديدة محمد صادق ومنصورة عز الدين وأحمد العايدى ونائل الطوخي ومحمد ربيع وطارق إمام ومحمد علاء الدين ومحمد صلاح العزب لنصل إلى جيل محمد طارق وضحي إبراهيم توفيق، ولاشك أن هذا العرض يغفل كثيراً من الأسماء التي تعد علامات اكتفاء بمحطات التطور الأساسية ولاشك أن الساحة الروائية حالياً تشهد زحاما لا يقل عن زحام مقاهي

العاصمة، ترتفع الأصوات فيها لعلها تجد مستمعا بعد أن تحول كثير من القراء إلى كتاب وانتشر النشر الرقمي، وحظيت مرويّات الحياة اليومية (رحاب بسام وغادة عبد العال...) باهتمام مرتادي مواقع التواصل الاجتماعي فسارعت دور النشر لبيع المنتج الرقمي والتقط منتجوا الدراما التليفزيونية بعض تلك السرديات التي أنتت ومعها متابعوها من الفضاء الافتراضي إلى سوق الميديا، وفي هذا الصخب يبالغ بعض الروائيين في استقراز سياق التلقي بتجاوز معايير الذوق المحافظ دون مبرر فني، وبعضهم يمتلك موهبة وثقافة ولا يحتاج إلى ذلك، لقد أصبح أدب الاستقراز تعبيرا يمكن أن يكون دالا على عدد من الروايات المعاصرة ربما منذ مطلع القرن الحادي والعشرين.

رواية الطريق: النموذج الأول: الموت عمل شاق لخالد خليفة:

يفرض الطريق شكلا تعبيريا على الروائي الذي يتخذ منه حافزا لعمله، ويمكن أن نشير إلى رواية "سبيل الشخص" لعبده جبير لنحدد بعض السمات الجمالية لرواية الطريق مثل الحركة وحضور وسيلة المواصلات بوصفها شخصية اعتبارية "العجلة في سبيل الشخص" وتعدد الشخصيات الثانوية وكثرة الأماكن وقلة معرفة الراوي، الذي لا يمكن أن يتحدث عن موضوع يسير فيه من الذاكرة، وإنما ينتظر ظهور تجليات هذا العالم أمامه، فرواية الطريق بها قدر من التشويق الذي يثير فضول القارئ للحركة في أفق النص لعله يرضي أفق توقعاته من مغامرة القراءة.

إن رواية الطريق ملف داخل ملف أكبر هو رواية الرحلة لكنها تتميز بالانتقال الدائم وليس الثبات، فرواية الرحلة تتخذ من المكان الآخر فضاء دراميا ومعرفيا، إنها تحتفي بالمقارنة بين عالمين: العالم الذي أتى منه الرحالة، والعالم الثاني الذي يزوره وينقل ثقافته، أما رواية الطريق فهي لا تقف عند حد المقارنة وإنما تمتد عبر الأماكن محدثة عن فعل الانتقال نفسه بصرف النظر عن الوصول إلى محطة نهائية أم الاستمرار في وصف العالم المتحرك أمام الراوي.

تضفي رواية الطريق على السرد مزيدا من المرجعية الواقعية وفي الوقت نفسه تحفز الخيال لاستقبال عالم متغير، ليس معنى ذلك أن الطريق يجب أن يكون واقعا دائما في الرواية فيمكن للكاتب أن يتخذ روايته من طريق تتقاطع فيه معطيات الواقع مع تاريخ طويل مغرق في التجارب الملهمة للخيال، مثلما فعل جمال الغيطاني في رواية "هاتف المغيب".

تعد رواية "الموت عمل شاق" الصادرة عن دار العين بالقاهرة (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م) للروائي السوري خالد خليفة من النماذج المعاصرة لرواية الطريق، فموضوعها هو تحقيق الوعد الذي أخذته شخصية "بلبل" على نفسها أمام الأب وهو يحتضر بدفنه في بلدته "العنابية" مع معرفة الابن بأهوال ما يحدث في بلاده كلها من ويلات يصبح معها الوفاء بالوعد عملا شديدا صعبا.

تمضي شخصية "بلبل" في تنفيذ ما وعدت به أباهما الراحل "عبد اللطيف"، وتخبر شخصية أخيها "حسين" وشخصية أختها "فاطمة" بهذا الوعد، وتتحرك الشخصيات الثلاث في سيارة "ميكروباص" تمتلكها شخصية "حسين"، الابن الذي كان مارقا على أبيه، في خرائب الحرب بين الجثث والمعابر

والحصون والرصاص والقصف وكل أشكال العنف الذي يعيشه البائسون في حرب طاحنة بين الأشقاء والأقارب والذين كانوا أصدقاء، ويصبح الطريق صفحة سوداء تعلن فيها المأساة عن وجهها القبيح الذي تصدّر فيه الموت المشهد، وسيطر الدمار على ملامحه المربعة.

إن الطريق في رواية "الموت عمل شاق" لخالد خليفة حافز وموضوع معاً، هو المحرك للأسرة التي فقدت الأب، الأسرة التي لم تتجمع من زمن طويل بكل خلافاتها ومواجهها، لقد أصبح الخوف على الأب من التحلل هدفاً للأبناء، وفي الوقت نفسه كان الموت أمامهم مطروحا على قارعة الطريق بلا رحمة، وصل الأشقاء إلى بلدة "العنابية" في نهاية الرواية بعد معاناة مع تعنت الاتجاهات المتناحرة، وصل الأمر إلى شجار بين شخصيتي "بلبل" و"حسين" وأصبحت شخصية أختهما "فاطمة" بفقدان النطق، وشخصية "بلبل" بفقدان الإرادة، وتحللت جثة الأب قبل دفنه قريباً من أخته "ليلى" رمز الحب في المنطقة وفي الذاكرة الإبداعية العربية، لكن السيارة وصلت، وانضمت الأسرة الصغيرة إلى الأسرة الكبيرة بكل آلامها وبأملها في نهاية هذا الوضع الذي لم يخطر على بالهم أبداً. تلك هي رواية "الموت عمل شاق" التي تمثل رواية الطريق تمثيلاً صريحاً.

الطريق في رواية "الموت عمل شاق" تقنية تعبيرية ومحتوى ورمز وعالم سردي يحتوي الشخصيات والسيارة وجثة الأب، يضم المتفقيين والمعارضين، وفي الوقت نفسه يعرض الحاضر المتحرك وهو يحمل الموت مع الحياة، ويستدعي إيقاعه الماضي فتتذكر كل شخصية حياتها السالفة وكيف وصل بها الحال إلى تلك اللحظة.

إن الطريق في الرواية بوصفه علامة سردية يأتي بشكله الأيقوني الذي يصور العالم ويمتد في فضائه، وتصبح الأيقونة مؤشراً دالاً على النماذج البشرية المتنوعة التي يحفل بها ذلك العالم، ثم يدخل الطريق مجال الرمز ليستشف منه القارئ مسار التجربة الإنسانية بمرجعيتها التي انطلق فيها البشر فتشكل وجودهم من تفاعلهم مع معطيات الطريق.

رواية الطريق: النموذج الثاني: ترانس كندا لسماح صادق:

تحكي رواية "ترانس كندا" الصادرة عن دار المصري للنشر والتوزيع بالقاهرة (٢٠١٤م) عن سفر شخصية "إيمان" إلى كندا للبحث عن شخصية "يوسف" الذي تحبه وقام أهله بتهجيرها إلى كندا لإبعاده عن العدالة بعد أن صدم بسيارته وهو خارج عن الوعي شخصية رجل ما في الطريق بالإضافة لوفاة امرأة كانت مع شخصية يوسف هذا ماتت بجرعة مخدر زائدة فألقاها في الطريق، تحصل إيمان على تأشيرة سفر كندا بعد اختبار وتجدي يوسف هناك وتزوجته وتحول تأشيرتها من سائحة إلى طالبة ثم يموت يوسف بجوارها في حادث سيارة على الطريق أيضاً وتتجو هي من الحادث وتتعرف على شخصية "آلان" الذي يساعدها في الحصول على تأشيرة إقامة دائمة لترتبط به، وبعد أن تحصل عليها تتركه وتمضي بسيارتها من مدينة لمدينة تبحث في الطريق عن نفسها الضائعة.

تتحرك شخصية "إيمان" في كندا في الطريق بحثاً عن يوسف ثم تتطلق بعد وفاته في العالم الجديد - الذي حصلت على حق الإقامة الدائمة فيه - بين الثقافتين الفرنسية والإنجليزية - بسيارتها التي تبث أغاني فيروز وأم كلثوم بجانب موسيقى الجاز - التي تشغل دور البطولة في رواية "على

الطريق" لجاك كيرواك أيضا - وكأن شخصية "إيمان" تهرب من كل شيء، وتبحث عن شيء يعيد إليها نفسها الحقيقية التي لم تجدها طوال حياتها، وكأن رواية سماح صادق تلقي بأشهر رواية طريق في الإبداع السردي.

تتخذ رواية "ترانس كندا" من الطريق عنوانا تنطلق منه الكاتبة وهي تضع مجموعة من المحطات للشخصية المحورية "إيمان" التي تحاول الخروج من واقعها الاجتماعي البائس الذي دفع أمها للانتحار من قسوة الأب، لقد وجدت في طريقها أسرة مفككة، ولم تستطع أن تضم جراحها النفسية بتجربة حب فشلت في كسب اعتراف المجتمع بها، فخرجت خلف رجل لا يعرف الالتزام محاولة تغييره لكنه يموت على الطريق، فتحصل على إقامة في غربة لا تعرف عنها شيئا، ولم يعد لها فيها أحد، لتواجه نفسها والعالم بصورة فردية تماما.

تظهر تطبيقات التكنولوجيا العصرية في رواية "ترانس كندا" فشخصية "إيمان" تنطلق بسيارتها مع تطبيق "الجي بي أس" الذي يدلها على طريقها المادي، ليصبح هذا التطبيق من مصاحبات السيارة في الطريق المعاصر سواء أكان في العالم الواقعي أم المتخيل الروائي.

تسير شخصية "إيمان" بسيارتها يوجهها تطبيق "الجي بي أس" وينبعث من السيارة صوت أم كلثوم وهي تقول "تغيرت شوية شوية.. اتغيرت ومش بإيديه" في توظيف للتناص الوجداني المسيطر على الشخصية في غربتها، فيبدو أن التغير لم يصب إلا الشكل فقط بينما ظلت البنية الشعورية مرتبطة بطريق الشرق.

من التقنيات البنائية لرواية "ترانس كندا" كثرة الهوامش، فلم تكن الهوامش تستخدم في الأعمال الإبداعية إلا بدرجة قليلة في حالات نادرة، لكن سماح صادق في هذه الرواية تستخدم الهامش بكثرة كما يحدث في أبحاث الدراسات الإنسانية وكأنها تكتب لشخص خالي الذهن من مرجعية الواقع بافتراض أن القارئ الذي سيطالع العمل يمكن أن يكون مغتربا.

تقنية الهامش في الرواية تقول للمتلقي عليك أن تكون محددا في التعامل مع العالم؛ فبعض الألفاظ يستخدمها الناس دون أن يكون لديهم وعي بمعناها، ومن ألفاظ الهامش في الرواية عدد من المدن الكندية أو ألفاظ اصطلاحية لنوع من محال الطريق في كندا، ويصل الأمر إلى درجة من المفارقة حين تترجم في الهامش لحى مصري أو لمصطلح كان سائدا في المحليات الشعبية الفقيرة.

رواية الطريق: النموذج الثالث: أن تحبك جيهان لمكاوي سعيد:

بشيء من التجاوز يمكن النظر إلى رواية "أن تحبك جيهان" لمكاوي سعيد بوصفها رواية طريق، فشخصية "أحمد الضوي" التي تعد محور الرواية وإطارها تنطلق من مكان آخر في فضاء القاهرة، وبرغم تعدد رحلات شخصية "أحمد الضوي" إلى أسوان والشرقية والإسكندرية وسويسرا أيضا فإن الطريق الأساسي الذي تقطعه شخصية "أحمد الضوي" في كثير من سيارات أصدقائه أو الأجرة هو قلب القاهرة الكبرى حتى تنتهي الرواية بمشاركته في ثورة يناير ٢٠١١م ومروره بكل شوارع وسط البلد التي يحفظها جيدا بحكم نشأته في عابدين.

رواية "أن تحبك جيهان" عمل سردي ضخم يصل إلى سبع مائة صفحة ويتوزع السرد فيه على ثلاث شخصيات هي "أحمد الضوي" الذي يروي نحو ٥٢% من أحداث الرواية، فهو الذي يبدأ السرد مثلما ينتهي السرد به، وهو يستقبل النهاية - في سياق يشبه نهاية "تغريدة البجعة" - لكنه هذه المرة يصل إلى تغريدته بشيء من الراحة النفسية بعد أن تخلص من اللامبالاة التي عاشها بلا هدف، والشخصية الثانية هي "جيهان العرابي" التي تستعيد بها شخصية "الضوي" نفسها وتروي جيهان نحو ٣٧% من أحداث الرواية، وشخصية جيهان تمثل المنظومة الأخلاقية الإيجابية للطبقة المتوسطة، فهي الروح التي تلهم من حولها وتتحمل نزقهم لتكتشف جوهرهم، والشخصية الثالثة هي شخصية "ريم مطر" التي تروي نحو ١١% من الخطاب الروائي، وتمثل شخصية "ريم" الطبقة الأرستقراطية المتخلفة مع الثقافة الأجنبية وتتمسك بتعاليتها واحتقارها لما هو شعبي.

تتنازع شخصية "أحمد الضوي" مشاعر تجاه شخصية "جيهان العرابي" من ناحية وشخصية "ريم مطر" من ناحية أخرى، وفي النهاية تجذبه "جيهان" إلى عالم المتقنين والفن بعد أن جرفته "ريم" في عالم الحس والمشاريع، بمعنى أن كلا من "جيهان" و"ريم" تعد طريقاً لمسار شخصية "أحمد الضوي".

لكنني لا أتحدث هنا عن الطريق بالمعنى المجازي بل الطريق الذي تتحرك فيه شخصيات الرواية بخاصة شخصية "أحمد الضوي" فالقارئ سيدخل إلى الرواية من خلال سيارة تاكسي أجرة تتجه إلى أحد مساح العاصمة ليأخذ أحمد الضوي ابنة ريم من طليقها الذي سيسافر الخليج، هذه البداية تظهر في مونولوج يحدث أحمد فيها نفسه عن الطريق طارحاً أسئلة حول حياته والمرأة التي يذهب معها والرجل الذي سيقابله والطفلة التي سيتحمل شيئاً من مسؤوليتها، وتؤدي السيارات دوراً درامياً مهماً في السياق الحكائي، فالسيارة تدل على شخصية صاحبها وثرائه، وقدرة صاحبها على الاحتفاظ بمكانها وإغلاق الطريق أمام سيارات الآخرين تعلن عن مكانته، وشكل السائق وأسلوبه يعلن عن ثقافته، والمقاهي والمطاعم والفنادق والأندية تعلن عن أساليب الحياة والطبقة والسلطة والمال والمصالح والنفوذ.

من ثقافة الطريق التي تظهر في الرواية أن الشخصيات تكتسب قوتها من قدرتها على الحياة بين الآخرين وحينما تنعزل في شققها بعيداً عن العالم الخارجي تصبح هذه العزلة بداية لنهايتها كما حدث مع شخصيات "حسام" الشاعر خال أحمد الضوي وشريف الصديق اليساري - رمز لعزلة اليسار في عصر الرأسمالية، بل إن الأم تذهب إلى أسوان في انتظار موتها بعد رحيل أخيها وكذلك الأب يترك عالمه الصاخب قبيل نهايته ليستقر في مسقط رأسه لاحقاً بالمرأة التي أحبها وأحبت أختها أكثر منه.

يتخذ مكايي سعيد من الطريق تشبيهاته واستعاراته وأجواء عالمه في سرد يحتفل بالعالم والعلاقات الدرامية التي تمثل العلاقات الإنسانية، وتمد الشخصيات الطيبة يدها إلى الآخرين في تأكيد للتواصل، وتكثر الحكايات في السيارات والمقاهي، كل شخصية تروي حكايتها وتبحث عن طريقها في سياق حيوي يذكّرنا بسرد أصلان في مالك الحزين.

"الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة"

نهى عبده يوسف

مقدمة:

تحفل المنظومة الشعرية التواصلية بالعديد من الدوال التي يوظفها الشعراء في قصائدهم كي يعكسوا من خلالها أبعادًا نفسية واجتماعية وتاريخية وإنسانية؛ فالشاعر ابن مجتمعه ووليد بيئته التي أفرزت طاقاته الداخلية، وهو — منذ فجر التاريخ — المرأة التي تنعكس فيها أحداث المجتمع سواء أكانت إيجابية أم سلبية، فكلما ينعم المجتمع ينعم معه الشاعر وهو ما ينعكس في قريحته الفياضة بتنميق الصورة الشعرية وعكس بريقها الوضاء، وحينما ينزف المجتمع يئن الشاعر، ويتوجع ويستنزف من روحه ونفسه، ويسخر إلهامه لخدمة الإنسان والإنسانية في كل زمان ومكان.

وتمتلى الطبيعة بالموجودات التي يمكن أن يدلف الشاعر من خلالها إلى الخلية المجتمعية بما فيها من دلالات تتمازج وتختلط لتنتج نصًا ناجزًا فعالًا يتخذ الشاعر مدخلًا للعديد من الموضوعات. ويدشن به حملته الساخطة الرافضة لمختلف القيود. ومن هذه الدوال دال "الطائر" الذي يعكس بعدًا جماليًا وآخر أيديولوجيًا يمكن ترميزهما في سياقات عدة لها أنماط تركيبية وفنية متعددة. كما أن لهما دورًا في تشكيل الصورة الشعرية من خلال ثلاثة أبعاد تصنيفية سوف يتطرق البحث إليها متخذًا مادته من شعر "محمد إبراهيم أبي سنة" الذي يعد واحدًا من رواد شعراء الستينيات ومن أعلام الشعر الحر. وقد احتفى هذا الشاعر في إبداعه الشعري بالطبيعة فهو يسخر مفرداتها لتجسيد معاناته وترجمة ما يشغله ويشغل وجدانه؛ وكان "الطائر" واحدًا من هذه المفردات الطبيعية المهمة التي يصور من خلالها مشاعره، ويبلور في فضائها النص التصويري التشكيلي، ويعكس موقفه من مختلف القضايا التي تؤرقه بوصفه خلية في مجتمع يئن من الوجد، ويقع تحت وطأة الاستعمار عقب العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م)، كما يبلور في فضائها تداخل دوائر سياسية واجتماعية في خريطة جغرافية حافلة بأشكال الاستعمار المتجددة.

ويتخذ هذا البحث من الديوان الأول لأبي سنة والموسوم بـ "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" مادة له؛ إذ إنه يغوص في أعماقه، ويتنقل بين أرجائه، ويجوب في آفاقه ليستخلص منه الدلالات المرتبطة بدال (الطائر) على المستويات الثلاثة (الأيقونة — المؤشر — الرمز) التي أسس لها الأمريكي "بيرس" والتي كانت علامة بارزة في علم "السيميوطيقا".

ليصبح الهدف من هذه الدراسة هو تتبع هذه الدلالات على المستويات الثلاثة المتعلقة بمنهج "بيرس" السيميوطيق، والتي من خلالها يمكن الإحاطة بأشكال الوجود اللفظي والدلالي، وما يستتبعه من سياقات ومعاني خفية تسهم في بلورة التشكيل الجمالي وإيضاح الصورة البيانية.

تمهيد:

يهيم شاعرنا حباً في الطبيعة وعشقا في مفرداتها، فيغرف منها ويصب في بوتقته الشعورية، وهذا ليس غريباً عن الشعر؛ فهو لغة الإحساس والمشاعر المرهفة، و"الشاعر لا ينشط في تشكيل اللغة إلا إذا كان له موقف من الطبيعة بأوسع معاني كلمة الطبيعة، لا بد من موقف أساسي من الطبيعة لدى الشاعر قبل أن يدخل في حالة الشعر فيغير هذا الموقف لكي تكتمل دائرة الشعر".^(١)

وقد أكد الشاعر تعلقه بالطبيعة وانعكاس لوحاتها وصورها في شعره قائلاً: "إن ليالي الصيف المزدهمة بالنجوم، ومشاهد التآلق للصحراء الشرقية التي تحد قريتي من الشرق، وتدفق النيل أمام منزلنا خاصة أيام الفيضان، وتجوالي الدائم بين الأشجار والحقول في فترات الصبا ومطالع الشباب. كل هذا غرس في تكويني عشقا لا ينتهي للجمال في الطبيعة والمرأة".^(٢)

إنها (القرية) ملهمة الشاعر ومفجرة الطاقات الكامنة في الكلمات. هي مصدر التدفق والخصب والنماء الدائم الذي لا ينضب.. "إنها القرية التي تقهر كل اغتراب. في القرية لا فضاء للغربة، تجد نفسك، أهلك... إنها المكان الأم الذي يحنو مهما كانت قسوته ويمنح مهما كانت حاجته".^(٣)

يقول الشاعر: "لقد كان الفعل الإنساني والعلاقات البشرية المصدر الأول لتفتح الشرنقة في وجداني، ويعود ارتباطي الواضح بالطبيعة إلى صورة قريتي التي لم تفارق خيالي".^(٤)

إن الشعر الذي ينظم في فترات التأزم المجتمعي له سمات خاصة تميزه، فيسيطر عليه هاجس التحرر ورفض القيود، كما تغلب عليه الطبيعة التأملية في عالم مليء بالمعاناة والصراعات والإشكاليات، وفي ظل صراع المجتمعات وتعقد الحياة يأتي الشعر ليحوي آهات الإنسان وآلامه وأوجاعه، فيكون بمثابة العطر الذي يضوع فيملاً المكان سحراً وجاذبية، وسيظل الشعر هو الصدر الرحب الذي يتسع لشجون الإنسان ومشاكله بكلماته الساحرة ولغته المكثفة في حيزها المكاني، المتدفقة في دلالاتها.

لقد أصبح الشعر المعاصر واقعاً ملموساً في حياتنا الأدبية، وأصبح واحداً من الأدوات التي تعبر عن قضايا الإنسان ومشكلاته في كل زمان ومكان. وهو ما نلمسه بشكل واضح في إرهاباته الغربية الأولى. ولا نبالغ إن قلنا إن بدايات الشعر الحر تتمثل في الملاحم وفي الشعر الغنائي، فهذا هو ذا الشاعر الإنجليزي "جون ميلتون" John Milton (١٦٠٨م - ١٦٧٤م) يتخذ شكلاً لملمته الشهيرة الفردوس المفقود "Paradise lost" في القرن السابع عشر والتي يقول في مطلعها:

(١) عز الدين إسماعيل، آفاق معرفية في الإبداع والنقد والأدب والشعر، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ٢٠٠٣م، ص ٢٨٥.

(٢) محمد إبراهيم أبو سنة، مجلة الشعر، حوار أجراه الشاعر عماد غزالي مع أبي سنة، عدد ٧٥، يوليو ١٩٩٤، ص ٤٠.
(٣) سيد محمد السيد قطب، محمد إبراهيم أبو سنة - شاعر القصيدة الخضراء، صالون غازي الثقافي، الكتاب الحادي عشر، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٥.

(٤) محمد إبراهيم أبو سنة، مجلة الشعر، عدد ٧٥، يوليو ١٩٩٤، ص ٤٠.

"من العصيان الأول، ومن ثمرة
تلك الشجرة المحرمة المهلكة الملذات
جاء الموت إلى العالم وجاءت كل مصائبنا
وضاعت جنة عدن، إلى أن جاء إنسان عظيم
فأعادنا وأعاد إلينا مقعدنا المبارك".^(١)

إن نظرة فاحصة لهذه الأبيات تطلعننا على فحوى شعر الحداثة، ألا وهو رصد معاناة الإنسان، وكيف أن تمرده وعصيانته هما سبب معاناته التي مهما طاللت فهناك - دائماً - أمل في النجاة والخلص. وقد أعقب "ميلتون" الكثير من الشعراء الذين قدموا نماذج متعددة ومختلفة لهذا النهج الشعري، وأشهرهم توماس ستيرنز إليوت (تي. إس. إليوت) Thomas Stearns Eliot "١٨٨٨-١٩٦٥م"^(٢) الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٨م، والذي أعلن الكثير من رواد الشعر الحر العربي أمثال "بدر شاكر السياب ١٩٢٦م-١٩٦٤م"^(٣)، و"صلاح عبدالصبور ١٩٣١-١٩٨١م"^(٤) تأثرهما به. أما في عالمنا العربي، فالشعر الحر مقرون - لا شك - باسم الشاعرة العراقية "نازك الملائكة" (١٩٢٣م-٢٠٠٧م)^(٥) التي تعد رائدة الشعر الحر في العالم العربي، وقد تأثرت كثيراً بالشاعر المصري "محمود حسن إسماعيل ١٩١٠-١٩٧٧م"، يعقبها "بدر شاكر السياب" و"أحمد عبد المعطي حجازي - ١٩٣٥م"^(٦) و"صلاح عبد الصبور"، و"أمل دنقل ١٩٤٠-١٩٨٣م"^(٧)، وغيرهم.

(١) جون ميلتون - الفردوس المفقود - ترجمة: حنا عبود - وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق - ٢٠١١م - ص ٤٧

(٢) "إليوت" شاعر وناقد أدبي، وكاتب مسرحي شهير، ولد في أمريكا وله العديد من الأعمال الشهيرة من أهمها "جريمة في الكاتدرائية" ١٩٣٥م، وله العديد من المقالات والدراسات النقدية.

(٣) شاعر قروي عراقي ولد في جنوب العراق ثم انتقل إلى المدينة، تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٤٨م، يصنف في المرتبة الأولى من رواد الشعر الحديث بما في شعره من تجديد وطابع خاص. عاش حياة مليئة بالحزن الذي انطبع في بعض قصائده. من دواوينه (أزهار وأساطير - المعبد الغريق - منزل الأفنان - أنشودة المطر).

(٤) شاعر مصري وكاتب مسرحي ومترجم وكاتب قصصي شهير. يعد من أعلام الشعر الحر، ولد بمحافظة الشرقية، درس اللغة العربية في جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً)، تقلد العديد من المناصب بين التدريس والصحافة خاصة جريدتي روز اليوسف والأهرام. حتى تم اختياره رئيساً لهيئة الكتاب. من دواوينه (الناس في بلادي - أقول لكم - أحلام الفارس القديم - تأملات في زمن جريح - شجر الليل - الإبحار في الذاكرة) وله في المسرح (ليلي والمجنون - مأساة الحلاج - مسافر ليل - الأميرة تنتظر - بعد أن يموت الملك).

(٥) الشاعرة العراقية "نازك الملائكة" المولودة في بغداد، تخرجت في دار المعلمين العالية، وحصلت على الدكتوراه في النقد الأدبي من إحدى الجامعات الأمريكية. أحدثت نازك الملائكة ضجة في عالم الشعر الحر وإن كان أول دواوينها في الشعر العمودي، إلا أنها أتبعته بديوان "شظايا ورماد" عام ١٩٤٩م الذي ولد في شكل الشعر الحر، وقد أثارت من خلاله هذا اللون الشعري في العالم العربي.

(٦) من رواد حركة التجديد الشعري العربي المعاصر، شاعر مصري متميز ترجمت بعض أشعاره إلى لغات متعددة. حصل "أحمد عبد المعطي حجازي" على العديد من الجوائز، أهمها جائزة كفافيس اليونانية المصرية، وجائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٩٧م. من دواوينه الشهيرة (مدينة بلا قلب - أوراس - لم يبق إلا الاعتراف - مريثة العمل الجميل - كائنات مملكة الليل - أشجار الأسمنت - دار العودة).

(٧) شاعر مصري كبير ولد في صعيد مصر، له مكانة متميزة بين شعراء التجديد والشعر الحر. من أشهر مجموعاته الشعرية (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة - مقتل القمر - أقوال جديدة عن حرب البسوس - أوراق الغرفة). تناول في شعره قضايا مختلفة وموضوعات متعددة استوحى كثيراً منها من واقع المجتمع.

إن تطبيق المناهج الغربية على الدراسات الشعرية يوسع المدارك، ويفتح الأفق على دلالات ومعاني أعمق بكثير من مجرد النظرة الخارجية السطحية، ومن أبرز هذه المناهج المنهج السيميوطيقي بزعامة الأمريكي "بيرس"، ويعود أول استخدام - لدى بيرس - لمصطلح السيميوطيكا إلى عام ١٨٩٧^(١). ويعني هذا العلم بدراسة الإشارات والعلامات، وهي كثيرة ومتعددة، ولها أغراض تختلف باختلاف توظيفها في النص.

وتعد السيميوطيكا "محاولة جادة لربط المعرفة الإنسانية بعد أن أدى الإفراط في التخصص إلى عزل حقولها الواحد عن الآخر، وطموح السيميوطيكا هو تفاعل الحقول المعرفية المختلفة دون طغيان أحدها على الحقول الأخرى، والتفاعل لا يتم إلا بالوصول إلى مستوى مشترك يمكن من خلاله أن ندرك مكونات هذه الحقول المعرفية"^(٢).

محمد إبراهيم أبو سنة .. القروي الثائر:

يعد واحدًا من شعراء الحداثة في الستينيات، وقد لخص عشقه في ثلاثية (الوطن - الفن - الشعر) قائلاً: "أمنت بمصر باعتبارها ركيزة حضارية تستعصي على السقوط النهائي، وأمنت بالفن والشعر كقوة هائلة لإعادة شحن الروح الإنسانية"^(٣).

إنها الثلاثية التي تمثل صخبًا مدويًا في أعماق كل نفس شاعرة تطوف في أرض الواقع، وتتوق إلى الحرية والانعتاق في فترة زمنية حرجة استعالت فيها مصر إلى ضحية، وفقدت بريقها الوضاء، ومزقتها الأطماع، وانقضت عليها النسر تلتهمها وتقتات بقاياها.

لقد نجح شاعرنا في أن يجعل من شعره وسيلة إفراغ لمحتويات نفسه الموجوعة، نتيجة معاناة مصره، فقد نشأ في أحضانها في إحدى قرأها التابعة لمحافظة الجيزة، مركز الصف عام ١٩٣٧م، لذلك يبدو تأثره الشديد بالقرية في دواوينه جميعها؛ بداية من ديوانه الأول "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" عام ١٩٦٥م، مرورًا بدواوينه: حديقة الشتاء ١٩٦٩م - والصراخ في الآبار القديمة ١٩٧٣م - أجراس المساء ١٩٧٥م - تأملات في المدن الحجرية ١٩٧٩م - البحر موعدنا ١٩٨٥م - مرايا النهار البعيد ١٩٨٧م - رماد الأسئلة الخضراء ١٩٩٠م - رقصات نيلية ١٩٩٣م - ورد الفصول الأخيرة ١٩٩٧م - شجر الكلام ٢٠٠٠م - موسيقى الأحلام ٢٠٠٤م - وتعالى إلى نزهة في الربيع.

تخرج "أبو سنة" في كلية الدراسات العربية جامعة الأزهر عام ١٩٦٤م، وتقلد العديد من المناصب؛ فعمل في الإذاعة بالبرنامج الثقافي عام ١٩٧٦م إلى أن أصبح مديرًا عامًا لهذه الإذاعة عام ١٩٩٥م، وقد ترقى إلى درجة وكيل وزارة عام ١٩٩٩م ثم أصبح نائبًا لرئيس الإذاعة المصرية.

(١) المرجع السابق - ص ١٣

(٢) دانيال تشالنדר - معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيكا) - ترجمة: شاعر عبد الحميد - أكاديمية الفنون - ٢٠٠٠م - ص ١٢

(٣) محمد إبراهيم أبو سنة - مجلة الشعر - العدد ٧٥ - ص ٤١

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

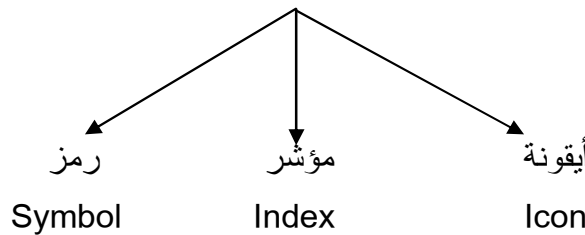
"أبو سنة" هو عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة منذ عام ١٩٨٠م، وعضو مؤسس باتحاد الكتاب المصريين وغيرها. وقد حصل على عدد كبير من الجوائز منها: جائزة الدولة التشجيعية في الشعر عن ديوان "البحر موعدا"، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٤م، وجائزة الدولة للتفوق في الآداب، وجائزة كافافيس الدولية عن ديوان "رماد الأسئلة الخضراء" عام ١٩٩٠م، وجائزة أندلسية للعلوم والثقافة عن ديوان "رقصات نيلية" عام ١٩٩٧م، وجائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ٢٠١٣م وغيرها.

كما أن تاريخه الأدبي حافل بالعديد من الدراسات والمؤلفات وأسهم في العمل المسرحي أيضاً.

مثلث بيرس: الأيقونة.. المؤشر.. الرمز

تعددت المدارس السيميائية واختلفت مناهجها، حتى تكاد كل مدرسة أن تكون اتجاهاً مستقلاً ومنهجاً قائماً بذاته. وتعد المدرسة الأمريكية بزعامه "تشارلز بيرس" (Charles Sanders Peirce) (١٨٣٩م - ١٩١٤م) من أقدم هذه المناهج وأعرقها، ويعرف منهجه بالسيميوطيقا ويمكننا أن نمثل لسيميوطيقا بيرس بالرسم الآتي:

الدال / العلامة / الإشارة



إن علاقة الدال بالمرجع من جهة، وبالمدلول من جهة أخرى أدت إلى وجود ثلاثة وجوه للعالم؛ "عالم المعاني والمثل والدلالات، وعالم الواقع المشار إليه المحسوس، وعالم اللغة".^(١) والمبدع يحاول إعادة صياغة الدوائر العالمية الثلاث وهو يوظف علاماته للإشارة إلى تصورات ونقد عالمه. ومن هنا "يتعين على التحليل السيميولوجي أن يتعرف على أقل مفارقات النص".^(٢)

وفي هذا البحث سوف نتخذ من سيميوطيقا بيرس منهجاً لتناول دال "الطائر" في ديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" على المستويات الثلاثة "الأيقونة والمؤشر والرمز"؛ لتصبح مهمتنا "تقديم تصورات واستراتيجيات للقراءة والتأويل"^(٣) يتسنى من خلالها استنتاج النص الشعري، واستخراج الدلالات الكامنة خلف الدوال للتوصل إلى التشكيلين الجمالي والأيدولوجي للنص الشعري.

(١) ظافر كاظم عبدالرازق - مفهوم العلامة ودراساتها بين التراث العربي وعلم العلامات - ضمن أبحاث مجلة متون - القاهرة - دار الكيتي للنشر والتوزيع - العدد ١ - أكتوبر ٢٠١٥م - ص ١٣٠

(٢) رولان بارت - لغة النص - ترجمة: محمد الرفرافي ومحمد خير بقاعي - مجلة العرب والفكر العالمي - بيروت - مركز الإنماء القومي - العدد ١٠ - ربيع ١٩٩٠م - ص ٢٣

(٣) هيوسلفرمان - الهرمونيوطيقا والتفكيكية - ترجمة: حسن ناظم - الدار البيضاء - ط ١ - ٢٠٠٢م - ص ١١٧

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

من هذا المنطلق فـ "السيميوطيقا" تضع أمام القارئ مقولات مرجعية نظرية، وإجراء عمل منهجي للتعامل مع النص، أي أنها علامات نقدية لمن يمارس القراءة النصية وليست مجرد علامات تشكيل نص للمبدع فقط أو رموز تصويرية جمالية خالصة لشغل فراغ في كيان يلتبس غايته في صناعة ذاته فحسب، إنها روابط لمؤسسة ثقافية كبرى في الإبداع والتلقي.

قلبي وغازلة الثوب الأزرق.. انطلاقة أولى.. محاولة لاحتواء العالم:

في عام ١٩٦٥م صدر الديوان الأول الموسوم بـ "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" للشاعر "محمد إبراهيم أبي سنة" في أكثر من مائة وثمانين صفحة من القطع المتوسط.

يشتمل الديوان على ثمان وأربعين قصيدة مختلفة في مضامينها ودلالاتها وأفكارها، يدشنه الشاعر بقصيدة "لا تسألني" ويختتمه بقصيدة "عيناي"، فالبدء والختام - بضمير المخاطب - موجه للمرأة التي نجدها - غالباً - رمزاً للقرية وللوطن، وفي هذا الديوان تتجاوز عوالم كثيرة، حيث تقف الذات المثقلة بهمومها في عالم لا يروق لها، تتخبط في الإحباط العاطفي والوحدة ونشدان المستحيل والحلم بمستقبل غامض بعيد، كما تلوح القرية كالطائر الجريح عاجزة عن رؤية أوجاعها بطريقة صحيحة، تنتظر إلى المدينة بحسد وترتد إلى نفسها بيأس، يزورها الموت ليحصد أرواح أبنائها، فيكون حظه في حصاد أرواحها أكثر من حظها هي في حصاد الحقول.^(١) إن الشاعر منخرط في الطبيعة، مندمج في مفرداتها، متوأم مع تقلباتها، يرى فيها مصدر إلهام لكل ما هو جميل.

ويعكس العنوان تشكيلاً أيقونياً يقدم صورة امرأة تغزل خيوطاً وكأنها ترسم لوحة تشكيلية. إن اللون الأزرق يوحي إلى مصر.. إلى النيل، وكأنه يشير إلى تعلقه الدائم ببلده التي تغزل له ثوباً تكسوه به فتمنحه الدفء والحنان. إنها ثنائية (الإنسان والوطن). إن الثوب الأزرق مازال في مرحلة الغزل، إن مصر مازالت تصارع من أجل البقاء والتخلص من الاحتلال والانهزام، فنحن أمام تجربة عشق تتجسد فيها كل معاني الحب والدفء.

ولم يجد شاعرنا أفضل ولا أرقى من الشعر كي يصب فيه تجاربه الشعورية، ويعكس من خلاله حالاته الوجدانية، فيصور فيه لوحات فنية وبورتريهات شعرية شديدة التناغم والسلاسة، لذلك نجده يصرح: "لقد آمنت بالفن والشعر كقوة هائلة لإعادة شحن الروح الإنسانية بقوة المقاومة وعشق الحقيقة والدفاع عن الحق والجمال، وكان طريقي دائماً يرتبط بتغذية العقل بوعي سليم، والارتباط كشاعر بالواقع في أبسط وأعقد مستوياته، ولهذا تورط شعري كله في تلك المرحلة في الرؤية الواقعية رغم السطح الرومانسي الذي توقف عنده الكثيرون. إن الواقع الثقافي يعاني من أمراض كثيرة، ولكنه مفعم بالحيوية والرغبة في التجاوز من خلال حيوية الإبداع الشعري".^(٢)

(١) عبدالحكم العلامي - محمد إبراهيم أبو سنة - الخطا والأثر - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ط ١ - ٢٠٠٧م - ص ٢١٠

(٢) المرجع السابق - ص ٤١

ويحفل هذا الديوان بتوظيف دال (الطائر) في أفق النص في مدلولات مختلفة، وهذا "المدلول يستنبط من النص"^(١)، عبر عملية القراءة والتحليل الذي "يتسبب في تطور نظام الموضوعات الاعتيادية في أدهاننا".^(٢) وقد ورد ذكر هذا الدال مرات كثيرة متعددة الأوجه؛ حيث وردت بعض الطيور بصريح الاسم مثل: النورس والحمامة واليوم والدجاج واليمام والغراب والعصفور والنسر والصقر والفراخ، كذلك وردت مؤشرات توحى بوجود "الطائر" بشكل غير مباشر مثل: "الأجنحة - العش - المنقار - يغرد - ينطق"، وذلك في اثنتين وثلاثين قصيدة من مجمل قصائد الديوان.

وكان التركيز على الصورة من طرائق الشاعر في جذب الانتباه، ومن أدواته الفنية التي يسخرها في النص، و"تتمثل أهمية الصورة الفنية...في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به".^(٣) وقد كانت كاميرا شاعرنا دقيقة في رصد مفردات الصورة.

أولاً: المستوى / البعد الأيقوني (Iconic level):

وترتبط الأيقونة في مستواها بالتشكيل الجمالي وبالجانب التصويري؛ إذ يعتمد الشعر في الأساس على الصورة التي تتأسس على التخيل، كما ترتبط الأيقونة بالدلالة المباشرة للكلمة ثم في ترابطها مع ما يجاورها من دوال تنقلها من الدلالة السطحية المباشرة إلى الدلالة العميقة. وهو ما يعكسه انتقاء الشاعر للمفردات التي تنقل إحساسه ومعاناته؛ حيث "إن كل فرد يملك معجماً لغوياً ذهنياً عبارة عن قالب للتمثيلات المرتبطة بالوحدات اللغوية الدالة".^(٤)

ويشير مصطلح الأيقونة "إلى أحد أشكال العلامة، يبدو لنا الدال فيه شبيهاً أو محاكياً للمدلول على نحو واضح (من حيث المظهر أو الصوت أو الملمس أو المذاق أو الرائحة)، أي مماثلاً له في بعض خصائصه. ومن هذه الأشكال الأيقونية للعلامة مثلاً: الصور الشخصية (البورتريهات)، والرسوم التوضيحية والنماذج القياسية، والكلمات التي تحاكي في صوتها معناها، والاستعارات اللغوية والأصوات الواقعية في الموسيقى، والمؤثرات الصوتية في الدراما الإذاعية".^(٥)

فصورة (الطائر) في الحركة الشعرية الحداثيّة عميقة الدلالات، ومتنوعة الأنماط تتداخل في موضوعات شتى؛ إذ إننا نجدها - أحياناً - تقدم في قالب موضوعاتي رومانسي، وأحياناً في قالب اجتماعي، أو آخر تاريخي أو أسطوري غرائبياً وديني. وفي كل قالب من هذه القوالب يأتي هذا الدال

(١) ميشيل ريفانير - تفسير الظواهر الأدبية - ترجمة: سيد إمام - مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - العدد ٩٣ - ربيع ٢٠١٥م - ص ٢٣١

(٢) المرجع السابق - ص ٢٣١

(٣) جابر عصفور - الصورة الفنية - المركز الثقافي العربي - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٩٩٢م - ص ٣٢٨

(٤) حميد لفرينج - التمثل المعجمي وأوليات النفاذ إلى الكلمات - مجلة عالم الفكر - الكويت - العدد ١ - المجلد ٤٢ - سبتمبر ٢٠١٣م - ص ١٦

(٥) دانيال تشاندلر - معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات السيميوطيقا - ص ٨١

موظفًا لخدمة الموضوع، ليس على المستوى الظاهري فقط، بل يرمي إلى عوالم أخرى أكثر عمقًا ورحابة من مجرد النظرة المباشرة للنص الشعري، وهو ما يجعلنا نعجز عن الفصل الكلي بين الجانب الأيقوني والآخر الرمزي.

إن الوقوف على دال "الطائر" بوصفه أيقونة في قصائد الديوان كلها يتطلب أبحاثًا عديدة، لذلك سوف يقتصر البحث على أبرز القصائد التي تم فيها توظيف هذا الدال على المستوى الأيقوني. في قصيدة "الوباء واليمام المهاجر" نجد أنها تتأسس على أيقونة (الطائر) بداية من الفكرة والعنوان انتقاليًا إلى باقي أجزاء القصيدة. وتقديم القالب الشعري في هذه القصيدة أشبه بعملية المونتاج Montage؛ الذي يتأسس على براعة اختيار المشاهد والقدرة على ترتيبها، حيث يقوم الشاعر بتقديم لقطات منفردة في تسلسل معين يمكن في النهاية أن تعكس فيلمًا متكاملًا له بداية ووسط ونهاية.

وفي هذه القصيدة يستلهم الشاعر "حكمة الهند والفرس والعرب وإيسوب الإغريقي ولافونتين الفرنسي، الوباء هو زمن الجذب، واليمام المهاجر هو القلب الذي يبحث عن عش بعيد عن أوكار الجوارح التي لن تتركه تلتهم صغاره، آماله وأحلامه كل ما يخشى عليه ذاك الذي يستجمعه دائمًا في كلمة (قريتي)... وقد يكون "اليمام" هذا هو قصائده، والطفل الأخير هو ديوانه والوباء هو المنظومة النقدية التي تحيط به ولا تفهم طرائقه في التفكير والتعبير والتشكيل. فإذا بالشعر الذي يحمل خلاصة روحه كائنًا غريبًا في أفواه بعض تلك الصقور والنسور، هؤلاء الذين يقتلون المعاني ولا يرهقون أنفسهم بالسعي الإبداعي لاقتناص المعنى الساكن في أبيات القصيدة، ذاك المعنى الذي لا يمنح ذاته إلا لمن ارتحل في بحور الشعر وفي قلبه حس المبدع الذي يدرك مشقة تلك الرحلة المعرفية التي يخوضها الشاعر الصادق وهو ينشد الحقائق المتوارية في كنوز اللغة والكون والنفس الإنسانية".^(١)

إن هذه القصيدة أشبه بالقصة الشعرية؛ فإذا كان "عمر بن أبي ربيعة" هو أول مَنْ قَدَّمَ نموذج القصة الشعرية في الشعر العمودي كما في قصيدته (أمن آل نعم)، فإن "أبا سنة" يعد من أشهر من قدمها في الشعر الحر، ففيها البداية التي تعد تمهيدًا لتلقي الحدث، حيث يطرق الوباء أبواب المنازل والقرى، ويتألم الشاعر خوفًا على طفله الصغير الأخير بعد أن اقتات الوباء أطفاله جميعهم ولم يتبق سوى هذا الطفل، ويستمر الشاعر في مناداة طفله ومناجاته.

يا طفلي الأخير

الباب دق والرياح في صفير

تراه عاد ذلك الوباء كي يزور

لتلحق الذين قد مضوا

وخلفوا أكبادنا تغتالها الصقور

(١) سيد محمد السيد قطب - محمد إبراهيم أبو سنة - شاعر القصيدة الخضراء - ص ١٨

وأنت في يدي يمامة تود لو تطير

بل كل قرיתי يمامة لا تملك المصير

وفيها الوسط الذي يتمثل في الحوار مع طائر "البومة" ويعد في ثقافتنا رمزاً للتطير والتشاؤم، ثم في حكاية الجدة التي ترمز إلى الماضي القديم وإلى السلام المفقود المتأرجح بين الأزمنة وفي فضاءات الأمكنة، فتجسد في هذه القصيدة صراع الموت مع الحياة.. النظر إلى العالم بوصفه وحدة متكاملة، دون الانهماك في النظرة الجزئية.

والحوار هنا يعكس الحس الجمالي في أجواء ضبابية ملبدة بالغيوم وملفحة بالغموض:

اليوم قال فوق نخلها

الحزن في بلادكم وفي

والعام من عيونكم مطير

يا طفلي الأخير

واجتاحنا الوباء، كل منزل سرير

وتمتم الشيوخ في مسائنا: الفوز للصبور

فالله وحده يدبر الأمور

الله يقذف الأطفال من سفينة تهم بالمسير

وأنتم مسافرون تبجلون في غمامة إلى مدينة السرور

ويختم الشيوخ قولهم "الله وحده قدير"

لكنني يا طفلي الأخير ورغم أنني كسيرة الجناح

لا أطيق أن أثور

أقسمت بالدموع والأطفال والثغور

الله في سمائه يحبنا ويكره الشرور

لكنما حكاية الوباء ها هنا صغيرة يا طفلي الصغير

حكاية الإمام منذ سالف الدهور

تقول جدتي في سالف العصور

العام كان أجرداً والأرض في أحشائها أماتت البذور

فهاجر الإمام نحو غابة الشعير

وطال بالإمام ذلك السرى

وجف في طريقه الغدير

وعندما أطل نحوها

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

في حلمه المثير

اشتافت الغيلان

لو تذوقه.. لو حطمت جناحه الوثير

ثم النهاية المفجعة المؤلمة التي استحال فيها اليمام المسكين إلى وجبة للنسور الشرسة:

"وعاد يومها

كموجة رعاشة في خوفه المريع

عاد يومها بقطرتين

لم يعد بحبة الشعير

وعندما أتى لعشه اليمام لم يجد فراخه

سوى بقية من وجبة النسور

فالعالم يا صغيري الأخير

عام ذلك اليمام.. عام وجبة النسور"

وكل ذلك نتلقاه في هيئة دوال أيقونية تجعل أبطالها من الطيور. وهذه القصيدة يؤدي فيها (الطائر) دور البطولة ويعبر الشاعر من خلاله عما يختلج في نفسه من مشاعر الحسرة والحزن والألم، وقد استطاع الشاعر أن يجسد المعنى عبر مفردات تلك اللوحة الفنية، في قالب الصورة الشعرية، وبذلك يكون قد نجح في نقل المعنى أيضاً؛ حيث "إن المعنى لأي عمل ليس ما انتغل به الكاتب في لحظة ما أثناء تأليف العمل، أو ما يعتقد الكاتب أن ما يعنيه العمل بعد تلك اللحظة يكون منتهياً، ولكن بالأحرى، ما نجح هو أو هي في تجسيده في العمل".^(١)

إن العنوان يمثل ثنائية (القرية والمدنية) التي طالما شغلت الشاعر وسيطرت على حواسه وعقله، فموضوعها يمثل حواراً نفسياً وذهنياً بين الشاعر وقريته، حيث يسخر الشاعر الطفل الصغير والحلم الأثير بوصفه ممثلاً له، كما يمثل البراءة في مواجهة عالم المدينة بأوبئته التي تغتال فلذة الأكباد، فتغتال البراءة.

ومن هنا تتأسس هذه القصيدة - بشكل ملحوظ - على مفهومي "الانفعالية والحسية"؛ وهو أمر طبيعي للشاعر الذي يتوجب عليه أولاً أن يتأثر بالموضوع ويشعر بأهميته على المستوى الداخلي الشعوري، مما ينعكس في الناحية الانفعالية، ثم تأتي الحسية لتجسد هذه الانفعالية فتصب في بوتقة التمثيل الشعري.

إن "الانفعالية مبدأ يشير إلى غاية الشعر وقدرته على إثارة المتلقي، كما تشير الحسية إلى طبيعة المدركات التي تشكل مادة الشعر ومعانيه. وإذا كانت الانفعالية تشير إلى غاية الشعر باعتباره نشاطاً تخييلياً، فإن الحسية تشير إلى مادة هذا النشاط أي صور المحسوسات التي اخترنتها القوة الحافظة أو

(١) جوناثان كير - مدخل إلى النظرية الأدبية - ترجمة: مصطفى بيومي عبد السلام - المجلس الأعلى للجامعات
القاهرة - المشروع القومي للترجمة - العدد ٥١٤ - ٢٠٠٣ - ص ٩١

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

الذاكرة عند الشاعر بعد غياب المحسوسات ذاتها عن مجال الإدراك، ولا ينفصل أحد هذين المبدئين
عن الآخر، بل إن كلا منهما يفضي إلى الآخر".^(١)

تراه عاد ذلك الوباء كي يزور

لتلحق الذين قد مضوا

وخلفوا أكبادنا تغتالها الصقور

وأنت في يدي يمامة تود لو تطير

بل كل قرיתי يمامة لا تملك المصير

كيف يملك الإنسان مصيره إذا كان طفلاً لا يملك قراره. التوازن الدلالي نلحظه في عملية
الموازنة الدلالية والمثابة السياقية بين الأكباد التي تدل على الأطفال فهم فلذة أكبادنا، ثم الصقور التي
تمثل الوباء في قسوته وقوته واغتياله للبراءة. فالفضاء الدرامي من زمان ومكان يسيطر عليه أجواء
الحزن والألم. ثم إن الشاعر يجمع بين الفردي والجمعي عندما يربط بين مصير طفله ومصير القرية
بأكملها، فالفرد جزء من المجتمع، هو عضو في جسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء
بالسهر والحمى.

إن هذه الصورة في التشكيل الجمالي لها نصيب وافر من الحضور في المنظومة الثقافية
الجمعية؛ فعند البحث في مكوناتها الدلالية نجد ترابطاً رمزياً وتمائلاً سياقياً بين هذه الدوال، وبين
دلالاتها في المنظومة المجتمعية مما يجعل مفهوم الدلالة محورياً في عملية إنتاج المعنى. ومن هنا
يمكننا تقسيم (الطائر) بين كونه صورة شعرية - كما في النموذج السابق - وكونه لوحة فنية يتصارع
فيها أكثر من عنصر كي تقدم في النهاية لوحة مكتملة الأركان كما في القصيدة ككل. مما يعني أن كل
لوحة فنية تتضمن داخلها صورة شعرية وليس العكس فقد نتلمس صورة شعرية منفردة دون أن تكون
جزءاً من لوحة فنية وذلك كما نرى في قصيدة (الذين يسرقون حبكم):

"ما أكثر الذين في جوارهم

ورغم ذلك يجلسون وحدهم

في الصباح والمساء

يعانقون خوفهم

وربما قد ينطقون بالغناء

لا تسمعوا نشيدهم

فالبحر في شواطئ الخليج

أوفى صديق عندهم".

(١) جابر عصفور - الصورة الفنية - ص ٣٠٠

وطالما ذكرنا اللوحة الفنية فإن عمل الشاعر في هذه الحالة أقرب إلى عمل الرسام فـ "الشاعر مثل الرسام يقدم المعنى بطريقة حسية، هذا عن طريق المشاهد التي يرسمها على اللوحة لينقلها المشاهد تلقياً بصرياً مباشراً، وذاك عن طريق لغته التي تثير في ذهن المتلقي صوراً يراها بعين العقل".^(١) وصوت الشاعر يتحرك في فضاء الحدث تحركاً ملموساً يجسد فعل الحوار المتمثل في فعل القول (قال) وهو فعل سماعي أيضاً؛ حيث إنَّ القول يستوجب الانتباه والاستماع، والقول في هذه القصيدة يأتي على لسان البوم الذي يعرف في منظومتنا المجتمعية والثقافية بالتشاؤم:

البوم قال فوق نخلها

الحزن في بلادكم وفير

والعام من عيونكم مطير

إن الفعل "قال" يستوجب التركيز، كما أن الحوار يسهم بدوره في نقل المتلقي إلى العالم الداخلي للقصيدة، حيث يتجسد الحوار أمامه فينقله من مجرد متلقي للقصيدة إلى كونه مستمعاً جيداً، بل قد يصل به الأمر إلى أن يصبح مشاركاً في الحوار بشكل غير مباشر عندما ينقله من الصورة إلى التخيل، ومن هنا تتماثل وظائف الحوار في الشعر مع مثيلتها في النثر حيث يسهم في كسر الملل والتعرف على طبائع الشخصيات كما يسهم في تطور الحدث.

إن هذا الديالوج بين البوم - رمز التشاؤم - والشاعر يقدم عالماً خيالياً لا نكاد نتلمسه إلا من خلال تلك الصورة، التي تنقل الدوال من صورتها الذهنية إلى تمثيل حقيقي عبر الصورة؛ فنرى بالكلمات الصور الماثلة في مخيلة الشاعر. فالشاعر هنا "يحدث نوعاً من التوجيه غير الملحوظ من خلال الصورة لخلق موقفاً درامياً أو سيناريو يسير في اتجاه عام تتولد عنه مادة شعرية تنبثق عن اللاشعور".^(٢)

إن الشاعر يتخذ من القصيدة موقفاً واحداً له مستويات دلالية مختلفة؛ لأن الشاعر يؤمن بقداصة الكلمة وخطورتها وقدرتها على إحداث التأثير المطلوب في المجتمع، خاصة تلك المجتمعات التي تعاني الانهزامية والأوجاع والآلام تحت وطأة المحتل سواء أكان خارجياً أم داخلياً.

وكل ذلك مداره التخيل الشعري الذي "يعتمد على فاعلية المخيلة لدى الشاعر والمتلقي على السواء؛ فالشاعر عن طريق ما تشكله مخيلته من صور يضبطها العقل يستطيع أن يؤثر في مخيلة القارئ، أو المتلقي... وبهذا الفهم يصبح التخيل الشعري قرين إثارة الصورة في مخيلة المتلقي".^(٣) كما نجد في هذه القصيدة لوناً من الدرامية التي تتأسس على الصراع الذي ينشأ من خلال تداخل العلاقات بين الشخصيات وتوظيفها في إطار قائم على التبادل الفعلي والقولي في الأدوار؛ فـ "في

(١) جابر عصفور - الصورة الفنية - ص ٢٨٤

(٢) T. S. Eliot-On Poetry and Poets-London-1979-P 95

(٣) جابر عصفور - الصورة الفنية - ص ٢٩٨

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغزالة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

القصيدة الدرامية يحاول الشاعر استتطاق الشخصيات التي لها دائما نصيب من الحوار الشعري فتحدث الشخصية بصوتها الخاص".^(١) ويتضح هذا الصراع في عنصر الحوار الذي ورد في نوعين:

○ بين البوم والشاعر: وبما أن الحزن وفير والعام مطير، فهي فرصة مواتية للطيور الجارحة كي تقتنص هذا اليمام البريء القادم على هذا الخير الوفير.

○ بين الجدة والشاعر:

" تقول جدتي في سالف العصور

العام كان أجردًا والأرض في أحشائها أماتت البذور

فهاجر اليمام نحو غابة الشعير

وطال باليمام ذلك السرى

...

وعندما أتى لعشه اليمام لم يجد فراخه

سوى بقية من وجبة النسور

فالعام يا صغيري الأخير

عام ذلك اليمام.. عام وجبة النسور"

والحكاية هنا إطار يمثله الشخصيات الإنسانية وهي "الجدة" التي تمثل زمن الخير الكثير والاطمئنان، و"اليمام" الحر الطليق، ثم "الشاعر" الذي يمثل زمن الجذب والحزن الوفير واليمام الذي تغتاله الصقور. ثم داخل هذه الحكاية الإطار هناك الحكاية المحتوى التي تمثلها الشخصيات الاعتبارية وهي (اليمام - الغيلان - الفراخ - النسور) وهي تمثل أنماطاً تعادل الشخصيات الإنسانية. ولكن النهاية مؤسفة موجعة حينما تحول اليمام وفراخه إلى وجبة للنسور فانتهى الحلم وعم الحزن. فهو يخلع على الطيور صفات إنسانية وكأن هناك نوعاً من الإسقاط النفسي والوجداني على "الطائر". إن افتراس اليمام على يد النسور إنما يرمز للمهمشين من البشر الذين تغتالهم أيدي ذوي النفوذ بلا رحمة ولا هوادة فيكون مصيرهم الفناء، إنها ثنائية القوي والضعيف الثري والفقير، الحياة والموت.

إنَّ الشاعر عندما يستلهم القول على ألسنة الطير يستدعي إلى أذهاننا كليله ودمنة لـ (ابن المقفع الفارسي ١٠٦-١٤٢هـ) (٧٢٤-٧٥٩م)، الذي يقدم الحكم والخبرات على ألسنة الطيور والحيوانات، فألية "التناص" في هذه القصيدة تتأسس على التلميح وعدم المباشرة؛ وهو ما نستشف منه كون المنظومة الإنسانية تتشابه في الهدف في كل زمان ومكان، فهي - دائماً - تتشد الاكتمال، وغايتها الاستقلال، وتود تقديم النصح للإنسانية وإن اختلفت السبل وإن تعددت الطرائق.

(١) T. S. Eliot-On Poetry and Poets - p99

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

أما قصيدة "طائر الشباب" فهي تعكس اغتراب الشاعر الذي يعيش وحيداً غريباً في حاجة ملحة إلى الآخرين، إلا أنه عندما يجدهم يخيب أمله فيهم، فهم يترصدون له لاغتialeه وقهر أحلامه. في فضاء هذه القصيدة يختزل الشاعر عالماً يرصد فيه كمّاً من السلبيات من خلال منح البطولة لـ (الطائر) حيث يستقرأ من خلاله المعاني المرتبطة بما يمثله في الأذهان.

فمنذ العنوان "طائر الشباب" وهو عنوان استعاري؛ يمثل فيه الشباب بطائر حر طليق يهيم في الأفق عله يجد ضالته المنشودة من السعادة والحرية، ولكن سرعان ما تتبدد أحلامه وتتحول إلى سراب بعد أن ترصدت له الصقور:

مازال يركض الجواد في المتاهة الخراب

وعينها على ثياب عرسها

تحولت إلى سحب

وأمرت هناك فوق منكبيه

لعله يجيء، في يديه

حدائق الرجاء

وعند بابها

يلوح طائر الشباب

أنفاسه تعدّها الصقور

وتعبر الفصول في عيونه إلى هباء

وتصفّر السماء

الفصل في عيونه شتاء

وقهقهت صبية على الضفاف

تحطم الإبريق تجمع الأحجار

ولا تمل من شجار

وتسرق الثمار

من حدائق الجيران

وتحت نخلة وحيدة المقام

تروح تخلع الثياب للغلام

وقبل أن يمر عابر

تعود في سلام

ويعبر الربيع في عيون طائر الشباب

عذراء صدرها بلا قباب

...

الصيف في عيون طائر الشباب

لا قطرة على رمالها

لا ظل نخلة ولا طريق

في هذه القصيدة يتآزر التشكيل الزماني المعلن في الفصول الأربعة، مع التشكيل المكاني المرئي بأروقة الخراب ومتاهات العذاب، مع العروس المعذبة التي فقدت بريق حياتها، فيتحد الطائر مع الإنسان مع المكان. وتتألف الصورة من سلسلة من الأفعال الحركية والصوتية والسمعية التي تجسد الحدث مثل: (يركض - يجيء - يلوح - تعبر - قهقهت - تسرق - تخلع).

"طائر الشباب" هو محور هذه القصيدة ولكنه لا يهدأ، إنه يتنقل بين الفصول الأربعة، ولتكن البداية بفصل الشتاء ثم الربيع والصيف، ثم النهاية بفصل الخريف هذا الترتيب ليس عشوائياً؛ حيث يترعرع الطائر في فصل الشتاء ثم يموت في الخريف. إن (الطائر) معادل رمزي للإنسان الذي يموت في خريف العمر حزناً وقهراً على أحلامه التي اغتالتها النسور.

والتشكيل المكاني في القصيدة - كالتشكيل الزماني - معناه إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجتها، وعندئذ يأخذ الشاعر كل الحق في تشكيل الطبيعة والتلاعب بمفرداتها وبصورها الناجزة، كذلك كيفما شاء ووفقاً لتصوراته الخاصة... هذا في الحقيقة هو التكامل الفني الصحيح بين الفنان والطبيعة، وهو الموقف الذي تقوم على أساسه فلسفة الصورة في شعرنا الجديد بخاصة، فعالم الأفكار - وهو بطبيعته غير واقعي - يحاول أن يصبح واقعياً بمعانقته للأشياء والبروز من خلالها^(١).

ويشغل التشكيل المكاني مفتتح القصيدة، ويتمثل في "المتاهة الخراب"، والدوال هنا عاكسة للبعد المأساوي في هذه القصيدة، و"طائر الشباب" هنا يصحبنا معه في رحلة زمنية عبر الفصول الأربعة، في كل فصل منها تتحرك الذات محاولة استيعاب نفسها بالقدر الذي يمكنها من مجابهة المشكلات ومناهضة المتغيرات، و(الطائر) مازال في رحلة البحث عن قرينه المبتغاة والتي تتمثل في هذه القصيدة فتاة جميلة ترتدي فستان العرس تنتظر الأمل، ولكن هيهات فيكون مصير هذا الطائر في نهاية المطاف هو الموت :

وتقبل الرياح في عيون طائر الشباب

الفصل هاهنا الخريف

من فوق حجرها

تهاوت الثياب لم تتم غزلها

وتنقر الصقور جدول الدماء

وتختفي السماء

(١) عز الدين إسماعيل - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - دار الفكر العربي - ط ٣ - د.ت - ص ١٢٦ و ١٢٧

الباب مغلق ولا إياب

سوداء قالها الغراب

والريح خلف بابها

تقول مات طائر الشباب.

يتكئ الشاعر على بنية التكرار في هذه القصيدة؛ فالمركب الإضافي "طائر الشباب" ورد ذكره ست مرات، كما تكرر اللون الأسود أربع مرات وجاء في كل مرة مرتبطاً بالغراب، وهذا اللون له دلالة على الحزن والكآبة والتشاؤم. الدلالة السلبية في هذا البيت هي المؤشر المباشر على الحالة النفسية للشاعر في هذه القصيدة التي يسودها مناخ الفقد والنتية والعزلة في رحلة البحث التي يخوضها "طائر الشباب" إلى أن مات حسرة وقهراً على فتاته وعروسه التي اغتالها الصقور في جدول الدماء، بعد أن سقط القمر في بئر السواد واختفت السماء. إنها سيمفونية موسيقية تعكس سيمتريّة جمالية، تتألف نوتتها من مفردات الطبيعة التي تتحد كي تنقل الصورة المبتغاة إلى أذهان القراء، فتتمثل حكاية بلا بداية ولا نهاية في عالم يموج بالأوجاع والأثين.

ومن هنا نجد "أن اللغة الشعرية في الحقيقة غير مقيدة، أو هي متحررة من قيود بعينها، لغة متحررة من الإشارات المقصودة لكل من اللغة العادية واللغة العلمية، اللتين محكمتين القول على سبيل التقابل، بأنهما مقيدتان بالحقائق، بالأشياء المجربة، وبالقيود المنطقية لطرقنا المعهودة في التفكير".^(١)

ثانياً: المستوى / البعد المؤشري levelIndexical:

نتبين هذا المستوى في ديوان "أبي سنة" من خلال الدوال التي تشير إلى وجود "الطائر" بشكل غير مباشر؛ كأن يستخدم الشاعر دوال (الجناح - العش - المنقار - الريش) وغيرها من الدوال التي لا يذكر فيها لفظ "الطائر" صراحة بل يذكر ما يدل عليه ويوحى إليه، وغالباً ما تأتي في سياق مجازي يجمع بين التشبيه بأنواعه والاستعارة بأنواعها والكناية أيضاً.

ويعد هذا المستوى "صورة من صور العلامة، لا يكون الدال فيها اعتباطياً أو تحكيمياً على نحو محض، لكنه يكون مرتبطاً على نحو مباشر (طبيعياً أو سببياً) بالمدلول، كما يمكن فيها ملاحظة هذه الصلة بينهما أو الاستدلال عليها (مثل الدخان... آثار القدم بصمات الأصابع - طريقة على الباب - معدل النبض)".^(٢)

إن التناول النقدي لدال الطائر على المستوى المؤشري يتمثل في جانبين^(٣):

(١) حسن البنا عز الدين - بول ريكور: مكانته في النقد الأدبي - ضمن أبحاث كتاب أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي - القاهرة - أكتوبر ١٩٩٧م - إشراف: عز الدين إسماعيل - بالتعاون بين جامعة عين شمس والجمعية المصرية للنقد الأدبي - المجلد ٢ - ص ٢٠٨.

(٢) دانيال تشالنדר - معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) - ص ٨٧.

(٣) انظر د. جابر عصفور - الصورة الفنية - ص ١٠.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

الجانب الأول: الصورة بوصفها نوعاً بلاغياً: ويتمثل هذا الجانب إما في الانتقال أو التجوز في الدلالة لعلاقة المشابهة (ويتمثل في التشبيه والاستعارة)، وإما في علاقة التناسب متعددة الأركان مثل الكناية والمجاز. وفي هذا الجانب قد يرد ذكر الطائر باسمه.

الجانب الثاني: الصورة بوصفها تقديمًا حسيًا للمعنى، وتتمثل في علاقة الصورة بمدرجات الحس وقدرتها المتميزة على مخاطبة إحساسات المتلقي، وإثارة صورة ذهنية في مخيلته. ومن خلال هذين الجانبين يتبين كون هذا المستوى يتأسس في الصورة على توظيف الحركة واللون والصوت بوصفها مؤشرات تجمع الدلالات المتنوعة. وفي هذا الجانب يرد الطائر بشكل غير مباشر كمؤشر.

وفي الجانبين يكون "المعنى غير موجود إلا في تولده بممارسة التفسير الذي يلزم إمكانية الفهم وتشكله، وأن ننظر للأشياء بوصفها ترميزاً لشيء غائب، لمعنى تكون هي حوامل له".^(١)

ففي قصيدة (ريفية في مدينة الغرباء) يوظف الطائر الحركة (خفق الجناح) للإشارة إلى العجز وعدم القدرة على تجاوز المكان الذي يصبح أسواراً تقيد فيه حرية الإنسان:

كانت القهوة تغلي ويدها تنسجان

وجناح عاجز الخفق سجين في المكان

ورؤاها مثل طير يبتني أعشاشه فوق المساء

"غليان القهوة" يجعلها تفقد مذاقها، مثلما تفقد هذه الريفية مذاق الحياة في عالم المدينة الصاخب. إن تطلع هذه الريفية لقراءة فنجان القهوة يعادل تطلعها إلى عالم القرية المفقود، وهي مثل الجناح العاجز عن الطيران.. السجين في عالم المدينة بضجيجه المعهود، أما الرؤى والتنبؤات فليس له قيمة؛ فهي مثل الطائر الذي يبني عشه على وهم المساء وظلام الليل وهي مازالت تهفو للطيران والتحليق في أفق السماء للانتقال إلى أرض الخير والنماء:

أصنع الشاي لناس غرباء

ووجوه الناس لا تعرفني

وأنا وحدي شهيدة

ربما كانوا جميعاً شهداء

غير أنني أكره الناس يلوحون لوجهي غرباء

إنني أماء أهفو لجناح

أتمنى أن أرى في قرיתי وجه الصباح.

الجناح هنا كناية عن التطلع إلى الراحة والاطمئنان، أو الرغبة في الطيران ونيل الحرية التي تمكنها من العودة إلى قريتها، أو غيره من الرغبات الإيجابية التي توحى بها الصورة.

(١) ستيفين ميلفيل وبيل ريدينجر - الرؤية والنصية - ترجمة: سيد عبد الله - مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - العدد ٦٢ - صيف وخريف ٢٠٠٣م - ص ٢٠٥

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

أما في قصيدة (من قرّيتي إلى مرفهة) فإن انعكاس تغريد الطيور في العين يعادل انعكاس وجه المرأة في المرآة وهي تصلح الثوب الحريري.

تذكرني وأنت في المرآة تصلحين ثوبك الحريري

وتبسمين فرحة إذا رأيت حمرة الزهور

على الخدود تزهدي وفي العيون غردت الطيور

وتسكين فوق وجهك المضيء موجة العطور".

وإذا كان تغريد الطيور في هذه القصيدة يعد معادلاً للفرح والسعادة بفعل تجاور الدوال وتقارب الدلالات (تصلحين - تزهدي - المضيء - العطور)، فإن موت الطيور يعد مؤشراً للحزن والألم وفقدان الحرية كما في قصيدة (المسافر وفيروزة البحار):

مسافر يقاوم الرياح ينسج الظلال

ملءة على مشارف الجبال

بلاده حزينه والله لم يبارك الغلال

الطير في حقوله تموت

ترتمي على جنازة الزوال

والحزن في طريقه أنشودة متينة الحبال

ولا يئن، لا يبوح بالذي يعذب الرجال

تخافه الصقور، مارد

عيناه قلعتان للمحال".

إن موت الطيور كناية عن الفقر والجذب الذي لحق بالمكان، كما أن خوف الصقور - وهي أقوى الطيور - من هذا المسافر كناية عن قوته وقسوته، ففيها المعنى مصحوباً بالدليل عليه في إيجاز وتجسيم.

أما في قصيدة (الموت يزور المدينة) فالصورة مستوحاة من الموروث العربي:

الليل كان راية منصوبة على الجبال

والموت كان فارساً يخوض في الظلال

هناك في مدينة تنام جثة بلا كفن

الحزن والغربان فوقها

وأعين بلا وطن".

كان من عادة العرب - قديماً - أنهم إذا رأوا طيوراً تحلق فوق مكان ما، أيقنوا بهزيمة القوم في هذا المكان؛ إذ تتجمع الطيور فوقه لتقتات الجثث المطروحة في المكان. الصورة - إذاً - إيذان بالهزيمة والخنوع، ثم يكتمل جمال الصورة بتوظيف لفظة (فارس) المرتبطة بالبيئة العربية، والهزيمة هنا جمعية واختيار الطائر (الغراب) يمنح الصورة - وهي كناية عن الانهزام - تأثيراً أشد في النفوس بما يرتبط به من دلالات سلبية.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

إن الشاعر يعكس الجوانب النفسية العميقة في الشخصية الإنسانية الحائرة العاجزة ولا يقدمها بشكل مباشر، بل ينقلها في صورة تخيلية، فـ "شعراء الحداثة لم يتركوا صفة من صفات النفس في حالاتها المتباينة إلا وتعاملوا معها شعرياً، ثم نقلوا هذه الصفات من مستواها البشري إلى مستويات أخرى تعاملوا معها واتصلوا بها، وإن لم تكن ذات طبيعة بشرية".^(١)
ثم يقول:

"ديجول قادم إلى مدينتي

يقود في سهولها التتار

يومان والأموات في الدروب تحضن الأموات

وأعين الأطفال في مناسر الصقور

حمرء ألف حبة من العقيق".

"ديجول قلبه جنازة الحياة

وموحش كعش بوم

مهدم.. مهدم كدار عاهر قديم".

يستدعي الشاعر الرئيس الفرنسي شارل ديغول (١٨٩٠م - ١٩٧٠م)، وتتجلى دقة التصوير عندما يجعل الأطفال فريسة تمسك بهم مناقير الصقور المعقوفة القوية، وهم تحت قبضتها لا يملكون حياتهم ولا حريتهم. ويلجأ الشاعر إلى استخدام المجاز وتوظيف التشبيه في وصف قلب ديغول - الذي يراه رمزاً للهدم والخراب - كعش البوم، موحش ليس فيه سوى ضحايا من جنث الفئران - وهي معادل للمقتولين الضعفاء - التي يقتاتها البوم، فهو مثل الدار القديمة التي يسكنها عاهر رث الهيئة، سيء الطباع، رديء الخلق.

إن هذه الصفات التي يخلعها الشاعر على قلب ديغول كفيلة بأن تقدم مكونات الصورة في عناصر متعددة يوطرها المكان (جنازة - عش - دار)، ثم إن هذا التشبيه التمثيلي - ومحوره طائر البوم بدلالاته السلبية في المخزون الفكري - القائم على الصورة، والذي تتوافر فيه أركان التشبيه من مشبه (قلب ديغول)، ومشبه به (عش بوم)، وأداة (الكاف)، ووجه الشبه (موحش - مهدم)، ثم التأكيد اللفظي على (الهدم) بال تكرار، هو ما يمنح الصورة تشكيلها الجمالي، ويؤكد كيف صارت البلاد التي احتلها - على يديه - مهدمة، وكيف أضحت الحياة فيها جنازة محفوفة بالموت والمخاطر.

أما في قصيدة (الدمعة والسيف) يوظف الشاعر المجاز ليمنح الصورة بعداً دلاليًا وجماليًا خاصاً:

أن تصبح كل طقوس الحقد شعار العالم

أن تتحجر كل البسمات

(١) محمد عبد المطلب - بناء الأسلوب في شعر الحداثة - التكوين البديعي - النشر بمعرفة المؤلف - القاهرة - رقم إيداع ١٩٨٨ - ص ٢٠٨

في وجه ظالم
أن يتآكل في الظل جميع الضعفاء
أن تنمو عاصفة سوداء
تستقبل ميلاد الأطفال
أن ينحل عناق العشاق
كي تنمو أجنحة الخوف
لا شيء سوى الدمعة والسيوف

"أجنحة الخوف" الأجنحة مؤشر للطائر، وهي هنا استعارة مكنية حيث شبه الخوف بالطائر الذي له جناحان وحذف المشبه به وجاء بالمشبه وسر جمالها التجسيم. يريد بذلك تجسيد الخوف الذي يخلق وينتشر فوق المكان، فينشر الرعب في قلوب الضعفاء الذين لا يملكون سوى الدمعة في مقابل السيوف الذي يطيح برؤسهم الحزينة المطوية من طائر الخوف الذي يعلوهم ويغطي سماءهم. "إن الاستعارة انتقال في الدلالة لأغراض محددة وإن هذا الانتقال لا يصح ولا يتم إلا إذا قام على علاقة عقلية صائبة تربط بين الأطراف وتيسر عملية الانتقال من ظاهر الاستعارة إلى حقيقتها وأصلها".^(١)

وفي قصيدة (حكمة هذا الدهر):

"وتقول الجدات
من أكثر من نصف القرن وعبد الله إمام
ما زال الصوت المجهد مرتعشاً في أجنحة الليل
ضاعت منه الصلوات"

والشاعر هنا يوظف الاستعارة ليجسد من خلالها الضعف الذي ألم بإمام المسجد عبد الله، فالليل هو الطائر القوي بظلامه الدامس الذي يخفي وراءه القسوة والغموض بأجنحته التي تغطي المكان فيسود الحزن ويعم الخوف. والاستعارة هنا جزء من الحكاية على لسان الجدات.. على لسان القدماء، فالخوف له جذور ممتدة في الماضي السحيق لن يستطيع الزمن أن يمحو سطوته الداهشة، أو يزيل أثره الطاعي في النفوس الضعيفة قليلة الحيلة.

وليست هذه هي "أجنحة الليل" الوحيدة في الديوان فهناك الأجنحة الليلية في قصيدة (الأغنية المرحلة):

ما زالت أرضي حبلى
جوعى تحلم بك
لكني لن أترك أشجار الصبار بأرضي
لن أتركها تنمو

(١) جابر عصفور - الصورة الفنية - ص ٢٠٣

كالأجنحة الليلية فوق الموتى".

والقول هنا على لسان "إيزيس" الحزينة الباحثة الحائرة التي تتوق لعودة "أوزوريس" الزوج والحبیب، هي لن تستسلم ولن تترك أشجار الصبار المرة الموحشة تنمو فوق سمائها كي تجعلها وصغيرها في عداد الموتى الذين يخلق فوقهم الطائر الليلي الأسطوري بأجنحته القوية، "وعلى هذا الأساس، فنحن... أمام نوعين من المعنى: المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أما الأول فهو سابق في الوجود لا في الرتبة، وأما الثاني فهو بمثابة وجه من أوجه الدلالة على الأول، وطريقة خاصة من طرائق تقديمه، وإحداث خصوصية فيه".^(١)

ثم إن هناك أجنحة الليل في قصيدة (قلبي وغازلة الثوب الأزرق):

قلبي كان حماماً يبكي في الغابات

يتعذب في عين الإنسان الواقف في وجه الشلالات

مذ كان يكافح أجنحة الليل تغطي كل الطرقات

فالجمع بين التشبيه البليغ في البيت الأول؛ حيث شبه القلب بالحمام ثم شبههما بالإنسان الذي يبكي، فهو تشبيه ثلاثي الصورة مكثف الدلالة متعدد الأبعاد، ثم إن الحمام رمز السلام عندما يبكي ويتألم فهو يرثي وجوده الذي فناه الحروب والضغائن، فالاستعارة مجسدة في أجنحة ذلك الطائر الليلي المخيف الذي يخافه الإنسان.

وفي قصيدة (أرجوك واصلي الغناء) يواصل الشاعر توظيف التشبيه فيقول:

في هذه الأيام يا عزيزتي

في هذه الأيام

لا يقدر الوحيد أن يعيش

وهل يطير أزغب جناحه الغضير ليس فيه ريش

وبيته بقية الهشيم في فم الرياح

عزيزتي

وكنت تشدين لحنك الحزين

فتستعيده الطيور والغدير".

التصوير قائم على التشبيه؛ فالإنسان لا يستطيع العيش وحده مثل الطائر الصغير الذي لا

يستطيع الطيران، ثم يقول:

الرحمة كانت طيراً مغلولاً

الصورة هنا تتأسس على التشبيه البليغ؛ حيث شبه الرحمة بالطير المغلول مع حذف أداة التشبيه

ووجه الشبه. ثم إنها كناية عن انعدام الرحمة وتقييدها وفي المقابل انتشار القتل والتعذيب.

(١) جابر عصفور - الصورة الفنية - ص ٢٠١

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

وما زلنا مع المؤشر "أجنحة" الذي نجده هذه المرة في قصيدة (مرثية شهداء الجزائر):
"كانوا مليوناً من أنهار حمراء تدفق نحو القلب

قلب جزائريهم

كي تبني الرؤية في العينين

وتعيد البسمة للشفتين

سندوا ببريق خناجرهم أجنحة الفجر".

الشاعر هنا له روح كونية تطوف الأفق العربي وترصد الظلم في البلاد العربية، فالمليون شهيد بالنسبة للجزائريين بمثابة الدماء التي تتدفق في القلب لتمنحه الحياة.. لتستمر دقاته.. ويستمر نبضه يمنح الجسد الضعيف الحياة بعد أن اغتالته الصقور:

حتى الطير بنى عشاً من حزنه

وجزائريهم كانت فرخ يمام أخضر

ولد يتيماً في منقار الصقر

الشاعر يستثمر اللونين (الأحمر والأخضر) ليجسد الحالة الشعورية التي يعاني منها الجزائريون تحت وطأة الاحتلال الفرنسي؛ فاللون "الأحمر" يرتبط بالدماء والقتل واغتيال البراءة، لذلك ربطه الشاعر بالشهداء الذين فقدوا حياتهم مقابل حرية وطنهم، بينما يرتبط اللون "الأخضر" بالنقاء والهدوء والبراءة، ولذلك لصقه الشاعر بالفرخ الصغير الذي يمثل إشراقة جديدة بريئة ونبته خضراء ارتوت من دماء الشهداء.

ومثلما كان لـ "الخوف" أجنحة ولـ "الليل" أجنحة، فإن الفجر له أجنحة أيضاً، ولكن أجنحة الخوف والليل قاسية قوية غامضة، أما أجنحة الفجر ففيها الأمل والبريق الذي تستمد منه خناجر المليون شهيد فيسندوا بها الأمل للمستقبل الذي مازال قيد الانتظار.

وما أجمل الصورة الاستعارية التي يتخذ فيها الشاعر من الحزن شيئاً مادياً يبنى منه الطائر عشه، فالصورة محملة بالطاقة السلبية التي يبثها الشاعر في الكلمات وما يعقبها من إحياءات حين شبه الحزن بالأغصان والعشب الرفيع الذي يتخذ الطائر وسيلة لبناء عشه.

إن الخطاب الشعري ينظر إلى مفاهيم إنسانية يدعو لوضعها في سياق ثقافي اجتماعي لقراءتها بوعي، بخاصة مفهوم التعبير عن أشواق النفس في أفق يسمح للإنسان بفهم رمز الطائر في تجارب إدراك ذات أبعاد إنسانية اجتماعية بالإضافة إلى تعميق الإحساس بالقيم الجمالية، فالخطاب "إطار محدد السياق لإضفاء معنى على الأشياء".^(١)

(١) ثيوفان ليفن - الخطاب باعتباره إعادة تشكيل سياق الممارسة الاجتماعية - ضمن أبحاث كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب - تحرير: روث فودال وميشيل ماير - ترجمة: حسام أحمد فرج وعزة شبل محمد - مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف - المركز القومي للترجمة - القاهرة - العدد ٢٠٨٨ - ص ٣٠٧.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

وتشترك "أجنحة الفجر" بدلالاتها مع "أجنحة السحاب" في التأثير والدلالة؛ فالسحاب الأبيض
يرمز للنقاء والخير القادم والمطر الذي يمنح الحياة بريقها ويملأها بالأمل والخير، كما في قصيدة
(الهدية والملاح الصغير):

بعثت طائري إلى الصباح غاب

الحزن في القلوب شاب

وفجأة يدق باب

وعاد طائري جناحه سحاب

وفوق رأسه هدية من وجنة الشفق".

فـ "الطائر" هنا هو القائم بإرسال فعل التواصل العاطفي، حيث يرسله الشاعر فيعود له مُحملاً
بالأمل والخير المطير الوفير. إن طائر "أبي سنة" يجوب السماء في حركة مستمرة و"لغة الشعر لأبد
لها من شكل حركي، هو على وجه التحديد الشكل الدائري الذي يبدأ من نقطة ما ثم لا يلبث أن يفارقها
ليتيم رحلة طويلة لا يلبث بعدها أن يعود إلى نقطة البداية".^(١) ولما لا والشاعر حريص على النجاة
والعودة إلى دياره مكرماً:

سفيتي لن تعرف الغرق

ففي بحارنا جزيرة كشاطي الضياء

إن الأجنحة عند "أبي سنة" مرتبطة بسمه التعميم والانتشار، ثم الانطلاق والتحليق ومن ثم فهي
بعيدة عن الثبات، ولذلك فهي غير مرتبطة بالحب الذي من سماته الثبات في القلب وهو ما نراه موظفاً
في قصيدة (بغير أجنحة):

الحب عندنا بغير أجنحة

بسيطة ألوانه وواضحة

وثابت كدورة الفصول

صوروا ملامحه

وقريتي وإن تسترت

تقول: للغرام رائحة"

والحب مرتبط عند الشاعر بالقرية؛ فهي غرامه الذي لا ينتهي، ومعينه الذي لا ينضب، هي
الوحيدة القادرة على إحداث التغيير في الشاعر الذي ينقل هذا التأثير في الصور والكلمات، "وتحدد فهم
هذا التأثير في ضوء ثلاثية: الإدراك، والنزوع، والسلوك، بمعنى أن أنواع الفن المختلفة تحدث حالة
من الإدراك تؤدي إلى نزوع يعقبه سلوك؛ ولذلك افترض الفارابي أن القصيدة تقدم إلى مخيلة المتلقي

(١) صلاح فضل - شفرات النص - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٥م - ص ٧٣

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

مجموعة من الصور تستدعي من ذاكرته طائفة من الخبرات المخترنة تتجانس محتوياتها الشعورية والانفعالية مع صور القصيدة مما يفرض على المتلقي حالة إدراكية خاصة^(١). يستخلصها من تآزر الصور والمفردات في القصيدة.

ثالثاً: المستوى/ البعد الرمزي Symbolic:

في هذا المستوى نرصد الدلالات الرمزية لـ "الطائر" في إطار التعارف المجتمعي المتفق عليه فيما يتعلق بهذه الدوال؛ حيث تشير الحمامة - على سبيل المثال - إلى السلام، ويصبح الغراب - بلونه الحالك - نذير شؤم ورمزاً للتطير، وكذلك البومة، ويعد النسر رمزاً للقوة والانطلاق والافتراس، ويصبح النورس رمزاً للاختلاس. ثم كيف وظف الشاعر هذه الرموز في قصائده بحيث تعكس بعداً جمالياً للقصيدة، ويمنحها ثراءً في الفكرة والمحتوى. وهو ما يحقق بدوره دائرة من الأفعال التواصلية المازجة بين الرموز وإحالاتها المجتمعية، والمرجعية الثقافية والتاريخية للمجتمع، فـ "في الفعل التواصلية نحن بإزاء موضوعات تمثل الذوات المتحدثة والمتفاعلة نموذجاً لها، وهذه الذوات من حيث المبدأ، قادرة على الفهم من خلال الرموز"^(٢).

إن "الرمزية هي صيغة أو أسلوب، لا يكون الدال فيها مشابهاً للمدلول، بل تكون العلاقة بينهما علاقة اعتباطية (أي تحكمية)، أو علاقة عرفية (اتفاقية) محضة، بحيث يصبح من الضروري أن نتعلم هذه العلاقة (ومن ذلك - مثلاً - كلمة قف، وضوء علامة المرور الحمراء)"^(٣).

ويعد المستوى الرمزي عاملاً مشتركاً بين الأيقونة والمؤشر؛ إذ يشير كل منهما إلى دلالات ومعاني يتم استنتاجها من خلال النص الشعري؛ فلكل مستوى تأثير على القصيدة ككل. والشاعر هو العنصر المشترك في الحكايات جميعها؛ فهو مَنْ يتولى مسئولية البحث ورحلة العناء، وهو المسئول عن توظيف الرموز كي تؤدي دورها في أفق القصيدة. وهنا "تستطيع القول بوجود ما يسمى بالمسافة البيانية، وهي المساحة التي يقطعها وعي المبدع بالمعاني الشعورية حتى يلتبس لها الوجود الرمزي المناسب في الأبجدية التعبيرية المتفق عليها في المنظومة الاجتماعية، وهذه المساحة يرحل فيها كل من يصوغ رسالة بيانية، ويلتقي المبدع والقارئ معاً في منطقة ما داخل الأفق الممتد الذي ترتحل فيه المعاني وتمثل الأبجدية علامات إرشادية فيه"^(٤).

إنَّ الرمزَ في ديوان (أبي سنة) - حسب توظيفه في القصائد - له دلالات مختلفة، ويوظف في سياقات متعددة، وغالباً ما يربطه الشاعر بإحدى الموروثات الشهيرة، في سبيل تنمية الحس الإيحائي

(١) جابر عصفور - النقد الأدبي مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي - دار الكتاب المصري - ودار الكتاب اللبناني ط ١ - ٢٠٠٣م - ص ٥٣

(٢) فتحي أبو العينين - هارماس وتحرير الوعي الاجتماعي - مجلة إبداع - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - مايو ١٩٩٨م - محرم ١٤١٩هـ - ص ٧٢

(٣) المرجع السابق - ص ٢١٤

(٤) سيد محمد قطب، ما وراء التمثيل الرمزي، دراسات في سيميوطيقا القصيدة، دار الهاني، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٢.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

باقتناص مرموزات ذات دلالات عدة تصل من حد استرجاع الحدث - سواء أكان أسطورياً أم تاريخياً أم دينياً- إلى حد ترميزة في سلسلة من الشفرات النصية التي يكون الحدث في النص بمثابة مفتاحاً لها ومدخلاً إليها.

في المستوى الرمزي لا يوظف دال (الطائر) منفرداً بل بوصفه واحداً من عدة دوال تتحاور في دلالاتها العميقة، وتتجاوز في دوالها الظاهرة، وتتحد مع مضمون القصيدة ككل، فينتج عنها قائمة توظيفات رمزية ذات دلالات تتراوح بين الإيجابية والسلبية في عالم يموج بالدوال والمدلولات، تتلاطم فيه الإحياءات، وتتزوج فيه الدلالات لتقدم صورة شعرية عميقة موحية في سياقات مختلفة تجمع بين الديني والتاريخي والأسطوري والاجتماعي كما في النماذج الآتية:

قائمة التوظيف الرمزي			
القصيدة	السياق	إحياء إيجابي	إحياء سلبي
مرثية شهداء الجزائر	تاريخي		√
قلبي وغازلة الثوب الأزرق	- تاريخي (روما ونيرون والغراب) - ديني (نوح عليه السلام والحمامة) - أسطوري (بنلوبي وأوديسوس واليمام)	√ √	√
الأغنية المرحة	أسطوري (إيزيس وأزوريس)	√	
النهر والذين يعبرون	أسطوري (طائر من نار) (العنقاء)		√
أغنية لجاجارين	تاريخي	√	

إنَّ "الطائر" في هذا الديوان يعد رمزاً يلوح في أفق التاريخ، فهو من أهم الأدوات التي يوظفها الشاعر في مختلف السياقات، فيخلط بين عالم الإنسان وعالم الطيور نتيجة لتوق الإنسان الدائم إلى التحرر من القيود بعيداً عن الزيف.

ومن ضمن السياقات التي تم توظيف دال "الطائر" فيها السياق التاريخي؛ حيث ينتقل الكاتب من الخاص إلى العام.. من أزمة الإنسان المصري إلى أزمة الإنسان العربي، فنراه يتطرق إلى الثورة الجزائرية "ثورة المليون شهيد"، وكيف يدفع الإنسان روحه ثمناً لحريته وحرية أهله ووطنه:

دفعوا ثمن القبلات لعشاق الغد
ثمن الأغنية الأولى في لحن لم يبدأ بعد
ثمن الجلسات الزرقاء على شاطئ نهر
ثمن الأجنحة المبسوطة للطير

ثمن الزرقة فوق جزائرهم

ثمن مناجمهم

ثمن العيد لميلاد الطفل الأول

ثمن الإنسان الضائع في قلب بلاده

ثمن دجاج الريف و ثمن جياده

إن تكرار اللفظة (ثمن) يعد تأكيداً لأهمية التضحيات التي قام بها الجزائريون لبلادهم، وكيف أنهم لم يبخلوا بروحهم في سبيل مستقبل أفضل لها، وبما أن بلادهم كانت تنن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، فإن الطير كان عاجزاً عن الطيران، فالمخلوقات باختلاف أنواعها تتشارك الفرح والحزن.. تتشارك النصر والهزيمة.

وكون الطائر أصبح عاجزاً عن الطيران يدل على مدى الذل والهوان الذي كان يعيش فيه الشعب الجزائري، فقد كانت أرواح الشهداء بساطاً حلفت فوقه أجنحة الطيور، فهم لم يحرروا الإنسان فقط بل حرروا الطيور أيضاً، وقد كانت عاجزة عن التحليق والطيران. وكأنه يتخذ من أرواح الشعراء ومن دمائهم مداداً يرسم به لوحة شعرية نابضة بالحياة، تنعكس فيها الحالة النفسية والوجدانية للشاعر في ترتيب تصاعدي (الطائر - الريف - القرية - الجزائر - الوطن العربي - الإنسانية).

إن الشاعر عندما يعني شهداء الجزائر إنما يعني الإنسان في كل زمان ومكان. كما أن تركيز الشاعر على اللون الأزرق إنما يرتبط بالطائر الذي يحلق تحت زرقة السماء وفوق زرقة البحر في لوحة بديعة فيها إسباغ السمات الإنسانية على الطيور. ليس هذا فحسب بل إن دجاج الريف - وهو رمز الخير والنماء - يشير إلى حنين الشاعر للقرية في كل بلد؛ فالريف جزء من القرية، والدجاج من مظاهر الخير فيه، فالشاعر يبحث عن القرية في كل مكان يشتم منه ريحها الطيب المليء بالخير.

الشاعر يجوب الأرض باحثاً عن بلاد تحررت يجعلها نموذجاً يشتم منه رائحة التفاؤل والأمل، فالشاعر يمتلك روحاً كونية تجوب الأمكنة، تجمع بين التاريخ والفضاء.. بين الأسطورة والعناء. هكذا يجب أن يكون الشاعر. فالإنسانية كلها واحدة والمعاناة واحدة وإن اختلفت البلاد وإن تعددت اللغات ستظل لغة الحرية واحدة ليست في حاجة إلى ترجمة.

أما في قصيدة "أغنية لجاجارين" يوجه الشاعر خطابه إلى الروسي "يوري جاجارين" (١٩٣٤م - ١٩٦٨م) الشخص الأول الذي ارتاد آفاق الفضاء محملاً بالآمال والطموحات والرغبة في التحرر من كل القيود التي تمتلئ بها الأرض. يرى فيه الشاعر مثلاً يحتذى به لكل إنسان لديه أحلام يود لو أن تصعد للسماء فيتحرر من الأغلال ويصبح - مثل جاجارين - نسرًا حراً طليقاً شجاعاً قوياً يمتلك مصيره بيده:

سألوني عنك في قريننا

سألوني يا ذراع الأقوياء

أي نسر يحصد الأحلام من كف الفضاء

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

تعزف الأرض لعينيك نشيد الكبرياء

الهتافات تعالت في حلق البسطاء

دق باسم الأرض أبواب السماء

يوجه الشاعر شعره إلى الإنسان الذي يحلم بأن يكون مثل الطير يسبح في الفضاء.. مثل النسر في قوته وجراته وقدرته، وفي الواقع لن يستطيع الإنسان أن يطير بكامل حريره مثل الطير؛ لأنه حتى وإن ارتاد الفضاء فسيظل مقيداً حبساً بالأجهزة والآلات.

إن تكرار الفعل الماضي الملحق بضمير جمع المذكر، ثم نسبه إلى الشاعر بضمير المتكلم (سألوني) في البيتين الأوليين من القصيدة إنما مرده إلى إصرار الشاعر على توصيل الرسالة التي يحملها والتي يرغب جلياً في أن يجد لها الجواب المناسب، كذلك يشير إلى حاجة الإنسان الدائمة نحو المعرفة والتطلع إلى القوة، وهو ما دفع الشاعر إلى وصف (جاجارين) بذراع الأقوياء؛ لأنه استطاع أن يحقق ما عجز عنه الآخرون، فهو رمز يوظفه الشاعر للإشارة إلى توق الإنسان الدائم إلى اختراق الحدود الفاصلة بينه وبين آماله وأحلامه وطموحاته.

والربط بين النسر وجاجارين يرجع إلى تأكيد رغبة الإنسان - الدائمة - في التحليق في الأفق بعيداً عن كل ما يعكر صفوه، كما أن توظيف دال (النسر) في مدار الاستعارة يكسب الأبيات جمالاً حين تكون أحلام الإنسان عصية على التحقيق؛ لأنها خارج الفضاء.. صعبة المنال.

ومن الجميل أن يربط الشاعر - في هذه القصيدة - بين (جاجارين) و(سيزيف) البطل الأسطوري الذي كان عقابه أن يحمل حجراً ويصعد به أعلى الجبل، ثم ما يلبث أن يصعد حتى يسقط بالحجر فيحمله ويصعد مرة أخرى، فيكون مصيره المعاناة المستمرة. فهو يمزج بين الإنسان وطموحه وبين معاناته الدائمة التي لا تنتهي، وهو ما أشار إليه "ميلتون" في فردوسه المفقود، لتصبح ثنائية (جاجارين وسيزيف) هي نفسها ثنائية (النسر واليمام):

أنت يا سيزيف من أوصل الصخرة كالباب المضاء

سوف لا تسقط يوماً

...

أنت جاجارين أنهيت لسيزيف الغناء

وستخطو

وستبقى

استخدام ضمير المخاطب المفرد المذكر يكسب النص حضوراً واستمرارية؛ فالخطوة سبيل البقاء، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة. وكيف أن الشاعر يصر على البقاء (وستخطو - وستبقى) فيبث من خلال الكلمات طاقة إيجابية لها تأثيرها الناجز في نفس المتلقي الذي يتبدل شعوره من اليأس لليقين بالنجاة. والقصيدة حافلة بمفردات الطبيعة التي يوظفها الشاعر رموزاً لتجسيد أحلام الإنسان ومعاناته داخل الأرض وخارجها (النجم - الشمس - النهر - الشاطئ).

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

وفي ظل النظرة الشمولية التي تسيطر على الشاعر في هذا الديوان، لم يغفل الشاعر ترميز (الطائر) في الإطار الديني، خاصة عندما يستدعي طائر "الحمامة" في قصة نوح - عليه السلام - والدور الذي قامت به، وذلك في قصيدة (قلبي وغازلة الثوب الأزرق):

قلبي كان حماماً يبكي في الغابات

يتعذب في عين الإنسان الواقف في وجه الشلالات

مذ كان يكافح أجنحة الليل تغطي كل الطرقات

مذ كان يناضل في السفح هدير الطوفان

لكن نوح بلغ الجبل الأعلى وانتصر الإنسان

أورق فوق السفح زمان

وارتاح القمر المجهد فوق الأغصان

لكن الفلك يدور

وتسقط في روما الغربان

أشعلها نيرون وراح يصفق

في روما يا غازلة الثوب الأزرق

كان فؤاد العالم يشهق

الرحمة كانت طيراً مغلولاً

يا نيرون ترفق

لكن الأحق ظل يغني للشيطان."

في هذه القصيدة يمزج الشاعر بين حكايات ثلاث، ويربط بين كل حكاية وبين طائر يراه مناسباً للدلالة المتعلقة بها؛ الأولى قصة النبي نوح - عليه السلام - ويوظف فيها طائر "الحمامة"، ثم قصة حريق روما على يد الإمبراطور "نيرون" (٩٣٧م-٩٦٨م)، ويوظف فيها طائر "الغراب"، ثم أسطورة "بنلوبي وأوديسوس" ويربطها بطائر "اليمام".

ولكن.. لماذا ارتكز تشكيل النص الشعري في هذه القصيدة على هذه الحكايات الثلاث على وجه التحديد؟ وما المغزى وراء الربط بين كل طائر وبين كل حكاية من هذه الحكايات؟.

في قصة نوح عليه السلام تؤدي "الحمامة" دور مرسال الخير والسلام، وبناءً على قولها سيتحدد مصير الأرض بعد أن أغرقها الطوفان، وراح النبي نوح (عليه السلام) في كل مرة يرسل الحمامة ليعرف ما إذا كانت الأرض قد جفت أم لا، إلى أن كانت النجاة. وطائر (الحمام) له دور مؤثر في السياق الديني؛ ولا يغفل دور الحمامة في تضليل الكافرين للانصراف عن مكان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذه الأدوار التي أدتها "الحمامة" عبر التاريخ جعلتها طائراً يتسم - غالباً - بالسلام والأمن وحب الخير.

أما (الغراب) فقد تم توظيفه في السياق التاريخي في حكاية (نيرون) وحريق روما، ولما كان الحدث الأول المرتبط بالحمامة يتسم بالإيجابية، فإن دور الغراب في هذه الحكاية يتسم بالسلبية ولا ينفصل هذا عن الثقافة الجمعية، فهو نذير شؤم في ثقافتنا الشعبية، كما أنه ارتبط في السياق الديني بأول قصة قتل في البشرية وهي قتل "قابيل" لأخيه "هابيل" وقد أرشد الغراب قابيل إلى كيفية التخلص من جثة أخيه هابيل.

ومن هنا يمكن الجزم بوجود رابط بين الشعر والدين فهما "يشتركان في أن كليهما يهتم بمشكلة الإيمان بالحياة، والربط بين الطبيعة العامة للحياة وبين الظروف المعيشية في زمان ومكان معينين، ولكن الشعر ليس هو الدين ولا هو بديل له".^(١) فالدين يمكن توظيفه في الشعر بموضوعاته ومضامينه كي يفيد منها المجتمع خاصة في المجتمعات العربية والشرقية التي يمثل الدين فيها قوة لا يستهان بها، فله قدرة فائقة على التأثير في عقول البشر واستمالتهم إلى موضوع ما.

و"هناك مظهر مهم من مظاهر الشعر الحديث، وهو اللجوء إلى الخرافة والأسطورة، إلى الرموز ولم تكن الحاجة إلى الأسطورة أمس مما هي اليوم... إن العناصر التعبيرية المباشرة قد فقدت فاعليتها وانسحبت إلى هامش الحياة، ومن ثم فإن الأسطورة - والأسطورة التي تتمثل في تحويل العادي إلى أسطورة - هما اللذان يعيدان الشعر إلى قلب الحياة النابضة بالحرارة وبراءة البكارة".^(٢) إن الشكل الخيالي للأسطورة يتجسد في الشعر على أرض الواقع عندما يربطه الشاعر بالمشكلات التي يكتظ بها المجتمع في محاولة للهروب من الواقع إلى الخيال من جهة، ولتسليط الضوء عليها بحيث يكون خطوة في سبيل حلها من جهة ثانية، ومحاولة الاهتداء بخطأ المحال عله يكون سنداً أمام الواقع المرير من جهة ثالثة. في قصيدة (قلبي وغازلة الثوب الأزرق) يجسد الشاعر أسطورة (بنلوبى) - ورحلة انتظار زوجها "أوديسوس" التي ظلت ثماني سنوات - بوصفها رمزاً للانتظار الإيجابي النهائية المتمثل في عودة الغائب "أوديسوس":

يا غازلة الثوب فؤادي يطلب ثوباً
فإذا ما كانت ستنظرين الغائب أوديسوس
فأنا أيضاً أنتظر الغائب
فوراء غيوم الأفق تلوح عيون الذهاب
مازال يجاهد موج البحر
وسيرسو يوماً أقوى من هذا الصخر
سيعود يمام القرى يا بنلوبى
والإنسان المجهد لن تهلكه الشمس"

(١) ستيفين سبندر - الحياة والشاعر - ترجمة: محمد مصطفى بدوي - طبعة مكتبة الأسرة - ٢٠٠١م - ص ٨٤

(٢) صلاح فضل - أساليب الشعرية المعاصرة - دار الآداب - بيروت - لبنان - ط١ - ١٩٩٥. ص ٧٩

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

السياق السابق - الذي وظف فيه اليمام- يتسم بالإيجابية والتفاؤل، إن اليمام معادل لـ "أوديسوس" الذي يطمح في العودة لزوجته ووطنه بعد طول غياب. وأسطورة "بنلوبي" في الديوان تبدو وكأنها عملية مكساج mixage؛ أي أن الشاعر ربط فيها بين الشخصيات والأحداث واللون والصمت كي تبدو قصة متجانسة العناصر.

ومن هنا تتعكس الدوال الماثلة في عنوان القصيدة - وهو العنوان نفسه الذي يحمله الديوان- حيث يحمل مرموزات غائرة في قلب النص الشعري، وتتمثل دوال العنوان في:

- قلبي: والقلب هو مصدر الحب والعاطفة.. مصدر الإحساس والشعور. وربطه بضمير المتكلم يمنحه حضوراً وفاعلية ناجزة في النص الشعري، كما يمنحه شفافية ومصداقية عندما يكون الحديث بلسان حال الشاعر.

- غازلة: اسم فاعل يرمز لأسطورة "بنلوبي" التي تستمر في فعل الغزل الذي لا ينتهي، هي في مرحلة التأهب والاستعداد لاستقبال الزوج والحبيب الغائب، مثلما ينتظر الشاعر عودته إلى قريته واستعادة وطنه من قبضة المحتلين.

- الثوب: هو المظهر.. الشكل الخارجي.. السترة، والثوب في مرحلة الغزل، لم يكتمل بعد، فهو في حاجة ملحّة إلى دفعة داخلية شعورية. إن الثوب هو النسيج أي النص الشعري، ومن هنا يمكن الربط بين هذا الثوب وبين اليمام الذي يعد معادلاً سيميائياً للكلمات الشعرية المحلقة في فضاء النص بلون الأزرق الممتد في الأفق لتحلق فيه الكلمات التي تتخذ من اليمام استعارة لها، وهذه القراءة لا تنفي ارتباط الثوب الأزرق بالفلاح المصري بحيث تصبح الغازلة للثوب هي قرينته.

من هذا المنطلق تصبح القصيدة معادلاً تشكلياً للقرية، فيلتبس الشاعر في أفق قصيدته مساحة من الحرية والجمال تحلق فيها كلماته التي تتخذ من اليمام معادلاً تشكلياً. واليمام في القرية رمز للبشر، وفي القصيدة رمز للكلمات، وعند الشاعر تلتقي المرجعيتان الواقعية في النشأة الريفية، والفنية في فضاء التشكيل الشعري، يضاف إلى ذلك أن غازلة الثوب الأزرق التي تنتظر بطلها "أوديسوس" في الملحمة اليونانية ليست سوى القرية المصرية التي تنتظر شاعرها الذي يخوض رحلة وجوده في العاصمة.

- الأزرق: له دلالات مختلفة، فهو أيقونة بصرية ثقافية لها دلالات تتراوح بين السلبية والإيجابية إلا أنه - في هذا الديوان - تغلب عليه السلبية.

أما في قصيدة (الأغنية المرحّة) فيوظف الشاعر أسطورة (إيزيس وأوزوريس) الثنائية الشهيرة في تاريخ مصر القديمة، ولا نغفل كون "حورس" ابنهما وثالثهما الذي نجده مرسوماً على الجدران في المقابر رأسه على هيئة طائر "الصقر"، الذي يرمز عند القدماء المصريين للقوة والهيبة والصلابة، وتعيش الزوجة "إيزيس" على أمل عودة زوجها الذي افترسته قوى الشر الممثلة في الأخ (ست) كما يعيش الشاعر على أمل عودته إلى قريته واستعادة وطنه من براثن المحتلين:

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - الطائر "علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

كانت إيزيس الحائرة الثكلى
تندب: "لم تعبر شمس أفقا منذ تولى
منذ رحلت بعيدا يا أزوريس الأخضر

...

لكني لن أترك أشجار الصبار بأرضي
لن أتركها تنمو
كالأجنحة الليلية فوق الموتى

...

عد لي يا أزوريس الأخضر
عد لي فك حناجر كل الطير

أما في قصيدة (النهر والذين يعبرون) يرمز الشاعر إلى طائر "العنقاء" - وهو طائر خرافي -
بشكل غير مباشر يعتمد على الإيحاء والدلالة، وتسود هذه القصيدة أجواء اليأس والحزن، وتخيم عليها
النظرة السوداوية من بشر (عيونهم فجيلة - يعصبون حزنهم - يكفكون العبرة)، فالحزن صديقهم،
وأحلامهم سفينة متقوبة والطفلة الصغيرة مذعورة كالأرنب لا يأس في عيونها ولا أمل والمدينة
حزينة:

قابلتهم هناك في الميدان في الزحام
مقاتل بصدرة رسائل الغرام
وحبه العميق للحياة
ويحفر التراب في صلاة
يخبئ الرسائل المهداة
لكنما التراب لا يطيق
فالحب كالضياء يكره القبور
وفجأة يجيء طائر من نار
وتختفي رسائل المحارب المغوار
ويختفي...

و"العنقاء" طائر أسطوري نسجت حوله العديد من الحكايات والقصص وهو يرمز للقوة والتجدد،
وهذا الطائر يمثل التمسك بالموروث؛ فالتقافة الإنسانية حافلة بأنماط من الشخصيات الاعتبارية التي
يسوق الشعراء على ألسنتها - ومن خلالها - حكمهم وتجاربهم. فهذا الطائر من نار عندما أخذ رسائل
الحب اختفى معه كل جميل وصارت الحياة قاسية أليمة. فالشاعر إنما يؤسس قصيدته على استنفار
الحس الإنساني الحزين عن طريق العنقاء.. طائر من نار الذي لم يصرح به الشاعر ولكنه ذكر
وصفه.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

أما في قصيدة (رسائل إلى حبيبة غائبة) يربط الشاعر - معتمداً على الرمز - بين طائر
"الحمام" وفعل الرجوع في دلالة إيجابية فيها نظرة تفاؤلية للمستقبل:

حمامة تشير لي سترجين

ولا نغفل ارتباط "الحمام" بالقرى بشكل كبير، والقرية هي الأم الحانية التي يفتقد الشاعر
أحضانها الدافئة، ويرى فيها حبه الأوحده فهو يبكي قريته بكل مفرداتها. ويعد الحمام واليمام أهم هذه
المفردات التي تقف على أطلاله المعذبة. إن العالم الماضي ينعكس في رمز الطائر المحلق بحرية في
أفق بلا حدود يماثل المخيلة الشعرية من ناحية والقصيدة التي لا نهاية لمعانيها الكامنة في الصور من
ناحية أخرى.

وحب القرية لا يتمثل في شعر "أبي سنة" فقط، بل إن موضوع القرية موجود عند أغلب شعراء
الحدائث؛ فمن الطبيعي أن تتشابه تجارب الشعراء الريفيين المهاجرين إلى المدن العربية في طبيعة
الصدمة إن حدثت فهي دائماً تعبير عن الاغتراب النفسي والاجتماعي الذي أصابهم ولكنها تتفاوت في
العمق والمدى^(١).

إن دال (الحمامة) ينتقل من المستوى الأيقوني إلى المستوى المؤشري إلى المستوى الرمزي
بفعل التعارف المجتمعي والاتفاق البشري في كونه دالاً على السلام والطمأنينة والهدوء النفسي
والاجتماعي، "ولا شك أن تشكيل القصيدة يعد جسراً للعبور إلى الرؤية الشعرية التي تعلن موقف
مبدعها، وهذا المبدع ذات فردية ولكنه يمتلك وعياً إنسانياً عالياً يتم تمييزه بصورة مستمرة بحكم
المعيشة الروحية والذهنية والوجدانية للعالم اللغوي العاكس للوجود كما تراه الجماعة الإنسانية التي
يمثلها هذا الشاعر"^(٢). أي أن المخيلة الشعرية الناطقة بالقصيدة هي الذاكرة البصرية للجماعة وخزانة
رموزها الثقافية.

والشاعر يوظف طائر "الحمامة" رمزاً للسلام في مواقف متناقضة: "حمامة تشير لي سترجين
- ووجهها حمامة تموت في الشفق.... إلخ) فرجوع الحمامة هو رجوع السلام والأمن، وموتها يعد
موتاً لكل ما هو جميل.

ومن هنا يتوافر في نص "أبي سنة" الشعري تلك القوى الثلاث التي أشار إليها "القرطاجني" حين
قال: "لا يكمل الشاعر قول على الوجه المختار إلا بأن تكون له قوة حافظة، وقوة مائز، وقوة
صناعة"^(٣). وذلك في إطار حديثه عن ماهية الذاكرة الشعرية التي تعد مستودعاً يحفظ فيه الشاعر
مخزونه الفكري بثنتي أنواعه فيقول: "فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة، ممتازاً

(١) إحسان عباس - اتجاهات الشعر العربي المعاصر - عالم المعرفة - ١٩٧٨ - ص ٩٤

(٢) د/ سيد محمد قطب - ما وراء التمثيل الرمزي - دراسات في سيميوطيقا القصيدة - ص ١٦

(٣) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة - بيروت - دار الغرب
الإسلامي - ١٩٨٦م - ص ١٩.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف

بعضها عن بعض، محفوظاً كلها في نصابه، فإذا أراد أن يقول غرضاً ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك وجد خياله اللائق به قد أهبطه القوة الحافظة بكون صور الأشياء مترتبة فيها".^(١) وبعد أن يستخرج من ذاكرته المخزون الفكري المناسب للموضوع وللغرض الشعري، يميز بين هذه الأفكار ثم يقدمها في صناعة شعرية محكمة.

وفي قصيدة (الوباء واليمام المهاجر) نجد الشاعر يقيم حواراً خفياً بين الطيور بوصفها معادلاً للبشر؛ فاليمام يعد رمزاً للطيبة وعشق المكان والقرية وقلة الحيلة، بينما الصقور هي رمز الشراسة والقوة. ويمثل البوم رمزاً للتطير والشؤم. لذلك نرى الشاعر يربط بين كل دال وما يناسبه من دوال تتفق في إنتاج الدلالات المتوافقة والمتناغمة؛ فالصقور (تغتال) والبوم (الحزن) اليمامة (الطفل) والنسور (تقتات) اليمام، والجناح (وثير كسير).

أما في قصيدة (حكمة هذا الدهر) يوظف الشاعر (الصوت) ليرمز من خلاله إلى أيديولوجيا القصيدة:

١- كان غرامهما طيراً يتغنى في شطآن القنوات

٢- مازال الصوت المجهد مرتعشاً في أجنحة الليل

إن "الصوت" إما أن يكون رمزاً للسعادة وذلك عندما يكتسب سمة التغريد، وإما أن يكون مجهلاً مرتعشاً عندما يرمز للضعف والخوف. فهو من التقنيات التي يلجأ الشاعر إليها لعكس الحالة الشعورية السائدة، وهو ما نجده في قصيدة (حكمة هذا الدهر) التي يجعل الشاعر تغريد الطيور فيها رمزاً للسعادة والفرح (كان غرامهما طيراً يتغنى في شطآن القنوات)، وفي قصيدة "لا تسألني" (والطير لا تكف عن غناء).

كما يوظف الشاعر (الصوت) بشكل مختلف عندما يلجأ إلى الإشارة إلى طائر ما من خلال صوته، وهو ما نجده في قصيدة (الذين يسرقون حبكم)، حيث يرمز الشاعر لطائر الغراب بشكل غير مباشر من خلال النعيق (صوت الغراب)، وهكذا يكون الشاعر قد وظف الصوت واللون والحركة والفعل أيضاً:

يعانقون خوفهم

وربما قد ينعقون بالغناء

لا تسمعوا نشيدهم

كما يقول في قصيدة (ترحمي عليه):

فإن رأيت يا بليدة الإحساس

والمساء يعتري المكان، طائرا نعق

(١) المرجع السابق - ص ٤٢

وإن رأيت قطعة من الربيع داسها البلى

...

ترحمي عليه واذكري بأنه

من أجل شاطئ على العيون شاعر غرق

إن طائر (الغراب) له مكانة في الإطار الديني تختلف عن صورته في المرجعية الفكرية المجتمعية، "فلولا أن للغراب فضيلة وأموراً محمودة وآلة وسبباً ليس لغيره من جميع الطير لما وضعه الله تعالى في موضع تأديب الناس، ولما جعله الواعظ والمذكر بذلك وقد قال الله عز وجل: "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَ أَخِيهِ". فأخبر أنه مبعوث، وأنه هو اختاره لذلك من بين جميع الطير".^(١)

وقد فضل الشاعر ربطه بالإطار الاجتماعي الذي ينظر إلى هذا الطائر نظرة سلبية فهو "أسود محترق، قبيح الشمائل، رديء المشية، ليس من بهائم الطير المحمود، ولا من سباعها الشريفة، وهو بعد كطائر يتكبد به ويتطير منه، أكل جيف، رديء الصيد".^(٢)

وكما وظف الشاعر (الصوت) يوظف الشاعر (الصمت) المقترن بالطائر الذي يعد رمزاً للحزن؛ فمن سمات الطيور أنها تغرد فرحة، وتخلق في الفضاء محتفية بالحرية والسعادة، فتغريدها غناء، أما صمتها فوباء، فيقول في قصيدة (عندما نكون وحدنا):

كطائرين صامتين في عيوننا

"والصمت هنا صمت درامي، بمعنى أنه يجسد مرحلة من مراحل الحدث الدرامي يجاوزها الشاعر طلباً لمرحلة أكثر إيجابية وهي القول، ثم يجاوزها مرة أخرى طلباً للحل الذي يراه للصراع الدرامي".^(٣) إن الشاعر قد يعكس الصمت بطريقة مختلفة كما في قصيدة (الأغنية المرحلة) التي يوظف فيها صمت الطيور باستخدام المجاز، فيقول على لسان (إيزيس) لزوجها المنتظر:

عد لي يا أوزوريس الأخضر

عد لي فك حناجر كل الطير

وكأن حناجر الطير مقيدة.. ممنوعة من التغريد والغناء ولذا فهي صامتة.. ممنوعة من الانطلاق. كما يجمع الشاعر بين الحركة واللون والصوت في قصيدة (مرثية شهداء الجزائر) في صورة مكثفة الرموز ومتعددة الدلالات:

١- ثمن الأجنحة المبسوطة للطير

(١) الجاحظ- الحيوان - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - ط٢ - ١٩٦٥م - مصطفى البابلي - مصر - ج ٣ - ص ٤١١

(٢) السابق - ص ٤١٢

(٣) أسامة فرحات - المونولوج بين الدراما والشعر - طبعة مكتبة الأسرة - ص ٢١٧

- ٢- ثمن دجاج الريف و ثمن جياده
 - ٣- حتى الطير بنى عشا من حزنه
 - ٤- وجزائرهم كانت فرخ يمام أخضر
 - ٥- ولد يتيما في منقار الصقر
 - ٦- سندوا ببريق خناجرهم أجنحة الفجر
- أما قصيدة (يتيمة) فيرمز فيها الشاعر لثنائية المهمشين الضعفاء والمفترسين الأقوياء بالدجاجة والذئب:

ما زلت يا صغيري أقل من خفوق قلب

مازلت لا تعلمين أن عالمي

دجاجة وذئب

يمامتي لا تألفي الدموع"

إن الدجاجة في ثقافتنا تعد رمزا للخنوع والخضوع والاستسلام، بينما يرمز الذئب للاقتراس والغدر، أما اليمام فرمز الأمان والسلام، فالتأزر بينها يحقق الوظيفة المبتغاة وهي تجسيد الوضع الذي لا يتكشف إلا باستحضار معجم مفردات الشاعر ومتابعة سياق القصيدة، فالألفاظ مقتعة بالرمز والإيحاء ذات الطبيعة المحايثة للدلالة الأصلية.

ويبدو "أبو سنة" في الديوان بأكمله رمزا للطائر الذي يحلق في الأفق، ويرى العالم من أعلى بنظرة شمولية محقة فيما يطلق عليه bird eye shot أي مشهد/ لقطة عين الطائر، وهو مصطلح سينمائي يعطي معنى النظرة المرتفعة التي تجعل صاحبها يرى كل شيء من مكان مرتفع وكأنه طائر محلق، وهو في لغة السرد قريب من مصطلح الراوي العليم الذي يعلم كل شيء عن شخصياته حتى ما يدور داخل أذهانهم.

إنه البيان.. "كل إشارة تعبر عن النشاط الانفعالي والذهني للإنسان، ويتجمع كل نوع من الإشارات معاً في السياق الاجتماعي، فيتأسس بهذا الإدراك الجمعي نظام يمكن أن نطلق عليه الأبجدية البيانية، وكل أبجدية تتكون من وحدات تعبير وتواصل لها رموزها وعلاقاتها ودلالاتها".^(١) وهذه الأبجدية الجمالية هي أدوات الشاعر التي يوظفها من ناحية ويعيد تفريغها دلاليًا وتحميلها بمكونات جديدة تستطيع أن تحتويها وتعد إطاراً لمعانيتها وأفكارها من ناحية أخرى.

إن قصائد ديوان أبي سنة تعكس التحول الملحوظ في دلالات الدوال وترابطها الملازم لطبيعة الحدث ووظائفه وقرائن الشخصيات المشاركة، إن هذا التحول يعد معادلاً للتغير الوظيفي لتوجهات الشاعر العربي من المدح والهجاء في التراث إلى الابتعاد عن مراكز السلطة في العصر الحالي، فـ

(١) سيد محمد السيد قطب - ما وراء التمثيل الرمزي - دراسات في سيميوطيقا القصيدة - دار الهاني - ط١ - ٢٠١٣م - ص ٤

"كان على الشاعر أن يمارس لونا آخر من الوظائف الاجتماعية والجمالية، فأصبح يعشق الفلسفة والفكر، ويبني عالماً يتغنى فيه بالحرية ومنظومة القيم الإنسانية، أصبح يتخذ موقفاً من الكون والوجود، من التاريخ والواقع، من حركة المجتمع وإيقاع الحياة. وأصبح يتطلع إلى دور يمارس فيه سلطة الفن وزعامة الإبداع".^(١)

وصدق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) حين قال: "إنَّ من البيانِ لسحراً".

خاتمة

تبين من خلال الدراسة كيف كان الديوان الأول لأبي سنة حافلاً بأنماط متعددة من التوظيف لهذا الدال (الطائر) بوصفه عنصراً أساسياً من عناصر الطبيعة التي يحفل بها الديوان، والتي أقر الكاتب في أكثر من حوار تعلقه الدائم بها وبعنصرها كافة.

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج وهي:

١. إن صورة "الطائر" في شعر "محمد إبراهيم أبي سنة" متنوعة الدلالات، ومتداخلة الأنماط تتجاذبها موضوعات شعرية متعددة، ويتم توظيفها لغايات دلالية متباينة. ويتم هذا التوظيف الشعري عبر أدوات فنية تجمع بين ألوان البيان المختلفة وفق منهجية قائمة على أساس التشكيل الشعري.

٢. توظيف هذا الدال المخلق في أفق النص الزاخر بألوان الطبيعة وصورها المنمقة غير التقليدية، جاء على أبعاد ثلاثة مستندة على منهج "بيرس" السيميوطيقي. وقد تخلص كل بعد إلى مجموعة من النقاط.

٣. في البعد/ المستوى الأيقوني، بدا هذا الدال مرتبطاً بشكل مباشر بمخيلة الشاعر وبوضعه الاجتماعي، وأصوله الريفية التي يستحيل انتزاع هذا الدال منها، ومن الصورة الطبيعية المؤلفة لهذا التشكيل الشعري الثري، ولم يخرج "الطائر" عن مجرى السياق الموضوعي وقالب القصيدة، وإن كان مجرى القصيدة - على هذا المستوى - يسيل في فرعين هما الوضع المجتمعي الخاص، والآخر السياسي العام، ثم يصبان في النهاية في دائرة التوظيف الفني الذي يعكس الحس الشعري الجمالي.

٤. أما على مستوى المؤشر، فقد بدا الطائر محلقاً في فضاء النص الشعري، ورابطاً بين أيولوجيات متعددة، يتضح من خلالها ماهية الصراع الداخلي الذي يعيشه الشاعر والمجسد في ثنائية القرية والمدينة. وعلى هذا الأساس يتم توظيف هذا الدال بوصفه صورة شعرية لها مفرداتها وأبعادها من ناحية، وبوصفه لوحة فنية يتصارع فيها أكثر من عنصر من ناحية ثانية.

(١) صلاح فضل - تحولات الشعرية العربية - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٢م - ص ١٢

٥. في المستوى الرمزي يتم توظيف دال "الطائر" بوصفه ركيزة مهمة في المنظومة الثقافية التي أنتجت عديداً من السياقات والأحداث المتشابكة، كما تستند على عدد من الموروثات التاريخية والقصصية التي تتدرج تصاعدياً بدءاً من القرية، ثم ينتهي المطاف إلى الوضع العالمي الذي يعج بالصراعات البشرية على مدى الأزمنة وعبر العصور المختلفة.

٦. تتأسس فلسفة الصورة الشعرية التي يكون الطائر محوراً على التكامل الفني بين الفنان والطبيعة التي تؤدي دوراً مهماً في عملية إنتاج الدلالة. وعلى الرغم من اختلاف المستويات والأبعاد التي يدور هذا الدال في فلكها، فإنها في النهاية تصب في بوتقة الشاعر الذي ينتقي ألفاظه بحيث يعكس من خلالها أبعاداً حسية ونفسية واجتماعية وفكرية وثقافية وسياسية لها دورها في الأبجدية التعبيرية الفنية.

٧. تتأسس بعد قصائد الديوان الحاملة لدال "الطائر" على عنصر الصراع الذي نتلمسه في تلك العلاقات الإنسانية والاعتبارية غير الإنسانية؛ فالصراع عند "أبي سنة" لا يقتصر على النوعين الداخلي والخارجي؛ بل نجده بين الطيور وبعضها البعض، أو بين البشر وبعضهم البعض، أو بين الطيور والبشر. فهو مترامي الأبعاد، وقد يتخذ الشاعر من قصيدة ما موقفاً واحداً له مستويات دلالية مختلفة. كما يحفل الديوان بعنصر "الحوار" ودوره في ديناميكية النص الشعري عبر تلاؤم عناصر الأحداث والشخصيات والزمان والمكان التي يحفل بها الديوان، حيث ترتدي القصيدة - عند أبي سنة - ثوب القصة؛ فتتلاحم عدة عناصر قصصية فيها تجعلها أقرب لمصطلح القصة الشعرية.

إن شعر "أبي سنة" مازال حافلاً بالعديد من الموضوعات التي يوصي البحث بضرورة التطرق إليها؛ لأنها تغري الباحث بالدراسة والبحث والتنقيب في عوالمها الحافلة بالصور والإيحاءات والرميزات بطبيعتها المباشرة أو المراوغة، وغيرها من وسائل التعبير التي تغني الثقافة المجتمعية الحافلة بالخرين التاريخي والتراثي والشعبي والفكري والإنساني، والتي يتعين استغلالها في الدراسات النقدية، كما يتوجب تغذيتها بالتنقيب في عوالمها السطحية والداخلية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

محمد إبراهيم أبو سنة - قلبي وغازلة الثوب الأزرق - دار غريب - ط ١ - ١٩٦٥ م.

ثانياً: المراجع العربية

١. إحسان عباس - اتجاهات الشعر العربي المعاصر - عالم المعرفة - ١٩٧٨ م.
٢. أسامة فرحات - المونولوج بين الدراما والشعر - طبعة مكتبة الأسرة - ٢٠٠٥ م.
٣. جابر عصفور - الصورة الفنية - المركز الثقافي العربي - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٩٩٢ م.
٤. جابر عصفور - النقد الأدبي مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي - دار الكتاب المصري - ودار الكتاب اللبناني - ط ١ - ٢٠٠٣ م.
٥. الجاحظ - كتاب الحيوان - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - ج ٣ - ط ٢ - مصطفى البابلي - مصر - ١٩٦٥ م.
٦. حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ١٩٨٦ م.
٧. سيد محمد السيد قطب - ما وراء التمثيل الرمزي - دراسات في سيميوطيقا القصيدة - دار الهاني - ط ١ - ٢٠١٣ م.
٨. سيد محمد السيد قطب - محمد إبراهيم أبو سنة - شاعر القصيدة الخضراء - صالون غازي الثقافي - الكتاب الحادي عشر - ط ١ - ٢٠٠٧ م.
٩. صلاح فضل - أساليب الشعرية المعاصرة - دار الآداب - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٩٩٥ م.
١٠. صلاح فضل - تحولات الشعرية العربية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٢ م.
١١. صلاح فضل - شفرات النص - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٥ م.
١٢. عبد الحكم العلامي - محمد إبراهيم أبو سنة - الخطأ والأثر - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ط ١ - ٢٠٠٧ م.
١٣. عز الدين إسماعيل - آفاق معرفية في الإبداع والنقد والأدب والشعر - النادي الأدبي الثقافي - السعودية - ٢٠٠٣ م.
١٤. عز الدين إسماعيل - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - دار الفكر العربي - ط ٣ - د.ت.
١٥. محمد عبد المطلب - بناء الأسلوب في شعر الحداثة - التكوين البديعي - القاهرة - النشر بمعرفة المؤلف - رقم إيداع ١٩٨٨ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة

١. ثيوفان ليفن - الخطاب باعتباره إعادة تشكيل سياق الممارسة الاجتماعية - ضمن أبحاث كتاب - مناهج التحليل النقدي للخطاب - تحرير: رون فودال وميشيل ماير - ترجمة: حسام أحمد فرج وعزة شبل محمد - مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف - المركز القومي للترجمة - القاهرة - العدد ٢٠٨٨

**جسور (نشرة غير دورية محكمة) - "الطائر" علامة ثلاثية الأبعاد في التشكيل الشعري
لديوان "قلبي وغازلة الثوب الأزرق" لـ "محمد إبراهيم أبي سنة" نهى عبده يوسف**

٢. جوناثان كولر - مدخل إلى النظرية الأدبية - ترجمة: مصطفى بيومي عبدالسلام - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - المشروع القومي للترجمة - العدد ٥١٤ - ٢٠٠٣ م.
٣. جون ميلتون - الفردوس المفقود - ترجمة: حنا عبود - وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق - ٢٠١١ م.
٤. دانيال تشالندر - معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) - ترجمة: شاكراً عبد الحميد - أكاديمية الفنون - ٢٠٠٠ م - ص ١٢
٥. ستيفين سبنر - الحياة والشاعر - ترجمة: محمد مصطفى بدوي - طبعة مكتبة الأسرة - ٢٠٠١ م.
٦. هيو سلفرمان - الهرمنيوطيقا والتقنيكية - ترجمة: حسن ناظم - الدار البيضاء - ط ١ - ٢٠٠٢ م.

رابعاً: الدوريات

١. حسن البنا عز الدين - بول ريكور: مكانته في النقد الأدبي - ضمن أبحاث كتاب أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي - القاهرة - أكتوبر ١٩٩٧ م - إشراف: عز الدين إسماعيل - بالتعاون بين جامعة عين شمس والجمعية المصرية للنقد الأدبي - المجلد ٢.
٢. حميد لفريخ - التمثل المعجمي وأوليات النفاذ إلى الكلمات - مجلة عالم الفكر - الكويت - العدد ١ - المجلد ٤٢ - سبتمبر ٢٠١٣ م.
٣. رولان بارت - لذة النص - ترجمة: محمد الرفرافي ومحمد خير بقاعي - مجلة العرب والفكر العالمي - مركز الإنماء القومي - بيروت - لبنان - العدد ١٠ - ربيع ١٩٩٠ م.
٤. ستيفن ميلفيل وبيل ريدينجز - الرؤية والنصية - ترجمة: سيد عبدالله - مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - العدد ٦٢ - صيف وخريف ٢٠٠٣ م.
٥. ظافر كاظم عبدالرازق - مفهوم العلامة ودراساتها بين التراث العربي وعلم العلامات - ضمن أبحاث مجلة متون - دار الكتب للنشر والتوزيع - القاهرة - العدد ١ - أكتوبر ٢٠١٥ م.
٦. فتحي أبو العينين - هابرماس وتحرير الوعي الاجتماعي - مجلة إبداع - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مايو ١٩٩٨ م.
٧. محمد إبراهيم أبو سنة - مجلة الشعر - حوار أجراه الشاعر عماد غزالي مع أبي سنة العدد ٧٥ - يوليو ١٩٩٤ م.
٨. ميشيل ريفاتير - تفسير الظواهر الأدبية - ترجمة: سيد إمام - مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - العدد ٩٣ - ربيع ٢٠١٥ م.

خامساً: المراجع الأجنبية

T.S.Eliot-On Poetry and Poems-London-1979-P 95

المكان والهوية في "الأسود يليق بك" رؤية سردية

سعاد أمين

وطني وأنا
في قيدٍ واحدٍ:
من أين لي أن أنفصلَ عنه؟
كيف يمكنُ ألا أحبه؟
أدونيس

إنها الأماكن نسكنها وتسكننا؛ فالوطن مكان نحيا به ويحيا داخلنا، تتشكل رؤانا وآراؤنا من جغرافيته وما تتضمنه من جبال ووديان وصحاري وسهول. الجزائر قطر عربي شقيق يقع في الجهة الغربية لبلدنا الحبيب (مصر). عرفناه صغارا ببلد المليون شهيد، وعرفناه كبارا وقد تصارعت السياسة والتطرفات الدينية حتى أوشكت أن تهدد أمنه وسلامته .

وقد انبرت مجموعة من الأدباء في تصوير تلك الحقبة الزمنية - التي يمتد فضاؤها الزمني من تسعينيات القرن الماضي حتى الآن؛ إذ تعاود الظهور من آن لآخر - في أعمالهم الأدبية على اختلاف أجناسها؛ قصة، رواية، مسرحية أو قصائد شعرية. وتتحول الجزائر إلى فضاء مكاني - منطلقا ونهاية - تدور فيه أحداث قصصهم، ويتحرك أبطالهم، وتتصاعد فيه الأحداث نموا واطرادا حتى تبلغ ذروتها مؤذنة بالانفراج والنهاية.

أحلام مستغانمي كاتبة جزائرية جعلت الوطن والاعتزاز بمكانته وهويته شغلها الشاغل، تكتب عنه بأنامل رقيقة وكلمات عذبة، وشخصيات تستمد وجودها وعزتها وكرامتها من وجود تراب أرضها وعزته وكرامته.

"الأسود يليق بك" رواية أصدرتها مستغانمي في ١٢ / ١٢ / ٢٠١٢م قراءتها مرة واحدة قد تعطي انطباعات خاطئة حول علاقة هامشية بين محوري الحدث، بيد أن إعادة قراءتها تفتح دلالات جديدة في كل قراءة مبرزة ما وراء الكلمات والشخصيات من مفاهيم ومضامين حول أفكارها وآرائها. وأرى أن التحليل السردى والتناول النقدي لتلك الرواية يبرز لنا كاتبة ترى الوطن بعيون حالمة تقترب من الواقع أو تبتعد عنه، لا يهم؛ فالغاية نبيلة والهدف كريم.

تتنوع الأشكال الأدبية ما بين عرض ووصف وسرد وجدل، ويأتي السرد ضمن أشكال البيان الإنساني التي تعلمها البشر للتعبير عن إدراكهم لماهية وجودهم وكيوناتهم؛ فالإنسان عن طريق السرد؛ التاريخي والديني والسياسي والثقافي وأخيرا الأدبي يشكل صورة عن نفسه ومجتمعه وتاريخه وقيمه وموقعه، وعن الآخر وكل ما يتصل به أيضا. إن السرد هو الوسيلة التي يستعين بها الجميع دون استثناء في البوح والتعبير عن أنفسهم وعن غيرهم.

وكما ذكر إدوارد سعيد أن الأمم ذاتها تتشكل من "سرديات ومرويات"^(١). إنه صياغة لنصوص لغوية تحقق المحاكاة لمواقف ورؤى تتفق وتختلف وتتوحد وتتوحد فضاءهم المكاني والزمني. وتوظف المفردات اللغوية في تشكيل عالم قصصي فيه عناصر موازية لعناصر العالم الكوني والاجتماعي والنفسي الذي تحيا فيه الذات الساردة/ الراوية الممثلة في كتابة النصوص السردية للوعي الجمعي انتماءً أو اغتراباً.

السرد بصفته خطاباً قائماً على الاستبدال والتركيب: استبدال عناصر حكاية: أحداث درامية وشخصيات فاعلة تتنازعها الأفعال والأقوال، وأفضية تحيط بالأفعال والفاعلين والأشياء. ثم تركيب هذه العناصر معاً في متواليات متتابعة؛ زمانياً أو منطقياً، مثل الجملة التي تلتحم عناصرها مكونة وحدة دلالية تصل بين عقليين؛ السارد والمتلقي وتقرّب بين أمرين؛ المقصد والهدف وتجمع بين السرد/ الحكي والوصف/ التصوير. إن السرد هو عملية ضم الحكايات في عقد واحد كل حكاية تمثل قطعة جمالية يتناولها السارد في خيطه الواصل بين الوحدات الحكائية مشكلاً قطعة جمالية يتناولها المتلقي بذائقة جمالية مفصلاً إياها موضحاً دلالاتها، مضيفاً إليها ما يراه من وسائل وتقنيات تبرز الخفايا ودقائق الأشياء.

"الأسود يليق بك" مكون سردي يجمع بين جنباته حكايات وشخصيات وأفعال يضمها إطار يجعل منها قطعة حكاية واحدة تتناول العلاقة بين الهوية والمكان وتأثر الذات بالمكان الذي تحمله بين جنباتها ويتبدى في خلجاتها مهما تباعدت المسافات والأزمان.

العنوان أولى عتبات النص ودلالة اللون:

ازدانت الطبيعة بالألوان فكانت مرادفاً للبهاء وعنواناً للجمال تدركه العيون فيتسرب خدراً داخل الروح فيشع نشوة وانسجاماً. وتلك واحدة من آيات الله في خلقه وإبداعه في كونه تتجلى فيها قدرته تبارك وتعالى في بديع صنعه وخلقته، قال الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"^(٢).

إن حضور الألوان في حياتنا أمر بالغ الأهمية؛ ذلك أنها تضيف على الأشياء جمالاً وسحراً أخاذاً، وتعطيها معانٍ ودلالات تميزها عن غيرها؛ حيث الإدراك بتفعيل الحواس نعمة إلهية تميز الإنسان عن غيره من الموجودات. ولنا أن نتصور العالم من حولنا مجرداً من الألوان، كيف يرى؟ كيف يحس؟ إنه فرضية مألها عالم مثير للكآبة والملل والسأم. إنه الفارق بين الرؤية وعدميتها، بين الإدراك المصحوب بالدليل والقائم على التخمين والظن. هذا التنوع الإلهي اللوني من حولنا؛ أحمر، أصفر، أخضر، أبيض، أسود، يشكل أولاً قدرة الله وإبداعه في خلقه، وثانياً المصدر الأول للجمال، مما يبعث على البهجة والمتعة البصرية؛ لذلك لا نبالغ إذا قلنا إن الألوان متعة العين وبهجة القلب.

والتفضيل الشخصي للألوان داخل مجتمع ما يؤدي إلى تشكيل ذائقة عامة في التعامل مع الألوان بما يجعل هذا المجتمع يختلف عن سائر المجتمعات الأخرى في تفضيله اللوني ويشكل بُعداً من أبعاد هويته، وجزءاً صميماً من ملامحه الحضارية، الثقافة اللونية بما يشوبها من تفضيل لوني للون على حساب آخر لا تولد بين عشية وضحاها، بل هي وليدة تاريخ طويل يرتبط بأحداث ومراحل مرت بها تلك الأمم وأسهمت في وسمها بما يميزها عن غيرها، وأكثر من ذلك قد يرتبط بالجانب الديني؛ فتكتسب الألوان قيماً دينية أو اجتماعية ولكل واحد منها صفاته الحسية والمعنوية التي ينفرد بها فتجعله متميزاً عن غيره من الألوان. التفضيل اللوني أمر حيوي ومهم في حياتنا المعاصرة؛ فهو يعبر عن شخصية الإنسان بشكل ما، ويمكن من قراءة بعد من أبعاد شخصيته، حتى يمكن ترديد مقولة: "تكلم حتى أراك" بما يقاربها: "قل لي أي لون تفضل أقل لك من أنت". كما يحلل بعض الناس مكونات الشخصية من خلال الألوان التي تؤثرها عن غيرها.

وقد تعددت الألوان في الطبيعة واختلفت وتقاربت فلذا تعددت أسماؤها في اللغة؛ فنجد عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد وهي تختلف باختلاف درجات اللون، وهو ما عرف قديماً باسم إشباع اللون أو تأكيده^(٣). ويعود الاختلاف في أسماء اللون الواحد لاختلاف الحقل الدلالي والسياق الذي يرد فيه.

إن اختيار لون معين يكمن في طبيعة تأثيره على مشاعر الإنسان وأحاسيسه، وما يتفق وطبيعة تكوينه النفسي تفاؤلاً أو تشاؤماً. ويأتي في مقدمة الألوان شهرة وعموماً انتشار الأسود والأبيض، فهما بداية لوان متضادان، مرتبطان بالليل والنهار، والظلمة والنور، الوضوح والغموض، الطهر ونقيضه؛ لذلك هما لوان متداولان في جميع الحضارات ولغاتها.

رغم أن اللون الأسود يتكون من بواقي الألوان فإنه يحمل دلالات عدة: القوة، الأناقة، الثروة، الغموض، الجدية "من مكر الأسود قدرته على ارتداء عكس ما يضمّر"^(٤). الشخصية التي تفضل ارتداء الأسود شخصية تتسم بالرسمية والجدية. "ولعلاقة المسميات بأسمائها كان اللون في محاكاة بين طبيعة الصوت ودلالة اللفظ؛ فالأسود لفظ يدل على الغموض والغوص في الأعماق حيث الظلمة والعمّة، ولدلالة الأصوات فيه استشف من دلالة حدة الدال واتساع الواو"^(٥). أما اللون الأبيض فهو لفظ يدل على الإشعاع والانطلاق لما فيه من اجتماع الياء الدالة على الاتساع، والضاد بما فيها من نفور وإفلات من المركز، فهو المقابل الصوتي للون الأسود، دلالة وتركيباً صوتياً^(٦).

"الأسود يليق بك" جملة لغوية تتشكل من مبتدأ وخبر تسعى لأن تقر حالاً وواقعاً. عنوان يستثير تساؤلات القارئ بشأن الوقوف على مدى المواءمة بين اللون وصاحبه، ويطرح سؤالاً: لماذا؟ إن جدل القارئ مع عنوان العمل يعد بمثابة تهيئة ذهنية تفيد وتساعد في رحلة استكشاف المخبوء الدلالي^(٧).

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — المكان والهوية في الأسود يليق بك — رؤية سردية - سعاد أمين

لم تلبس مستغانمي شخصيتها المحورية ألوانا عدة باعتبار صغرها وجمالها اللافت للأنظار - كما تصفها - وأناقته المعتادة، وأيضاً باعتبار الوسط الفني الذي تنتمي إليه وما يتطلبه من تغيير وتبديل بين الأشكال والألوان، وربما أصبحت مع اللون وحدة؛ لا ينفصلان ولا يتجزآن. " يسألها مقدم البرنامج: لم تظهر يوماً إلا بثوبك الأسود.. إلى متى سترتدين الحداد؟ تجيب كمن يبعد شبهة: الحداد ليس في ما ترتديه بل في ما نراه. إنه يكمن في نظرتنا للأشياء. بإمكان عيون قلبنا أن تكون في حداد.. ولا أحد يدري بذلك" ^(٨). إنها لا ترى رابطاً بين اللون والحداد؛ فما الحداد إلا للقلوب التي تمتلئ بالألم والأسى. لأنها جذر ضارب في الأرض تردد عن نفسها: " أنا شجرة توت لا رداء لي أصلاً إلا السواد" ^(٩). لم يعد الأسود مجرد لون بل رأته شيئاً آخر: " الأسود محرمي مذ لم يبق لي الموت محرماً" ^(١٠). " إنني أنسب إليه، أشعر أنه يحميني ويميزني عن غيري ". الشعور باللون كائن حيّ هو بعد آخر أرادته في حياتها رجلاً عوضاً عن فقئت من الرجال. المعادلة بين الخيال والواقع، بين الرمز والمرموز إليه محاولة لسبر أغوار الشخصية المحورية وإلقاء الضوء على أبعادها النفسية. لقد حاولت مستغانمي إدراك الجمال في ذلك اللون (الأسود) مبتعدة عما وقر في الذاكرة من دلالات تميل كثيراً إلى الألم والعذاب والذكريات المؤلمة طبقاً للمتعارف عليه في الذائقة العربية، تصف بطلتها قائلة: " إنها تبدو أبهى. لعله ثوبها الأسود الذي كانت ترتديه مع عقد طويل بصفين من اللؤلؤ، منحها إطلالة تتجاوز سقف ميزانيتها" ^(١١). " إنه الجمع بين الأضداد لإبراز الجمال الكامن داخلها وخارجها " وكأن الحب اختارها ليحتفي بها ". وذلك الإقرار الذي جاءها في بطاقة مصاحبة لباقة لا تضم سوى أزهار التبوليب والتي تشع بأموح ضوئية تتراوح بين البنفسجي والأسود وتحمل كلمات ثلاث "الأسود يليق بك" ويزداد اليقين بالتمازج بينها واللون الأسود في قوله: "الأسود يا سيدتي يختار سادته". إنه جمع بين العناصر الواقعية والمتخيلة للمزاوجة بين اللون وصاحبته والتي تجاوز غرامها بالباقة التي يغلب عليها اللون الأسود، ووجدت فيه الإنقاذ والملاذ: " تأملت بامتنان تلك الورود الغريبة اللون. لولاها لا غتالها اللون الأحمر" ^(١٢).

وتتجلي الرؤية في تفسير سر تلك الورود التي تميل إلى اللون الأسود؛ " لأنها زهرة لم يمتلك سرها أحد. لونها مستعص على التفسير، يقارب الأسود في معاكسته للألوان الضوئية. إنها مثلك وردة لم تخلع عنها عباءة الحياء... لا أكثر أناقة من وردة لا تثرثر كثيراً" ^(١٣). إن التشارك في البراءة والعذرية أمران يكفلان الرقي والتفرد والتفوق على مثيلاتها ممن وصفوا بـ " ورود سيئة السمعة تتحرش بقاطفها تشهر لونها وعطرها، وهذه ستجد دائماً عابر سبيل يشترها ". الأصل في الورود أن ينتشر عبيرها فتتحقق اللذة مع بهجة النظر إلى ألوانها المتنوعة البراقة اللامعة وتلك تتعدد ألوانها ما بين حمراء وصفراء... الخ، بينما تلك ومع ميلها للون الأسود أكثر رقيقاً ونشوة ومتعة وكأن الغموض قد أضفى عليها سحره وجماله، وقد أخذت من اللون سماته وصفاته.

وقد جمعت مستغامي لبطلتها اللونين: الأبيض في بشرتها والأسود في ملابسها، هالة الوافي اسم يجمع بين البريق والأصالة بين البهاء والقوة، كذلك الأرض التي أنبتتها (الجزائر) ومن أسمائها الحالية: البهجة، والمحروسة والجزائر البيضاء، وذلك لبياض ولمعان عماراتها ومبانيها التي يُخيل للناظر أنها ترتفع عن سطح البحر ". فالذين قتلوهم أرادوا اغتيال البهجة. أليست " البهجة " هي الاسم الثاني للجزائر ؟ هالة تستمد صمودها وقوتها وبهاءها وبهجتها من بلد المليون شهيد التي ابيضت مبانيها، وانتشج سكانها بالسواد، ولم ينطفئ نورهم بل ازدادوا تمسكا بالحق في الحياة ومقاومة كل التيارات التي تعوق حركتهم في سبيل الحرية والحياة.

قسما بالنازلات الماحقات والجمال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا فاشهدوا^(١٤)

الهوية والمكان/ المكان والهوية:

نستحضر صوت الشاعر العربي من أعماق الماضي^(١٥):

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

جاء في لسان العرب^(١٦): "مكان: في أصل تقدير الفعل (مفعول) وهو موضع لكيونة الشيء فيه" وموضع الشيء، أي المحل الذي يحل فيه ويتموضع، والفضاء الذي يحيط به، ويحدد موقعه بالقياس إلى شيء آخر. والمكان بوصفه رقعة جغرافية إنما يعني الامتداد والاتساع للمحل والفضاء الذي يحيط به بما يحمله من علامات جغرافية مرتبطة بتشكيل هوية المكان، وهوية الإنسان الذي يعيش عليه. " إن الارتباط بالمكان حالة إنسانية عامة تشعر المرء بالانتماء لمجموعة ما هو جزء منها، والتجذر أي الارتباط الروحي بالأرض وإرثها المعنوي يعود إلى أنها الأرض التي نشأ عليها الآباء والأجداد. ويولد الانتماء والتجذر لدى الفرد شعورا عارما بالأمان مصحوبا برغبة كبيرة في التواصل والاستمرار؛ مما يعني أنّ ارتباط الإنسان بالمكان حالة شعورية تتولد من خلال إحساس المرء بأنه جزء من المكان وأبعاده وتضاريسه وأحداثه التي عاصرها في فترة سابقة من حياته. والتحويلات والتغيرات اللا إرادية التي تحدث في المكان تتشكل تهديدا لذلك التلازم بين المرء والمكان، وتهدد في المقام الأول الهوية.

والهوية وجود سابق علينا.. يتلبسنا.. يسكننا.. يلتحم بكياننا، ويحكم إغلاق دائرته حولنا؛ فالهوية جزء لا يتجزأ من نشأتنا منذ الميلاد حتى مفارقة الحياة. هي وجود يتشكل مما نتوارثه من معارف وما نتعرض له من مؤثرات وما نتلقاه من تعليم وثقافات، وما نكتسبه من عادات وتقاليد، إنها وجود يكبر بنا ومعنا، نشكله ويشكلنا في آن واحد. الهوية تُضيف للفرد جنسيته، لونه، عرقه، الخصوصية والذاتية، وتعكس ثقافته، ولغته، وعقيدته، وحضارته، وتاريخه، ومكانته.

هوية الإنسان حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية. والهوية الوطنية لها معالمها وخصائصها المميزة وأصالتها^(١٧). و العلاقة بين المكان والهوية أقرب ما تكون إلى علاقة عكسية - يدرك ذلك من تغرب وغادر الديار - فكلما ابتعد المكان ازداد التشبث بالهوية والعكس صحيح؛ حيث يكون التبرم بالحياة والأحياء. في البعد نملاً الفراغات بأشياء من صميم المكان ترمز إليه ويتجلى فيها؛ في علم يرفع، ونشيد قومي يتغنى به، ومفردات محلية تتبادل، وذكريات المكان يعقب أثرها في الجنبات فيتبدى المكان متجسداً بملامحه وتفصيله. الهوية ليست بيانات أساسية تكتب للتعريف كالاسم والسن والمؤهل والهاتف والبريد الإلكتروني؛ إنها بيانات أخرى عن ملامح تشكلت عبر أزمان متعاقبة تجسدت في عادات وتقاليد وممارسات وأخلاقيات توجد أينما وجدنا، إنها قوة وتميز واسترداد للملامح وسط الحشود والجموع حين تختلط الأوراق فيتمترس كل خلف هويته متدراً بمفرداتها محققاً مكانته ومنزلته.

عند الحديث عن الحالة الجزائرية ومحاولات تغيير الهوية بفصل الإنسان أو تغريبه عن المكان تحت أسماء عدة: رحلة، هجرة، هناك خصوصية مختلفة. إن تجليات الفضاء المكاني للجزائر تجسدت في أمكنة لا يمكن - في رأيي - إيجادها في أي مكان أو أية ظروف أخرى. فحيثما حط الجزائري الرحال وجد وطنه بملامحه وصفاته وكان له وجوده المميز وكأنه حمل الأرض ضمن أمتعته. هناك المقتلع من المكان إلى خارج المكان تماماً كأم هالة؛ " لقد هد الألم تلك المرأة، كانت في السابق قوية إلى درجة اتخاذ القرار بمغادرة حلب قبل ثلاثين سنة، والإقامة مع زوجها في بلاد لا تعرف عنها شيئاً، والتأقلم مع ظروف ما كانت تشبه حياتها في سورية " ^(١٨)، ومع تبدل الأحوال وتصدر المتطرفين المشهد، وفقدانها الزوج والابن، جاءها قرار طرد ابنتها من التدريس إنذاراً أول سيليه ما لا تحمد عقباه، ولأنها لم تشأ أن تترك قبراً ثالثاً في الجزائر غادرت وابنتها إلى سورية، ومع متاع السفر حملت الهوية.

وهناك الماكثون (الجزائريون) - ممن لم يستطيعوا المغادرة أو لم تمنح لهم فرصة للهروب والرحيل " الناس كلهم صابرين.. واللي ما عندوش وين يروح واش يدير.. نوكلوا عليهم ربي، يا قاتل الروح وين تروح " ^(١٩). أو ممن تمسكوا بتلابيب المكان ولكن تحت ظروف قاسية من جماعات متطرفة وحكومات عاجزة في حقبة التسعينيات؛ " أصيبت بالذعر حين مر بهما أحد المختلين وهو يتشاجر مع نفسه، ويشتم المارين ويهددهم بحجارة في يده، ظاهرة شاعت بسبب فقدان البعض صوابهم وتشرد الآلاف إثر عشرية الدم - سنوات الإرهاب العشر - وما حل بالناس من غبن وأهوال. " ما حل بالناس أمر لا يصدق عقل أن يغتال شعب بيد أبنائه ". نحن نملك بدون منازع أكبر مؤسسة لإنتاج الجنون؛ من إنجازاتنا أن عدد مجانيننا بعد الاستقلال تجاوز عدد شهدائنا أثناء الثورة " شعب وحده الاستعمار وفرقه الاستقلال ". في نوبة من نوبات العفة تم إلقاء القبض ذات مرة في العاصمة على أربعين شاباً وصبية معظمهم من الجامعيين، وأودعوا السجن فيما كان الإرهابيون يغادرونه بالمئات

مستفيدين من قانون العفو! " (٢٠). قمة السخرية أن تسلب الهوية زمنا من الأسلم فيه أن تكون إرهابيا قاتلا على أن تكون محبا عاشقا. كان التأرجح بين خيارين أحلاهما مر ما مزق كيان بلد المليون شهيد -حينا من الدهر- الخيار إذا بين قتلة يزايدون عليك في الدين، وبذريعتيه يجردونك من حريتك.. وآخرين مزايدين عليك في الوطنية، يهبون لنجدتك، فيحمونك مقابل نهب خزيتك. " (٢١)

والأكثر من ذلك أن يقع الشعب في براثن من " يقدم نفسه كطوق نجاة فيفضل الناس الطاعون على الكوليرا ؟! " (٢٢) وهناك من يراد تذويبه وإخضاعه وإحاقه بزمان آخر وإفقاده هويته مثل هالة الوافي التي غادرت برفقة والدتها بلا عودة وبلا أمل في العودة يوما ما.

المكان/ الصراع من أجل المحافظ على الهوية:

إن قراءة الرواية هي ما سماه باشلار " وعي الاختلاف consciousness of difference " (٢٣) وذلك الاختلاف الذي نبذعه حينما نقرأ؛ فالاختلاف يتولد فينا عن طريق قراءتنا. قراءة الرواية يعد إدراك تلك الصور المترابكة والتفسيرات المتعددة فعندما نقرأ فإننا نحاول الكشف عن المعاني والدلالات الباطنة فيها بحيث يظهر اللا معقول من خلال ما يقال لنا.

ثنائية فضائي الزمان والمكان تتعكس سلبا وإيجابا على الهوية، ومن ثم على المنتج السردى "الأسود يليق بك ". إذا أردنا أن نتمازج مع التصورات والصور؛ الخيال والعقل، فينبغي علينا أن "نحب القطبين المذكر والمؤنث للنفس "les poles masculine- feminine de la psyche" (٢٤)

إن في التناوب بين قطبي الصورة أي الخيال والتصور، الوهم والواقع، الحقيقة والزيف يصبح الوعي الإنساني في أفضل حالاته. والرؤية الصحيحة للأشياء تقود إلى فعل صحيح. إن تحديد ما نريد هو أول خطوة للوصول إلى هدفنا. ثم اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق هذا.. إن امتلاك رؤية صحيحة تضيء الطريق، وتبهر الدرب، وتجلي الغموض فيكون الوضوح وحسن الاختيار.. ولا يتأتى حسن الاختيار إلا للإنسان الصحيح الذي يكون قادرا على التصرف، الذي اكتسبه من استكمال معارفه واستقرائه لحيوات الآخرين. وتلك المحاولات المستميتة من هالة الوافي للموائمة بين الخيال والعقل في الحفاظ على هويتها- مذ خرجت من الجزائر مرورا بسورية، فباريس، فالنمسا، فمصر - حيال ما تعرضت له من محاولة احتلال واستلاب ممن كان مجهولا فأصبح معلوما: " ما الذي يريده منها ؟ هذه الفتاة ليست أجمل من غيرها، والتي لا تهزه أغانياتها. لعله يريد حالة الشغف التي سكنته مذ رآها... لذا لن يحتسبها دفعة واحدة. سيجعل الطريق إليها طويلا. لقد انتظر شهرا ليراها مجددا، شهرا ليلقي إليها بالطعم، الذي لا يمكن لسمكة صغيرة مثلها إلا أن تزدرد " (٢٥). قرار سلبها هويتها اتخذه وخطط له. " وهكذا يدير معاركه قبل أن يخوضها؛ لاعتقاده أن الاستعداد للفوز أولى متع الفائز " (٢٦). إنه غزو مرتقب يشحن له أسلحته وقدراته المادية والمعنوية والثقة في الفوز حليفه ". حدث أكثر من مرة أن أنقذ أعماله من الإفلاس بمهاراته " وكم كان واهما، إنها امرأة تكمن أدواتها النسائية في صفاتها

الرجالية"، " ألم يقل لها أحدهم متغزلاً: " أجمل ما في امرأة شديدة الأنوثة؟ هو نفحة من الذكورة"؟^(٢٧). إنها جينات رجولة جبال الأوراس أول من ثار في وجه الاستعمار الفرنسي ولدت بها ونمت معها وغذتها الأحداث والأيام. هي أنثى بحكم تكوينها، رجل بحكم ظروف حياتها يراقب، يحاسب، يردع، يحمي ويصون. إن ما يميز هالة عن أقرانها أنها " لم تكن نجمة كانت كائناً ضوئياً، ليست في حاجة إلى التبرج كي تكون أنثى. يكفي أن تتكلم. يذكر طلتها تلك، في جمالها البكر كانت تكمن فتنها، لم تكن تشبه أحداً في زمن ما عادت فيه النجوم تتكون في السماء، بل في عيادات التجميل"^(٢٨) هو اسمه، صاحب جرة واضحة يشعر بها الآخرون، مطل من عليائه على من هم دونه " فبريق الثراء حوله إلى بؤرة إشعاع يجذب ضوءها الناس إليه، فيبدو جميلاً حيث حل بما يملك "^(٢٩). في كل ما يفعل يدل نفسه أولاً، وفي كل قانون يضعه، يتضمن البند الأول أن يكون هو السيد الأحد^(٣٠). أطل على حياتها الهادئة فـ " أدخلها في حالة دوار عشقي يصعب الخروج منها ". فهي بحكم تكوينها مروانية من جبال الأوراس " لم تلتق من قبل مع رجل في مدينة تتنفس الحرية، ولا كانت يوماً حرة ". كانت دائماً أسيرة أرضها، ترابها، جبالها ورجالها. نعم الرجال/ حراسها في حياتها ثلاث: جد وأب وأخ، وثلاثتهم فارقوا الحياة هرماً أو اغتيالاً. ثلاثتهم شكلوا درعا واقياً يحمون أنوثتها. رافقت هالة جدها إلى الجبال وهناك " اعتادت أن ترى العالم بساطاً تحتها. لم تكن نظرة متعالية، لكن تعلمت وهي أعلى منصة للطبيعة ألا تقبل أن يطل عليها أحد من فوق. هكذا تحكم جبل الأوراس في قدرها"^(٣١). مع اختفاء رجالها أرادت رغم القيود والصعوبات أن تضج بالصراخ معلنة حدادها، فارتفع صوتها بالغناء حتى غدت " العصفورة التي كسرت بصوتها قضبان التقاليد العربية متحدية من قصوا جناحيها ". أليس الغناء في النهاية هو دموع الروح. كما أنها عادة مروانية " ففي مروانة يفقد الراحلون بالغناء حتى اللحاق بهم. ذلك أن لا وسط ولا اعتدال في طبائع أبنائها"^(٣٢).

رغم الألم والأسى لم تتخل يوماً عن روحها المرحية التي ورثتها عن جدها تقول - أثناء زيارتها باريس - مازحة: " والله أغار من الذين يعزفون في المترو في باريس. كل يغني على مزاجه. قد يمر أحدهم ويضع له في قبعته يورو، وقد لا يضع شيئاً. على الأقل لا يضع له رصاصة في رأسه!"^(٣٤) إنه جلد للذات ممزوجاً بالألم مقروناً بأحزان لا تغادرها وتأبى أن تتركها. وفي البعاد يكون القرب والالتصاق، ورغم الغضب يكون الحنين والانتماء، قال أحدهم: " هذه أول مرة يستعيد الشاوية مجدهم في باريس. ردت بأنها خارج الجزائر جزائرية فحسب. إنه رفض للتحزب والتعصب للانتماءات الفردية مقابل انتماء أكبر حيث الكل في واحد. ووجدت من يدعمها من رافضي الإرهاب في استقبالها ملوحين برموز وعلامات الهوية؛ الهتافات الوطنية، التلويح بالأعلام الجزائرية، لفها بالعلم " شعرت بأن الذين حضروا لم يأتوا للطرب، بل ليعلنوا رفضهم للإرهاب. إنها هنا أمام أنصارها ". نعم حين يختزل الوطن في هتاف وعلم تتجسد ملامح الهوية لتمييز بين البشر، ويحال الفضاء المكاني

إلى أرض الوطن بترابها وهوائها وشمسها وقمرها، ويعبق المكان برحيق الوطن وعبيره. في أي مكان في العالم يعد الإنسان المساس بعاداته وتقاليده مساساً بهويته الثقافية الوطنية فهي ثمرة من ثمرات تفاعلاته مع المكان (الوطن) الذي حفر فيها من ملامحه وخصائصه عبر مد طويل من الأجيال فالعادات والتقاليد والأعراف هي في مجملها ذات ارتباط وثيق بمكونات المكان؛ لذلك فإن الإنسان يعتز بها ويدافع عنها بوصفها ملامح هويته الوطنية.

الحدث: الانتماء واللا انتماء/ شهريار وشهرزاد:

شهرزاد في غيبة رجالها تعرضت لغزو ومحاولة قنص، ما لم يدركه الصياد/ الغازي/ المستعمر أنها تمتلك حساً وطنياً لم يغادرها بمغادرتها الجزائر، حملت قضيتها وجعلتها شغلها الشاغل، " حيث تحل يقلدها الموت وسامه. في حقيبتها قطعة من أرضها، هي ابنة القتل وأخت القتل. لها قرابة بمائتي ألف جزائري ما عادوا هنا. قتلهم الإرهابيون "^(٣٥). وما احترافها الغناء إلا تحدياً للقتلة؛ "أليس الغناء في النهاية هو دموع الروح؟". شهريار في وطنه " لبنان " ومع صراعات الحرب الأهلية في سبعينيات القرن الماضي فقد هويته. لم يكن المكان جاذباً ولم تكن جذوره قد تمكنت من تربيته حين يختلط الحابل بالنابل وتسوء النوايا " في لبنان، ما من قضية إلا وتصب في جيب أحد. فليعمل المرء إذا لجيبه ". تلك خلاصة تجربة المراهقة حين وقع على حقائق النضال الزائف والفساد المقنع " انشق عن حزب النضال وانخرط في حزب الحياة. ما عاد له من ولاء إلا لها "^(٣٦). ما أجمل التمسك وما أقبح التخلي.

أوجه الخلاف بينهما أكثر من نقاط التلاقي، هي تحمل داخلها وطناً وهو يحمل داخله ذاته لا غير؛ لذاته، وثوراته، ومغامراته، نزواته. كم البون بينهما شاسع بين القبلي والذاتي، بين الضمير الجمعي والفردى. " بين عتمته وضوئها، بين ثقته وارتباكها ".

الصراع بين من فقد هويته رغم احتفاظه بالوطن، ومن صان هويته رغم فراقه للوطن، اتخذ منحنيات ومنعطفات من التعالي والتباهي والإذلال.

استسلم هو لفقدان هويته طواعية، بل سعى لهجر الأوطان والديار " لفرط غربته ومتاھته على مدى ربع قرن في البرازيل. هناك، في أرض الكرنفالات والأقنعة الإفريقية، أضاع ملامح وجهه الأصلية "^(٣٧). أما هي فتنشبت بتلابيب هويتها غير عابئة بالأخطار المحدقة بها، لا يغريها عرض اللجوء إلى فرنسا، يكفيها هويتها فلتعش أو لتمت كلاهما سواء .

هو رجل الأسرار؛ " لذا اعتاد أن يغير عناوين أسرارهِ من مدينة إلى أخرى. إن الأسرار هي ما يساعدا على العيش. كم يخسر من لا سر له. " هي " لم يكن في حياتها سر لتحميه أو مكسب لتخاف عليه ". الغموض طبعه أما الوضوح فهو ديدنها.

هو رجل الذاكرة الانتقائية يحتفظ فيها بما يشاء " أذكر حتى الثياب التي كنت ترتدينها في مطار شارل ديغول.. وماركة النظارات التي كنت تضعينها.. ولون الحقيبة التي كنت تجرّينها " تفاصيل صغيرة قد تمر مرور الكرام دون أن تعلق بالذاكرة ولكنه احتفظ بها قرابة سبعة أشهر دون أن تفارقه. هي ذاكرتها حياتها من الميلاد حتى يومها لا تستطيع انتقاء حدث دون غيره: تفاصيل اغتيال والدها وشقيقها، وفاة جدها وجنازته، خوف أمها ولوعتها، زملائها، رفقاء المدرسة، تلاميذها، جيرانها، والأكثر من هذا وطنها حيث تمتد جذور مهما تباعدت المسافات راسخة أبدا.

هو شهريار القرن الواحد والعشرين أو هكذا خيل له متزعا بخيانة وهمية من المرأة الأولى في حياته، تلك التي تخلت عنه لنتزوج غيره، كشهريار قرر الانتقام من كل النساء " سيقاصصهن عن جريمة لا علم لهن بها " (٣٨)، وكما شهريار هو أيضا لا ثقة له بالنساء؛ " لأنني لا أثق في النساء، لا أُمّي انتظرت أبي.. ولا تلك الفتاة التي أحببتها انتظرتني يوم سافرت إلى البرازيل (٣٩). انعدام ثقة يعكس عقدا نفسية تشكلت من مجتمع قائم على التحزب والتعصب والانقسامات، شكلت لديه هاجس الانتقام من كل النساء.

هي شهرزاد في منطقها وحكمتها ورزانتها تبادلها الحوار تحدّثه بالمنطق، تضرب له الأمثال وفوق هذا تشعر بقيمتها وتؤمن بقدراتها، قال لها: " دوما حصلت على ما أريد. أجابته بجرأة لم يعهدها وهو السيد المطاع دائما: فعلا لا ينقصك الغرور. رد قائلا: بل يحدث أن أتواضع. فجاء ردها صاعقا: تعني التواضع كأعلى درجات الغرور " (٤٠). كما تدرك حدود القدرة البشرية التي تخيل للكثيرين قدرتهم المزعومة في إدراك كل ما يشتهون حين يدور بذهنها حوار داخلي عن الإنسان: " من أين له هذا الغرور، والحجارة التي رفع بها أبراجه من خلق الله؟ ليتواضع قليلا، مادام عاجزا عن خلق أصغر زهرية برية تنبت عند أقدام قصره. فبمعجزتها، عليه أن يقيس حجمه " (٤١). تقلّص الأشياء ولا تميل إلى التوافه من الأمور، تتروى وتتأمل، لا تتعجل الأمور وربما كان في ذلك نجاتها.

يحتدم الصراع بينهما، بين الغزو والمقاومة، بين الهجوم والصمود، بين من يملك كل شيء وفائق للذات " حسدها لأنها تملك قضية، وما عادت له قضايا منذ زمن "، ومن لا تملك إلا القليل ولكن في قلبها وطن يجعلها أثير الأثرياء. ولانعدام الخبرة والتجربة كأنثى وهنت مقاومتها " إنه احتلال غير معلن من رجل شرع في اجتياحها رويدا رويدا " (٤٢) بيد أنها كمروانية/ جزائرية " إن كانت مبتدئة في الحب فهي طاعنة في التحدي " (٤٣) فكرة أن يتحكم فيها رجل/ محتل استنفرت كل رجالها تدعوها للتمرد والمقاومة. من طبيعة السجال الدائر بينهما استنتجت الفارق بينهما، هي هالة الوافي وهو طلال هاشم، ترجمت ذلك في قرار مفاده " يبدو هذا الرجل خائنا لكل شيء عدا الحياة " (٤٤). قال لها مازحا: لا تكوني جزائرية.. أكلكم عصبيون هكذا ؟ " هي لا تعرف إلا أن تكون جزائرية " لكنها ابنة البراكين، تتدفق حممها حال وقوفها على منصة " (٤٥).

هويتها تصبحها أينما كانت ووقتما كانت، الزمان والمكان لا يحولان دون اصطحاب الهوية لمن أراد التمسك بها. أجابته كمن استردت ذاكرتها عقب لحظة ضعف مرت بها: " أنا ما انتظرت قبلك إلا القتلة... كنت أنتظر الموت لكن بكبرياء. البارحة فقدت تلك الأنفة... كنت في انتظارك مجرد أنثى.. وقد كنت في انتظار الموت رجلاً" (٤٦).

بين هو وهي كانت كلماته ونظراته ورغباته المعلنة " تخدش حياة عذرية حرسها أبوها وأخوها وقبيلة من الرجال " رأت فيه فرصة للسعادة وما رأى فيها غير امرأة حان قطافها. أرادت حبا يضيف إليها لا ليسلبها وهي " غير جاهزة أن تخلع مبادئها دفعة واحدة من أجله " (٤٧) من حيث جاءت يولد الناس كذلك ". عندما تولد بمحاذاة الأوراس، تحتاج إلى أن ترفع هامتك لترضى بك جبال الأوراس صديقاً" (٤٨). هل تفقد صداقة الأوراس وتتكس الرأس ؟ هل تخلع مبادئها وتدمي حراسها ؟. هي بعبارة واحدة تريده لكن ليس إلى حد فقدان صوابها أو بالأحرى فقدان هويتها.

الصراع بين الصائد والطريدة، بين الغازي وأصحاب الأرض اتخذ أشكالاً عدة: ترغيب، ترهيب، إغراء، إيهار، ... الخ، من الوسائل التي تسقط ذوي النفوس المريضة وأصحاب الهمم الضعيفة ممن لا جذور لهم. وقد حاولت مستغامي إخفاء طابع العمق على الصياد نفياً لصفة التسطيح والتفاهة فجعلته نموذجاً مثقفاً؛ قارئاً للآداب، محباً للموسيقى، مرتاداً للأوبرا، في اعتقادي لم تفلح المحاولة؛ فما هو إلا صائد ثروات كما أنه صائد نساء "، أي ثراء غير الثراء الفكري كان سيجنيه من أصدقائه الإغريق، الذين حزن يوم استبدل بهم مطعماً لبنانياً متواضعاً في ريو دي جانيرو ؟ تساؤل أعقبه بإقرار رآه عين الصواب " ما قد يبدو لك خسارة قد يكون هو بالتحديد الشيء الذي سيصبح فيما بعد مسئولاً عن إتمام أعظم إنجازات حياتك " (٤٩). من كان المال هويته ما كانت الأماكن بغيته. ثم هل هناك فارق بين صائد/ محتل مثقف أو جاهل كلاهما عتاده قوته المادية والجسدية. في لحظة تتساقط الأفعنة ويبدو ما حاول جاهداً إخفاءه.. مزهوا كطاووس.. ثملاً بثرائه.. سطوة المال.. رجل لا يدري أن الكلمات كالرصاصة لا تسترد.. في نوبة غضب ألمت به لرفضها ماله فاجأها قائلاً: " أنت تهينين مالي قصد إهانتي.. من تكونين لتتجرئي على ذلك؟" (٥٠).

من هي؟ حقاً، من هي؟ هو بخطرسته لم يدرك هويتها، كانت ممثلة الكبرياء " غادرته كبيرة... مادمت تمتلك تذكرة العودة، فأنت غني بحريتك ".

الفضاء الزمني لما سبق دام قرابة عامين، وهي في رحلة بحث عن وطن غادرته قسراً، فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار، قد يراه البعض مجرد صراع بين رجل وامرأة ورغبة أحدهما في السيطرة مادياً وعاطفياً. بيد أنني أراه أبعد من ذلك، تلك الفتاة، هالة الوافي، ابنة الجبال الجزائرية، من قبيلة الشاوية، جسد أنثى وقوة رجل، لا بل رجال تجمعوا داخلها لحراستها وصيانتها.

ما كانت في حاجة لحب رجل بل إلى حب أبوي " لقد غدت يتيمة مرتين. ليس الحب وحده ما فقدت، بل تلك القوة الأبوية الرادعة التي كانت تطوقها بالأسئلة وتحاصرهما بالغيرة... " الفكرة لم تكن الحب ذاته كعاطفة مجردة بل البحث عن أمان افتقدته، عن إحساس بالحماية، ما دار بخلدها أنها تستبدل إرهابا بإرهاب آخر حاول الاستحواذ على صوتها، بل كيانها بسطوة المال.

في سعيها للأمان كانت كمن يسعى دوما إلى تحقيق رغباته.. لكنه لا بد أن يوازن بين إشباع رغبة آنية سريعة الأثر سريعة الزوال ورغبة أخرى أكثر تأثيرا باقية عميقة الأثر. إن التمييز بين الرغبات يجعل الإنسان قادرا على ضبط تصرفاته متحملا للألم، ومن ثم يعيش هادئا مستمتعا بحياته راضيا. إن إرضاء الحواس يزول، أما إرضاء النفس و الروح يبقى دائما. وكأنني بها تردد هذه الكلمات مرفوعة الهامة: يوما ما ستفهم جيدا: إن الأشياء ترحل إذا لم تجد الاحتواء، وإن الصبر وإن طال ينفد، وإن الحياة لا تقف على عتبة أحد، ولا تتوقف لغياب أحد .

منتصب القامة أمشي

مرفوع الهامة أمشي

في كفي قصفة زيتون

وعلى كتفي نعشي

وأنا أمشي وأنا أمشي....(٥١).

الرؤية السردية:

يعد السرد وسيلة خلاقة في نسج الأحداث وإعادة تكييف الواقعية والمتخيلة وتوزيعها في ثنايا النص الروائي ووضعها في سياقها التاريخي والأدبي، وتمثيل المرجعيات الثقافية، والتعبير عن الرؤى والمواقف الرمزية. فالسرد، بمثابة أداة اتصال تربط بين الأديب والأحداث التي يتفاعل مع مكوناتها فيحيلها بعد ذلك خلقا جديدا بشخصه وأمكنته ودقائق أسرار. والأديب يجول في عالم الواقع يقطع من أحداثه مشاهد محاولا إعادة إنتاجها من جديد وفق ما تقتضيه مخيلته. متلمسا وسيلة تحمل الرؤى المتعددة والمختلفة والمختزلة بطرق تكفل لها وسما جديدا ما بين رؤى يراد لها الظهور وأخرى لا يراد. " الأسود يليق بك " نموذج تشكل بناؤها العام من ذلك التناوب الدائم عبر صفحات الرواية بين سرد يأخذ طابع التأليف ويؤدي وظيفته، وسرد يأخذ طابع الرواية ويؤدي وظيفتها التخيلية الإيهامية. وفي كثير من الأحيان تتداخل مستويات التأليف مع مستويات الرواية فتتشكل كتلة سردية شديدة التماسك في عناصرها وبنائها. هذه المزوجة التي تقوم بها الكاتبة مرة بوصفها منشئة النص ومرة بوصفها راوية للأحداث، وقد تغييب الحدود بين الدورين.

الفضل في تداخل الرؤى مرده طبيعة الفن المغايرة في الغالب لعالم الواقع، ولعالم الرموز الذي ينهل منه فاعل هذا الفن الذي يتخذ من المرئي في عالمه مواقف ورؤى قد لا يريد لها الظهور

صراحة؛ لذا يتخذ من فن القص وسيلة تحمل هذه الرؤى بطريقة خاصة توفر لها سبل حماية ممكنة من الذين قد يتصادمون معها إذا ما تلقوها من صاحبها مباشرة^(٥٢). وقد اتجه البناء الروائي إلى البناء "التضميني؛ فقد تشتمل الرواية الواحدة مجموعة من الحكايات يحيل بعضها على بعض وينطلق بعضها من بعض، فتتداخل الأزمنة مع تداخل السرد وتتسج الخيوط مع الخيوط الزمنية الأخرى"^(٥٣). في "الأسود يليق بك" لم تلجأ الكاتبة للتسلسل الزمني المنطقي، وإنما لجأت إلى البناء التضميني في نسج زمن الرواية وأحداثها، لتكون حكاية هالة الوافي وطلال هاشم الإطار العام لتتوالد الحكايات وتتداخل القصص الكثيرة المتعلقة بالجزائر والأشخاص.

ويكون السرد الروائي شفافاً إذا اختفى السرد وتوارى إلى أقصى حد لصالح الحكاية فتعرض الأحداث نفسها دون أن يشعر المتلقي بوجود الوسيط السردى^(٥٤). جاء سرد الأحداث بطريقة الفلاش باك أي استدعاء أحداث الرواية "؛ إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعى الماضي بجميع مراحلها ويوظفه في الحاضر السردى^(٥٥). استعادة الماضي في "الأسود يليق بك" تتوير للحظة الحاضرة في حياة هالة الوافي/ طلال هاشم، وإلقاء الضوء على جوانب كثيرة من ماضيها وعالمها الداخلي وأبعادها النفسية والاجتماعية. فالاسترجاع له "وظيفة بنوية؛ لأن الشخصيات التي تحيا أماناً يشكل ماضيها حاضرها"^(٥٦). وكثيراً ما كان الاسترجاع وسيلة إلى استرجاع الماضي واجتراره للتخلص من رتابة الحاضر كما في استرجاعها كيفية اغتيال والدها وشقيقها، وحياتها كمعلمة وما كابדתه من متاعب بلغت الفصل والتهديد بالاغتيال. واسترجاعه رحلته في عالم الثراء واقتاده ولدا من صلبه، وأيضاً استرجاع الأم لحياتها الماضية هروبا من الحاضر الأليم، وكذلك نجلاء وهدى وابن العم... شخصيات الرواية تذوب استرجاعاً حنيناً للمكان، وكشفاً لحالة التغير الناتجة عن حركة الزمن والمجتمع. كما تراوحت وسائل الاسترجاع ما بين حوارات خارجية كما بين هالة وأسرّة عمها وما تعلق باغتيال شقيقها علاء، أو مونولوج، وكثيراً ما فعلت الشخصيات؛ طلال وهجر فتاته له لضيق ذات اليد وانقلاب حياته من دارس للآداب إلى رجل أعمال ينظر للناس من عليائه، ساعياً وراء رغباته، وهالة في الأسى على ما فات والتحول في حياتها وحياة كل من عرفتهم وارتبطت بهم بصلة قرابة أو زمالة.

عملية استرجاع الذكريات مع ما يصاحبها من ظروف المكان والزمان وبه تنتقل عملية التذكر من عالم المدركات الخارجية إلى عالم التصورات الذهنية^(٥٧). وقد منح ذلك مساحة أوسع داخل الرواية لطرح تراكمات وصفات وسمات الشخصيات المسترجعة أو ما يرتبط بها. كما مكنها من الربط بين أزمنة الحدث الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وإدخال أطراف جديدة أسهمت في حل أزمة أو مشكلة أو توضيح موقف وتعليقه استناداً إلى أحداث ماضية أو مستقبلية.. وما الرواية بأجمعها إلا استرجاع لزمن مضى وترك جرحاً غائراً وإعادة إنتاجه بمثابة تسرية لنفس معذبة وإخراجها من عتمتها إلى حاضر ينبغى أن يعاش.

السارد:

في حديثه عن نوعيات السارد ميز الناقد الشكلائي الروسي (B. Tomachevsky) توماشفسكي بين ضربين من السرد؛ انطلاقاً من طبيعة علاقة السارد بأحداث مَحْكِيَّه وشخصياته؛ أحدهما "موضوعي (Objectif)" يكون فيه الراوي مهيمناً عارفاً مطلقاً على كل شيء أحداثاً وشخصياتٍ وغيرها، لا يند عن علمه أمر مهما دق وخفي. وثانيهما "ذاتي (Subjectif)"، ومن خلاله يتعرف المتلقي الحكاية من الراوي نفسه الذي يتساوى والشخصية الحكائية. ويحضر هذا النظام السردى، بكثافة، في الروايات الرومانسية، بخلاف السرد الموضوعي الذي يتوسل به كثيراً مبدعو الرواية الواقعية^(٥٨).

السارد في "الأسود يليق بك" كما في أسلوب الرواية يتحدث بضمير الغائب^(٥٩): منغلق هو على سره، أخذ غليونه، أضاف إلى معلوماته، شفي من إيمانه، ينظر، يتأمل، يفكر، يتروي. السارد في "الأسود يليق بك" يقدم للقارئ شخوصه في عمق أزمتها، في انكشافها بفعل العلاقة المتوترة التي جمعتهم شداً وجذباً، قرباً وبعداً، قنصاً وإفلاتاً. اتخذ الراوي وضعية "العالم" المدرك لشخصه في حركاتها وسكناتها، في نومها وصحوها، في أحلامها وذكرياتهما، في منولوجاتها وديالوجاتها. هو يعلم كل كبيرة وصغيرة حتى ما تحاول إخفاءه عن ذاتها، وكأنها عرائس ماريونيت يحركها بخيوط يحتفظ بها بين يديه يلقي بها حيث شاء.

وقد تتداخل الكاتبة مع الراوي - أحياناً - مبرزة رؤيتها لما اقتطعته من مشاهد عاينتها واقتطعتها من رؤية فعلية. يتبدى ظهورها في الإهداء الذي يتصدر الرواية، تؤكد رغبتها في إهداء العمل إلى صديقتها فنرى علاقة تربطها وموضوع الحكى: "سألتها.. أأندمين على عشق التهم تلايب شبابك؟" ردت بمزاح غائب فائقة الاشتغال، لا يمكن إطالة عمرها" وتعقب الحوار بمقولة: من أجل صديقتي. وهذا تصريح يضع المتلقي أمام تأكيد مؤداه الإعلان عن الارتباط بين المؤلف وشخصية روايته. ويحيل إلى أنها - الكاتبة - ابتكرت إحدى شخوص الرواية وكان قناعاً لها متمثلاً في "نجلاء" ابنة الخالة التي كانت بمثابة الناصح الأمين والخل الوفي لهالة الوافي في كلماتها وتعليقاتها وتفسيراتها للأمور "تدرين ما تحتاجينه الأكثر: إعادة تأهيل نفسي كي تتأقلمي مع هذا العالم؛ لأن العالم يا عزيزتي لن يقوم بجهد التأقلم معك!"^(٦٠)، تتوافق الكلمات مع ما ورد بالإهداء: "من أجل صديقتي الجميلة التي تعيش على الغبار الذهبي لسعادة غابرة، وترى في الألم كرامة تجمل العذاب، نثرت كل هذه النوتات الموسيقية في كتاب.. علني أعلمها الرقص على الرماد" القناع كان من الشفافية بحيث تبدت من ورائه أحلام مستغانمي بتعلقاتها وآرائها.

قسمت مستغانمي روايتها على غير المعتاد فهي حركات وليست فصولاً؛ حيث الفصول تقسيم روتيني، تقليدي، بينما الحركة^(٦١) بها طاقة، نشاط، حيوية، إنها انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر.

حالة جسد مظهرها وجوهرها يتغير وَضْعُهُ أو موقعه بالنسبة إلى نقطة ثابتة. شهريار/ طلال هاشم كان نقطة ثابتة، محور ارتكاز، شهر زاد/ هالة الوافي تدور حول محورها تتبعه أينما أراد. حركة فضائها الزمني عامان. والحركات متنوعة؛ فحركة الأرض حول نفسها تنتج الليل والنهار، وتنتج الفصول الأربعة من حركة الأرض حول الشمس. دوران هالة الوافي حول طلال هاشم طيلة ثمانية فصول: صيف، خريف، شتاء، ربيع. لم تنتج فيها النحو الطبيعي لترتيب الفصول الطبيعية. أنتج سعادة وشقاء؛ فالحركة الموجبة المؤدية للسعادة والوهج هي ربيع وصيف، والحركة المنتهية بغصة الألم والفراق خريف وشتاء " لتترك مكان الأرقام خضراء معلنة ربيع حب جديد، لكن قلبها يأبى أن يغادر الشتاء ويتشبث بأوراق الماضي الصفراء.. كان مازوشيا "(٦٢) جاءت الحركة الأخيرة شديدة الإيلام، حركة أرهقتها ماديا ومعنويا، أرهقتها جسديا ونفسيا، خلفت لها ندوبا لن تندمل .

الشخصيات:

شخوص الرواية تبدو - إلى حد بعيد - حقيقية من لحم ودم تبكي تتألم تتمزق تتبعثر أحلامها تتمرد على الواقع وتحاول تغييره، لا يجهضها الفشل بل تنهض وتسعى من جديد، تصيب وتخطئ، ليست ملائكة بل بشر نراهم ونعاشرهم نتعامل معهم نتقارب أو نتباعد طبقا لاتفاقنا أو اختلافنا معهم. لم تلبس مستغامي شخوصها رداء الملائكة أو تقسمهم شياطين وملائكة فهم متساوون في الصواب والخطأ مشاركون في الأفعال، حتى ابنة الجزائر بما حملته من ملامح القوة والصمود والجرأة؛ فقد تواطأت مع صيادها في علاقة ما كان لها أن تكون في ظل حراسها: " إنها في النهاية كالشعوب العربية، حتى وهي تطمح للتحرر، تحن لجلادها مثلها تتأمر على نفسها، تخلق أصنامها، تقبل يد خانقها، تغفر لقاتلها، تواصل تلميع التماثيل بعد سقوطها، تغسلها بالدموع من دم جرائمها." (٦٣) إنها حالة من الضياع ومناهة من فقد الوجداني الذي تألمت به الذات العربية في بدايات القرن العشرين، وتصعد كثير من القيم الإنسانية التي سرعان ما لملت جراحها محاولة استرداد الهوية في مواجهة الآخر.

وقد أفاضت أحلام مستغامي في تكديس الأحداث في الرواية بحيث تتشابك فيما بينها في حدّ يقربنا لقصة الإطار، وهذا لون آخر. لم تدع اسما يرد ذكره إلا وكان له حكاية، فتدع الحكاية الأصلية لنتهي الحكاية الفرعية؛ فهناك الجد، والأب، والأخ علاء، والأم، والعم، والمرأة الشاوية، ونجلاء ابنة خالتها التي اختلقت لها حكاية غير مؤثرة على الإطلاق ولا يؤثر في سير الأحداث عدم ذكرها، اللهم إلا إذا أرادت الكاتبة تعميق المأساة، وأردت ما ذكرت أنفا أن نجلاء ما هي إلا قناع للكاتبة ذاتها، وهناك فراس، وجمال، وهدى، وأخيرا الحراقة (٦٤).

إضافة إلى محاولتها إضفاء بعد أسطوري " لهالة " في توظيف رموز واقعية ومتخيلة؛ فهي مريم المجدية في لحظة حقد دفين بدا من طلال في إقبال الجمهور عليها؛ " هذه المجدية التي ما كادت

تنتهي من الغناء حتى زحف الجمهور نحوها ليتبارك بها ". وهي جان دارك في مواجهتها للصحافة الصفراء؛ كانوا يريدونها حطب المحرقة، لكن "جان دارك" التفتت ساعة المعركة فما رأت رجلا. وجدت نفسها وحيدة". وهي ماريا كالاس أسطورة الأوبرا ؛ لكنها ماريا كالاس في ثوب أوبرالي ، في تشبيه يتجاوز سقف توقعاتها إنها ابنة الناي لا علاقة لها بالفنون الغربية. وهي سندريلا في لقاءها المبالغت برجل الأعمال"، لكن لا يهم أن تكون الساحرة الطيبة قد خذلتها في موعدها الأول فهي لا تريد الليلة أن تكون سندريلا". وهي الجميلة النائمة " في أسطورة الجميلة النائمة توقظها قبلة من أمير تلك الجميلة النائمة من دهر... في أسطورتها هي يقع عليها السحر " أفادت أحلام مستغانمي من قراءتها المتنوعة ومخزون الطفولة في جمع رموز للبراءة والطهر والسمو والتضحية لصديقتها صاحبة الإهداء.

الحوار:

" الكلام المتمظهر المائل أساسا في الحوار ليس مجرد استراحة للكاتب والقارئ، أو تزيين النص، إنما هو قناة التلطف الروائي ويلتقي الشفوي بالمكتوب"^(٦٥). يأتي الحوار كاشفا للشخصيات مضيئا مواقفها وأفكارها وقناعاتها ونفسياتها. يحتل الحوار الاسترجاعي حيزا كبيرا في استحضار صور الأب والجد وهدى وعلاء ومصطفى والجزائر بماضيتها ونضالها وسعيها للتحرير. وكان عنصرا فاعلا في السرد لعب دورا فأضاء الشخصيات وماضيتها المتمثل في صمودها وكفاحها في تحقيق ذاتها. وجاء الحوار الخارجي بلغة فنية رقيقة وناعمة. أدارت الكاتبة حواراتها بفنية وحرفية كاتبة متمرسة في كتابة الرواية^(٦٦). كما أفادت من مخزون قراءتها في استدعاء الرموز، أفادت في تقنيات الحوار ومنها:

- باقات الورود: والتي كانت بمثابة حوار صامت أراد صاحبه الإثارة ولفت الانتباه، التزم فيها تيمة واحدة استقر عليها؛ زهور التوليب " المختلفة لونا ودلالة عن غيرها من الزهور.
- بطاقات الإهداء: كتب لها على البطاقة الأولى جملة واحدة " الأسود يليق بك "، التي كانت بمثابة عود الكبريت الذي أشعل النيران في قلب تلك الفتاة، متزامنا مع رحلة البحث عن الأمان، وتحقيق الذات مقابل ما تعرضت له من إرهاب مادي ومعنوي، أقل عواقبه ترك الأرض/ الوطن وكتب لها على البطاقة الثانية " أملك كل الوقت " وعلى الثالثة " احتف بورود الانتظار " ثلاث بطاقات أسهمت في رصد الأحداث وتطورها وتسلسلها.
- المونولوج: هو تحليل الذات من خلال حوار الشخصية معها؛ فتتوقف حركة زمن السرد الحاضر، لتنتقل حركة الزمن النفسي في اتجاهات مختلفة؛ ماضي، حاضر، مستقبل. ويعبر المونولوج عن مشاعر الشخصية وتأملاتها؛ إنه " وسيلة إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية دون تدخل من جانب الكاتب عن طريق الشرح والتحليل"^(٦٧).

جاء المونولوج في الأسود يليق بك بشكل مباشر على لسان الشخصية ذاتها؛ هالة الوافي أو طلال هاشم، " ويقدم على نحو عشوائي تماما كما لو لم يكن هناك قارئ"^(٦٨). في حوار مع ذاته "كثيرا ما تمنى لو كان شاعرا أو كاتباً ليصف انبهاره بهذا المكان الذي يتردد عليه منذ أكثر من عشر سنين. لا يدري إن كانت تنقصه الموهبة أو الشجاعة ليصبح كاتباً، فهو ليس خريج جامعات بل خريج الحياة؛ لذا لم يأخذ الشهادات يوماً مأخذ الجد. ما عاد الأمر ليزعجه. حلت عقده مذ تفوق بحكمته وذكائه على طاقم المستشارين والمساعدین العاملين في شركاته. حدث أكثر من مرة أن أنقذ أعماله من الإفلاس بمهاراته لا بشهاداتهم ". مونولوج كاشف نبرة الثقة الزائدة بالنفس حد الغرور، إضافة إلى مركب نقص تجاه الآخرين مصحوباً بنظرة تعال لعل مردها ذلك الاسم " طلال " .

وقد أسهم الحوار الآني الذي يتم في زمن الحاضر السردی في تحقيق لون من التوازن بين الزمن الحكاية وزمن السرد؛ " مع الحوار ينشأ ذلك اللون من المساواة بين الجزء السردی والجزء القصصی لخلق حالة من التوازن"^(٦٩) في الكشف عن مواقف الشخصيات وأفكارها وقناعاتها. ويتميز الحوار بنمط الزمن حيث ترى الشخصيات وهي تتحرك وتمشي وتمثل وتفكر"^(٧٠)، كما خفف من رتبة السرد من خلال تخلص الشخصيات من سلطة السارد المتحكم في كل شي وألقى الضوء على قناعات الشخصية المحورية: سألها مقدم البرنامج بفرحة صحافي وقع على سؤال يربك ضيفه: هل يمكن لمن ليس في حياته حب أن يغني للحب؟ جاء جوابها هادئاً: وحده فاقد الحب جدير بأن يغنيه.. الفن العظيم كالحب الكبير يتغذى من الحرمان؛ " حوار يكشف مدى الجدية في التعاطي مع المشاعر، وشجن تخفيه الكلمات أسفاً على زمن فات، وصدقا مع النفس والآخرين دون رياء أو مواربة.

الوصف:

وإلى جانب الحوار نلقي اهتماماً بالوصف سواء وصف الشخص أو الملامح أو النفسية أو الأمكنة. لم يكن الوصف في " الأسود يليق بك غاية في حد ذاته ولكن " لإضافة شيء يكون مفيداً للسرد؛ أي أنه جزء من الكل "^(٧١). ويؤدي الوصف دوراً في التفسير والبيان وتقريب الشيء الموصوف وتصويره في ذهن. لقد نقلت لنا الكاتبة بريشة رسام المشاعر: " هناك حب يجعلنا أجمل وآخر يجعلنا نذبل"، الحب هو اثنان يضحكان للأشياء نفسها، يحزنان في اللحظة نفسها، يشتعلان وينطفئان معا بعود كبريت واحد، دون تنسيق أو اتفاق"، والأشخاص: " نزلت من السيارة وكأنها راقصة باليه تتنعل خفين من الستان، مشي على رءوس الأحلام التي أصبحت لها أقدام"، والأماكن: " بدا الجو على البلاتو احتقالياً: قلوب حمراء، وسائد حمراء، ورود حمراء، علب وهدايا بشرائط حمراء"، والأشياء: فـ "القصة" آلة لا تكف عن النواح، كطفل تاه عن أمه، ويروي قصته لكل من يستمع إليه فيبيكيه"، والجمال: " الجبال منابرهم، وهواتفهم، ومنصات غنائهم وحائط مبكاهم، وسقفهم"، والمدن: " مروانة.. يا لغرورها، بلدة تخال نفسها بلاداً، فهي تعتقد أن مضاربها تصل حيث يصل صوتها!". وقد حافظت

الكاتبة على تلك المسافة بين الوصف والسرد فالسرد غاية والوصف تقنية مكمله؛ " فكلما برزت المقاطع الوصفية أبطأ السرد وتقلص الزمن الحكائي ليفسح المجال للسارد أو الشخصية في مقطعها الوصفي" (٧٢).

تعقيب:

التناغم بين العناصر السردية شكل بناء سرديا قادرا على تصوير أكثر القضايا إثارة وحساسية؛ المكان والهوية، ويتم ذلك على خلفية من الأحداث والشخصيات والحوارات التي تتماهى مع توجهاتنا وقناعاتنا. فتوهم أن الموضوع ما هو إلا رواية، من بداية ضبابية و حياة غامضة إلى نهاية شديدة الوضوح. فكل شيء نعيشه هو نتاج تفكيرنا فإذا كنا نفكر بطريقة إيجابية تكون حياتنا جميلة ورائعة، وإذا كنا نفكر بطريقة سلبية تكون حياتنا كلها عشوائية لا نعرف لها سبيلا. ولا أحد يستطيع العودة للوراء والبدء من جديد، لكن يستطيع كل أحد البدء من اليوم وصنع نهاية جديدة وسعيدة.

تقنية السرد - بعناصرها المختلفة - عند أحلام مستغانمي تأخذنا بشكل متدرج من الواقع إلى الفن الروائي، لتصبح التقنية بمثابة المكون الجمالي العاكس لما ينجم عنه من نتائج، إيجابية أو سلبية، تصب في ذهنية المتلقي تلك المحاولات الإنسانية في البحث عن السعادة ارتباطا ماديا ومعنويا بالمكان، وما يشكله من مرجعية دالة على الثبات والاستقرار وعنصرا فاعلا في تشكيل الهوية التي دونها تصير الذات مسخا مشوه المعالم عرضة للضياع والذوبان.

حاولت الكاتبة - مخالفة للواقع - إضفاء الملائكية - أحيانا - على شخصياتها المحوريتين، بيد أنها ناقضت ذاتها في لوحات رسمتها بيدها تتنافى وقناعات الشخصيات، ومنها وصفها لذلك اللقاء الذي جمعهما: " ما استطاعت النوم، ظلت تتأمل هذا الرجل النائم إلى جوارها يواصل احتضانها في نومه. عند الفجر فقط استطاعت أن تنام على صدره، كتابا مغلقا على سره. كان في ضمته شيء من الأبوة التي تواسي يتمها السري.. ورجولة مسالمة جردها النوم من سطوتها.^{٧٣} وهذا يتنافى مع السلوك الفطري للرجل والمرأة ولا يتماهى مع العادات والتقاليد التي تمسكت هالة الوافي بتلابيبها حفاظا على هويتها وما كان لها أن تأتي بمثل هذا التصرف ورجالها/ حراسها بداخلها.

" **الأسود يليق بك** " تجربة واقعية ليست متخيلة عايشة الكاتبة عناصرها في سعادتهم وشقائهم، نجاحاتهم وفشلهم، في لحظات اقترابهم وتباعدهم، عايشة الحدث بداية ووسطا ونهاية، وهذا ما عبرت عنه في إهدائها: "إن لحظات البوح هي أولى لحظات الشفاء ونفض غبار الماضي للمضي قدما".

الهوامش:

- ١- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبوديب، دار الآداب بيروت، ١٩٩٧ ص ٥٨
- ٢- فاطر: ٢٧، ٢٨
- ٣- عبد الكريم خليفة - الألوان في معجم العربية - مجلة المجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٧م ص ٣٦
- ٤- الأسود يليق بك ص ٨٦
- ٥- قاسم حسين صالح، - سيكولوجية إدراك اللون والشكل - دار الرشيد -، العراق، بغداد ١٩٨٢م ص: ١٠٨
- ٦- المرجع السابق ص ٢٠٨، وقد اهتم المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب في مجمل كتابه بتصنيف الألوان والربط بين اللون ودلالاته المسعودي: مروج الذهب، ت: محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة الإسلامية، ج ١، ص ٢١٨
- ٧- انظر: رولان بارت - اللغة والخطاب الأدبي - ترجمة سعيد الغانمي - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٣م بتصرف
- ٨- الأسود يليق بك ص ١٨
- ٩- السابق ص ١٨٦
- ١٠- السابق ص ١١٥
- ١١- السابق ص ٣٢
- ١٢- السابق ص ٣٩
- ١٣- السابق ١٣٩
- ١٤- النشيد الوطني للجزائر بدأ استعماله عام ١٩٦٣ أي بعد استقلال الجزائر من فرنسا ومن أبياته:
نحن جند في سبيل الحق ثرنا
وإلى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصغي لنا لما نطقنا
فاتخذنا رنة البارود وزنا
وعزفنا نغمة الرشاش لحننا
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
- ١٥- الشاعر أبو تمام - ديوان أبي تمام (شرح الخطيب التبريزي) - تحقيق: محمد عبده عزام - دار المعارف - ج ٤ ط ٣ ص ٢٥٣.
- ١٦- ابن منظور - لسان العرب - دار المعارف - ٢٠١١م - مادة: مكن.
- ١٧- انظر: مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - مكتبة الشروق الدولية - ٢٠٠٤م - أيضا: لسان العرب - مادة: هوى.
- ١٨- الأسود يليق بك ص ٦٧
- ١٩- الأسود يليق بك ص ١٩٥
- ٢٠- السابق ص ٢٦
- ٢١- السابق ص ٧٠
- ٢٢- السابق ص ٧٨
- ٢٣- غاستون باشلار - جماليات الصورة، غادة الإمام - التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ٢٠١٠م ط ١ ص ٦٩
- ٢٤- السابق ص ٣٠
- ٢٥- الأسود يليق بك ص ٣١
- ٢٦- السابق ص ٤٤

- ٢٧- السابق ص ١٣٥
٢٨- السابق ص ١٥
٢٩- لسان العرب - ابن منظور
٣٠- الأسود يليق بك ص ٥٤
٣١- السابق ص ٢٥٥
٣٢- السابق ص ٦٦
٣٣- السابق ص ٣٠
٣٤- السابق ص ٧٤
٣٥- السابق ص ٧٧
٣٦- السابق ص ٨٥
٣٧- السابق ص ٨٤
٣٨- السابق ص ١٤٦
٣٩- السابق ص ٢٧٠
٤٠- السابق ص ١٥٩
٤١- السابق ص ٢٦٨
٤٢- السابق ص ١٥٠
٤٣- السابق ص ١٥١
٤٤- السابق ص ١٦٥
٤٥- السابق ص ٨٣
٤٦- السابق ص ١٧٥
٤٧- السابق ص ٢١٨
٤٨- السابق ص ٢٤٨
٤٩- السابق ص ١٤٨
٥٠- السابق ص ٢٨٥
٥١- من أشعار الشاعر الفلسطيني سميح القاسم - ديوان: دخان البراكين - شركة المكتبة الشعبية - الناصرة - ١٩٦٨ ص ٣٢، ٣٣.
٥٢- رمضان بسطويس - الإبداع والحرية - سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م
بتصرف
٥٣- عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية - بحث في تقنية السرد - سلسلة عالم المعرفة الكويتية - ٢٠١٤م ص ٢٢٤
٥٤- عبد الله إبراهيم - السرد والتمثيل السرد في الرواية العربية المعاصرة - علامات العدد ١٦ ص ٤
٥٥- مها حسن القصراري - الزمن في الرواية العربية - المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ٢٠٠٤م ص ١٩٢
٥٦- سعيد يقطين - انفتاح النص - المركز الثقافي العربي - ٢٠١٥م - ص ٥٦
٥٧- مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - مكتبة الشروق الدولية - ٢٠٠٤م
٥٨- نظرية المنهج الشكلي - نصوص الشكلايين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط. ١، ١٩٨٢م ص ١٨٩.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — المكان والهوية في الأسود يليق بك — رؤية سردية - سعاد أمين

- ^{٥٩} - المصطلح السردية - جيرالد برنسترجمة: عابد خزندر - المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، مصر ٢٠٠٣م ص ١٨٥
- ^{٦٠} - الأسود يليق بك ص ١١٤
- ^{٦١} - لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف - القاهرة وأيضاً: القاموس المحيط - الفيروز آبادي
- ^{٦٢} - الأسود يليق بك - ص ٣٠٩ والمأزوشية: اضطراب نفسي يتجسد في التلذذ بإيقاع الألم على الطرف الآخر أو الشخص نفسه.
- ^{٦٣} - الأسود يليق بك ص ٣٠٨
- ^{٦٤} - وهونوع من الرحيل بالتخلي عن الأرض والهوية - السابق ص ٢٤٣
- ^{٦٥} - الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين - محمد برادة - مجلة فصول - المجلد ١١ العدد ١٩٩٣م ص ٢١
- ^{٦٦} - هذه الرواية هي الثامنة في الإنتاج الأدبي لأحلام مستغانمي ومن رواياتها " ذاكرة الجسد التي حازت فيها جائزة نجيب محفوظ للعام 1998م
- ^{٦٧} - نظرية الأدب - رينيه ويليك، أوستن وارين - ترجمة محي الدين الخطيب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٨٥م ص ٢٣٥
- ^{٦٨} - روبرت همفري - تيار الوعي في الرواية الحديثة - ترجمة د. محمود الربيعي - دار غريب - القاهرة الطبعة: ٢٠٠٠م ص ٦٠
- ^{٦٩} - جان ريكاردو - القضايا الجديدة للرواية - ترجمة - دار الشؤون الثقافية العامة بغداد - ٢٠٠٤م ص ٢٥٣
- ^{٧٠} - سيزا قاسم - بناء الرواية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٤م ص ٦٥
- ^{٧١} - حسن بحراوي - بنية الشكل الروائي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، المغرب ١٩٩٠م ص ١٧٦
- ^{٧٢} - مها حسن القصاروي - الزمن في الرواية العربية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٤م ص ٢٥٠
- ^{٧٣} - الأسود يليق بك ص ٢١٩

المصادر:

الأسود يليق بك - أحلام مستغانمي - نوفل للنشر - بيروت، لبنان - 12-12-2012م

المراجع:

- ١ - ابن منظور - لسان العرب - دار المعارف - ٢٠١١م
- ٢ - إدوارد سعيد - الثقافة والإمبريالية ، ترجمة كمال أبوديب، دار الآداب بيروت، ١٩٩٧ م
- ٣ - أوستن وارين - رينيه ويليك - نظرية الأدب، - ترجمة محي الدين الخطيب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٨٥م
- ٤ - جان ريكاردو - القضايا الجديدة للرواية - ترجمة - دار الشؤون الثقافية العامة بغداد - ٢٠٠٤م
- ٥ - جيرالد برنس - المصطلح السردية - ترجمة عابد خزندر - المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، مصر ٢٠٠٣م
- ٦ - حسن بحراوي - بنية الشكل الروائي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، المغرب ١٩٩٠م

- ٧- رمضان بسطويس - الإبداع والحرية - سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م
- ٨- روبرت همفري - تيار الوعي في الرواية الحديثة - ترجمة د. محمود الربيعي - دار غريب - القاهرة الطبعة: ٢٠٠٠م
- ٩- رولان بارت - اللغة والخطاب الأدبي - ترجمة سعيد الغانمي - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٣م
- ١٠- سيزا قاسم - بناء الرواية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٤م
- ١١- سعيد يقطين - انفتاح النص - المركز الثقافي العربي - ٢٠١٥م
- ١٢- عبد الكريم خليفة - الألوان في معجم العربية - مجلة المجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٧م
- ١٣- عبد الله إبراهيم - السرد والتمثيل السرد في الرواية العربية المعاصرة - علامات العدد ١٦
- ١٤- عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية - بحث في تقنية السرد - سلسلة عالم المعرفة الكويتية - ٢٠١٤م
- ١٥- غاستون باشلار - جماليات الصورة - ترجمة: غادة الإمام - التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ٢٠١٠م - ط ١
- ١٦- قاسم حسين صالح - سيكولوجية إدراك اللون والشكل - دار الرشيد - العراق، بغداد ١٩٨٢م
- ١٧- مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - مكتبة الشروق الدولية - ٢٠٠٤م
- ١٨- محمد برادة - الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين - مجلة فصول - المجلد ١١ العدد ٤ ٩٩٣م
- ١٩- المسعودي - مروج الذهب ت: محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة الإسلامية، ج ١
- ٢٠- مها حسن القصرائي - الزمن في الرواية العربية - المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ٢٠٠٤م
- ٢١- نظرية المنهج الشكلي - نصوص الشكلايين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط. ١، ١٩٨٢م.

دراسات لسانية

مستويات العربية المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي (الواجهة والبراق) أنموذجاً

أشرف عبد البديع عبد الكريم

٠/١ : التأسيس الأولي:

١/١ : لماذا الواجهة والبراق؟

٢/١ : لماذا العربية المكتوبة؟

٣/١ : أنماط العربية المكتوبة والرموز الأخرى.

٤/١ : أهداف البحث ومنهجه.

٠/٢ : قضايا مصطلحية:

١/٢ : مقترحان عربيان في العنوان.

٢/٢ : مصطلحات أساسية.

٠/٣ : قراءة في العربية:

١/٣ : قراءة في العربية التاريخية.

٠/٤ : العربية المعاصرة في وسائل الإعلام:

١/٤ : العربية المعاصرة في وسائل الإعلام التقليدية.

٢/٤ : المفارقة بين العربية المعاصرة في وسائل الإعلام والعربية المعاصرة على الواجهة

والبراق.

٣/٤ : تقويم لساني للمواضع بين العربية المعاصرة على الواجهة والعربية المعاصرة في

البراق.

٠/٥ : تصنيف العربية المكتوبة على الواجهة والبراق:

١/٥ : التصنيف الموضوعاتي للعربية المعاصرة على الواجهة والبراق.

٢/٥ : التصنيف التعليمي والثقافي لمستخدمي الواجهة والبراق.

٠/٦ : مستويات العربية على الواجهة والبراق:

١/٦ : مستويات العربية المنطوقة على الواجهة والبراق:

١/٦ : العربية المنطوقة على الواجهة.

٢/١/٦ : العربية المنطوقة في (البراق).

(١) حين أستعمل (الواجهة) في البحث أجعله متعددا بحرف الاستعلاء (على)، بينما مع (البراق) أجعله متعددا بحرف الإلصاق والتمكين (في)، وهذا يناسب ما ينشر على (الواجهة) وليس في الواجهة، خلافا لـ (البراق) الذي الذي يتم النشر فيه، لا عليه. وحين أستعمل المكافئين معا أجعلهما متعدبين بحرف الجر (على) لأن الواجهة تأتي أولا، فأجعله لأقربهما.

٢/٦: مستويات العربية المكتوبة على الواجهة والبراق:

١/٢/٦: العربية الكلاسيكية.

٢/٢/٦: العربية الفصحى.

٣/٢/٦: العربية المتوسطة.

٤/٢/٦: عامية المتقنين.

٥/٢/٦: عامية المنتورين.

٦/٢/٦: عامية الأميين.

٠/٧: الحلول والمقترحات.

٠/٨: المراجع.

١/١: التأسيس الأولي:

١/١: لماذا الواجهة والبراق؟

تتحدد مادة البحث في الواجهة والبراق؛ إذ يظهران التحديات التي تواجهها العربية المكتوبة؛ نتيجة انفجار شبكات التواصل الاجتماعي، فضلا عن التحديات التي تواجهها من خلال تواجدها على الشبكة الدولية في صراعها مع اللغات الأخرى. وأما الحديث عنها وعن نسبة المستخدمين لها وترتيبها بين اللغات ... إلخ، فلها بحوث متخصصة تقوم بالرصد والتحليل والإحصاء وتقديم القراءات المتوقعة لما سيحدث، وما ينبغي أن يقوم به المختصون حيال هذه القراءات، مثل ما تقوم به كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية.

ولن أعرض في مستويات العربية خاصة للواجهة منفردة عن البراق، وأكتفي بالتفريق بينهما في مواضع عدة من البحث، وهي كافية في بيان الموائز بين عربية التطبيقين. وأشار إلى أسباب اختيارهما لما يلي:

أولاً: أن عدد مستخدميها كبير، ومن ثم فالعربية المكتوبة عليهما أغزر، مما يعطي صورة صادقة لواقعها.

ثانياً: لا مجال للمقارنة بين الكلمات المسموح بها في التطبيقات الأخرى كالتغريدة مثلاً والمسموح به على الواجهة والبراق، فالأولى محدودة والواجهة والبراق لا حدود لهما في عدد الكلمات، مما يفسح المجال لرصد مستويات العربية المعاصرة.

ثالثاً: تطبيق البراق متاح لجميع الهواتف الذكية من دون بريد إلكتروني مما يجعله قابلاً للزيادة في السنوات القادمة من التغريدة وإنستجرام والواجهة مثلاً؛ لاحتياجها إلى بريد إلكتروني أو رقم الهاتف، فإذا كان قد تم إنشاؤه في ٢٠٠٩، فإنه في خلال سبع سنوات تقريباً بلغ حسب بعض الإحصاءات (١٢ فبراير، ٢٠١٥) ٧٠٠ مليون، وهو رقم مرشح للزيادة بشكل أكبر من الواجهة: — لسهولة استعماله.

— لا يحتاج إلى إنشاء حساب خاص.

— يعتمد في بداية تشغيله على رقم الهاتف، حتى وإن تم تغيير هذا الرقم أو الاستغناء عنه تماما، فيظل يعمل بشكل تلقائي، فالمعول ليس على الرقم بقدر الاتصال بالشبكة. على أي حال، فإن العربية المستخدمة على التطبيقين منطوقة ومكتوبة، وسوف أعرض عن المنطوقة لما سيرد بيانه، ومن ثم سيعتمد البحث على العربية المكتوبة.

وجدير بالذكر أنني أعتمد على أكثر من تطبيق لما يأتي:
أولا: لأن هذا يظهر تنوعا لمستويات العربية المكتوبة.

ثانيا: أن كل تطبيق له مستخدمون يعكسون واقعا اجتماعيا وتعليميا وثقافيا.

ثالثا: إذا كانت العربية في البراق موجهة خلافا للواجهة (موجهة وغير موجهة)، فإن هذا يعكس تباين المتعاملين بها.

٢/١: لماذا العربية المكتوبة؟

الأول: العربية المكتوبة سهلة التأمل والقياس.

الثاني: العربية المكتوبة أكثر من المنطوقة على التطبيقين.

الثالث: تنوع المستخدمين^(١) للعربية المكتوبة.

الرابع: سهولة تحديد العربية المكتوبة؛ لأنها في متناول جل المستخدمين.

الخامس: العربية المكتوبة على التطبيقين أصل والمنطوقة فرع.

٣/١: أنماط العربية المكتوبة والرموز الأخرى: تقسم العربية المكتوبة على التطبيقين قسمين:

أولا: العربية المكتوبة على الواجهة: وهي قسمان، على العام وعلى الخاص، فأما العربية على العام فسأعرض لها تفصيلا، وستكون مادتها موضوع البحث، وأما العربية على الخاص فأعني بها تلك المراسلات الخاصة، ونظرا لتعذر الحصول على الكثير منها، فسيكون رسدي من خلال العربية على العام، وأسترشد بما على الخاص من خلال بعض النماذج المتاحة.
ويمكن تقسيم العربية المكتوبة على الواجهة إلى عربية: المنشورات، المنشورات المعدة مسبقا^(٢)، التعليقات على المنشورات، المكاتبات على الخاص.

(١) ثمة إشكالية في تحديد بعض المصطلحات على (الواجهة والبراق) تحديدا منها (المدون Blogger، المستخدم/المستعمل User) وسأستعمل في البحث (المستخدم، المستعمل، الكاتب)؛ لأن المدون من يمتن الكتابة الإلكترونية. ولم أجد أحدا ممن يمكن تسميتهم بهذا المصطلح، لذا غلب على البحث استعمال مستخدم وما يدل عليه.
(٢) تنقسم المنشورات الجاهزة بما يلي:

أولا: يغلب عليها الرسومات والصور والرموز التي تعبر عن العواطف والمشاعر.
ثانيا: هناك كثير من المنشورات مشتركة بين الواجهة والبراق، وهذا يعني أن كثيرا من مستخدمي الواجهة هم ذاتهم مستخدمو البراق.

ثالثا: وجود أخطاء نحوية متمثلة في عدم وجود ألف في بعض حالات النصب، أو عدم جزم الفعل المضارع المنتهي بحرف علة والواقع فعلا أو جوابا للشرط أو جوابا للطلب، أو الفعل الأمر المنتهي بحرف علة، وفي بعض حالات الإعراب بالحركات الفرعية، مثل الأسماء الخمسة والأفعال الخمسة وجمع المذكر السالم.
رابعا: وجود أخطاء إملائية ظاهرة، خاصة ما تتعلق بالهمزة، والخلط بين التاء المربوطة وهاء الضمير ... إلخ.

ثانيا: العربية المكتوبة في البراق: ويمكن تقسيمها إلى: عربية الأهل والأصدقاء، وعربية الرسائل الجماعية، وعربية المجموعات. ومن ثم فإن عربيته خاصة، وعربية الواجهة خاصة وعامة، وتمثل هذه مفارقة بين عربية التطبيقين.

وإذا كانت العربية المكتوبة على الواجهة والبراق حوارية في أساسها، فيمكن تقسيمها إلى ما يأتي:

الأول: المنشورات العامة: هي نوع من الحوار الضمني يتناول قضايا عامة كثيرا وخاصة نادرا.

الثاني: التعليقات على المنشورات العامة وخلافها: وهي نوع من أنواع الحوار المباشر وهي الأساس.

الثالث: المكاتبات المصورة على الخاص: تنشر من آن لآخر، إما على سبيل العبرة، وإما على سبيل التهكم، وإما على سبيل التهديد ... إلخ.

الرابع: الحوارات على الخاص: وتتركز غالبا على قضايا شخصية.

ولم أقم بدراسة إحصائية لعينات من المستخدمين ، بل كان عملي من خلال متابعة للواجهة لأكثر من ست سنوات ورصد لكل مستوياتها وكذا للبراق. وقد كانت المتابعة لشرائح اجتماعية وثقافية مختلفة، مما يعطي تصورا معقولا عن مستوياتها على هذين التطبيقين. وقد رأيت أن ذكر أنماط ونماذج تطبيقية من مستويات العربية، سيؤدي إلى الإطالة، ولهذا استقر الرأي على أن يكون هذا البحث رسدا لمستويات العربية المعاصرة وباكورة لأعمال أخرى في هذا المجال.

وإذا كانت اللغة رموزا (لغوية) فإن هناك رموزا أخرى (غير لغوية) مستعملة في الرسائل المعدة مسبقا كثيرا، تحمل طابعا توجيهيا أو دينيا أو توعويا أو نصحا أو إرشادا؛ كالرسوم والصور والرموز مثل: القلوب والورود والإشارة باليد ... إلخ دون داع. كما أن اختصار بعض الحروف مثل (على) التي تكتب (ع) و(في) التي تكتب (ف)^(١) من خلال طريقتين، الأولى منفردة، والثانية مشتركة مع الكلمة التالية، واختصار بعض العبارات مثل: تصبحون على خير تكتب كما يلي: ت ع خ، ومع السلامة تكتب: م س، وعلى آخر الشهر، تكتب: ع آخر الشهر وهكذا، وكل هذا يؤدي إلى تشوية اللغة، ويؤثر عليها تأثيرا سلبيا، وربما يخلق لغة جديدة في المستقبل خاصة بوسائل التواصل الاجتماعي، إن لم يكن قد خلق بالفعل.

يقدم البحث رسدا لكل مستويات العربية من خلال التطبيقين دون ذكر الأمثلة، التي منها ما يقترب اقترابا شديدا كما في العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى، ومنها ما يبتعد عنها ابتعادا شديدا

(١) أظهرت بعض الدراسات أن نسبة ٥٢ % من مستخدمي الإنترنت قالوا إنه أثر تأثيرا سلبيا على لغتهم العربية مثل اختصار حروف الجر بأن تكتب على ع وفي تكتب ف وهكذا، د. محمود أحمد سيد : اللغة العربية وتحديات العصر، ص ١٣٧.

حتى يوصل إلى العاميات، وهذه المستويات من العامية لم يكن لها استعمالات في وسائل الإعلام التقليدية إلا قليلاً، وكانت مقصورة على فئة لم تتل حظاً من التعليم، وكان يزكها الانعزال في السابق، وقد انتشرت مع فئة تعلمت تعليماً أولياً مع انفجار وسائل التواصل الاجتماعي، ومن ثم انتقلت من الاستعمال الضيق إلى الاستعمال الأوسع. ووقفت عامية المتقنين موقفاً وسطاً. وتتنوع الأخطاء بتنوع المستخدمين، حتى صارت لها قواعد خاصة بها، حين استبدلت بعض أدوات النفي وغيرها، لتمثل معلماً مهماً لها. ومن ثم يصبح لدينا أشكال متنوعة من العربية، الفصحى والعاميات التي تفرعت عنها، وعاميات جديدة هي عامية وسائل التواصل الاجتماعي، ومن ثم فبدلاً من أن نركز جهودنا في اتجاه واحد (العاميات وانتشارها) نحارب اتجاهين؛ العامية وعامية وسائل التواصل الاجتماعي.

٤/١: أهداف البحث ومنهجه:

يرصد البحث تأثير الواقع التعليمي والثقافي والتكنولوجي على مستويات العربية المعاصرة على التطبيقين، ويمثل هذا هدفاً رئيساً، تتفرع عنه أهداف أخرى كما يأتي:

- ١- تشخيص الداء ليسهل تحديد الدواء.
 - ٢- رسم صورة لمستويات اللغة العربية المعاصرة المكتوبة.
 - ٣- رصد التحديات التي تواجه اللغة العربية.
 - ٤- وضع الحلول التي تساعد في الحفاظ على اللغة العربية كتابةً ونطقاً.
 - ٥- وضع خطط وبرامج مناسبة لتعليم العربية في هذه المرحلة.
- أما المنهج المتبع في البحث، فهو المنهج الوصفي والاستقرائي.

٥/٢: قضايا مصطلحية:

١/٢: مقترحان عربيان في العنوان:

تواجه العربية المعاصرة كما هائلاً من الطوفان في التعامل مع المصطلح الأجنبي، وقد زاد هذا الداء في السنوات العشر الأخيرة، التي انتشرت فيها شبكات التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى استعمالها بشكل كبير. ولم أشأ أن أخوض مع الخائضين في استعمال المصطلحات المعربة (الفيس بوك، الفيس بوك) و(الواتس آب، الواتساب، الواتس أب، واتساب ويب، واتساب)، ويلاحظ على بعض هذه المصطلحات المعربة أنها تستخدم أداة التعريف (أل) على الرغم من أنه لا وجود لها في لغتها الأم، ورب قائل يقول إنها تطويع للعربية، فجاءت على هذا الشاكلة. وفي محاولة للتخلص من أشكال المصطلح المعرب والاستعاضة عنه بمكافئ عربي، اقترحت مكافئين عربيين؛ فاستعملت للأول (الواجهة)، وهو من اقتراح د. سعد مصلوح، حين استعمله على صفحته على (الواجهة)، وأما المصطلح الآخر (الواتساب ومشتقاته)، فله مقترحات عربية لا تليق به من ناحيتين:

الأولى: الصياغة، فما وجدته كتب بالعامية.

والثانية: إن ما اقترح عبارة عن جملة.

ومن ثم فقد مر ضبط المكافئ المقترح بمرحلتين:

الأولى: تحرير العبارة وغربلتها وصياغتها بعربية معاصرة.

الثانية: تحرير المصطلح العربي. وتضم هذه المرحلة أربع مراحل تقع في إطارها، تعرضت فيها لمناقشة المكافئات المقترحة له التي عنت لي وأبقيت عليها؛ لتكون شاهدة على الفحص والتمحيص الذي استغرقته كل مرحلة وكل مقترح؛ حتى صار أمرا مقضيا. وأعرض لها فيما يلي:

المرحلة الأولى:

استقر الرأي بداية بعد طول نظر على اقتراح (الجديد) مكافئا عربيا، وقد توقفت أمامه طويلا، وأعدت فيه النظر بتقليب الأمور على وجوهها. وهو من العبارة الإنجليزية WatsUp، ثم تغيرت بعد أن أضيف إليها (App) بدلا من (Up)، ومن ثم صار المصطلح (WhatsApp)؛ ليعطي مدلولاً على أنه عبارة عن تطبيق، وهو باللغة الإنجليزية Application. وقد وجدت له عدة مكافئات عربية مقترحة من قبل المستخدمين على الشبكة الدولية كما يلي:

- ما الأخبار؟ (ما الخبر؟ أخبارك؟)

- ما الجديد؟ (جديدك؟)

وجدير بالذكر أن كل هذه المكافئات المقترحة غير مناسبة لأسباب أحاول مناقشتها فيما يلي. وأشير على جهة الابتداء إلى شيئين يتعلقان بالصياغة الواردة أعلاها كما يلي:

- المكافئات العربية المقترحة بالعامية المصرية تحديدا (إيه الأخبار؟ إيه الجديد؟ عامل إيه؟).

- ما ورد مما بين الأقواس لفظا ومعنى إضافة من الباحث، وهي اقتراحات على ذات المنوال

وتجزئها العربية ولا ترى فيها بأسا، وهي مقبولة، وقد حاولت صياغتها في نسق لغوي صحيح.

وكلها ترجمات لا تليق بالمصطلح العلمي ولا بالعربية. إذ كيف يسمى موقع اجتماعي بصيغة

تركيبية استفهامية؟! إن كان هذا تجيزه الإنجليزية فهو غير جائز في العربية.

ويلاحظ أن (الأخبار، الخبر، الجديد) مصطلحات متداولة في المجال الإعلامي، وعلى هذا، فما

المانع من إعادة صياغتها في مكافئ مقترح مناسب للعربية؟ خاصة إذا تم حذف أداة الاستفهام (ما)

وعلامتها (؟)، ومن ثم يصير التركيب: (الأخبار. الجديد)، ويلاحظ عليهما أنهما:

- موجزتان.

- يمكن أن ينغما، فيقوم عنصر التنغيم (الأداء) مقام العنصر اللغوي (أداة الاستفهام

وعلامتها)، وهذا يؤدي إلى اختصار في البنية اللغوية.

- اقترحت بعض القنوات الفضائية (الجديد) اسما لها. وأحسب أن هذه المقترحات مقبولة،

خاصة إذا كان هدف (الجديد):

- نقل المعلومات الجديدة.

- التواصل الاجتماعي.

- نقل الأفكار للآخرين.
 - الرسائل القصيرة السريعة.
 - ومن ثم يبقى (الجديد) مكافئا عربيا مقبولا؛ لأنه جامع ومختصر لكل الأسئلة والأفكار الآتية وزيادة:
 - ما الجديد؟ (هل لديك جديد؟)
 - ما الأخبار؟ (ما أخبارك؟)
 - كيف الحال؟ (حالك؟)
 - طمني عليك!
 - التواصل الاجتماعي.
 - التواصل الفكري.
 - الرسائل (البرق، زاجل، واصل).
 - كل هذه الأسئلة وغيرها، وما يقع على منوالها وفي إطارها يدخل في إطار هذا المكافئ المقترح. ولهذا كان أولى وأجدر بالعناية والرعاية من (الأخبار) خاصة أنه ذو ظلال إعلامية أكثر من الجديد. ومن هنا فإن تطويع (الجديد) مكافئا مقترحا للاستعمال أيسر. وقد وقر اقتراحه لأنه:
 - أوجز / أخصر وفيه جديد.
 - في الإعلام أقل مقارنة بالأول، ومن ثم فانصراف ذهن القارئ إلى المجال الإعلامي أقل.
 - دال على المعنى، كما أن هناك قناة فضائية سُميت به.
 - ومن ثم، فعند صياغة مصطلح، لا يمكن صياغة تركيب؛ وهذا لا يجوز من وجوه:
 - التركيب لا يكون مصطلحا.
 - التركيب يتسم بالطول، بينما المصطلح يتسم بالإيجاز.
 - المكافئ المقترح يمكن أن ينغم وينبر، فيقومان مقام العنصرين اللسانيين.
- المرحلة الثانية:**

أثناء البحث في المرحلة الأولى، أرسلت رسالة عبر (البراق) للدكتور سعد مصلوح حول اقتراحي (الجديد) مكافئا للمصطلح الإنجليزي فأفادني، غفر الله لنا وله، بما هو آتٍ ترجمه بعض الفضلاء على سنة التعريب (الوثاب)، ولا أرى بأسا بها، وعلى أي حال، الاستعمال والسيرورة هما الحكم الذي ترضى حكومته في هذه الأحوال. انتهى. وقد غلب عليّ حيائي، فلم أستطع أن أعاود الاستفسار منه، ولي على النص ملاحظ منها:

أولا: إن (الوثاب) ليس تعريبا، كما أورد د. سعد، بل ترجمة، وربما كان قصد سيدي تعريبا، على أساس أن (الواتساب) تعريبه (الوثاب) وليس ثمة فرق سوى أن المصطلحين: المعرب (الواتساب) بالتاء بينما الآخر الوثاب بالتاء، ومن ثم فلا فرق بين المصطلحين إلا في (التاء والتاء)، وهما صوتان

متقاربان في المخرج، فالتاء صوت لثوي من طرف اللسان مما بين الثنايا، والتاء صوت انفجاري من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ومن ثم متقاربان في المخرج.

ثانياً: إن الاقتراح الذي راق للشيخ، لا نعلم يقينا من اقترحه، وهو استعمال منتشر في دول الخليج العربي، كما لم أجد علاقة بين (الجديد) والوثاب، سوى أن (الوثاب) إشارة إلى الخفة والسرعة. وقد يكون قصد الشيخ أن (الوثاب) كناية عن نقل الأفكار سريعاً، وهذا يحمل على (الجديد) أيضاً لكنه حمل بعيد.

ثالثاً: الوثاب فيه دلالة على الوثب من السرعة، ولكن أي سرعة هذه للوثب؟ ماذا يمكن أن نسميها؟ وماذا يعنى الوثب في عصر وسائل الاتصال الحديثة التي ألغت المسافات والحدود والزمن؟ فإذا كان (الوثب) صالحاً لفترة زمنية معينة، لكنه لم يعد مناسباً في عصر لا يتعامل الناس بالوثب، بل بالبرق وزيادة، ومن ثم فلا مجال للمقارنة بين (الوثاب) وبين ما تختصره هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة؛ لأنها لن تكون في صالح (الوثاب)؛ لأنني لا أجد له مسمى يليق به؛ لأنه يعد مشي السلحفاة، وربما يكون مشي السلحفاة أسرع.

وجدير بالذكر أن مصطلح (الوثاب) مستعمل في دول الخليج؛ فقد ذكر لي د. سعيد بحيري أنه مستعمل في السعودية، كما في الإمارات العربية المتحدة، غير أن أحد الإماراتيين ذكر لي أن استعماله يقتصر غالباً على كبار السن، الذين لم ينالوا حظاً من التعليم، فينطقونه الوثاب؛ لصعوبة نطقهم التاء والسين في الوائساب، فيدغمون الحرفين، بحيث يصيران حرفاً واحداً وسطاً في المخرج بين مخرج الحرفين السابقين وهو التاء.

المرحلة الثالثة:

بعد ما أوردته في المرحلة الأولى والثانية عن لي مصطلحان آخران (البرق، واصل)، وعلى الرغم من أنهما لا علاقة لهما بـ (الأخبار والجديد) إلا أنهما دالان دلالة مباشرة خاصة أن لهما استعمالات بريدية سابقة.

ويمكن أن يكون استعمال أحدهما مرشحاً بقوة بدلاً من (الجديد) خاصة أنهما ليس لهما ظلال إعلامية، كما في مصطلحي المرحلة الأولى، ويحملان ظلالاً بريدية، وهو ما يرشحهما بقوة، على أساس أننا نتعامل مع رسائل في الأول والأخير، كما أنها استعمالات لم تعد موجودة. مما يزيد من ترجيح استعمالهما، خاصة أن أغلب مستخدمي (الواجهة والبراق) من الشباب، ومن ثم لن يستدعيا ظلالاً بريدية عند الاستعمال غالباً. وحين المقارنة بين (البرق وواصل)، فضلت استعمال البراق لما يلي:

أولاً: أن (واصل) فيه إشارة إلى البريد، لكنه ليس فيه إشارة إلى السرعة كما في البرق.
ثانياً: أن استعمال (واصل) في البريد واضح، لكن استعمال البرق أكثر وأوضح.

ثالثاً: أن هنالك استعمالات في البريد، بهذا المسمى مثل: هيئة البرق والهاتف، كما أن هناك استعمالاً آخر يدعم الاستعمال الأول، وهو (البرقية) التي تدل على السرعة، وأحسب أن اختيار هذا المصطلح في الاستعمال البريدي يؤكد صحة ما ذهب إليه، لأن له سنداً خلافاً لواصل. كما أشير إلى أن اختيار (البرق) أوجد مصطلحاً آخر مرتبطاً به (البراق)، ومن ثم صار لدينا مصطلحان متداخلان، وعلى الناظر فيهما اختيار أحدهما، ويحتاج هذا إلى مناقشة وجيزة. فقد أوردت المعاجم اللغوية أن (البرق) الضوء، ومعلوم أنه أسرع من الصوت، وفي الحديث أن النبي في رحلة الإسراء والمعراج ركب دابة تسمى (البراق) حملته إلى السماء، وقيل سميت بَرّاقاً من البرّاق وهو شدة الضوء؛ لأنه يكون عاكساً للضوء فيحفظ من فيه، كما أن فيه دلالة على سرعته المتناهية، وهذا أيضاً مفيد في إيصاله بسرعة الضوء. وعلى هذا، يكون لدينا مصطلح واحد (البرق)، لأن البرّاق استعمال خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهي دابة كما أوردتها كتب السير. ومن ثم لم يكن إلا اقتراح (البرق) مكافئاً للمصطلح الإنجليزي، لما يلي:

أولاً: أن البرق مختصر مقارنة بالبرّاق الذي فيه زيادة في المبنى.

ثانياً: أن البرق ليس فيه خصوصية في الاستعمال كما في البرّاق.

ثالثاً: أن البرق له رصيد في الاستعمال البريدي خلافاً للبرّاق.

رابعاً: إن فيه معنى السرعة، وهذا ليس موجوداً في (الأخبار والجديد).

ولهذا وغيره وقر استعمال (البرق) مكافئاً عربياً خالصاً لا شية فيه، بدلاً من المصطلح المعرب (الواتساب، الواتس آب، الواتس أب) و(الوثاب) على سنة التعريب، و(الجديد).

المرحلة الرابعة:

تبدأ من حيث انتهت المرحلة السابقة، قد استقر الرأي عندي أن البرق هو المصطلح الجدير بالأخذ به، غير أن ثمة موقفين أثنياني عنه إلى مكافئ آخر هو البرّاق وهما:

الموقف الأول:

ناقشتُ أحد الباحثين في اقتراح البرق مكافئاً عربياً، إلا أنه أشار عليّ أن أقترح البرّاق بدلاً من البرق، خاصة أن البرق صفة، والبراق اسم فاعل واسم آلة.

الموقف الثاني:

أرسلت رسالة إلى د. سعيد بحيري عبر البراق، وذكرت له الاقتراحات السابقة، ثم عقيت بأني يمكن أن أعدّل البرق إلى البرّاق، بناءً على الموقف الأول، فجاء رده، حفظه الله، كما يلي: أن المناسب ترجمتها إلى بارقة بوزن فاعلة. انتهى، فأرسلت له رسالة ثانية ونصها: أليست البارقة وصفاً للرسالة؟ والبراق وصفاً للتطبيق (البرنامج)؟ ومن ثم فبارقة أخص وبراق أعم، والأفضل استعمال العام للدلالة على الخاص وليس العكس، فجاء رد د. سعيد كما يلي: أنا أريد أصف بذلك سرعة الرسالة، فهي كلمحة في سرعتها. انتهى.

حين جاءني رد د. سعيد الأخير، أيقنت أنني أوشكت على اختيار المكافئ المناسب، غير أنني حين أصف لا أصف الرسالة بل أصف التطبيق، والتطبيق يشمل الرسالة، فوقر عندي استعمال البراق وصفا للتطبيق وبارقة وصفا للرسالة؛ لأنني إذا استعملت بارقة، معنى هذا أنني أستعمل وصفا لكل رسالة على حدة، وهذا فيه نظر، والأشمل أن أستعمل مكافئاً عربياً شاملاً، فاستقر رأيي على البراق وصفا للتطبيق والبارقة وصفا للرسالة.

٢/٢: مصطلحات أساسية:

العربية المعاصرة في عنوان البحث تشمل العربية الكلاسيكية والفصحى وما تفرع عنها من عاميات، على ما سيرد بيانه أدناه. وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن: العربية المعاصرة لغة مكتوبة تستخدم في مجالات الكتابة، فهي لغة الأدب بمختلف ألوانه ولغة العلم بمختلف فروعه ولغة الفن بمختلف أشكاله. وقليل ما تستخدم في المجال المنطوق، ومن أشكالها في هذا المجال نشرات الأخبار والتعليق عليها في الإذاعة والمحاضرات الثقافية في ظروف خاصة^(١).

وعلى هذا فقد قصرها غالباً على عربية الصحافة المكتوبة. ومعلوم أن الصحافة لا تستعمل إلا العربية الفصحى غالباً. لكن سؤالاً دار في رأسي، هل كل أنواع الأدب تكتب بلغة عربية معاصرة؟ وربما يقول قائل: إنه يقصد عربية الصحافة، والصحافة تكتب بالفصحى، ويمكن القول: هل الصحافة لا تنشر أدباً عامياً؟ وهنا يجب أن نفرق بين شيئين، الأول: الأدب الذي ينشر في الإعلام، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك أدباً ينشر في الصحافة بالعامية^(٢)، والآخر: أن هناك أدباً ينشر في دوائر النشر، ليس بالضرورة أن يكون بالفصحى، وهي رؤية مغايرة لما ذهب إليه د. بدوي، إذ تصور لها مصطلحين؛ الأول: حين اعتبرها مصطلحاً عاماً يجمع كل مستويات العربية المعاصرة الخمسة التي ذكرها، بناءً على أن عنوان كتابه: مستويات العربية المعاصرة ... والثاني: حين قسم هذه المستويات جعلها امتداداً للعربية الكلاسيكية، وهو ما سماها فصحى التراث^(٣). ومن ثم تحمل ثلاثة معان:

- مصطلح عام يجمع كل مستويات العربية.
- امتداد للعربية الكلاسيكية هنا، والفارق هو التأثير بالحضارة المعاصرة.
- عربية الصحافة المكتوبة، والصحافة لا تكتب إلا بالعربية الفصحى المتأثرة بالحضارة.

وعلى هذا فإذا كان د. بدوي نصاً صريحاً على أن العربية المعاصرة امتداد للعربية التراثية مع تطعيمها بألفاظ الحضارة، كما أنها لديه تشمل العربية المنطوقة والمكتوبة، في حين قصرها

(١) د. محمد حسن عبد العزيز: لغة الصحافة المعاصرة، ص ١١.

(٢) ينظر المقدمة الماتعة للطبعة الثانية من كتاب د. سعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ٢٣ : ٤٧، حيث نوقشت فيها العلاقة بين اللغة والتطور الاجتماعي في مناح كثيرة، أدى إلى تغير للعربية المعاصرة في مصر، ساردا الصراع بين الفصحى والعامية في وسائل الإعلام من البداية حتى الآن.

(٣) هي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص، مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ١١٩.

د. محمد حسن عبد العزيز على عربية الصحافة^(١). وعلى هذا فتصور د. بدوى أوسع، والآخر أضيق.

بينما نوسع معنى العربية المعاصرة في هذا البحث، فنجعلها تشمل العربية الكلاسيكية وفصحى العصر والعاميات التي تفرعت عنها، والذي دعاني إلى هذه الملاحظة أن البحث يتناول أشكال العربية المعاصرة في هذين التطبيقين، خاصة أننا نتعامل مع لغة مكتوبة لها سماتها التي تميزها من عربية وسائل الإعلام الأخرى. وهي تختلف عن عربية الصحافة المكتوبة فيما يلي:

أولاً: عربية الصحافة فصحى العصر غالباً.

ثانياً: عربية الصحافة يقوم عليها متخصصون ويراجعها مدققون.

ثالثاً: عربية الصحافة محددة وذات أهداف قومية ولها أولويات في النشر.

رابعاً: عربية الصحافة عربية مشتركة / مبسطة.

يبدو أننا أمام مرحلة في تاريخ العربية لم تتكون بعد؛ إذ لم يعد الأمر مقصوراً على العربية الفصحى أو المتوسطة؛ فقد تفرعت الفصحى إلى عاميات في الأغلب، بل إن الموضوع الواحد يكتب في وسائل التواصل الاجتماعي بمستويات عدة، كما سنرى في البحث، وهذا نمط جديد لم يكن موجوداً من قبل. ومن هنا جاء تقسيم مستويات العربية السائدة من خلال الواجهة والبراق على النحو الآتي^(٢):

- **العربية المعاصرة:** تشمل كل مصطلحات مستويات العربية المعاصرة.
- **العربية الكلاسيكية:** فصحى تقليدية، ونقصها على الكتابات الدينية، وهي غير متأثرة بشيء نسبياً.
- **العربية الفصحى:** فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص.
- **العربية المتوسطة:** أقرب إلى الفصحى، تتخللها أخطاء إملائية وصوتية وصرفية ونحوية بنسب متفاوتة؛ ويمكن تحديدها بالنظر إلى الكاتب وإلى مدى شيوع هذه الأخطاء، وهنا يكون لدينا عنصران حاكمان:

• الكاتب ومدى تمكنه من الكتابة.

• مدى شيوع الأخطاء من خلال متابعة كتاباته.

وقد أوردت هذه الملاحظة؛ لأن هنالك كثيراً من الكتابات كما سنرى، تقع في مستويات مختلفة، ولا يمكننا اعتبارها تقع في إطار الفصحى الخالصة، والأخطاء تمثل سمة بارزة فيها، ولا في إطار العربية المتوسطة إلا بالنظر إلى العنصرين السابقين.

• **عامية المثقفين:** يغلب عليها استعمال الفصحى والتأثر بالحضارة، وإن كانت تتسم بـ (التسكين على أواخر الكلمات، البعد عن الألفاظ النابية، تخير الكلمات، كما تبدو الأخطاء النحوية في

(١) د. محمد حسن عبد العزيز، (مرجع مذكور أعلاه)، ص ١١.

(٢) أفدت في تحديد هذه المستويات مما أوردته د. بدوى: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ١١٩، على الرغم من المفارقات بيني وبينه في تحديد بعض المفاهيم والتصورات.

بعض حالات النصب بالألف تقريبا أو الإعراب بالحركات الفرعية والخلط بين التاء المربوطة وتاء الضمير وغيرها.

• عامية المتنورين: متأثرة بالحضارة.

• عامية الأميين: غير متأثرة بشيء نسبيا، لا بالفصحى ولا بالحضارة المعاصرة.

٣/٠: قراءة في العربية:

٣/١: العربية التاريخية:

نشير ابتداء إلى أمر يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ العربية، أن أشكالا عدة من العربية الكلاسيكية، ظهرت في قرون إسلامية متأخرة، وبعد القرن الثاني والثالث الهجريين نضجا لها، كما يمثلها الكتاب لسيبويه وكتب معاني القرآن. وقد اعتمد النحاة العرب في جمع شواهدهم على مرحلة ما قبل العربية الكلاسيكية^(١)؛ أي مرحلة العصر الجاهلي وصدر الإسلام. ثم نشأت فيما بعد مرحلة أخرى بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية، أدت إلى تفرع العربية إلى عاميات.

وينبغي أن ننظر إلى العربية الفصحى ليس باعتبارها مصطلحا دالا على تاريخ العربية فحسب، بل بوصفها إشارة إلى واقع اجتماعي لغوي. وفي مقابل العربية الكلاسيكية تعد جميع الأشكال الأخرى للعربية لهجات دارجة، ولا يسري هذا الفهم على العاميات العربية فحسب، وإنما أيضا على ما يسمى بالعربية المتوسطة، التي كانت النمط الراجح للعربية المكتوبة والمتداولة بين اليهود والنصارى في العصور الوسطى^(٢)، ويحكي فوك أن يهود المدينة كانت لهم عربية تختلف عن عربية أهل المدينة، بحيث لم تكن مفهومة لهم^(٣).

كما أشير إلى أن النمط النموذجي للعربية هو الفصحى، ويكاد يكون استعماله في الواجهة والبراق قليلا؛ إذ يقتصر استعماله على النحاة والعلماء، كما كان في القرن الثاني والثالث الهجريين، وقد ظلت هذه السمة باقية في عقب النحاة بشكل ملحوظ خلال التطبيقين.

وإذا كنا اعتبرنا العربية الفصحى النموذج الجدير بالاحترام، فإن ما عداها من عاميات متفرعة عنها، كما ظل استعمال العربية المتوسطة مقصورا على الباحثين والمتعلمين تعليما جامعا غالبا، كما يبدو أنها تدل على واقع اجتماعي، كما تدل على تاريخ العربية. ألم يؤثر الواقع الاجتماعي على أن تتفرع العربية إلى عاميات؟ وإذا كانت العربية المتوسطة نشأت نتيجة تعامل اليهود والنصارى في مرحلة سابقة^(٤)، فهل يمكن اعتبار ما نحن فيه مرحلة فارقة بسبب وسائل التواصل الاجتماعي؟

(١) ينظر: فيشر: المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى، ص ٤٣٤.

(٢) السابق، ص ٤٣٢.

(٣) يوهان فوك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص ١١٠، وقدم فك تصورا عن دور اليهود والنصارى في انتشار اللهجات العربية، ص ١٠٩، ١١٠ وما بعدهما.

(٤) فيشر: المراحل الزمنية للغة العربية، ص ٤٣٢.

والظاهر أن خلافاً أصاب البنية الاجتماعية أدى إلى تغير بنية الفصحى، فإذا كانت العربية الكلاسيكية في القرون الإسلامية الأولى لغة النحاة والعلماء والمكاتبات الرسمية، فإن هذه السمة ظلت باقية حتى الآن، ويمكن قصرها غالباً على نمطين من أنماط الكتابة:

الأول: العربية الكلاسيكية: الكتابات الدينية.

والثاني: العربية الفصحى: عربية النحاة والعلماء.

وجدير بالذكر أن الكتابات الدينية لا تقع جميعها في إطار العربية الكلاسيكية أو العربية الفصحى فقط، بل شملت ما تفرع عنها من عاميات، وهذا يعني أن ثمة مستويات بدت ظاهرة لم تكن في الماضي، وهي العاميات، خاصة عامية المتتوربين وعامية الأميين، ولا أعني بالأخيرة الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، بل الذين يستعملون هذا المستوى على الواجهة والبراق، لكن حظهم من التعليم قليل.

وفي هذا السياق يرى بعض الباحثين أن: بعض البرامج الدينية التي يقدمها دعاة لا يتقنون العربية، إذ إن كثيراً من نصوص الكتاب والسنة تشوه على ألسنتهم، ويعتريها اللحن والخطأ، وهنا تكمن الطامة الكبرى^(١). ويعد هذا سبباً ضمن أسبابا في انتقال الكلام الديني من الكلاسيكية إلى العاميات كما في هذين التطبيقين، غير أنه هنا انتقل إلى اللغة المكتوبة وغيرهما، وإذا كانت العاميات مرتبطة بالمنطوق فإنها صارت في وسائل التواصل الاجتماعي ترتبط بالمكتوب.

وظهور العاميات في وسائل التواصل الاجتماعي، يرجع إلى سهولة استعمالها، مما أدى إلى استعمال طبقات اجتماعية مختلفة لها عكست لغة الشارع، التي هي لغة الطبقات الاجتماعية. ومن ثم تفرعت العربية المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي إلى عاميات، وسيظل الصراع بينها وينتهي إلى أحد أمرين:

الأول: تغلب عامية على أخرى، وأن يكتب لها السيادة على ما عداها من العاميات الأخرى.

الثاني: صراع ربما يطول أمده بين هذه العاميات.

ومرد أحدهما يعود إلى عدد المستعملين لهذه أو تلك غالباً، كما أن اختفاء لهجة أو غلبة أخرى على التطبيقين، هي أنها لن تختفي اختفاء كلياً، وإنما معناه أن العامية التي سيكتب لها الذيوع والانتشار، لا بد أن تحمل جينات جديدة على النحو الآتي:

أولاً: تحمل كلمات وظواهر لغوية جديدة من العاميات المغلوبة.

ثانياً: ربما تختفي من العاميات بعض المفردات الأقل استعمالاً، وظهور استعمالات جديدة من عامية مغلوبة.

ثالثاً: ربما يؤدي استعمال العربية المعاصرة في وسائل الاتصال الاجتماعي إلى التقارب الاجتماعي.

رابعاً: ربما تحاول كل عامية أن تتمسك ببقائها على التطبيقين وغيرهما من خلال الاستعمال، وربما يستغرق الصراع أمداً طويلاً، والذي يحدد الفترة كثرة الاستعمال لهذه العامية أو تلك.

(١) د. محمد حسن الطيان: اللغة العربية والإعلام، ص ١٤.

لقد أدى ظهور وسائل التواصل الاجتماعي إلى التأثير سلبا وإيجابا؛ ومنها أن العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى كانت تسمع في بعض البرامج الدينية ونشرات الأخبار وفي إذاعة القرآن الكريم مثلا، هذه المحدودية كان لها تأثير إيجابي، خاصة أنها كانت تؤثر على تفكير المستمع بشكل غير مباشر من حيث صياغة الجمل والعبارات واستعماله للألفاظ، فكان التأثير الثقافي والعقلي على المتلقي إيجابيا. إلا أن استعمال العاميات على هذا النحو في وسائل التواصل الاجتماعي كشفت النقاب عما كان متواريا بالحجاب، الذي كان مقصورا في السابق على الكلاسيكية والفصحى، وبهذا كانت وسائل الإعلام السابقة تساعد على ترسيخ هذين المستويين، وعلى هذا لم يعد للعاميات الأخرى وجود من خلال وسائل الإعلام إلا قليلا، أما وسائل التواصل الاجتماعي والفضائيات فقد ساعدت على انتشار العاميات بحيث صارت معلما لها. ومن ثم خلقت واقعا لغويا جديدا أو يكاد. سوى أن سلطان وسائل الإعلام على هذا النحو لم يدم، إذ ظهرت الأقمار الصناعية، مما نتج عنها ظهور الفضائيات التي ترتب عليها ما يلي:

الأول: زيادة عدد البرامج، مما انعكس سلبا على اختيار الضيوف، كما أن فريق العمل لم يعد يُنتقى بعناية كما كان، فالزيادة المطردة في عدد البرامج وزيادة عدد ساعات البث، أدت إلى ترسيخ للعاميات في وسائل التواصل الاجتماعي.

الثاني: انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، كان عاملا مهما في التأثير على اللغة سلبا؛ لأن مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي ليسوا على مستوى تعليمي وثقافي واحد، فظهر جلبا استعمالهم للغة. قد يقول قائل إن هذه المستويات كانت كما هي ولم يصحبها التغيير، لكنها لم تكن بادية على هذا النحو، وإن كان هناك تأثير فتأثيره محدود، أما الآن فصار تأثيره السلبي ظاهرا لكثرة الاستعمال. ولا بد أن صراعا سيكون حاصلا بين العاميات العربية، وإن كان يخيل إلي في هذا الشأن أحد أمرين يمكن أن يكون نتيجه:

- أن تكون الغلبة للعامية القاهرية، بناء على عدد المستخدمين، وإن تخللتها بعض العاميات المصرية الأخرى، لكنها لن تكون على قدر عامية القاهرة.
- أن تتفوق كل عامية قطرية على حدة، بناء على أن المتواصلين غالبا ينتمون إلى القطر الواحد، مما يؤدي إلى انحصار كل عامية قطرية في مجموعة من المستخدمين، وربما يؤدي هذا إلى ما يلي:
- توسيع الفجوة بين العاميات العربية، بحيث تصير في المستقبل البعيد إلى لغات متباعدة^(١).

(١) تجدر الإشارة إلى أن القطر الواحد به عدة عاميات محلية، فمثلا في مصر عامية الشمال (الوجه البحري) تختلف عن عامية الجنوب (الوجه القبلي)، كما أن عامية الشمال تنقسم إلى عدة عاميات، فعامية أهل الأسكندرية تختلف عن عامية أهل دمياط وأهل بورسعيد، والأخيرتان مختلفتان أيضا. كما أن عامية أهل الجنوب يمكن تقسيمها إلى عدة عاميات، ابتداء من الجيزة حتى مغاغة تقريبا، وهم يميلون إلى تمطيط الكلام، ولهجة مدينة المنيا وما حولها، ثم أن مدينة ملوي وديرمواس التي تمثل حدودا فاصلة بين لهجة المنيا وتقترب كثيرا من عامية أسبوط وما حولها، وهكذا تنقسم اللهجة القطرية إلى عدة لهجات. وهذا غير واضح في لغة الإعلام ولغة وسائل التواصل الاجتماعي إلى حد ما.

- إذابة الفروق بين هذه العاميات المحلية واستعمال لغة إعلامية مشتركة.
- غير أن هذا الاستنتاج يظل محدودا، إذا نظرنا إلى أن مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي لا يقتصرون على بلد بعينه، فالمستخدم قد يجمع بين أصدقاء ينتمون إلى أقطار عربية مختلفة، يتقاهمون فيما بينهم، وإن كان هناك بعض المشاكل في استعمال عاميات محلية، مما يؤدي إلى:
- استعمال عربية مشتركة تتجاوز وترتفع عن العاميات القطرية، وهذا سيؤدي إلى ظهور مستوى لم تتحدد ملامحه بعد.
- المستخدمون ينتمون إلى عاميات قطرية مختلفة، وتتوقف غلبة عامية على أخرى على عدد المستخدمين وثقافتهم ونوعيتهم، وتعد الأخيرة عاملا حاسما، وبناء على هذا، ربما تظهر مستويات عاميات لم تتضح بعد. ولا يمكن إغفال العاميات الخليجية، التي ربما تعمل وسائل التواصل الاجتماعي على تركيتها وبقائها نتيجة انتشارها لدى المستعملين، وإن لم تستعمل لكنها ستكون معروفة. تلا هذه المرحلة ظهور ما يسمى بالإنترنت، وقد أدى ظهوره إلى ظهور شبكات أخرى عليه، فيما سُمى بالتغريدة، انستجرام، الواجهة، البراق ... إلخ.
- ولا يفوتني أن أشير إلى أن التواصل الاجتماعي بين المستخدمين يمكن أن يقرب بين العاميات العربية، وربما يؤدي إلى إزالة الفوارق بين العاميات وتستخدم عامية مشتركة، لكنه يظل فرضا نظريا؛ لأنه سيكون قاصرا على المستعملين لوسائل التواصل الاجتماعي، وأحسب أن السنوات القادمة كافية لبيان صحته.

٤/٠ : العربية المعاصرة في وسائل الإعلام:

٤/١ : العربية المعاصرة في وسائل الإعلام التقليدية:

تعاملت العربية المعاصرة مع وسائل إعلام مختلفة ابتداء من المذيع وانتهاء بالواجهة وخلافها، فمنهم من صانها وآخر وقف منها موقفا وسطا وثالث لم يولها حقها من العناية والرعاية ... إلخ، كما ينبغي أن نشير إلى أنني أقصد وسائل الإعلام المسموعة والمرئية؛ لأن الصحافة على اختلافها تحافظ على العربية غالبا^(١).

والمتتبع لاستعمال العربية في وسائل الإعلام، يمكن أن يصنفها كما يلي:

المرحلة الأولى: التي كانت وسائل الإعلام تقتصر على المسموع منها، وهي العصر الذهبي للعربية الكلاسيكية والعربية الفصحى إلى حد بعيد، وإن جاء استعمال عامية المتقنين بشكل ما وقليلًا من عامية المتنورين. ويبدو أن هذا كان له أسباب مباشرة، يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: قلة ساعات البث، مما جعل البرامج تحظى بعناية بالغة من التدقيق والفحص.

ثانيا: البرامج المباشرة قليلة غالبا، مما جعل العربية تتعرض للتعديل والإخراج.

(١) ينظر تفصيلا عن انتشار العامية وغيرها د. محمد حسان الطيان : اللغة العربية والإعلام، ص ١٢.

ثالثا: قلة البرامج يفسح المجال لأمرين، الأول: اختيار المعدين والمذيعين والضيوف بعناية، والثاني: أن هذه القلة تجعل تدريب المذيعين والمعدّين وإعداد دورات لهم أمرا ميسورا.

المرحلة الثانية: تبدأ مع ظهور التلفزيون وانحسار دور المذيع تدريجيا. وهنا بدأ التعامل مع العربية يأخذ منحى جديدا، حيث لم يظل المذيع كما هو، إذ توجه الاهتمام شطر التلفزيون، ولا ريب أن هذا احتاج عددا كبيرا من المذيعين والمعدّين، فدخل فيهم من ليس منهم، ويمكن القول على الرغم من اتساع التعامل مع العربية في وسائل الإعلام مقارنة بالمرحلة السابقة، فإنه لم يكن مسموحا بورود اللحن على أسنة المذيعين غالبا. وقد أنشأ التلفزيون معهدا لتدريب المذيعين يقوم عليه ثلة من المتخصصين في علوم العربية والإعلام. وفي هذه المرحلة حافظت العربية على نفسها، وإن أصابها شيء مغاير عن سابقتها، إلا أنه لم يكن شيئا مذكورا في البداية، خاصة أن الإرسال كان محدودا.

المرحلة الثالثة: تنقسم إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة الثمانينيات وأوائل التسعينات، زادت فيها فترات البث الإعلامي لوسائل الإعلام المسموعة، حيث زادت في فترة التسعينات تقريبا، مما أدى إلى زيادة عدد البرامج وعدد العاملين، الأمر الذي ترتب عليه أنهم لم يكونوا على قدر من التدريب والمهارة، وقد أثر هذا تأثيرا سلبيا على أداء المذيعين للعربية، وقد أدى كل هذا إلى استضافة شرائح اجتماعية مختلفة، عكست هذه الطبقات عامياتها، الأمر الذي كان في حكم المحرم في المرحلة الأولى، مما أدى هذا إلى ظهور برامج في هذه الفترة تعنى بقضايا الفلاح وبرامج الترفيه وبرامج اجتماعية مختلفة مما أدى إلى زيادة في استعمال العامية، وكان هذا موجودا في المذيع على نطاق ضيق، كما في البرنامج الأسبوعي: على الناصية.

الثانية: انتشار ما يسمى بالفضائيات وقد زادت هذه المرحلة أضعافا كثيرة؛ لانتشار ما يسمى بالقنوات الخاصة، والقنوات المتخصصة؛ كقنوات الدراما والأفلام والأسرة والثقافية والأخبار ... إلخ، ويلاحظ عليها:

زادت عما كان في المرحلة الماضية أضعافا كثيرة مقارنة بما هي عليه في المرحلة الأولى، كما أنه في هاتين المرحلتين زاد بث وسائل الإعلام كما وكيفا وقد أثر هذا سلبا على العربية، فإذا كانت عامية المتقّين تقريبا قد تسربت إلى المذيع في مراحل الأولى، فإن زيادة عدد ساعات البث ساعد على انتشار العامية في وسائل الإعلام إلى حد بعيد^(١)، خاصة أن هذه القنوات تبث على مدار أربع وعشرين ساعة، مما أدى إلى أن كل قناة فضائية تقدم ما يجذب المستمع، فتنوعت برامجها بصرف النظر عن العربية. وقد أدى الصراع بين هذه القنوات إلى معالجة قضايا كان ينظر إليها في الماضي

(١) ذهب د. محمد حسن الطيان إلى: أن انتشار الفضائيات ساعد على انتشار العاميات العربية عن طريق الأغاني بدءا باللهجة المصرية وانتهاء باللغات الخليجية على اختلاف أنواعها ومرورا بالسورية واللبنانية، كما لم تنج البرامج الثقافية. اللغة العربية والإعلام، ص ١٢. وأضيف أيضا أن بعض الفضائيات تقدم النشرة الإخبارية بالعاميات المنقرعة عن العربية الفصحى.

على أنها من المنكرات، وكذا أدى استضافة أشخاص تستعمل العاميات؛ تبعاً لمستواهم الثقافي والاجتماعي، كما يحدث في البرامج الحوارية ذات الصبغة الاجتماعية، فضلاً عن زيادة الإعلانات بالعامية^(١)، كل هذا أدى إلى زيادة استعمالها وانتشارها في سائل الاجتماعي .

وقد أكد هذه الملاحظة أحد الباحثين في الإعلام اللبناني حين قال: والجدير بالذكر أنّ ما يجري في الإعلام اللبناني، المرئي والمسموع، يشكّل انكساراً للقواعد الأساسية للغة الفصحى في نوع من مواكبة تيار الحياة العادي الجارف... سلطات حملت واقعاً جديداً مدعوماً حيناً بالقوة والطائفية... واستطاعت بعد مضيّ الزمن أن تفرض سلطانها اللغوي، دون استحياء، على الوسائل الإعلامية في الجوانب الأخرى التي كانت تدّعي الحفاظ على العروبة ولغتها سليمة...^(٢).

المرحلة الرابعة: بداية المرحلة الحاسمة في التعامل مع العربية، وبدأت في منتصف التسعينيات تقريباً، وتمثل بداية الألفية الثالثة علامة فارقة في الكتابة بالعربية، حين انفجر استخدام الشبكة الدولية (الإنترنت) وتقع هذه الفترة ما بين منتصف التسعينيات تقريباً حتى العقد الأول من الألفية الثالثة، وتحديدًا حين إنشاء شبكة (الواجهة) وينبغي أن نشير إلى أن السنوات العشر الأولى من انتشار الإنترنت، كان تأثيرها على العربية المكتوبة ضئيلاً؛ لما يأتي:

أولاً: هذه الوسيلة لم تكن منتشرة في العالم العربي.

ثانياً: عدد المستخدمين كان ضئيلاً.

ثالثاً: الإعلانات على الشبكة الدولية لم تكن موجودة.

ففي المرحلة الرابعة يتحول الاهتمام من العربية المنطوقة إلى العربية المكتوبة، وهذا ملمح جوهري بين المرحلتين، ونشير إلى أن ثمة فارقاً بين عربية المرحلتين يتمثل فيما يلي:

أولاً: العربية في المرحلتين الأولى والثانية والثالثة العربية المنطوقة، بينما في المرحلة الرابعة العربية المكتوبة.

ثانياً: أدى الملحظ الأول إلى أن يتحكم في البث المرسل، وهو يقوم بأهداف معلومة أو غير معلومة تخدم الهدف الذي يسعى إليه، فتقدم برامج معينة وهي عربية منطوقة ومحددة، بينما الأمر مع الواجهة والبراق مختلف.

ثالثاً: تحديد البرامج أدى إلى المحافظة على العربية الكلاسيكية والفصحى إلى حد ما، ويغيب هذا في الواجهة والبراق تماماً، اللذين يصوران الواقع اللغوي، من دون إضفاء شرعية على مستوى دون آخر.

(١) يقول أحد الباحثين: إنّ من يتابع الإذاعات العربية كلّها لا يقع إلا فيما ندر على إعلان بالفصحى.. وإذا وجد فإنه لا يزيد عن ١%، د. سالم المعوش: اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان دراسة تحليلية ونقد، ص ١٨٦.

(٢) سالم المعوش: اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان دراسة تحليلية ونقد، ص ١٤٧، ١٤٨.

المرحلة الرابعة: تمثلها مرحلة الواجهة والمواقع الأخرى ابتداء من منتصف العقد الأول من الألفية الثالثة حتى الآن، وظهور وسائل أخرى للتطبيقات، وعلى هذا يمكن اعتبار ظهور الواجهة مرحلة فاصلة وحاسمة في انتشار العامية العربية المكتوبة، خاصة أن تطبيقات أخرى ظهرت تابعة له. ويرى د. محمد زكي أن العينة التي أجرى عليها بحثه توزعت مستوياتها كما يلي: ٥٥% قد كتبت بلهجة عامية، وحوالي ٨% كتبت بمزيج من فصحي وعامية، وباقي نصوص العينة حوالي ٣٦% كتبت باللغة الفصحى الخالصة^(١). وهي نسب تحتاج إلى إعادة نظر في ضوء مستويات العربية على التطبيقين، على الرغم من أنه اعتمد على الواجهة، وربما تكون المواقع الأخبارية والرسائل النصية في الهواتف والتغريدة (تويتر) هي التي أحدثت الفارق، خاصة أن رواد (تويتر) أخطأهم الإملائية والمعجمية والتركيبية في تويتر قليلة^(٢)، ونصوصهم ممتازة^(٣)، ويستعملون نصوصاً مجازية^(٤). لأن مستواهم التعليمي أفضل، حسب رؤية الباحث. كما ينبغي أن نشير إلى أن الإعلانات زادت بشكل لا مثيل له على هذه المواقع، وأقصد الإعلانات المكتوبة بالعربية على نحو خاص.

٢/٤: المفارقة بين العربية المعاصرة في وسائل الإعلام والعربية المعاصرة على الواجهة

والبراق:

أولاً: العربية في وسائل الإعلام مدروسة ومحددة، خلافاً للعربية على الواجهة والبراق.
ثانياً: البرامج محددة مسبقاً في وسائل الإعلام، بينما وسائل التواصل الاجتماعي خلاف ذلك.
ثالثاً: العربية في وسائل الإعلام المعدة مسبقاً تأخذ حظها من المراجعة والتدقيق، خلافاً لما هو موجود على الواجهة والبراق، إذ ليس فيها مراجعة ولا تدقيق ويغلب عليها السرعة، وغالباً ما تكون وليدة لحظة آنية، كما في الخواطر أو الرسائل على الخاص مثلاً.
رابعاً: إن الذين يكتبون أو يتحدثون في وسائل الإعلام، قد أخذوا تدريبات على طريقة النطق وكيفية الأداء غالباً، خلافاً لما هو على شبكات التواصل الاجتماعي.
خامساً: من يكتب أو يقرأ في وسائل الإعلام ليس له فيه اختيار غالباً، خلافاً للواجهة والبراق.
سادساً: سهولة النشر على الواجهة والبراق، خلافاً لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية.
سابعاً: عربية الإعلام هي العربية المبسطة أو العربية المشتركة، وهي لغة قائمة على الجمع بين عناصر وسمات في متناول طبقات المجتمع، وهذا ليس موجوداً في عربية الواجهة والبراق.

(١) د. محمد زكي: رصد واقع اللغة العربية في ميدان التواصل الاجتماعي على الشبكة (الإنترنت) والهاتف المحمول، ص ١٣.

(٢) السابق، ص ١٥، ١٨.

(٣) السابق، ص ٤٠.

(٤) السابق، ص ٣٩.

ثامنا: العربية في وسائل الإعلام اقتربت كثيرا من نظيرتها على الواجهة والبراق، فيما يعرف بلغة (التييت)^(٥)، وهذا يدل على أن السيطرة على وسائل الإعلام صارت أمرا صعبا، مما أدى إلى انتشار العاميات في وسائل الإعلام، حتى إنها كادت تحاكي عامية المتنورين أو الأميين. غير أن لغة التيت في وسائل الإعلام منطوقة، ويتم التحكم فيها أحيانا بوضع صافرة التيت، أما في الواجهة والبراق، فلها نمطان كما يلي:

الأول: لغة التيت المنطوقة: كما في الفيديوهات المنشورة على الموقعين، وهي منقولة من

وسائل الإعلام، وتم التحكم فيها غالبا حين إعادة نشرها بوضع صافرة التيت.

الثاني: لغة التيت المكتوبة: وهي استعمال ألفاظ تنتمي إلى لغة التيت، وهي لغة منتشرة

للأسف بشكل لافت للنظر، ولذلك يُسمى بعض الأشخاص بأنه تيتاوي/ تيتاويون، ولا

يمكن التحكم فيها كما في الأولى.

تاسعا: اقتربت وسائل الإعلام اقترابا ملحوظا في استعمال العاميات، بينما أوغل التطبيقان في

العاميات لأسباب

- أن لا مراقبة ولا مراجعة في عربية الواجهة والبراق.
 - لا عقاب ولا ثواب لاستعمال عربية الواجهة والبراق.
 - ما ينشر على الواجهة والبراق ليس ببرامج محددة، بل موضوعات مختلفة.
 - ما ينشر على الواجهة من لغة أضعاف مضاعفة مقارنة بما هو في وسائل الإعلام.
 - ما ينشر على الواجهة والبراق يمثل العامية الواقعية، خلافا للغة وسائل الإعلام التقليدية.
- وبناء على ما سبق، يمكن القول إن العربية في وسائل الإعلام تأخذ حظها من العناية والرعاية؛ لأن هناك من المتخصصين يقومون بتقديم المقترحات في وقت قصير، واختيار مكافئات عربية في وقت لا يسمح، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يقومون باختيار مكافئات عربية دقيقة إلى حد بعيد، وهذا ليس موجودا في عربية وسائل التواصل الاجتماعي.

(٥) لغة التيت تُسمى لغة تجاوزا، على أساس أن اللغة رموز، وهي عبارة عن صافرة توضع في بعض البرامج المباشرة غالبا مكان الألفاظ النابية أو البذيئة أو السب ... إلخ، فبدلا من أن تسمع هذه الكلمة، يقوم الشخص المسئول عن المونتاج بوضع صافرة (تيت) مستبدلا إياها بالكلمة أو الكلمات المراد تجنب المجتمع سماعها، وهي سلوك يرفضه المجتمع، وقد انتقلت من لغة الإعلام إلى لغة الشارع في المظاهرات وإلى لغة مواقع التواصل الاجتماعي، ويراه بعض الباحثين خروجاً على تقاليد المجتمع، ويراه آخرون كسرا لهيئة الدولة، بناء على التقرير الذي أعدته قناة الجزيرة مباشر مصر، على الموقع الآتي:

https://www.youtube.com/watch?v=_HEDV1d0rNg

وعلى الرغم من أن لغة التيت صارت معلومة، إلا أن السيطرة عليها صارت أمرا صعبا، خاصة في البرامج المباشرة. ومن ثم انتشرت في: البرامج المعدة مسبقا. البرامج المباشرة. المادة الدرامية، الإعلانات التجارية.

٣/٤: تقويم لسانی للموايز بين العربية المعاصرة على الواجهة والعربية المعاصرة في

البراق:

أولاً: عربية الواجهة أغزر؛ إذ تتيج أن يعرض المشتركون أفكارهم وقضاياهم وما يشغلهم على صفحاتها، وهذا غير متاح في البراق.

ثانياً: الرواد الذين ينتسبون إلى الواجهة يمثلون شرائح اجتماعية أكثر، فمن حيث الاستعمال حسب آخر الإحصائيات بلغت مليار وأربعة وأربعين مليوناً والبراق سبعمائة مليون، مما يعكس مدى أثر الأول السلبي على العربية، وأحسب أن ذلك تقل نسبته كثيراً مع استعمال الأشخاص لموقع البراق. ثالثاً: عربية البراق في الرسائل المرسلة يؤثر عليها توجه أصحابها الفكري، وتتباين بتأبينهم، مما يمكن أن يجعل عربيتها أفضل من عربية الواجهة.

رابعاً: عربية الواجهة المكتوبة أكثر، خلافاً للبراق الذي تمثل المنشورات المعدة مسبقاً سمة جوهرية^(١)، فضلاً عن المستوى التعليمي والثقافي، مما يجعل لغتها تنتمي إلى العربية المتوسطة غالباً. خامساً: تنوع عربية الواجهة مقارنة بما في البراق، الذي تغلب عليه رسائل نصية معدة مسبقاً ذات هدف راق، على سبيل التذكير أو التوعية... إلخ، مما يجعل عربيتها أعلى مستوى من (الواجهة). سادساً: يباين البراق الواجهة في أن عرض الأفكار والرسائل النصية المكتوبة تكون للأصدقاء، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الرسائل: ترد من الأصدقاء وإليهم، يستطيع أن يطلع عليها الشخص المرسل والمرسل إليه دون غيرهما. ومادة هذه الرسائل وفيرة ومتنوعة في الأفكار مما يجعل منها مادة ثرية لدراساتها وتحليلها.

الثاني: الرسائل في المجموعات التي تبعث لأكثر من شخص في آن واحد، ويستطيع أن يطلع عليها كل الأصدقاء الذين أرسلت إليهم، وهي مقارنة بالنوع الأول أغزر؛ لأنه يشاركها عدد كبير ينتمون إلى هذه المجموعة أو تلك. ويختلف نشاط الأصدقاء الذين ينتمون إلى هذه المجموعات في النشر كثرة وقلة.

الثالث: الرسائل الجماعية، يستطيع أي شخص على البراق أن يرسلها لمجموعة محددة من الأصدقاء ينتقيها، ويرسلها في وقت واحد، وحين الرد عليه، لا يستطيع أحد أن يرى هذه الرسالة إلا هو فقط.

سابعاً: تم إنشاء (الواجهة) في أوائل ٢٠٠٤، بينما تم إنشاء (الجديد) في ٢٠٠٩، واشترت شركة الواجهة البراق ومن ثم يعد البراق فرعاً منها.

(١) هذه الملاحظة من خلال التجربة الشخصية، وليست بناء على دراسة سابقة.

ثامنا: عربية الواجهة المكتوبة قد تكون موجهة أو غير موجهة على العام، بينما عربية البراق المكتوبة موجهة إلى أفراد أو إلى مجموعات.

٥/٠: تصنيف العربية المكتوبة على الواجهة والبراق:

٥/١: التصنيف الموضوعاتي للعربية المعاصرة على الواجهة والبراق:

- عربية الكتابات الدينية.
 - عربية المناسبات.
 - عربية الاجتماعيات.
 - عربية الأشعار.
 - عربية الإرشاديات.
 - عربية الخواطر: (الدينية، الأمثال، الحكم، الاجتماعية ... إلخ).
 - العربية الشخصية: (أحزان، أفراح، خلافات زوجية).
 - العربية السياسية: (ساخرة، وصف، نقد، مناقشات، تحليل).
 - عربية الإعلانات.
 - عربية الفكاهة.
 - عربية المكاتبات، ويمكن تقسيمها إلى:
 - عربية المكاتبات التي تجرى على العام قليلة، ولا يمكن غض الطرف عنها.
 - عربية المكاتبات التي تجرى على الخاص كثيرة.
- تعد هذه الموضوعات الأكثر تداولاً على التطبيقين، ومن ثم فإن مستويات العربية المعاصرة حاضرة فيها بقوة، وإذا كانت العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى قليلة، فإن عامية المتقنين تستعمل غالباً، وعامية المتتورين كثيراً، وتسف كثيراً في عامية الأميين. بيد أن هذا لا يمنع من تسرب بعض الأخطاء غير المقصودة، ومردّها إلى أحد هذه الأسباب غالباً:
- السرعة وعدم التركيز غالباً؛ إذ ينصب على إيصال الفكرة والعناية بالمضمون أكثر من عنايته بالصياغة.
 - عدم الحرص على التدقيق الكتابي^(١)، اعتماداً على أن القارئ سيفهم المراد.
 - عدم وجود محاسبة أو مراقبة لهذه الأخطاء.
 - قلة خبرة الكاتب باستعمال الجهاز.
 - عدم الاهتمام بهذه الأخطاء كون المكاتبات غير رسمية.
 - جهل الكاتب إما ببعض قواعد النحو أو الإملاء ... إلخ.

(١) محمد الأمين محمد المختار: التدقيق اللغوي ودوره في الحفاظ على اللغة العربية، وقد تناول تعريف التدقيق اللغوي وأهميته وما يتوقع من أخطاء.

- استعمال أكثر من تطبيق أو الكتابة لأكثر من شخص في آن واحد^(١).
 - يظن بعض المستخدمين أن الأخطاء لا تقلل من شأن الكتابة، خاصة الأخطاء الإملائية.
 - يظن بعض المستخدمين أن القارئ لا يهتم كثيرا بالأخطاء ولا يوليها اهتماما.
- ٢/٥: التصنيف التعليمي والثقافي لمستخدمي الواجهة والبراق:**
- عربية المتخصصين: النحاة والعلماء: العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى والعربية المتوسطة.
 - عربية الحاصلين على شهادات جامعية: الكلاسيكية والفصحى والمتوسطة وعامية المثقفين بنسب.
 - عربية الحاصلين على دبلومات فنية: كثير منهم لا يجيدون القراءة والكتابة.
 - عربية طلاب لا يزالون في مراحل التعليم المختلفة: كثير منهم لا يجيدون القراءة والكتابة.
 - عربية مستخدمين خرجوا من مراحل التعليم الأولى، ويكتبون بطريقة أولية.
- ويلاحظ أن هذه الأنماط الخمسة عليها ملاحظ في الكتابة إلا النمط الأول غالبا، كما أن هناك فئة لا بأس بها من غير أولي الاختصاص يهتمون بالعربية كتابة ونطقا، وهم من وصفهم بالعلماء..

٦/٠: مستويات العربية على الواجهة والبراق:

٦/١: مستويات العربية المنطوقة على الواجهة والبراق:

يمكن تقسيم عربية عربية عليهما إلى مكتوبة ومنطوقة، وسنقتصر هنا على المنطوقة على التطبيقين، تاركا المكتوبة لمطلب آخر من البحث.

٦/١/١: العربية المنطوقة على الواجهة:

تتمثل العربية المنطوقة في فيديوهات متنوعة في الموضوعات تؤدي إلى التباين في مستويات العربية، وتشتمل مادتها على فيديوهات: ترفيهية، ثقافية، دينية، أشعار، أخبار في صورة إعلانات... إلخ، وتتباين هذه المواد قريبا وبعدا من العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى والعاميات. ومن العربية المنطوقة الحوارات التي تدور بين الأهل والأصدقاء والأصحاب، ويتباين مستواها تبعا لهم، ويغلب عليها عامية المثقفين وعامية المتنورين، وتقل العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى.

أما البقية الباقية من العربية المنطوقة فتتباين تبعا للناطقين بها، مستخدمة عامية المتنورين أو عامية الأميين، وتكون للتنفيس والترويح والسخرية، كالفديوهات التي تنتشر للسخرية السياسية، أو تنتشر موضوعا مثيرا للضحك، أو تتناول ذكريات الآخرين... إلخ، وأما الفديوهات الثقافية والتوعوية، فهي أقرب إلى عامية المتنورين.

(١) ذكر الصادق آدم عمر أسبابا كثيرة للأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام منها: تأثير العامية، الخطأ هو تعميم القاعدة، بسبب النفاصح، بسبب ربط الحركة الإعرابية بالموقع، عدم وجود الحركات، تشابه بعض الكلمات، ينظر: اللحن والأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام، ص ١٠ : ١٢.

كما أن هناك نوعية من عامية الأميين تمثلها المقاطع المصورة المعدة مسبقاً، وهي نوعية يغلب عليها التلقائية في الأداء، ولم تكن مستعملة من قبل لمحدوديتها، مما وفر عنصر الانتقاء. ونلاحظ على عربية الواجهة المنطوقة، أنها تمثل تفرّع العربية إلى مستويات، وإن كان قد حدث لها تغيير في بعض الوجوه مثل:

- اختفاء العربية الكلاسيكية بشكل ملحوظ.
- ظهور العربية الفصحى بشكل ما.
- انتشار عامية الأميين وتساويها مع عامية المتتورين تقريباً.
- تمثل وسائل الإعلام التقليدية انحصاراً ملحوظاً في عامية المتتورين وعامية الأميين، خلافاً لهذه المرحلة، التي تمثل انتشاراً للذين المستويين.
- التداخل بين العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى، وظهور ما يسمى العربية المتوسطة، وتفرع العاميات.

كما أن العربية المنطوقة إما أن تكون بالعربية الكلاسيكية أو بالعربية الفصحى، وعامية المثقفين، وهو مستوى انتشر من خلال ظهور وسائل الإعلام، ويحاول فيه رجل الدين، أن يستعمل لغة تجمع سمات العربية الكلاسيكية، في الوقت ذاته تكون أقرب إلى عامة الناس والبسطاء منهم، وقد أدى إلى ظهوره هذا الانتشار الإعلامي خاصة المقروء منه، كما في القنوات الدينية وبرامج مثل (المسلمون يتساءلون) على قناة المحور، والموعظة الحسنة على قناة دريم... إلخ، فضلاً عن البرامج الدينية الأخرى.

وبقيت العربية الكلاسيكية مقصورة على لغة الخطابة في المساجد والدروس الدينية ولغة المناسبات الدينية والبرامج الإذاعية في إذاعة القرآن الكريم وغيرها. وعلى الرغم من هذا، فإن لغتها وإن انتمت إلى العربية الكلاسيكية في شكلها العام، إلا أن أخطاء متنوعة تسربت إليها، ويمكن اعتبارها تشتمل على مستويين (العربية الكلاسيكية، العربية المتوسطة).

٢/١/٦: العربية المنطوقة في (البراق):

ويمكننا تحديد سماتها على النحو الآتي:

أولاً: عربية البراق موجهة خلافاً للواجهة.

ثانياً: يغلب على عربية البراق العربية المتوسطة؛ لأن أغلب مستخدميها متقنون مقارنة بمستعملي الواجهة.

ثالثاً: لما كانت عربية البراق موجهة انعكس على العربية.

رابعاً: عربية البراق محددة ومختصرة غالباً، خاصة الرسائل المتبادلة.

خامساً: عربية البراق هادفة ولا مجال فيها للخواطر.

ويمكن تقسيم عربية البراق المنطوقة كما يلي:

- عربية الرسائل الصوتية الخاصة بين الأهل والأصدقاء تسجل لهدف ما، ويغلب عليها السؤال والاطمئنان وتبادل المعلومات والأخبار، ويلجأ إليها اختصاراً للوقت وتجنباً للكتابة، وهي تتنوع بين عامية المثقفين وعامية المتتورين غالباً، ويتوقف المستوى التعليمي ودرجة القرابة ومدى الصداقة والغرض من الرسالة.
- عربية الفيديوهاات متنوعة الأغراض والموضوعات منها، الدينية والإخبارية والساخرة والتسلية، وهي الأكثر استعمالاً، وتغلب عليها العربية المتوسطة، أما عربية التسلية أو السخرية فيهبط بعضها إلى عامية المثقفين وعامية المتتورين.

٢/٦: مستويات العربية المكتوبة على الواجهة والبراق:

طريقة ترتيب المستويات اللغوية:

كنت قد أزمعت على أن أقسم المستويات تقسيماً موضوعاتياً؛ بمعنى أذكر الكتابات الدينية مثلاً، وأتناول الموضوعات التي تقع في إطارها ثم أتناول مستوياتها وهكذا، غير أنني وجدت أن هذا سيؤدي إلى تفريع الموضوعات والمستويات إلى موضوعات ومستويات فرعية كثيرة، تشتت القارئ ولا تخدم البحث فعدلت عنه إلى أن يكون التقسيم، بناءً على المستوى اللغوي، مشيراً في الوقت ذاته إلى الموضوعات التي تقع في إطاره بإيجاز شديد، إلا إذا كان هناك ما يوجب الإيضاح.

١/٢/٦: العربية الكلاسيكية:

يجسد هذا المستوى الكتابات الدينية (الكتاب والسنة) وأقوال الصحابة والتابعين والصالحين أو التذكير بكل ما هو خير، والموضوعات في هذا المستوى كثيرة ومتنوعة، منها الإرشادية والتوعوية والتذكير والتنبيه والحث على الفضائل والتذكير بآيات الله ... إلخ، ويمكن تحديدها أنها كل ما يتعلق بالجانب الديني مستخدمة كتابات دينية غير متأثرة بالحضارة، صحيحة لغوياً، كما أن الحصول عليها لدى كاتب بعينه قليل. ومن ثم فقد حافظت البرامج والإذاعات والمحطات الدينية والإعلام الماضي على هذين المستويين إلى حد كبير. كما أن انتشار هذين التطبيقين وغيرهما كشف:

أولاً: عيوب استعمال العربية.

ثانياً: تدني مستوى التعليم في العالم العربي.

ثالثاً: لم يعد هناك اهتمام كبير بالعربية بوجه عام، بما يحتاج إلى مراجعة.

رابعاً: أظهر أن المستوى الذي كان يستعمل العربية الكلاسيكية، صار يستعمل عدداً من المستويات.

والاستنتاج الأخير يفارق ما أورده د. السعران من أن: اللغة الدينية لغة محافظة، فهي لا تقبل ما يطرأ عليها، فما يطرأ عليها من تعديل طفيف جداً، وما يضاف إليها من وقت إلى آخر شيء قليل نادر^(١). أترى ملاحظة السعران باقية أم تحتاج إلى مراجعته أم أنه جانبه الصواب فيما قال أم أنه لم يكن يتوقع هذه المرحلة؟

(١) د. محمود السعران: اللغة والمجتمع، ص ١٢٣.

وإذا كانت الكتابات الدينية تستعمل المستويات اللغوية خلافا لما مضى، فإن هناك أسبابا مثل السرعة في الكتابة، وعدم الإجادة للقراءة والكتابة، وقلة الثقافة الدينية. وكلها ليست على درجة من الأهمية. ويؤكد أن هذا الاستنتاج صحيح، أن كثيرا مما يعلقون أو ينشرون هذه النوعية لم يأخذوا حظهم من التعليم، أو حصلوا على تعليم فني، كما أن منهم فئة من الجامعيين وإن كانت قليلة. ونشير إلى أن كثيرا ممن ينتمون إلى طبقة اجتماعية راقية يخطئون في كتابة بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، وعلى هذا يمكننا القول إن الذين يقعون في مثل هذه الأخطاء، إما ينتمون إلى طبقة اجتماعية عالية خاصة إذا كانت ثقافتهم أجنبية، وإما ينتمون إلى طبقة اجتماعية دنيا، وهؤلاء حظهم من التعليم والثقافة الدينية قليل، خلافا للطبقة الاجتماعية المتوسطة التي نالت تعليما جامعا، وتتفق هذه النتيجة في مجملها مع ما توصل إليه أحد الباحثين حين أجرى دراسة على شبكة التواصل الاجتماعي ورسائل الهاتف المحمول والتعليقات على بعض المواقع الإخبارية، وذكر أن متوسطات نسب الأخطاء عند الجامعيين أقل منها عند غيرهم في كل من فيسبوك وتويتر والتعليق على المدونات، وهي المصادر الثلاث التي عرف أو تتوع فيها مستوى الكاتب التعليمي^(١).

ويلاحظ أن الباحث لم يورد النسب، كما أوردها في كل البحث، كما أنه أجرى الدراسة على عينة من المجتمع العربي (الأردن)، ومن ثم تبقى عملية التعميم على العالم العربي فيها نظر، كما أنه لم يحدد الفئات العمرية لمستخدمي هذه المواقع؛ لأن لهذا أثرا على مستوى العربية المستعملة. كما أنه حدد أن هناك أخطاء لكنه لم يشر إلى أي منها، ولم يحدد نوعيتها، كما حدث في مواضع أخرى من البحث. على أي حال، فإن ما توصل إليه الباحث في مجمله يتفق مع ما أورده؛ أن المستوى التعليمي قبل المستوى الاجتماعي هو المحدد الأول في تحديد المستوى اللغوي. لكن الذي يحتاج إلى روية أنه ذكر أن نسبة الأخطاء عند الجامعيين أقل منها عند غيرهم، وهنا كان عليه أن يحدد شيئين:
الأول: نسبة الخطأ الواردة في هذه الكتابات.

الثاني: تحديد نسبة الخطأ تحدد مستوى العربية المكتوبة.

ومن ثم لم نستطع أن نستخلص سمة العربية التي عليها الكتابات عند الجامعيين في الأردن، كما أنه لم يحدد أي عربية يتحدث عنها؟ وما المرجعية التي اعتمد عليها؟ ومن ثم جاءت النتيجة التي توصل إليها عامة.

(١) د. محمد زكي خضر: (مرجع مذكور أعلاه، ص ٢٠)، ثمة ملحظان على العنوان حيث استعمل (مصطلحين) الشبكة مصطلحا عربيا ثم (الإنترنت) مصطلحا معربا وكلاهما بمعنى واحد، قد يكون الغرض البيان والإيضاح، وإذا كان هذا صحيحا، كان عليه أن يذكر ذلك في مقدمة البحث، لكن الذي لم أستطع له فهما هو عطف المحمول على الهاتف!! فهل المحمول خلاف الهاتف أم أراد البيان والإيضاح كما في الملاحظة الأولى؟ لأن تفاصيل البحث تشير إلى أنهما بمعنى واحد، على أي حال هناك خلاف بيني وبين الكاتب في مواضع عدة، ولا أريد أن أتنبهه خطوة بخطوة. وهذا ليس تقليلا من الجهد المبذول.

٢/٢/٦: العربية الفصحى:

يشمل هذا المستوى عربية الأشعار الفصحى والمكاتبات الرسمية على شكل منشورات وأغراضها متنوعة، وجانباً من عربية: الكتابات الدينية وقوالب المناسبات والأمثال والحكم والإرشاديات والمناقشات السياسية والخواطر والمنشورات العامة والتعليق عليها.

وهذه الموضوعات عامة ليست على درجة واحدة من قربها أو بعدها من العربية الفصحى، فإذا كانت الأشعار والمكاتبات الرسمية في المرتبة الأولى من حيث التزامها بالعربية الفصحى، فإن الإرشاديات^(١) والمناقشات والمنشورات العامة ... إلخ تأتي في إطار عامية المثقفين وعامية المتتورين وعامية الأميين غالباً.

وتبقى الخواطر، تشتمل على عدد من الموضوعات، وهي ليست على درجة واحدة من استعمالها للعربية، فإذا كانت الخواطر الدينية تستعمل فيها العربية الكلاسيكية والفصحى غالباً وقليلاً من العاميات على ما أوردت، فإن الأمثال والحكم تكتب بالعربية الفصحى تارة وبالعامية التي ينتمي لها المستخدمون تارة أخرى، ولهذا يمكن تصنيف موضوعات العربية الفصحى كما يلي:

الأشعار، والخواطر الدينية كثيراً، والمراوحة بين الأمثال والحكمة، والحكم متنوعة ويتوقف على نوعها ومدونها قرباً وبعداً من العربية، وعلى هذا فإذا كانت الخواطر الدينية يغلب عليها استعمال العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى كثيراً، فإن الأمثال والحكم تراوح في استعمالها بين العربية المتوسطة وعامية المثقفين، وبناء عليه لا يمكننا تحديد موضوعات محددة لهذا المستوى أو ذاك.

٣/٢/٦: العربية المتوسطة:

يغلب عليها الكتابة بالعربية الفصحى، سوى أن أخطاء مختلفة تتسرب إليها كما ترتبط بالحضارة وينطبق هذا الوصف على جانب من لغة الكتابات الدينية والسياسية والإرشاديات والمناسبات الاجتماعية والدينية والتحليلات السياسية والخواطر إلخ.

وجل هذه الموضوعات ذكرتها في العربية الفصحى، كما أوردت أنها ستتكرر نزلة أخرى، والحكم الذي ترضى حكومته إلى أي مستوى من هذين المستويين ينتمي؟ هو شيوع الأخطاء وعدم شيوعها، فإذا كانت الأخطاء بنسبة محددة أو قليلة وفي حكم النادرة، ومن ثم تنتمي إلى العربية الفصحى، بينما إذا كانت الأخطاء تمثل سمة محدودة، فإنها تقع في إطار العربية المتوسطة، وليس هناك معيار واضح يمكن أن تحكم به إلا من خلال قربها أو بعده من العربية الفصحى.

والذي يمكن قوله إن الحكم على منشورات بعينها حكماً نائياً فيه إجحاف لهذا الكاتب أو ذاك؛ لأن الأخطاء ليست معلبات جاهزة، خاصة إذا كانت نتيجة سرعة أو سهو أو عدم تركيز، على الرغم من دراية الكاتب، وهنا بيت القصيد، إذ لا يكون التكرار في مثل هذه الحالات إلا نادراً، ومن ثم لا

(١) ذكر د. عبد المحسن أحمد أسباب ظاهرة الخطأ في لغة الإعلانات: الخطأ الكتابي أسبابه وآثاره، ص ٢.

يمكن أن تكون قاعدة، هذا عن العالمين بقواعد العربية، أما الغالبية من المستخدمين لوسائل التواصل الاجتماعي لديهم فكرة أولية، ومن ثم تختفي عليهم دقائق الأمور. ومن ثم إذا أردنا أن يكون حكمنا قاطعاً، يجب أن يكون بناء على تصنيف المستخدمين إلى طبقات، كما ورد في التصنيف الثاني، ومن هنا يكون الحكم دقيقاً؛ لأن تكرار الخطأ عند الحاصلين على شهادات جامعية، لا يقاس عليه غالباً، خلافاً للطبقات الاجتماعية الأخرى، أو الحاصلين على تعليم متوسط.

٤/٢/٦: عامية المثقفين^(١):

أوردت أثناء تناول العربية الفصحى أن جانباً من: الحكم والأمثال من الخواطر والتعليقات على المنشورات أو المكاتبات على الخاص، يتراوح استعمالها بين العربية الفصحى وعربية المثقفين، فإن هذا يجعل هذه الموضوعات تتناول من خلال مستويين لغويين:
الأول: العربية الفصحى: تنتمي إلى العربية النموذجية وإن تخللتها الأخطاء، التي لا ينبغي لمثل هذا المستوى أن تقع فيه.

الثاني: عامية المثقفين: يقع في إطارها جانب كبير من (الحكم والأمثال والخواطر) ويعتمد على انتقاء الألفاظ، إذ يبتعد عن السوقي، كما أن استعماله للتراكيب النحوية مقبول بوجه عام، وإن استعملوا التسكين في كثير من الحالات.

ومن ثم استعملت عامية المثقفين استعمالاً مزدوجاً؛ نتيجة كثرة الكتابة الآنية والسريعة، التي لا تتعرض للتدقيق غالباً. كما ذكرت أن الموضوعات التي تقع في حدود عامية المثقفين تقع في غيرها من المستويات الأخرى، ويقع التباين في نسبة المستخدمين لها في كل مستوى. وترتفع نسبة استعمال عامية المثقفين على التطبيقين، مما يشير إلى تراجع العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى، ونقدم العاميات بشكل عام.

٥/٢/٦: عامية المتنورين:

يقع جزء من هذا المستوى ضمن الخواطر: (الحكم، الأمثال، الاجتماعيات) والكتابات الشخصية كاملة تقريباً وبعض الكتابات الدينية... إلخ، وهو ذو انتشار كبير، بحيث يمثل مستوى مهماً من مستويات العربية المعاصرة على التطبيقين ولا يدانيها فيما إخال إلا عامية المثقفين وعامية الأميين. ومرد ذلك يعود إلى:

الأول: أن أغلب مستعملي الواجهة والبراق من الشباب.

(١) سماها د. سالم المعوش: الفصحى الناقصة واللغة الناقصة ولغة الصالونات و اللغة الثالثة، يقول في وصفها: وقد غدت لغة شبه معتمدة في المواقف الجدّية أو التي تحمل موقفاً ينبغي أن يبلغ بأكمله واضحاً خوفاً من التغيير فيه... ويعدّها آخرون حلاً وسطاً ما بين الفصحى والعامية... وهي من الكثرة بحيث غدت اللغة الرئيسة للورثة للفصحى في الإذاعات اللبنانية، ينظر: اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان دراسة تحليلية ونقد ص ١٩٣.

الثاني: أن هذه الفئة دانت لها مقدرات التكنولوجيا الحديثة، ولا يعينها الاهتمام بالعربية غالباً.

الثالث: يغلب علي كثير منهم استعمال عبارات ومصطلحات أجنبية كنوع من الانفتاح.

الرابع: منهم من يكتب شعراً، إلا أنه يغلب العامة استعمالاً لسهولة لها.

ويستخدمه بعض المستخدمين لشرح قصص من القرآن وخلافها من القضايا الدينية بشكل كبير، وربما يكون القصد تبسيط الفكرة، كما رأيتها في شرح قصة لوط وغيرها، وهي غير مناسبة؛ لأن لغة الدين محافظة^(١)؛ وربما يكون له مكان آخر أكثر مناسبة في العربية المنطوقة، خاصة إذا كان الخطاب موجهاً لمجموعة من العاميين أو الأميين. إذ الوظيفة اللغوية في الاتصال الإعلامي، هي تمثيل الرأي العام على مرآة تعكسه وفلسفة اللغة تتطوي على إنعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية الرأي العام ووسيلة للاتصال والتفاهم، ورمزاً للحقيقة وشارة للواقع^(٢).

٦/٢/٦: عامة الأميين:

يتمثل هذا المستوى في بعض كتابات الحكم والأمثال والاجتماعيات، وبعض الكتابات الدينية وبعض الكتابات السياسية، والكتابات الشخصية. ويشتمل على موضوعات متنوعة. ويبدو أن انتشاره وتغلغله يعود إلى:

أولاً: كثرة ونوعية الموضوعات التي يعالجها.

ثانياً: المكاتبات الخاصة بالفرح والحزن والشكوى والخلافات الزوجية سريعة، ويترتب عليها أخطاء كثيرة.

ثالثاً: يغلب عليها استعمال لغة الشارع، ولا يعنى فيها بصياغة العبارة ولا الصياغة النحوية ولا الإملاء، إذ يعتمد الكاتب غالباً على أن الفكرة قد وصلت.

رابعاً: تنوع الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها المستخدمون.

خامساً: السرعة في الكتابة، والمعول عليها لا يستهان به.

سادساً: التوتر والقلق الذي يسيطر على الكاتبين، مما يجعل الاهتمام بالصياغة وغيرها، لا يقع في دائرة اهتمامه.

أما الكتابات السياسية التي تنتمي إلى هذا المستوى فتستعمل عامة المتتورين أو عامة الأميين، وهي تنتشر بكثرة، خاصة الساخرة منها، كما في المنشورات والتعليقات أو منشورات الكاريكاتير وغيرها.

إلا أن انتشار هذا المستوى في كثير من الكتابات، يعكس واقع العربية. وإذا كان هذا واقع العربية على العام، فإنه يزيد على الخاص، ويتوقف على المستخدمين، أما عن الأخطاء النحوية، فلا مجال للحديث عنها، فضلاً عن استعمال ألفاظ نابية وخارجة وجديدة، فيما يسمى باللغة الشبابية، وما

(١) د. محمود السعران: اللغة والمجتمع، ص ١٢٣.

(٢) د. عبد العزيز شرف: المدخل إلى علم الإعلام اللغوي، ص ٢٢.

يجعل هذا المستوى منتشرًا على الخاص، أن الكاتب يكتب بأريحية، خاصة أنه يعلم أنه ليس ثمة من يطلع على لغته المكتوبة، وهذا ربما يؤثر عليها سلباً، كما أن مستعملي المحادثات الخاصة غالباً، ليسوا متخصصين في العربية. ويرى د. عبد العزيز شرف: أن أثر اللغة في عصرنا الحاضر قد ازداد قوة... وازداد خطر اللغة المنطوقة والمكتوبة بانتشار الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والسينما والأساليب العصرية لفنون الإعلام^(١). هذا عن تلك الفترة التي كتب فيها، ولم تكن الفضائيات قد انتشرت، ولم يكن الإنترنت وما انبثق منه قد ظهر، وأحسب لو أنه أعاد كتابة هذا الرأي الآن، لغير رأيه ليس في ظل الفضائيات، بل في ظل الشبكة الدولية.

٥/٧: الحلول والمقترحات:

١/٧: حلول ومقترحات خاصة بوزارات التربية والتعليم في الدول العربية:

- تقويم المناهج التعليمية في كل البلدان العربية بما يناسب المرحلة الآنية.
- زيادة عدد ساعات مساقات اللغة العربية في المراحل التعليمية الأساسية والمتوسطة، وأن يُفَعَّل مساق اللغة العربية في الكليات ذات التخصصات العلمية، بحيث يتم التركيز على أهمية النطق والكتابة الصحيحة.
- أن يكون في المراحل التعليمية اهتمام بالتدقيق الإملائي، أو بقواعد الإملاء والكتابة والتركيز عليها، ولا يتهاون فيها، خاصة أن الطالب إذا تعلم الكتابة والنطق في البداية بشكل سليم استقام له الأمر لاحقاً.
- عمل مجالات ذات أبعاد وأهداف قومية للأطفال في مراحل التعليم الأولى بالعربية الفصحى.
- التركيز على النحو الوظيفي؛ بمعنى أن يكون التركيز على التطبيق لا التنظير، وأن يدرّب الأطفال فتستقيم ألسنتهم.
- أن تزداد ساعات التدريب على تلاوة القرآن وقراءة الأشعار في المراحل التعليمية الأولى؛ لأن الطالب في هذه المرحلة يستطيع التقليد والحفظ بشكل سريع.

٢/٧: حلول ومقترحات تحتاج إلى تكاتف الجهود (حكومات وهيئات وأفراد):

- وضع برامج على شبكة التواصل الاجتماعي للمراجعة والتدقيق كما في الحاسوب.
- العمل على وضع قانون خاص بالنشر على شبكات التواصل الاجتماعي أو ميثاق شرف، بأن من يتجاوز استعمال الفصحى تتخذ معه إجراءات محددة، كأن يغلق حسابه لفترة محددة، وإذا تمادى يغلق حسابه نهائياً... إلخ.
- أن تكون هناك برامج مخصصة لمراجعة لغة التيبث، وربما يقول قائل: كيف أستطيع أن أحدد أن هذه الكلمة تنتمي إلى هذه النوعية من عدمها والسياق متغير؟ لكن القصد أولاً النقل، وإذا فعلنا ذلك ينبذ المجتمع من يستعملها، ومن ثم تخفّي تدريجياً.

(١) السابق، ص ٣.

- أن تحدد عدد الكلمات المسموح بها على هذين التطبيقين وغيرهما كما في التغريدة مثلاً؛ وهذا سيجعل المستخدم يراجع كتاباته.

٣/٧: حلول ومقترحات خاصة بالدول والحكومات:

- أن تكون هناك هيئة رقابية تتكون من أعضاء في اللغة العربية، تعمل على مراجعة كل ما ينشر، سواء أكان مكتوباً أم مسموعاً أم مرئياً.
- إنشاء قنوات متخصصة للأطفال، تعرض باللغة العربية الفصحى.

٤/٧: حلول ومقترحات خاصة بالإعلام:

- تدريب المذيعين والمعدّين وإعدادهم لغوياً وثقافياً ومهنيّاً إعداداً متميّزاً؛ لأن هذا من شأنه أن يؤثر إيجاباً في المجتمع.

- أن تكون الإعلانات بالعربية: الفصحى أو المتوسطة أو بهما معاً.

٥/٧: حلول ومقترحات خاصة بالأفراد والهيئات داخل المجتمع:

- تكاتف الجهود بين الأقطار العربية أفراداً ومؤسسات ووضع خطة قومية لحماية اللغة العربية.

- ترغيب وتحبيب الطلاب في العربية منذ الصغر وبيان أهميتها وكيفية التمسك بها.
- أن يتحدث الأساتذة باللغة العربية الفصحى في كل كلامهم أو جلّه، ويشعروا الطلاب بأهميتها، خاصة أنهم قدوة للتلاميذ.

- أن يكون هناك اهتمام من الدولة تشعر فيه النشء بأهمية اللغة العربية.
- الإغلاء من شأن اللغة العربية من الآباء والأمهات وكل فرد ومحاولة الحديث بها ما أمكن.

٦/٧: حلول ومقترحات خاصة بالباحثين والمؤسسات العلمية:

الاهتمام بالبحث العلمي في لغة وسائل التواصل الاجتماعي؛ لتحديد مواطن الخلل ووضع الحلول المناسبة.

٠/٨: المراجع:

- ١- أيمن محمد عبد القادر الشيخ (دكتور): اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية، اللغة العربية والعولمة وجهاً لوجه. جامعة مالانج الحكومية، كلية الآداب، قسم الأدب العربي، المؤتمر الدولي في تطوير تعليم اللغة العربية، ٢٠٠٨م، على الرابط الآتي:
<http://almaktabah.net/vb/showthread.php?t=28142>
- ٢- سالم المعوش: اللغة العربية (دكتور): اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان دراسة تحليلية ونقد، على موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الرابط الآتي:
<http://www.majma.org.jo/index.php/2009-02-10-09-35-28/254-21-6.html>.
- ٣- السعيد بدوي (دكتور): مستويات العربية المعاصرة في مصر، بحث في علاقة اللغة بالحضارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

- ٤- الصادق آدم عمر (دكتور): اللحن والأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام (دراسة أنموذجية)، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، ٢٠١٣، على الرابط الآتي:
http://www.alarabiahconference.org/modules/conference_seminar/index.php?conference_seminar_id=39.
- ٥- عبد العزيز شرف (دكتور): المدخل إلى علم الإعلام اللغوي. لم أجد فيه توثيقاً.
- ٦- عبد المحسن أحمد الطبطبائي (دكتور): الخطأ الكتابي أسبابه وآثاره، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي، ٢٠١٣، على الرابط الآتي:
http://www.alarabiahconference.org/modules/conference_seminar/index.php?conference_seminar_id=37.
- ٧- فولفديترش فيشر (دكتور): المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى، ترجمه من الألمانية د. إسماعيل عمايرة، ضمن كتاب بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ١٩٩٦.
- ٨- قناة الجزيرة مباشر مصر: تقرير عن لغة التيت، على الشبكة الدولية على الرابط الآتي:
https://www.youtube.com/watch?v=_HEDV1d0rNg
- ٩- محمد الأمين محمد المختار: التدقيق اللغوي ودوره في الحفاظ على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي، ٢٠١٣، على الرابط الآتي:
http://www.alarabiahconference.org/modules/conference_seminar/index.php?conference_seminar_id=37.
- ١٠- محمد حسان الطيان (دكتور): اللغة العربية والإعلام، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي، ٢٠١٣.
http://www.alarabiahconference.org/modules/conference_seminar/index.php?conference_seminar_id=39.
- ١١- محمد حسن عبد العزيز (دكتور): لغة الصحافة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، سلسلة كتابك (٩٨).
- ١٢- د. محمد زكي خضر (دكتور): رصد واقع اللغة العربية في ميدان التواصل الاجتماعي على الشبكة (الإنترنت) والهاتف والمحمول دراسة علمية ميدانية تحليلية - الواقع والمأمول، على الرابط الآتي:
<http://www.abandah.com/gheith/?p=1163>.
- ١٣- محمود أحمد سيد (دكتور): اللغة العربية وتحديات العصر، ٢٠٠٨، دون ناشر.
- ١٤- محمود السعران (دكتور): اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، الإسكندرية، ١٩٦٣.
- ١٥- يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠.

سلطة الاختصاص في الصحف العربية (دراسة على مدونة حاسوبية)

علي محمد آل مشهور

تتناول هذه الدراسة سلطة الاختصاص في الصحافة العربية بوصفها وسيلة إقناعية موازية للإثوس الذي يمثل شخصية المنشئ، فكثير من العناصر التي تمثل الإثوس هي في الواقع متضمنة لسلطة الاختصاص. وتظهر أهمية الدراسة في تسليط الضوء على الكلمات التي يمكن أن تمثل سلطة اختصاص صاحبها في الصحف العربية، إضافة إلى أن هذه السلطة لم تعط حظها من الدراسة، كما أن المنهج المتبع في التحليل حديث جداً وهو لغويات المدونة الحاسوبية بما يتضمنه من مفاهيم وإجراءات حديثة على الدرس اللغوي العربي؛ وهو ما يزيد هذه الدراسة أهمية، وهذا التحليل سيدرسها في مجال متعددة. وتهدف الدراسة الكشف عن الكلمات التي ترتبط بسلطة الاختصاص وأنها أكثر تكراراً، والمجالات المتعددة (اقتصاد - سياسة - ثقافة) التي يمكن أن تظهر فيها هذه السلطة وأنها أقرب إلى سلطة الاختصاص وتطرح هذه الدراسة جملة من الأسئلة هي: ما سلطة الاختصاص؟ وما مدى تقائها بالإثوس؟ وما الكلمات التي يمكن أن تمثل سلطة الاختصاص في الصحافة العربية؟ ما أكثرها تكراراً؟ وما المجال الأقرب لكلمات سلطة الاختصاص في الصحافة العربية؟

تتكون الدراسة من مدخل نظري تُعرّف فيه السلطة، وبعد ذلك مبحثان؛ يتناول الأول مسائل تتصل بمنهج الدراسة والمدونة وأدواتها، في حين يكون الثاني مخصصاً للتحليل وفق ما جاء في المبحث الأول. وأخيراً النتائج.

أ. مفهوم السلطة:

تُعرّف السلطة authority بحسب قاموس أوكسفورد Oxford Dictionary بأنها: "سلطة التأثير في الناس بسبب المعرفة knowledge أو الموقع الرسمي" ^(١). ومفهوم السلطة authority يعني أيضاً "ما يملكه الشخص من مقومات تجعله أهلاً لأن يصدق كأن يكون مختصاً أو خبيراً في مجال ما. وهذا المصطلح مرادف لمصطلح [expert بمعنى خبير] في اللغة الإنجليزية" ^(٢). ويكون للمختص أو الخبير سلطة تتمثل في قدرته على التأثير بواسطة ما يملكه من معرفة وإلمام حول الموضوع المطروح. وهذه السلطة تزيد بقدر ما زادت خبرته وشهرته في المجال، وهي مما يدخل في دراسات عديدة ضمن المصادقية ^(٣). ومن هنا يتبين أن الاختصاص يؤهل الشخص ليملك سلطة الإقناع؛ إذ إنه سيكون مصدقاً ومقنعاً بمجرد معرفته وخبرته في المجال.

^(١) Oxford Dictionary, P. 88.

^(٢) Longman Dictionary of Contemporary English, fifth edition (2009), Pearson Education Limited, UK. P. 97.

^(٣) Ross, R., Ross, M. (1981), Understanding Persuasion, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey. P.156-157.

ومفهوم سلطة الاختصاص قريب من مفهوم السلطة power في التحليل النقدي للخطاب، فقد أقام فوكو Foucault مقابلة بين معنيين للسلطة هما: السلطة السيادية sovereign power والسلطة التنظيمية disciplinary power^(١)، وكان فيركلاف Fairclough قد ذكر هذين النوعين ولكن باسمين آخرين هما:

سلطانا الإكراه والقبول coercion and consent powers إذ تعني السلطة الأولى السلطة التي تمارسها الدولة ، في حين أن السلطة الثانية تعد وسيلة لضمان حصول الناس على تحكمهم الذاتي بأنفسهم أو التسليم بما يقوله الخبراء^(٢). ومن هنا يتضح أن هذه السلطة منظمة ويحكمها معرفة الناس ببعضهم وفي أي مجال يتحدثون.

والسلطة بذلك تعني السلطة الاختصاصية التي تؤهل الفرد لأن يتكلم فيما هو متخصص فيه، ويكون لذلك الكلام وقعه في المتلقين الذين يسلمون بما يقال. وهذا يعني أن يكون كلام المختص مقنعاً وهو ما يدخل ضمن ما يُسمى في التقاليد الغربية -ولدى أرسطو تحديداً- بالإثوس ethos وهو أحد الوسائل التي اعتمدها أرسطو في عملية الإقناع إضافة إلى وسيلتين أخريين هما: الباثوس (العاطفة)، واللوجوس (المنطق).

ويقوم الإثوس على الإقناع بواسطة الشخص ومصادقيته^(٣) (أرسطو)، وينقسم قسمين هما: الإثوس القبلي، ويعني صورة المنشئ لدى المتلقي قبل الخطاب، والإثوس الخطابي ويعني صورة الخطيب التي يصنعها لنفسه ضمن خطابه،^(٤) وحيث إن سلطة التخصص تتضمن المعرفة والموقع الرسمي وكذلك الخبرة والاختصاص في المجال فإنها يمكن أن تكون متضمنة في النوعين؛ ذلك أن الخبرات والموقع الرسمي تدرج ضمن النوع الأول، في حين أن المعرفة والتأثير في المتلقي قد تتكشف بواسطة ما يقدمه من إحصاءات أو أرقام أو غيرها بحسب تخصصه.

وهي بذلك تدرج ضمن النوع الثاني. وتتفرع من كل نوع من أنواع الإثوس عناصر يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الإثوس القبلي: ويتضمن عنصرين هما:

١. المصادقية: وتشير إلى مكونات موضوعية objective وأخرى ذاتية subjective للإيمان بصدق مصدر الرسالة. وهذه المكونات تقوم على مكونين رئيسيين هما: الثقة trustworthiness

(1) Baker, P. & Ellece, S. (2012), Key Terms in Discourse Analysis, Bloomsbury Academic, UK. P. 71.

(2) Fairclough, N. (1989), Language and Power. London: Longman. P.33.

(٣) أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩ ص ١٠

(٤) الشبعان، علي، الحجاج بين المنوال والمثال، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٨. ص ٣٥-٣٦.

والخبرة expertise، إضافة إلى مكونات أخرى ثانوية كشخصية المتكلم أو حضوره أو ما يُعرف بالكاريزما^(١).

٢. **السلطة:** وهي -كما ذكر سابقاً- تعني ما يملكه الشخص من مقومات تجعله أهلاً لأن يصدق كأن يكون مختصاً أو خبيراً في مجال ما. ويكون للمختص أو الخبير سلطة تتمثل في قدرته على التأثير بواسطة ما يملكه من معرفة وإلمام حول الموضوع المطروح، وهذه السلطة تزيد بقدر ما زادت خبرته وشهرته في المجال^(٢)، فلا يمكن أن يقبل من شخص أن يصف دواء وهو ليس طبيباً، أو أن يتحدث عن المخاطر الاقتصادية التي قد تحصل وهو ليس مختصاً في الاقتصاد. ومعرفة الناس باختصاص المتحدث يساعد كثيراً في قبولهم لحديثه، علاوة على أنه قد لا يكون مختصاً فقط وإنما علماً أي قد أسهم في الكتابة والنشر في مجال اختصاصه؛ وهذا يجعله أهلاً للثقة والتصديق^(٣).

ثانياً: الإثوس الخطابي:

يتمثل الإثوس الخطابي في صورة المنشئ في خطابه أي في الصياغة سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً والصياغة تتمثل -فيما يتصل بسلطة التخصص- في الخبرة في المجال، وذلك بأن تتضمن مصادر تمتاز بالمصداقية والموثوقية التي تكون لها سلطتها على المتلقي، وأن تمتاز أيضاً بالإنصاف وعدم التحيز، وأن تكون خالية من الأخطاء اللغوية. أما المصادر فيُقصد بها هنا الدلائل والدعائم التي تقوي الحجة وتزيد من نجاحها وإقناع المتلقي بالفكرة، وهذه المصادر كثيرة وأكثرها فعالية هي: شهادات المختصين statements by authority والأمثلة examples والإحصاءات statistics والاقتباسات quotations^(٤) وهذه المصادر جميعها تعزز مصداقية المنشئ سواء أكان متخصصاً أم لا.

ويظهر مما سبق بأن جميع هذه العناصر بما فيها السلطة هي داخلة في سلطة الاختصاص، فالمختص يمتلك المصداقية بحكم معرفته بالمجال وهذا المعرفة وهي ما تُكسبه هذه السلطة إضافة إلى ما قد يدعم به خطابه من حجج ومصادر كشهادة مختصين آخرين أو ضرب للأمثلة أو ذكر للأرقام والإحصاءات أو الاقتباس. وهكذا تكون هذه السلطة قد توسعت وأصبحت تتمثل في أكثر من عنصر من عناصر الإثوس.

ولعل الشكل (١) يمثل هذه العناصر التي تُشكّل سلطة الاختصاص.

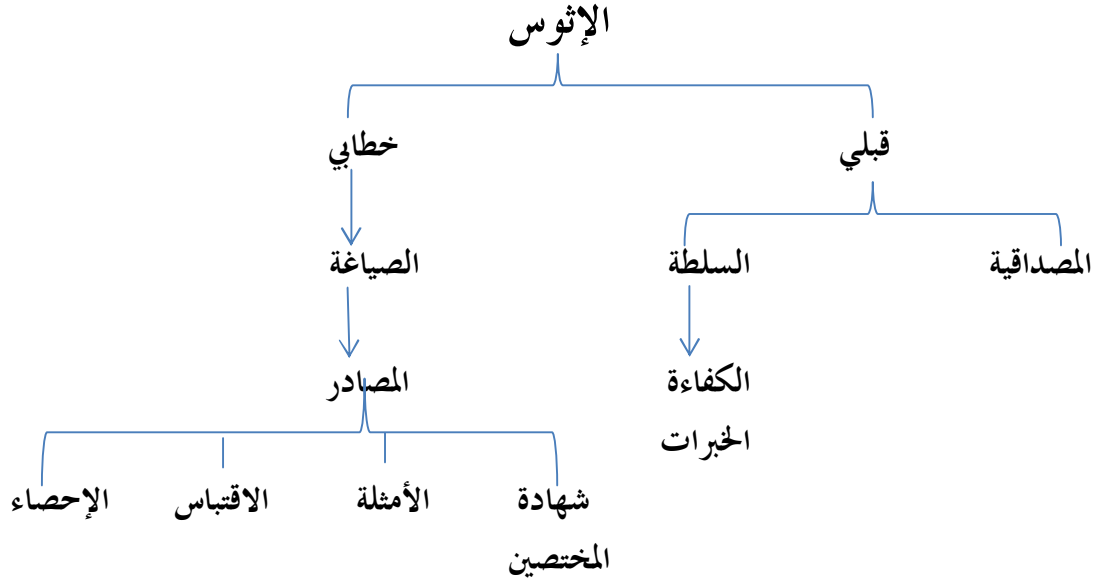
(1) Flanagan and Metzger (2008), Digital media and youth: Unparalleled opportunity and unprecedented responsibility. In M. Metzger, & A. Flanagan (Editors), Digital media, youth, and credibility (pp. 5-28). Cambridge, MA: The MIT Press. P. 5.

(2) Ross, R., Ross, M. (1981), Understanding Persuasion, P. 156-157.

(3) McDonald, D. (1983), the Language of Argument, fourth edition, Harper & Row Publishers, Inc., New York. P. 70-71.

(4) Ross, R., Ross, M. (1981), Understanding Persuasion, P. 56.

الشكل (١) عناصر الإثوس التي تُشكّل سلطة الاختصاص



١.١.١. منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على أحد مناهج لغويات المدونة الحاسوبية Corpus Linguistics وهو المنهج المعتمد على المدونة، وهو منهج يدرس مدونات طويلة؛ لأن المدونات القصيرة يمكن أن تترك أو تهمل معلومات أو نتائج إحصائية مهمة، كما أن المدونات القصيرة لا تقدم بدايات التكرارات frequency thresholds ولا مدى التصاحب اللفظي collocation span^(١). وقد أشار ماكنزي وهاردي McEnery & Hardie إلى أن هذا المنهج يقوم على إجراءات تقوم على المنهجين الكمي quantitative والنوعي qualitative، وهذه الإجراءات تسير في مسارين، كل منهما يحقق أغراضاً معينة وهذان المساران هما: دراسة التكرارات frequencies والكشافات السياقية concordances^(٢) وفيما يلي نبذة عن كل منهما:

١.١.١.١. التكرارات:

تقوم التكرارات بتزويد الباحث ببيانات كمية جاهزة ودقيقة مما لا يمكن القيام به يدوياً؛ إذ تقوم بشكل رئيس بعمل قائمة التكرارات التي تظهر فيها تكرارات الكلمات المعدة للدراسة، وتظهر تلك

(1) Piper, A. (2000), Some Have Credit Cards and Others Have Giro Cheques: "Individuals" and "People" as Lifelong Learners in Late Modernity, Discourse & Society 11(3): pp. 15–42.

(٢) ماكنزي، توني، وهاردي، أندرو، لغويات المدونة الحاسوبية: المنهج والنظرية والتطبيق. ترجمة: سلطان بن ناصر المجبول، دار جامعة الملك سعود، الرياض، (٢٠١٦). ص ٣.

القائمة متباينة بين تكرارات عالية وأخرى منخفضة، ولكل منها دلالتها. وليس من مسؤولية هذه القائمة تفسير التكرارات أو الطرائق التي استخدمت بها الكلمات في الواقع؛ ذلك أن مهمتها كمية^(١).

٢.١.١. ٢. الكشافات السياقية:

وتُعرّف الكشافات السياقية بأنها: "قائمة كل التكرارات لمصطلح معين يُبحث عنه ضمن السياقات التي ورد فيها في المدونة"^(٢). والكشافات السياقية من المفاهيم التي تعتمد على المنهج النوعي ومن أكثر التقنيات كفاءة والتي تسمح للباحثين بإجراء فحص دقيق؛ ذلك أنها تتيح للباحث أن ينظم البيانات، وبعد ذلك يُنظر لتلك البيانات بأشكال متعددة بحسب غرض الباحث. ويبقى ضمن مسؤولية المحلل أن يدرك الأنماط اللغوية وأن يشرح أيضاً لمَ هي موجودة؛ وبهذا فإن الكشافات السياقية جيدة فقط إذا كان المحلل جيداً^(٣). وهناك مفاهيم محددة حددها دارسو لغويات المدونات الحاسوبية لتكون مفاهيم أساسية في دراسة المدونات، وهذه المفاهيم منبثقة من الإجراءات السابقة؛ فالتكرارات تساعد في تحديد الكلمات المفتاحية key words والتصاحبات اللفظية collocations والتفضيل الدلالية semantic preferences وكلها من المفاهيم الأساسية في لغويات المدونات الحاسوبية. وتساعد الكشافات السياقية في الكشف عن جوانب ذات بعد خطابي من قبيل النظم الدلالي semantic prosody وهو ما يُعرف أيضاً بـ النظم الخطابي (discourse prosody)^(٤).

وهكذا يمكن بواسطة المنهج المعتمد على المدونة الحاسوبية اكتشاف الكلمات الأكثر تكراراً التي تعد كلمات مفتاحية لسلطة الاختصاص في الصحف العربية، وكذلك المتصاحبات اللفظية التي تؤدي دوراً في إبراز معنى كلمات سلطة الاختصاص وتقويتها سواء أكانت قبلها أم بعدها في كل مجال من مجالات المدونة المختلفة.

والكلمات التي سنتناولها الدراسة بالتحليل تمثل سلطة الاختصاص بحسب ما ورد في مفهومها وعناصرها التي تعد في معظمها عناصر للإثوس، وقد ساعد في إيجاد هذه الكلمات بعض المراجع^(٥)، علاوة على حدس الباحث باعتباره متحدثاً أصيلاً للغة.

٢.١.٢. المدونة:

المدونة هي نصوص من الصحف العربية في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة، ويراد بالثقافة هنا مجالات متنوعة فيها ما هو ديني واجتماعي ورياضي وطبي وغيرها. وهذه النصوص تشمل عدة مجالات منها مقالات الرأي والتقارير والأخبار الصحفية في ١٧ دولة عربية لعام ٢٠١٥م، وعدد

(1) Baker, P. (2006), Using Corpora in Discourse Analysis. London: Continuum. P. 47-48.

(2) Baker, P. (2006), Using Corpora in Discourse Analysis. P. 71.

(3) Baker, P. (2006), Using Corpora in Discourse Analysis. P. 89.

(٤) ماكنري، توني، وهاردي، أندرو، لغويات المدونة الحاسوبية: المنهج والنظرية والتطبيق، ص ٢٥٣.

(٥) انظر مثلاً: مختار عمر، أحمد، المكسر الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، ط١، سطور، الرياض، ٢٠٠٠.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - سلطة الاختصاص في الصحف العربية: دراسة على مدونة حاسوبية

كلماتها حوالي ثلاثة ملايين (٣٠٠٠٠٠٠) كلمة. والجدول (١) يوضح البلدان العربية ومجالات النصوص وعدد الكلمات لكل دولة.

ويجب تحويل هذه النصوص إلى نصوص قابلة للمعالجة الآلية، وتوزيعها في مجلدات مختلفة بحسب الدول والمجالات المختلفة، وقد رمزت المجلدات برموز تقلل من كم الصفحات أثناء البحث والتحليل. وهذه الرموز تشمل الدول بحيث ترقم الدول من ١ إلى ١٧ وترمز نوعية المجالات كالآتي: الاقتصادية ورمزها: (أ)، والسياسية ورمزها: (ب)، والثقافية ورمزها (ج). فيكون عدد الكلمات والرمز النهائي كما هو واضح في العمود الرابع من الجدول (١).

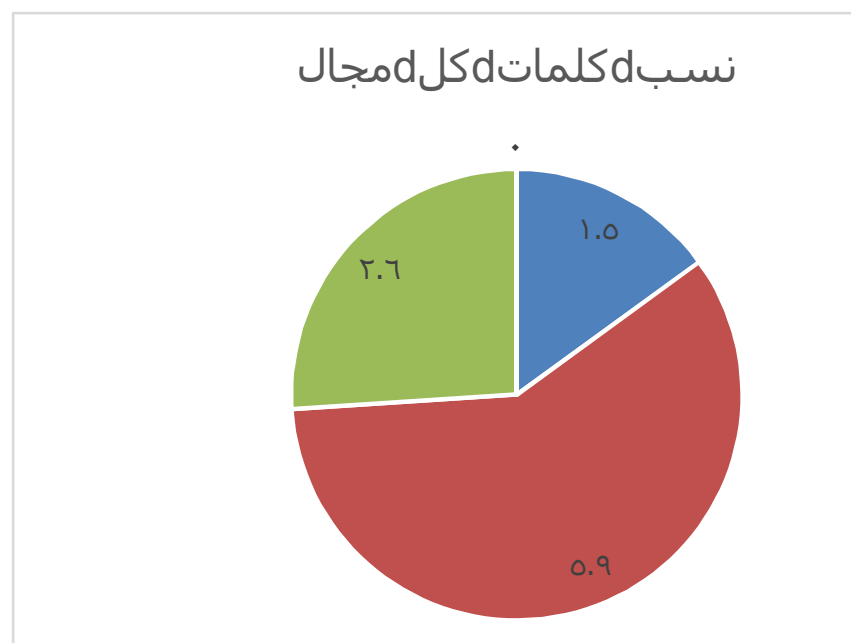
الجدول (١) عدد كلمات ورموز الدول في المدونة:

الدولة	عدد الكلمات	الرقم	الرمز
السعودية	٢٤٦٦٥٤	١	أ١
الكويت	٣٤٥٥٧	٢	أ٢
البحرين	٣٧٠٤١٦	٣	ج٣
الإمارات	٩٨٧٥١	٤	أ٤
عمان	٤٨١٠٤	٥	ب٥
اليمن	٢٥٩٧٦	٦	ج٦
العراق	٢٥٢٠٨	٧	أ٧
الأردن	١٥١٣٩١	٨	ج٨
سوريا	٣٤٥٦٥	٩	ج٩
فلسطين	٧٥٠٦٥	١٠	ج١٠
لبنان	١٢٦٠٧	١١	ج١١
مصر	٦٠٦٣٨٠	١٢	ب١٢
السودان	٨٨٥٢٨٣	١٣	ب١٣
ليبيا	٢٦٦٧٠	١٤	ج١٤
تونس	٤٣٥٩١	١٥	أ١٥
الجزائر	٢٣٩٦١٧	١٦	أ١٦
المغرب	٨٦٧٩٥	١٧	ج١٧
المجموع	٣٠١١٦٣٠		

والملاحظ أن هناك تفاوتاً في عدد كلمات كل دولة؛ وذلك يرجع إلى حجم النصوص المؤرشفة في الشبكة العنكبوتية في الفترة التي جُمعت فيها المدونة، كما أن المجال السياسي أكثر من المجالين الآخرين في عدد الكلمات، ويفيدنا ذلك بطبيعة حجم المجال الأكثر اهتماماً في العالم العربي من حيث

الإنتاج اللغوي الصحفي، والمقصود هنا: الاهتمام بالمجال والموضوعات السياسية أكثر من المجالين الآخرين.

الشكل (٢) يوضح نسب عدد كلمات كل مجال من مجالات المدونة:



١.٢.١. أداة التحليل:

وأداة التحليل التي تعتمد الدراسة هي أداة تحليل المدونة العربية ACPTs (غواص) Ghawwas الذي طُوّر في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية^(١)، وتتوافر فيه أدوات معالجة المدونات باللغة العربية والتي تتضمن^(٢).

- تكرار المتتابعات اللفظية n-grams frequency
- الكشفات السياقية concordance
- التصاحبات اللفظية collocations

(١) الشمري، عقيل، الثبيتي، عبدالمحسن، لسانيات المدونات: نماذج وتطبيقات في لغة الصحافة، (في) المدونات اللغوية: بناؤها وطرائق الإفادة منها، تحرير: صالح بن فهد العصيمي، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٨٩.

(2) Al-Thubaity, A. Khan, M. Al-Mazrui, M. & Al-Mousa, M. (2013), New Language Resources for Arabic: Corpus Containing More Than Two Million Words and a Corpus Processing Tool. In Asian Language Processing (IALP), 2013 International Conference on IEEE, P. 68.

الشكل (٣) خصائص أداة تحليل المدونة العربية (غواص)

والكلمات التي ستنضمها الدراسة بالتحليل كلمات تمثل سلطة الاختصاص، وستستقي من المفاهيم والعناصر التي تمثله. وستعد الكلمات الأكثر تكراراً كلمات مفتاحية، والكلمات المفتاحية هي الكلمات الأكثر دلالية significant وظهوراً في النص^(١)؛ وبهذا تمكننا المدونة الحاسوبية من تحديد الكلمات المفتاحية (الأكثر تكراراً). وعدد الكلمات ٤٠ كلمة-كما يظهر في الملحق (أ)- على أن كل كلمة قد ترد بصيغ متعددة كأن تكون اسماً أو فعلاً ومن ذلك: (أكد)، (وتأكد). والأسماء المختارة جاءت في صيغة النكرة لا المعرفة؛ وذلك لأسباب عدة منها أن صيغة النكرة تدل على عموم المعنى وليس خصوصيته كما هو حال المعرفة، وهناك كلمات منها على سبيل المثال كلمة (عدد) التي تظهر اتصالاً واضحاً بالإقناع والسبب في ذلك تصاحبها مع كلمات من قبيل: (بلغ)، (وصل)، (زاد)، (ارتفع) وغيرها الكثير، وتتصاحب كذلك مع الأرقام والنسب مما يعطيها مصداقية أكثر، بينما لا تظهر هذه التصاحبات والأرقام مع صيغة المعرفة (العدد) التي عادة ما تكون مرتبطة بـ(عدد الجريدة) باليوم والتاريخ؛ وهذا يضيف تكرارات لا تتعلق بالإقناع، كما أن تكراراتها كانت قليلة جداً مقارنة بصيغة النكرة فقد تكررت ١٦٨ مرة، في حين تكررت صيغة النكرة ٣٢٠٢. وستحلل الكلمات العشر الأكثر تكراراً فقط باعتبارها الكلمات المفتاحية والأكثر أهمية في الصحف العربية. وسيكون التحليل-كما

(1) Baker, P. (2006), Using Corpora in Discourse Analysis. P.121.

ذكر- على شقين: كمي، يُعنى بتناول الوصف الإحصائي للكلمات، ونوعي، يتناول الكلمات بمتصاحباتها اللفظية على مدى كلمة واحدة قبل وبعد 1n-gram محاولاً الوصول إلى معناها وصلتها بالإقناع.

٢. ١. تحليل كلمات سلطة الاختصاص:

يختص هذا المبحث بعملية التحليل التي جرت على الكلمات بواسطة أداة تحليل المدونة العربية (غواص)، وذلك بدراسة من منطلقين هما: التكرارات، والتصاحبات اللفظية التي قد تكشف مزيداً من النتائج التي يمكن الكشف عنها بالوسائل التقليدية فيما يخص عملية الإقناع لكلمات سلطة الاختصاص. وتظهر تكرارات كلمات سلطة الاختصاص في المحلق (أ)، حيث يتبين أن مجموع تكرارات كلماتها هو ١٥٤٤٠ تكراراً، وأن هناك تفاوتاً كبيراً بين تكرارات الكلمات فكلمة (عدد) ظهرت بوصفها أكثر كلمة وروداً بواقع ٣٢٠٢ تكراراً، أي بنسبة ٢٠.٧% وهي نسبة كبيرة جداً للكلمة واحدة، كما أنها وردت بصيغة الجمع (أعداد) ١٥٧ مرة. وقد تُفسّر هذه النسبة بارتباط العدد بكافة أنواع الأوعية التي تتناولها؛ أي بالاقتصاد، والسياسة، والثقافة، وهذا يتضح كثيراً عند الكشف عن الكشافات السياقية كما سيأتي.

وتأتي بعد ذلك كلمة (أكد) بواقع ١٦٥٢ تكراراً أي تقريباً نصف تكرارات كلمة (عدد) أي بنسبة ١٠.٦% ووردت بصيغة المضارع (يؤكد) ٣٠٨ مرة وبصيغة (تأكيد) ١١٩ مرة أي بإجمالي ٢٠١٩ تكراراً، وقد يكون هذا الرقم عائداً إلى الدلالة المعجمية للتأكيد وتمتعها بالسلطة authority التي تجعل من صاحبها قادراً على الجزم بما يقول.

وتأتي بعد ذلك كلمة (يجب) بإجمالي ١٠٨٠ تكراراً أي بنسبة ٧% وكلمة (يجب) تشبه (أكد) في كونها تحمل قدراً من السلطة لمن يوظفها وهذا يفسّر كونها واحدة من أكثر الكلمات توظيفاً. وتأتي بعد ذلك بقية الكلمات كما سيأتي في التحليل.

وسيبدأ بطبيعة الحال بأكثر الكلمات تكراراً وهي كلمة (عدد) فهذه الكلمة قد وردت في جميع مجالات المدونة السياسية والاقتصادية والثقافية. وقد تكررت في صيغة الجمع (أعداد) ١٥٧ وهو رقم ضعيف جداً مقارنة بصيغة المفرد.

وبالبحث في كشافاتها السياقية يُلاحظ أن كلمة (عدد) تُسبق كثيراً بكلمات من قبيل: (تخفيض)، (إجمالي)، (بلغ)، (زيادة)، (ارتفع)، (وصل). وهذه الكلمات تسهم في تحديد ماهية العدد والحالة التي أصبح عليها في كونه انخفض أو ارتفع أو بلغ أو وصل إلى حالة ما، فهي إذن تقوم بمساعدة المتلقي على فهم الحالة التي وصل إليها العدد.

الجدول (٢): كلمة (عدد) في المجال الاقتصادي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٢٠٠٢ Sun Apr 12 17 04 16 AST 2015.txt	بالنظر لتقاليد المنطقة حيث تجاوز	الطلبات ٣٢٠ ألف طلب مشبرا
٢	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٢٠٠١ Tue Apr 07 01 54 19 AST 2015.txt	لتداول ٥٥.٣١ مليار درهم، وبلغ	الشركات التي حققت ارتفاعا سعريا
٣	أ٥١ تورس - الاقتصادية_٢٠٠٣ Wed Apr 08 16 25 46 AST 2015.txt	إلى ٢٩٠٠ سنة ٢٠١٤ وتراجع	الطائرات من ٥٩ إلى ٤٩
٤	أ٢١ الأنباء - اقتصاد وأعمال_٢٠١٠ Sun Apr 19 02 26 33 AST 2015.txt	وطالبة، فيما جاء ٢٠١٤ بزيادة	الطلبة ليصل إلى ٥٠٠٠ طالب
٥	أ٧ صحيفة الصباح - الاقتصادية_٢٠٠١ Sat Apr 18 02 26 33 AST 2015.txt	الفرق الرقابية لـ ١٨١ مخالفة في	من الشركات والمعامل التابعة لها
٦	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٢٠٠١ Wed Apr 08 10 25 46 AST 2015.txt	عام ٢٠١٤. وتوقع أن يرتفع	المصانع والمنتجات خلال الربع الأول
٧	أ٥١ تورس - الاقتصادية_٢٠٠٢ Sat Apr 11 17 45 55 AST 2015.txt	الأول من سنة ٢٠١٤، سجل	الوافد على تونس تراجعا بنسبة
٨	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٢٠٠٤ Sat Mar 28 18 39 16 AST 2015.txt	التقرير. ومن المتوقع أن يبلغ	سكان الجزائر ٤٠ مليون نسمة
٩	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٢٠٠١ Sat Mar 28 03 19 26 AST 2015.txt	بتراجع ١٤.٣٢٪، في حين وصل	الزوار من الأمريكتين إلى ١٢٢
١٠	أ٢١ الأنباء - اقتصاد وأعمال_٢٠٢١ Sun Apr 19 02 26 33 AST 2015.txt	أكثر وأكثر، فضلا عن تراجع	الشركات المدرجة وهو ما يعني

والملاحظ أن الكشافات السياقية الواردة في الجدول (٢) كلها مأخوذة من مدونة اقتصادية مما يعني ارتباط الكلمات السابقة واللاحقة مثل: (الشركات)، (المصانع)، (متداولي) وغيرها مما لم يظهر في الجدول بكلمة (عدد) في سياق معين وهو الاقتصاد، فهذه الكلمات مهمة جداً في تحديد الوظيفة الخطابية التي تقوم بها (عدد) في هذا المحيط. خصوصاً أن هذه السياقات مزودة في كثير منها بالأرقام والنسب مما يعزز عملية المصادقية وبالتالي الإقناع.

ولكن ماذا عن كلمة (عدد) في مجال مختلف كالسياسة مثلاً، ففي هذا المجال يوجد تنوع كبير جداً للكلمات السابقة لكلمة (عدد) فنجد الكلمات الآنف ذكرها في المدونة الاقتصادية (تخفيض)، (زيادة)، (إجمالي)... ونجد كذلك كلمات أخرى كثيرة مختلفة بتنوع بتنوع الشأن الذي تتناوله، ففي تناول شئون الحرب والأزمات مثلاً نرى كلمات من قبيل: (إصابة)، (تدمير)، (سقوط)، (سقوط)، (اختطاف)، (إخلاء)، (قصف). أما ما يعقبها فنجد كلمات مثل: (الجنود)، (القتلى)، (الغارات)، وهي جميعاً كلمات مرتبطة بالحرب.

الجدول (٣): كلمة (عدد) في المجال السياسي المرتبطة بالحرب^(١).

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	ب٥الوطن العمانية_٠٠٠٨_Sun Apr 12 23 45 55 AST 2015.txt	من عناصر الشرطة ومدني وإصابة	من رجال الشرطة ومواطنين في
٢	ب٥الوطن العمانية_٠٠٠٩_Sat Apr 11 17 45 55 AST 2015.txt	في الأيام الأخيرة إلى ارتفاع	الضحايا المدنيين. وذكر تقرير للأمم
٣	ب٥الوطن العمانية_٠٠٠٩_Sat Apr 11 17 45 55 AST 2015.txt	تقرير للأمم المتحدة مؤخرًا أن	المدنيين الذين قتلوا أو جرحوا
٤	ب٥الوطن العمانية_٠٠١٠_Mon Mar 30 04 18 23 AST 2015.txt	أن يقوم مسلحو المعارضة بإخلاء	من الجنود السوريين المحتجزين لديهم
٥	ب١سعورس- السياسية_٠٠١١_Sun Apr 12 05 04 16 AST 2015.txt	رحمهم الله، كما أصيب فيه	آخر من رجال الأمن؛ كالرقيب
٦	ب١٣سودارس - السياسية_٠٠١٥_Wed Apr 08 22 25 46 AST 2015.txt	العربية الشقيقة، وأسفر عن استشهاد	من العسكريين والمدنيين وإصابة آخرين
٧	ب١٢مصرس - السياسية_٠٠٣٥_Wed Apr 08 16 25 46 AST 2015 - Copy.txt	قوة الحلف الأطلسي، مؤكدا سقوط	من الجنود الأميركيين قتلًا أو
٨	ج٣الوطن البحرينية_٠٠١٧_Thu Apr 09 22 53 04 AST 2015.txt	عاصفة_الحزم ظهر الخميس قصف	من المواقع العسكرية التابعة للمتمردين
٩	ج٣الوطن البحرينية_٠٠١٧_Thu Apr 09 22 53 04 AST 2015.txt	صنعا استأنف طيران التحالف قصف	من المواقع العسكرية المحيطة بصنعا
١٠	ج٨العرب اليوم الأردنية_٠٠٠٥_Mon Apr 20 14 18 47 AST 2015.txt	أفادت مصادر ليبية، الإثنين، بسقوط	غير محدد من الجرحى، في

وهناك أيضًا الكثير من هذه الأمثلة التي لا يسع المجال لطرحها جميعًا، ولكن الملاحظ في هذه الأمثلة أن كلمة (عدد) ليست إلا كلمة مبهمة وليست هي ذاتها الواردة في المجال الاقتصادي التي تعطي معلومات واضحة بشأن العدد وحالته بدليل -كما ذكرنا- وجود الأرقام والنسب. أما هنا فدورها الإقناعي أضعف بكثير ولكنها تؤدي دورًا في إخفاء العدد الذي قد لا يُراد له أن يظهر لاعتبارات كثيرة منها ما قد تغلب عليه الجوانب السياسية.

(١) لُوحظ أن المدونتين البحرينية والأردنية توجد بهما بعض النصوص السياسية رغم أنهما تصنفان ضمن المجال الثقافي، ويعود السبب في ذلك إلى التداخل في الأرشفة.

وفي الجانب السياسي أيضاً ولكن فيما يتعلق بالعلاقات والتعاون الدولي فإن كلمة (عدد) كثيراً ما تُسبق بكلمات مثل: (بحث)، (مناقشة)، (لقاء)، (حضور)، وهي كلمات تدل على تبادل وتعاون بين طرفين أو أكثر.

الجدول (٤): كلمة (عدد) في المجال السياسي المرتبط بالعلاقات والتعاون الدولي.

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	ج٨ العرب اليوم الأردنية_٠٠٠٨ Wed Apr 01 17 01 12 AST 2015.txt	المجالي. وجرى خلال اللقاء بحث	من الموضوعات العسكرية المشتركة بين
٢	ج٨ العرب اليوم الأردنية_٠٠٠٩ Sun Apr 12 17 04 16 AST 2015.txt	مناقشة التقرير السنوي للاتحاد وبحث	من القضايا الحيوية التي تمس
٣	ج٨ الوطن البحرينية_٠٠١٧ Thu Apr 09 16 53 04 AST 2015.txt	بين البلدين بالإضافة إلى بحث	من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك
٤	ج٣ الوطن البحرينية_٠٠٢١ Wed Apr 08 22 25 46 AST 2015.txt	المعدية، الذي يستمر يومين، لمناقشة	من المواضيع الهامة ذات العلاقة
٥	ب١ سعورس - السياسية_٠٠٠١ Thu Apr 02 20 05 40 AST 2015.txt	وجرى خلال الاستقبال بحث ومناقشة	من الموضوعات المتعلقة بعمل ومهام
٦	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٢٣ Wed Apr 01 11 43 38 AST 2015.txt	نظيره الأثيوبي حيث تمت مناقشة	من الموضوعات المهمة خلال اللقاء
٧	ج٨ عرب اليوم الأردنية_٠٠٠٤ Tue Apr 07 13 54 19 AST 2015.txt	الدبلوماسية الأردنية - الرومانية، بحضور	من الشخصيات الدبلوماسية والسياسية من
٨	ج٣ الوطن البحرينية_٠٠٠٢ Fri Apr 03 14 05 40 AST 2015.txt	أنشطته العديدة اجتماعات ومؤتمرات بحضور	من رجال السياسة في واشنطن

يُلاحظ من الجدول (٤) أن كلمة (عدد) تُتبع بحرف جر واسم مجرور مثل: (من الموضوعات)، (من القضايا)، (من الشخصيات)، (من رجال). والواقع أن هذه السياقات التي ترد ضمنها تعد سياقات بروتوكولية معدة مسبقاً، وأن كلمة (عدد) قد لا تعني التعدد في كل الأحوال؛ إذ قد يكون النقاش حول موضوع واحد. وقد يكون لكلمة (عدد) وظيفة أخرى وهي التعميم والاختصار دون ذكر التفاصيل وهذا يتضح أكثر في السطرين ٧ و٨ فلم تذكر الشخصيات ولا رجال السياسة. والخلاصة أن كلمة (عدد) هنا مبهمة ومثيلة لصاحبيتها في سياق الحروب والأزمات ولا تضيف شيئاً فيما يتعلق بالإقناع. أما في المدونة الثقافية فكانت الكلمات السابقة واللاحقة لـ (عدد) تختلف بحسب الموضوعات المتعددة، فعلى سبيل المثال ما يتعلق بالنهضة ومطالبات الناس، نجد كلمات سابقة مثل: (تحقيق)، (تنفيذ)، (بناء)، (اعتصم)، (اشتكى)، (تساءل). أما الكلمات اللاحقة فنجد أنها في معظمها تكون حرف جر واسم مجرور مثل: (من الإنجازات)، (من المشاريع)، (من الإصلاحات)، (من المواطنين).

الجدول (٥): كلمة (عدد) في المجال الثقافي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	ج ٨ العرب اليوم الأردنية_٠٠٠٥ Mon Apr 13 17 04 16 AST 2015.txt	طالبا وطالبة، كما استطاع تحقيق	من الانجازات من بينها تسجيل
٢	ج ٨ العرب اليوم الأردنية_٠٠١٠ Tue Apr 07 19 54 19 AST 2015.txt	الخليجية، التي ستسهم في تنفيذ	من المشروعات التنموي و الخدمة. وأكد
٣	ج ٣ الوطن البحرينية_٠٠٠١ Fri Apr 03 02 05 40 AST 2015.txt	فيعدد من المناطق. واشتكى	من المواطنين من أن مقولي
٤	ج ٩ تشرين - زوايا و أعمدة_٠٠٠٣ Sun Apr 05 07 26 34 AST 2015.txt	ووضعا خاصا، يتم بموجبه تخصيص	من الوظائف وحجزها لهم إلى

وكما هو واضح من الجدول (٥) فإن كلمة (عدد) بما يسبقها ويلحقها مبهمة ولا يُعرف عدد المشاريع أو الإنجازات أو المواطنين، وقد يكون ذلك غير ضروري بسبب أنها تكتسب قوتها الإقناعية بواسطة بعض متصاحباتها، فكلمات مثل: (تحقيق)، و(تنفيذ)، و(بناء)، و(إنجازات)، و(مشروعات)، كفيلة بتحقيق قدر من الإقناع لدى المتلقي وهذا ما لا توفره كلمات أخرى في ذات الموضوع مثل: (اشتكى)، و(تساءل).

والخلاصة أن كلمة (عدد) تحقق دورها الإقناعي بوصفها كلمة مرتبطة بالإثوس في مجال الاقتصاد أكثر من غيره؛ وذلك أنها ترتبط بأرقام ونسب وبكلمات تحقق نوعاً من الدقة والتحديد مثل: (بلغ)، (زاد)، (وصل)... وهذا لا يتحقق مع كلمة (عدد) في مجالات السياسة أو الثقافة إلا إذا ارتبطت كلمة (عدد) بكلمات مثل: بلغ، زاد، وصل... أما إذا ارتبطت بغيرها من الكلمات فتكون كلمة أكثر إغراقاً في الإبهام وقد يكون لذلك مقاصده التي سبق ذكرها. مما يعني الإثوس في كلمة (عدد) يتمثل في (الكم).

والآن نتناول بالتحليل الكلمة الثانية الأكثر وروداً وهي كلمة (أكد) التي وردت مع صيغها المدخلة وهي (مؤكدًا، يؤكد، تأكيد) ٢٧٣١ مرة، وكان لكلمة (أكد) بصيغة الماضي النصيب الأكبر بواقع ١٦٥٢ مرة. والملاحظ في الكلمات السابقة لها في المجال الاقتصادي أنها تكون من قبيل: (كما)، (إذ)، (فيما)، (إلى ذلك)، (وقد)، (حيث)، وكلمات أخرى مثل: (من جانبه)، (بدوره)، (من جهته)^(١). كما يكثر وردها في أول النص دون كلمات سابقة لها. أما الكلمات التي تتبعها فهي من قبيل: (الخبير)، (خبراء)، (وزير)، (مدير)، (الدكتور)، بالإضافة إلى كلمات مثل: (أن الشحنة)، (أن الفواتير)، (أن الحكومة)، أو أعلام (أسماء شخصيات).

(١) استخدام مثل هذه الروابط الخطابية غير صحيح نحويًا؛ ذلك أن الضمير هنا متقدم على صاحبه وليس عائدًا.

الجدول (٦): كلمة (أكد) في المجال الاقتصادي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٢_Sat Mar 28 03 19 26 AST 2015.txt	محافظ المحلية والأجنبية. إلى ذلك،	المدير العام لشركة الدار للأسهم
٢	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٧_Sun Apr 12 05 04 16 AST 2015.txt		خبراء ومسؤولو شركات عقارية، ظهور
٣	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠٢_Sat Apr 11 17 45 55 AST 2015.txt	المعطيات موضوع الساعة من جهته	هشام بول حبال مدير مؤسسة "ناتيس يم
٤	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠٣_Thu Apr 09 04 53 04 AST 2015.txt	العام السابق ينفلا علاقته حيث	أن الشحنة وصلت بتاريخ ٠١
٥	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠٧_Fri Apr 03 21 27 13 AST 2015.txt		وزير المالية محمد جلا بأن
٦	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠٨_Sat Apr 11 23 45 55 AST 2015.txt	هذه الأزمة. وفي السياق ذاته	مدير الإعلام بشركة "نقط آل" جمال
٧	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٠٠١١_Sat Apr 18 02 26 33 AST 2015.txt	من احتياجات السوق، كما	وزير الطاقة أنه "يوجد عندنا
٨	أ٦١ جزايرس - الاقتصادية_٠٠١٢_Sun Mar 29 22 18 23 AST 2015.txt	والتشخيص الصناعي بجامعة الجلفة"، فقد	الدكتور "قزو" أن المخبر، ورغم
٩	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٢_Tue Apr 07 01 54 19 AST 2015.txt	ذلك وقتنا. مصلحة الطرفين بدوره	نائب الرئيس التنفيذي فيبنك

يُبين الجدول (٦) الكلمات التي تسبق كلمة (أكد) وهي نوعان الأول: روابط خطابية تختلف في وظائفها مثل: (كما)، (فقد)، (وفي السياق ذاته)، (إلى ذلك). والثاني: كلمات تدل على النقل عن شخص ما وتتمثل في كلمات مثل: (من جهته)، (بدوره)، أما الكلمات اللاحقة لها فهي كلمات تزيد من الحمولة الإقناعية التي تتمتع بها كلمة (أكد) بمعناها المعجمي فكلمات مثل: (الوزير)، (خبراء)، (مدير)، وكلمات أخرى وردت في المدونة مثل: (مسئول)، (محافظ)، (سفير)، تتمتع بسلطة التخصص في المجال -أي الاقتصاد هنا- مما يعزز عملية التأكيد وبالتالي تحقيق الإقناع، فكلمة (وزير) على سبيل المثال إذا ما نظرنا في سياقاتها على امتداد أطول من كلمة واحدة سابقة وأخرى لاحقة نجد أن الوزير يكون: وزير الطاقة، أو وزير المالية، أو وزير السكن ... فهو وزير ومسئول في شأن ذي صلة بالمجال وبإمكانه تأكيد ما يقول.

وفي المجال السياسي لا تختلف الكلمات السابقة لكلمة (أكد) عنها في المجال الاقتصادي فهي ذاتها: (كما)، (فقد)، (من جانبه) ... كما يكثر ورود (أكد) دون كلمة سابقة لها. أما الكلمات اللاحقة لها

فيمكن إجمالها في ثلاثة أنواع، الأول: أعلام مثل: (سيرجي)، (محب)، (أوغلو)، (أوباما)، والثاني: ألقاب مثل: (جلالة)، (خادم الحرمين الشريفين، (الرئيس)، (وزير)، (سفير)، (الأستاذ)، والثالث: كلمات ذات طابع دبلوماسي كثيرة التكرار في الخطاب السياسي ومنها: (ضرورة)، (أهمية)، (عزمه)، (حرصه)، (تأييده).

الجدول (٧): جدول كلمة (أكد) في المجال السياسي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	ب١سورس- السياسية_٠٠٠٧_Thu Apr 09 04 53 04 AST 2015.txt	على التعاون. وفي إسلام آباد	وزيرا الخارجية الإيراني والباكستاني مساء
٢	ب١سورس- السياسية_٠٠٠٨_Sun Apr 12 05 04 16 AST 2015.txt	الحرمين الشريفين حفظه الله الذي	حرصه على المواطنين والتعامل بحزم
٣	ب١٣سودارس - السياسية_٠٠٠٣_Tue Mar 31 11 43 38 AST 2015.txt		الرئيس السوداني المشير عمر البشير
٤	ب١٣سودارس - السياسية_٠٠٠٥_Sun Apr 12 18 46 24 AST 2015.txt	المتطورة بين البلدين. من جانبه	السفير الإماراتي حرص بلاده على
٥	ب١٢مصرس - السياسية_٠٠٣٧_Thu Apr 02 20 05 40 AST 2015 - Copy.txt	مختلف الموضوعات. وبالنسبة للقضية الفلسطينية	الرئيس السيسي على أهمية العمل
٦	ب١٣سودارس - السياسية_٠٠٤٧_Sat Apr 11 17 45 55 AST 2015.txt	تتهم الخرطوم بالإرهاب. من جانبه	أوغلو دعم بلاده لمواقف الخرطوم
٧	ب١٢مصرس - السياسية_٠٠٣٨_Sat Apr 04 20 20 50 AST 2015.txt	السادات رئيس حزب الإصلاح والتنمية	ضرورة إجراء الانتخابات البرلمانية في
٨	ب٥الوطن العماني_٠٠٠٩_Fri Apr 10 13 38 37 AST 2015.txt	جانب داعش والنصرة". من جانبه	سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي
٩	ب١سورس- السياسية_٠٠١١_Tue Apr 07 19 54 19 AST 2015.txt		خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان

وكما هو واضح من الجدول (٧) فإن الكلمات التي تلتق كلمة (أكد) بتكرار واضح تتحو منحيين هما: أولاً: أعلام أو ألقاب لساسة منهم من هو ملك أو رئيس دولة أو وزير خارجية، أي أنهم يتمتعون بسلطة سيادية sovereign power سياسية تخولهم القيام بعملية التأكيد مما يعني أن من يؤكد ليس مجرد شخص لا يمتلك تلك السلطة، وهذا أدعى أن تكون عملية التأكيد أكثر قوة وبالتالي أكثر إقناعاً. وثانياً: كلمات - كما ذكر - ذات طابع دبلوماسي مثل: (حرص)، (ضرورة) وغيرها مما لم يظهر في الجدول، وهي كلمات تستعمل كثيراً في مجال التعاون الدولي، ولكنها ليست كالأعلام والألقاب التي تلتق كلمة (أكد) في سلطتها وإقناعها.

وفي المجال الثقافي كان الملاحظ أن كلمة (أكد) وردت في مجالين هما: الدين والرياضة، وكانت الكلمات السابقة في المجالين كليهما هي ذاتها التي تسبق (أكد) في المجالين الاقتصادي والسياسي، أما اللاحقة في المجال الديني فكانت كلمات مثل: (الخطيب)، (وزير)، (الموردي)، (العلامة). أما في المجال الرياضي فكانت كلمات مثل: (اللاعب)، (المدرّب)، (نادي)، (النجم)، (لويس). فهذه الكلمات تتنوع إذن بين أعلام أو ألقاب أو مناصب سواء كان في المجال الديني أو الرياضي.

الجدول (٨): كلمة (أكد) في المجال الثقافي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	ج ١٧ مغرس - ٠٠٠١ - Fri Mar 27 18 13 08 AST 2015.txt	بكمال الحقوق. ومن جهة أخرى	الخطي بأن الانفتاح على الآخر
٢	ج ١٧ مغرس - ٠٠٠٣ - Thu Apr 02 20 05 40 AST 2015.txt		وزير الأوقاف والشئون الإسلامية أحمد
٣	ج ٦ يمرس - ٠٠٠١ - Wed Apr 08 10 25 46 AST 2015.txt	والفقه يمان والحكمة يمانية. وقد	الموردي في تفسيره أن الناس
٤	ج ٣ الوطن البحرينية - ٠٠٠٢ - Sun Apr 12 13 23 53 AST 2015.txt		لويس انريكي المدير الفني لفريق
٥	ج ٣ الوطن البحرينية - ٠٠٠١ - Mon Mar 30 04 18 23 AST 2015.txt	الجوكر الصغير البطولة لنتنتهي	اللاعب حسين محمد الملقب الجوكر
٦	ج ٣ الوطن البحرينية - ٠٠٠١ - Sat Mar 28 06 13 08 AST 2015.txt	المحدد. الخطري: نظم للمشاركة الإيجابية	المدرّب خالد هلال خاطر يمن

وكما هو واضح من الجدول (٨) فإن الكلمات اللاحقة لكلمة (أكد) تشير إلى أشخاص سواء أكان بأعلامهم أم مناصبهم وهؤلاء الأشخاص مؤهلون لتأكيد ما يقولون بحكم اختصاصهم في المجال وهو ما يزيد بالتالي الإقناع لدى المتلقي.

والخلاصة أن كلمة (أكد) تكتسب قوتها الإقناعية في كافة المجالات من جانبين: أولاً، دلالتها المعجمية، وثانياً، بواسطة الكلمات اللاحقة لها لا السابقة عليها؛ ذلك أن السابقة كما لوحظ لا تؤثر في معنى وحولية aboutness كلمة (أكد) ومما يدل على ذلك كثرة السياقات التي تأتي فيها كلمة (أكد) في أول النص دون سابق لها. أما الكلمات اللاحقة فهي تضفي قوة إثوسية على كلمة (أكد)، والإثوس هنا يتمثل في (الاختصاص) فكل يؤكد في اختصاصه وهذا - كما ذكر - يعزز العملية الإقناعية.

أما الكلمة الثالثة الأكثر تكراراً فهي كلمة (يجب) بواقع ١٠٨٠ تكراراً، وهذه الكلمة تملك قوة إقناعية اكتسبتها من دلالتها المعجمية التي تفرض وجوب ما يرى المنشئ وجوبه، ولكن هذا الفرض قد

يكون بالسلطة السيادية، أو سلطة الاختصاص authority التي لا يراد بها الإلزام وإنما الاقتراح. كما أنها تعد من الكلمات التي تُوظف في إستراتيجية التكثيف intensifying strategy، وهذه الكلمة أيضاً كلمة تتصل بالجهة modality وتحديدًا الجهة المعرفية epistemic modality التي تُعنى بالمعرفة على مستويين: الأول: الاحتمال possibility والثاني: الضرورة necessity، وتدرج (يجب) ضمن الثاني الذي تكون فيه درجة معرفة المنشئ عالية^(١). وكل هذا يؤكد الوظائف المتعددة والقوة التي تمنحها هذه الكلمة للسياقات التي ترد فيها.

ويُلاحظ في المجال الاقتصادي أنها تُسبق كثيرًا بالأسماء الموصولة مثل: (الذي)، (التي)، (ما). أما ما يلحقها فتأتي كلمة (أن) كثيرًا، وبعدها حرف الجر (على)، وكذلك كلمات مثل: (التنبه)، (التدقيق)، (التفكير)، (معالجة)، (تدعم)، (توفير).

الجدول (٩): كلمة (يجب) في المجال الاقتصادي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٢_Sun Mar 29 06 39 16 AST 2015.txt	بالأسعار دون المستوى الفني الذي	أن تكون عليه، خصوصاً في
٢	أ١٦ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠١_Sun Apr 19 08 26 33 AST 2015.txt	في الاستثمار في الجزائر" لأنه	على جميع الترددات أن تختفي
٣	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٨_Tue Mar 31 05 43 38 AST 2015.txt	جانب معرفة نوعية الفعاليات التي	التركيز عليها أو تكرارها ،أما
٤	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠١٠_Sat Apr 11 17 45 55 AST 2015.txt	وجود سعر بيع للسبائك، فإنه	تحديد هو وضعه على شاشات السعر
٥	أ١٥ تورس - الاقتصادية_٠٠٠٣_Sat Mar 28 18 39 16 AST 2015.txt	بالوقوف على هذه الاختلالات و	معالجتها. وحو لمشروع تحويل
٦	أ١٥ تورس - الاقتصادية_٠٠٠٩_Mon Mar 30 23 43 38 AST 2015.txt	في مشاريعهم الاستثمارية وهو ما	أن تدعمه زيادة الاستثمار العمومي
٧	أ١٦ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠١_Sun Apr 12 12 23 24 AST 2015.txt	هنا كشف ذات المتحدث أنه	التفكير في الحلول الناجعة منها
٨	أ١٦ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠٨_Wed Apr 01 03 19 59 AST 2015.txt	لتوفير مقاعد الأطفال ISOFIX	توفير - أجهزة لإزالة الجليد

(1) Portner, P. (2009) Modality. Oxford: Oxford University Press. P. 38.

وكما هو واضح من الجدول (٩) أن الكلمات التي تتبع كلمة (يجب) تدور في معظمها حول فكرة (تقديم الحلول) ونقصد بذلك كلمات مثل: (توفير)، (معالجة)، (تحديد)، (تركيز)، إضافة إلى أن ما يتبع (أن) من كلمات هي كلمات تعبر عن تقديم الحلول، مثل: (أن تدعمه)، فالدعم شأنه شأن التوفير والمعالجة والتحديد والتركيز وغيرها من الكلمات الواردة في المدونة مما لم يظهر في الجدول في تقديمه لحل لمشكلة اقتصادية ما. وهذه الكلمات التي تقدم الحلول تضي مصداقية المتخصص التي تعزز المعنى المعجمي لكلمة (يجب).

وفي المجال السياسي يلاحظ أن كلمة يجب تُسبق -كما هو حالها في المجال الاقتصادي- بأسماء موصولة، إضافة إلى أنها تُسبق أيضاً بوضوح بكلمة (أنه) وكذلك بأداة الربط (لذلك)، ولكن أقل بكثير. وتتبع (يجب) بـ(أن) وفعل بعدها ومن هذه الأفعال: (يكون)، (تعالج)، (نتخلى)، (نحفظ)، (تقدم)، (توفر)، (يتوقف). وتتبع كذلك بحرف الجر (على).

الجدول (١٠): كلمة (يجب) في المجال السياسي

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمة اللاحقة
١	ب١ سعورس - السياسية_٠٠٠٧_Mon Apr 06 19 54 19 AST 2015.txt	إطار إبراز هيئة الأمن التي	أن تكون حاضره ومتطورة والحلة
٢	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٣_Thu Apr 09 16 53 04 AST 2015.txt	لا يتكرر سيناريو "قنصلية جدة"، كما	على الخارجية الإشراف المباشر على
٣	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٥_Sun Apr 05 07 26 34 AST 2015.txt	لن يجدي المستوصف نفعا، ولذلك	أن تعالج أصل المشكلة. وقد
٤	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٣_Mon Mar 30 23 43 38 AST 2015.txt	يأويه هو وأسرته". وأضاف أنه	على الدولة أن تقوم بواجبها
٥	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٥_Mon Apr 13 15 32 22 AST 2015.txt	البعيد. إذن جاء الوقت الذي	أن نتخلى فيه عن رفع
٦	ب١٢ مصرس - السياسية_٠٠٤٦_Sat Apr 18 02 26 33 AST 2015.txt	إلى تأكيد أنك لدولة	أن توفر الحقوق الأساسية للإنسان.
٧	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠١٠_Mon Apr 06 04 49 52 AST 2015.txt	صحية وتشوهات نفسية مسكونة بالكرهية،	أن يتوقف الاستثمار في الحرب

والملاحظ في الجدول (١٠) أن كلمة (يجب) تتبع في أكثر السياقات بـ(أن) التي تتبع بدورها بأفعال مثل: توفر، تعالج، نتخلى، وغيرها مما لم يرد في الجدول، وهذه الأفعال في مجملها هي ذاتها الأفعال الواردة في المجال الاقتصادي التي أُشير مسبقاً بأنها تقدم الحلول، وهو ما يتواءم مع الدلالة المعجمية لكلمة (يجب) ويضفي حملاً إقناعياً أكبر على المعنى كله.

ولم يختلف المجال الثقافي عن سابقه فيما يخص ما يسبق كلمة (يجب) أو يلحقها من كلمات، فالكلمات التي تسبق (يجب) هي في معظمها أسماء موصولة، وما يلحقها هو (أن) وحرف الجر (على) بالإضافة إلى كلمات أخرى مثل: (إصلاح)، (إعداد)، (معرفة)، (الاعتماد)، وهي كسابقاتها تضي ما أسميناه بتقديم الحلول وتعزز الدلالة المعجمية لكلمة (يجب) مما يساعد في تحقيق الإقناع.

وتأتي بعد ذلك كلمة (تصريح) بواقع ٦٤٣ تكراراً، بينما تكررت صيغة المضارع (يصرح) ١٣ مرة، وصيغة اسم الفاعل (مُصرِّحاً) ٥ مرات، واللافت للنظر أن صيغة الماضي (صرح) لم ترد تماماً في المدونة. أي أن مجموع تكرارات الصيغ ٦٦١ تكراراً. ومما يلفت النظر أيضاً التباين في عدد التكرارات بين صيغة (تصريح) وبقية الصيغ.

ويلاحظ في تكرارات كلمة (تصريح) أن الكلمات السابقة لها هي حروف جر في معظم في كافة المجالات مثل: (في)، (من)، (إلى)، ولكن حرف الجر (في) يعد الأكثر تكراراً وبصورة ملفتة للنظر. وفي المجال الاقتصادي نلاحظ أن كلمة (تصريح) تُتبع بكلمة (صحفي) كثيراً أو أن يرد حرف الجر (اللام) وبعده اسم وهو عادة اسم الوكالة التي صرَّح لها ومن أمثلتها: (لوكالة)، (للتونسية)، (لسونا)، (لـ"وات") ... أو قد يتبعها علم لشخص أي المُصرِّح. كما أنه من الملاحظ في المدونة المصرية (ب١٢) أن كلمة (خاص) تأتي كثيراً بعد كلمة (تصريح) وهو ما لم يُلاحظ في غيرها من المدونات.

الجدول (١١): كلمة (تصريح)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠١٨ Mon - Apr 20 08 18 47 AST 2015.txt	الكويت .وقال هاشم في	لوكالة الأنباء الكويتية (كونا)، اليوم،
٢	أ٥ اتورس - الاقتصادية_٠٠٠٥ Wed Apr - 01 03 19 59 AST 2015.txt	وأشار خليل العبيدي في	صحفي إلى أن الضربة الإرهابية
٣	أ٥ اتورس - الاقتصادية_٠٠٠٨ Tue Apr - 07 19 54 19 AST 2015.txt	بوزارة الصحة محمد الرابحي في	ل(وات)، على هامش الملتقى، على
٤	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٢ Sun Mar - 29 12 39 16 AST 2015.txt	عقدين، هذا على الرغم من	البشير لصحيفة الشرق الأوسط في
٥	ب١٢ مصرس - السياسية_٠٠٣٥ Sat Apr - 11 23 45 55 AST 2015.txt	السفير أحمد درويش، في	خاص، عن سعادته لمشاركة الأخوة
٦	ج١٧ مغرس - الدينية_٠٠٠١ Thu Apr 09 - 22 53 04 AST 2015.txt	من تشييت الأمة". وقال في	لوكالة الأنباء السعودية: "إنما

والملاحظ في جدول (١١) أن كلمة (تصريح) خصوصاً حينما تُتبع بأعلام أو حرف الجر (اللام) ويليه اسم الوكالة أو الجهة الإعلامية فإن ذلك يزيد من درجة الإثوس فالشخص الذي يصرح مسئول وحين يصرح لجهة ما فإن تصريحه يكون محط اهتمام، ودليل ذلك هو نقل التصريح، وهذا ما يعطي التصريح أهمية أكبر وبالتالي يكون أكثر إقناعاً للمتلقي.

وتأتي بعد ذلك كلمة (تعزيز) التي وردت بجميع صيغها ٦١٠ مرات وكانت كلمة (تعزيز) الأكثر تكراراً، فقد وردت ٥٤٢ مرة في حين وردت صيغة (تعزز) ٤٧ مرة، ووردت صيغة (عزز) ٢١ مرة. والملاحظ في الكلمات التي تسبق كلمة (تعزيز) في كافة المجالات أنها حروف جر ولكن أكثرها وروداً هو (في)، بالإضافة إلى أنها تسبق بعدد من الكلمات مثل: (أهمية)، (ضرورة)، (سبب). أما الكلمات التي تتبعها فتختلف إلى حد ما بحسب المجال، ففي المجال الاقتصادي نجد كلمات من قبيل: (حركة)، (نمو)، (نشاط)، (تدفق)، (تنمية)، (تطوير)، (استثمارات)، (موارد)، (عوائد)، (الصناعة). وفي المجال السياسي نجد كلمة (تعزيز) تتبع بكلمات مثل: (الأمن)، (الجهة)، (التعاون)، (العلاقات)، (التنسيق)، (الشراكة)، (أواصر)، (الديمقراطية)، (الاستقرار)، (السلم). وفي المجال الثقافي توجد كلمات مثل: (الهوية)، (المعرفة)، (الحقوق)، (الحراك).

الجدول (١٢): كلمة (تعزيز)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠١ Mon Apr 20 20 18 47 AST 2015.txt	في تسهم رحلاتنا المباشرة في	حركة التجارة والسياحة والسفر إليهما
٢	أ٦ جزايرس - الاقتصادية_٠٠١٠ Mon Mar 30 23 43 38 AST 2015.txt	الحكومة التي حرصت على مواصلة	النمو الاقتصادي مع الأخذ بعين
٣	أ٧ صحيفة الصباح - الاقتصادية_٠٠٠٧ Sat Apr 18 02 26 33 AST 2015.txt	القطاعات الأخرى كونه يسهم في	العوائد نظراً لأنواع المعادن التي
٤	أ٨ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٨ Tue Mar 31 05 43 38 AST 2015.txt	الفعاليات، الذي يعمل بدوره على	تدفق الحركة السياحية، وتكثيف الجهود
٥	أ٩ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٥ Thu Apr 09 04 53 04 AST 2015.txt	مساعي الجهات الحكومية الرامية إلى	الاستثمارات في إمارة دبي، بما
٦	ب١ سعورس - السياسية_٠٠١٣ Thu Apr 02 14 05 40 AST 2015.txt	مشايخ القبائل والعرفاء والمواطنين في	الجهة الداخلية وتقوية روح الانتماء
٧	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٢ Sun Mar 29 12 39 16 AST 2015.txt	زيارته لطهران تأتي في إطار	العلاقات الإستراتيجية بين البلدين، مؤكداً
٨	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٢٧ Mon Apr 13 13 21 18 AST 2015.txt	البلاد مرحلة جديدة تشهد خلالها	الاستقرار والأمن والتنمية والتداول السلمي
٩	ج١٠ الأيام - الآراء والمقالات_٠٠٠١ Mon Apr 06 19 54 19 AST 2015.txt	المكتسبات العامة التي تساهم في	الهوية والثقافة الوطنية. وربما باستثناء

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - سلطة الاختصاص في الصحف العربية: دراسة على
مدونة حاسوبية

١٠	ج ٣ الوطن البحرينية_٢٠٠٢_17 Apr 13 Mon 04 16 AST 2015.txt	لنكاتف جميع الجهود من أجل	المعرفة الداخلية والخارجية بتاريخ وتراث
١١	ج ٣ الوطن البحرينية_٢٠٠٢_17 Apr 13 Mon 04 16 AST 2015.txt	آل خليفة لجهودها المستمرة في	الحراك الثقافي في المملكة، مشيراً

والملاحظ في الجدول (١٢) أن الكلمات التي تلي كلمة (تعزير) لا تسهم في إمداد كلمة (تعزير) بالإقناع، ويتضح من الجدول أيضاً أن الكلمات السابقة -كما ذكر- حروف جر وهي أيضاً لا تسهم في شيء مما يتصل بالإقناع. ولكن الإقناع في كلمة (تعزير) يحصل بأمرين هما أولاً: الدلالة المعجمية، وثانياً: الجهة التي تقوم بعملية التعزير، وهذه لا تظهر في الأمثلة إلا على امتداد أكثر من كلمة واحدة 1n-gram ومثال ذلك: (الحكومة) في السطر ٢، و(الجهات الحكومية) في السطر ٥ وغيرها مما لم يرد في الجدول. فالحكومة وجهاتها مخولة بما لها من سلطات في تعزير ما تراه واجباً أن يُعزّر، وبالتالي يمكن للمتلقي أن يقتنع بذلك بحكم تلك السلطة. فالأمر إذن منوط بمن يعزّر لا بالتعزير ولا بالمعزّر.

وتأتي بعد ذلك كلمة (مصادر) التي تكررت ٥٢٣ مرة، وبصيغة المفرد (مصدر) ٤٢٤ مرة أي بواقع ٩٤٧ تكراراً. والملاحظ أن كلمتي (مصادر) و(مصدر) متشابهتان من حيث الكلمات التي تسبقهما أو اللاحقة لهما في كافة المجالات. فالكلمات السابقة هي كلمات مثل: (قالت)، (نقلت)، (ذكرت)، (أفادت)، (أكدت)، (أوضحت)، (كشفت). أما الكلمات اللاحقة فتختلف بحسب المجال رغم أن هناك تشابهاً كبيراً بين المجالين الاقتصادي والثقافي حيث تكررت فيهما كلمات مثل: (مسئولة)، (مطلعة)، (محلية)، مع الاختلاف في بعض الكلمات ككلمة (تجارية) أو (نفطية) في الاقتصاد وكلمة (دينية) أو (طبية) في الثقافة. أما المجال السياسي فتكررت كلمات مثل: (دبلوماسية)، (سياسية)، (عسكرية)، (أمنية)، أو منسوبة إلى دولة مثل: (سعودية)، (ليبية)، (سودانية).

الجدول (١٣): كلمة (مصادر)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ٤ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٢٠٠٢_18 Apr 18 Sat 02 26 33 AST 2015.txt	قالت	تجارية، أمس، إن شركة قطر
٢	أ٥١ تونس - الاقتصادية_٢٠٠٥_01 Apr 17 Wed 03 19 59 AST 2015.txt	الاستثمار الأجنبي وبحسب ما أكدته	مطلعة في تصريحات إعلامية فإنّ
٣	ب١٣ سودارس - السياسية_٢٠١٢_27 Mar 17 Fri 21 19 26 AST 2015.txt	مع هذا القول ما كشفته	سعودية، أمس، عن أن اللقاء
٤	ب١٣ سودارس - السياسية_٢٠٢٣_07 Apr 17 Tue 01 54 19 AST 2015.txt	قالت	دبلوماسية مطلعة أن وكيل وزارة

والملاحظ في الكلمات التي تسبق (مصادر) أنها غالباً ما تدل على النقل مثل: (قالت)، (كشفت)، (أكدت) ... وهذه الكلمات لها دلالتها الإثوسية بوصفها كلمات تدل على أن النقل جاء بصيغة تعكس تخصص صاحبها ومنها كلمة (أكد) التي سبق دراستها، كما أن كلمات النقل هذه تختلف دلالتها بحسب الجهة modality فمنها ما هو محايد مثل: (نقلت) و(قالت) ومنها ما يكشف درجة يقين لدى المنشئ مثل: (أكدت). أما الكلمات اللاحقة فهي إما أن توصف بأوصاف تزيد من مصداقيتها مثل: (مسئول)، (مطلعة)، (دبلوماسية)، أو أن تتسبب إلى تخصص أو بلد مثل: (طبية)، (تجارية)، (دينية)، (إعلامية)، (سعودية)، (سودانية). وفي الحالتين كليهما تضيف هذه الكلمات إلى كلمة (مصادر) قوة أكبر في المصدقية وبالتالي تحقيق الإقناع.

وبعد ذلك تأتي كلمة (تقرير) التي تكررت ٤٨٩ مرة وبصيغة الجمع (تقارير) ٢١٤ مرة، أي بمجموع ٧٠٣ تكرارات. ولا يوجد اختلاف ملحوظ بين استخدام الصيغتين، فالكلمات التي تسبقها هي عادة كلمات تدل على (النقل) مثل: (أكد)، (أظهر)، (قال)، (نقل)، بحسب، أو حروف الجر خصوصاً (في) الذي تكرر كثيراً. أما الكلمات التي تليها فهي نوعان، الأول: مشتركة بين كافة المجالات مثل: (صحفية)، (إخبارية)، (إعلامية)، والثاني: كلمات تختص بكل مجال، ففي الاقتصاد توجد كلمات مثل: (التجارة)، (التنافسية)، (اقتصادي)، (الصندوق)، (سوق)، (أوبيك). وفي السياسة توجد كلمات مثل: (المنظمة)، (لجنة)، (مفوضية)، (رسمي)، (وزارة)، (السفارة). وفي الثقافة كلمات مثل: (وطني)، (إعلامي)، (محلي)، (الطبيب).

الجدول (١٤): كلمة (تقرير)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ١٢ الأنباء - اقتصاد وأعمال_٠٠٢٣ Sat Apr 18 02 26 33 AST 2015.txt	غير الأعضاء في المنظمة. ونقل	أوبيك عن مصادر ثانوية القول
٢	أ٤١ الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠١ Sun Apr 19 02 26 33 AST 2015.txt	من تحقيق مراكز متقدمة في	التجارة العالمي ٢٠١٥ الصادر عن منظمة
٣	أ١٦ اجز ايرس - الاقتصادية_٠٠٠٢ Mon Mar 30 23 43 38 AST 2015.txt	لمدة طويلة، فبعد أن كشفت	بنك الجزائر تآكلاً في احتياطات
٤	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠١٩ Wed Apr 08 16 25 46 AST 2015.txt	بداية القصة قبل الدخول في	لجنة الخارجية تذكر (السوداني) بالقصة
٥	ب١ سودارس - السياسية_٠٠٣٩ Thu Apr 09 22 53 04 AST 2015.txt	الود اه شنو؟!مو ضا حفي	وزارة الخارجية حول حادثة السفارة
٦	ب١ سعورس - السياسية_٠٠٣٥ Mon Apr 20 08 18 47 AST 2015.txt	المسلمين والمسيحيين في البلاد. وتظهر	الأمم المتحدة أن عدد اللاجئين
٧	ج٨ العرب اليوم الأردنية_٠٠٠٣ Thu Apr 09 10 53 04 AST 2015.txt	حياتو.. رأس الفساد بالـ"كاف" وأكد	إعلامي عام ٢٠١٠ عن وثائق
٨	ج٨ العرب اليوم الأردنية_٠٠٠٦ Sun Mar 29 22 18 23 AST 2015.txt	ثباتك الانفعالي وأدائك المهني، وتقول	وأبحاث ودراسات مهنية إن ٤٥

وكما يتضح من الجدول (١٤) فإن الكلمات السابقة كثيراً ما تكون كلمات تدل -كما ذكر- على النقل. أما الكلمات اللاحقة فهي -في معظمها- كلمات تدل على جهات رسمية كالحكومات، والمنظمات الدولية المتعددة التخصصات، وهذه الجهات الرسمية تعكس بحكم وضعها وتخصصها مصداقية على ما تصدره من تقارير تكون محل النقل والاستشهاد وبالتالي الإقناع للمتلقي.

والكلمة الآتية هي كلمة (طالِب) التي تكررت ٤٢٩ مرة، وبصيغة المضارع (يطالب) ١٠٥ مرات، وبصيغة اسم الفاعل (مطالباً) ٨١ مرة أي بمجموع ٦٢٥ تكراراً. والملاحظ في الصيغتين الأولى والثانية أن الكلمات التي تسبقهما متشابهة مثل: (كما)، (الذي)، (التي)، (قد). أما الصيغة الثالثة فلا توجد كلمات محددة تسبقها. ولكن الصيغ الثلاث تتشابه جميعاً في نوعية الكلمات التي تسبقها في كافة المجالات. ففي الاقتصاد نجد: (خبراء)، (اقتصاديون)، (وزير)، (العقاريون). وفي السياسة توجد: (المؤتمر)، (التحالف)، (الرئيس)، (المستشار). وفي الثقافة نجد: (أهالي)، (الإعلامي)، (علماء). ويوجد كذلك أعلام لاقتصاديين، وساسة ورجال دين.

الجدول (١٥): كلمة (طالب)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمة	الكلمات اللاحقة
١	أ٤الإمارات اليوم - الاقتصاد_٠٠٠٧_08 10 25 Wed Apr 46 AST 2015.txt	داخل مدينة أبوظبي نفسها. كما	طالب	العقاريون، من خبراء ومسؤولي شركات
٢	ج٣الوطن البحرينية_٠٠٠٢_05 07 26 34 Sun Apr 05 07 26 34 AST 2015.txt	مرتقعا كتبت - أمني الأنصاري	طالب	أهالي ومواطنو منطقة الحد، برصف
٣	ب١٢مصرس - السياسية_٠٠٣٥_30 14 49 15 Mon Mar 30 14 49 15 AST 2015.txt	ثورة لتصحيح الخطاب الديني كما	طالب	الرئيس عبد الفتاح السيسي. وأضاف

والملاحظ في الجدول (١٥) أن كلمة (طالب) وصيغها تكتسب قوة سلطوية خصوصاً حين يكون المطالبُ ذا شأن أو تخصص كما في السطرين ١ و ٣ و ٥ رغم أن الدلالة المعجمية لـ(طالب) لا تنم عن سلطة بل على العكس، ويكون معناها حينئذ أقرب إلى كلمة (وجه). واستخدام مثل هذه الكلمات التي لا تظهر سلطة صاحبها بل تظهر تواضعه وتأدبه في الخطاب مما يساعد على التأثير في المتلقي وعاطفته، ولكن يبقى أثر الإثوس باقياً متمثلاً في السلطة التي بموجبها يطالب الساسة والاقتصاديون والعلماء والمختصون عموماً. كما أن مثلاً مثل السطر ٢ حيث كان مَنْ يطلب هم (الأهالي)، أي ليسوا أهل مسؤولية أو اختصاص فإن كلمة (طالب) حينها لا تكون بمعنى (وجه) كما هو الحال في غيرها من الأمثلة وإنما تكون بذات معناها المعجمي في الدلالة على طلب شيء ممن يعطيه.

وبعد ذلك تأتي كلمة (أوضح) التي تكررت ٣٦٨ مرة، وبصيغة (يوضح) ٦٢ مرة، وبصيغة (توضيح) ٤٢ مرة، وبصيغة (وضَّح) ٤٠ مرة، أي بمجموع ٤٧٢ تكراراً. وكما هو واضح فإن صيغة

(أوضح) هي الأكثر تكراراً وبفارق واضح عن غيرها. والملاحظ بالنسبة للكلمات التي تسبق (أوضح) أنها عادة ما تكون أسماء موصولة أو كلمات تؤكد النقل مثل: (من جهته)، (من جانبه). أما الكلمات التي تتبع (أوضح) فكانت متنوعة تنوعاً كبيراً ولم يكن هناك تكرار واضح لكلمات معينة ولكن الذي يمكن ملاحظته أنها عادة ما تدل على (الموضح) وهو إما شخص باسمه أو لقبه، أو شيء آخر كالنقير مثلاً.

الجدول (١٦): كلمة (أوضح)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ١٢ الأنباء - اقتصاد وأعمال_٠٠٤٠ Mon Apr 20 08 18 47 AST 2015.txt	العقارات في لندن. ومن جانبه،	مدير عام الخدمات المصرفية الخاصة
٢	ب٥ الوطن العماني_٠٠٠٢ Sun Apr 05 07 26 34 AST 2015.txt	مع المسؤولين في الخارجية الأمريكية،	الجبر أن علاقات المملكة العربية
٣	ب١٣ سودارس - السياسية_٠٠٠٦ Wed Apr 01 03 19 59 AST 2015.txt	كثيرة وبعض التهديدات التي،	وزير الخارجية السوداني على كرسي
٤	أ١٢ الأنباء - اقتصاد وأعمال_٠٠٠٦ Mon Apr 20 08 18 47 AST 2015.txt	لرربع الأول. وبالنسبة لنشاط السوق،	التقرير أن إجمالي حجم تداولات
٥	ج٣ الوطن البحرينية_٠٠١٤ Mon Apr 13 18 46 24 AST 2015.txt	القيصرية بأس باب طبية، على ما	الطبيب متين غولميز أوغلو من

وكما يتضح من الجدول (١٦) فإن (أوضح) تكتسب مصداقيتها (الإثوس) مما يتبعها من كلمات دالة على اختصاص، وهو ما يجعلهم أهلاً للتوضيح لما يراد توضيحه، ويمكن بالتالي للمتلقى الاقتناع بهذا التوضيح؛ لأنه صدر -كما ذكر- ممن يخول لهم ذلك.

والكلمة الآتية هي (ذكر) والتي تكررت ٣٢٨ مرة، والملاحظ أنها تسبق بكلمات مثل: (فيما)، (كما)، (حيث)، (وقد)، (من جهته)، (بدوره)، (في ذات السياق) وغيرها من الروابط الخطابية المتنوعة التي تؤدي دوراً في ربط كلمة (ذكر) بما قبلها، أما الكلمات التي تليها فتختلف بحسب المجال.

الجدول (١٧): كلمة (ذكر)

الرقم	اسم المجلد	الكلمات السابقة	الكلمات اللاحقة
١	أ١٦ جزايرس - الاقتصادية_٠٠٠٢ Sun Mar 29 00 39 16 AST 2015.txt	التنمية بالجزائر. وفي هذا الإطار،	الوزير بالتسهيلات والمزايا التي منحها
٢	أ١٢ الأنباء - اقتصاد وأعمال_٠٠٠٨ Sat Apr 18 02 26 33 AST 2015.txt	في الوقت الحالي. هذا، وقد	اقتصاديونا في بداية العام أن
٣	ب٥ الوطن العماني_٠٠٠٧ Sun Mar 29 00 39 16 AST 2015.txt	أجهزة الدولة العسكرية والمدنية، حيث	الكاتب شريف إسماعيل أن الشيخ
٤	ج٣ الوطن البحرينية_٠٠١٩ Thu Apr 02 20 05 40 AST 2015.txt	منه. وفي دراسة نشرت الخميس،	الباحثون البريطانيون الـ ٣ في

ويتضح من الجدول (١٧) أن كلمة (ذكر) تُتبع في كثير من أحوالها بكلمات تتصل بالمجال الذي وردت فيه كما يظهر في الاقتصاد في السطرين ١ و ٢ والسياسة في السطر ٣ والثقافة في السطر ٤. وهذه الكلمات التي تتبعها تضيف لها مزيداً من المصادقية؛ إذ إنها كلمات تدل في مجملها على مختصين (اقتصاديون) أو مسئولين (الوزير) وهي بهذا تزيد من الإقناع لدى المتلقي. وبعد هذا التحليل للكلمات العشر الأكثر تكراراً في المدونة يمكن أن نعد هذه الكلمات كلمات مفتاحية للإثوس عموماً وسلطة الاختصاص خصوصاً في وعاء الصحف العربية. ويمكن كذلك استنتاج ما يأتي:

١. يمكن أن تكون الكلمة السلطوية اسماً أو فعلاً، فقد أظهرت الكلمات العشر ٥ أسماء هي: (عدد) و(تصريح) و(تعزيز)، و(مصادر) و(تقرير)، و٥ أفعال أيضاً هي: (أكد) و(يجب) و(طالب)، و(أوضح) و(ذكر). وهذا يوضح أنه بالإمكان توظيف هذه السلطة بواسطة الأسماء والأفعال. وفيما يخص الأفعال تحديداً فإن أربعة منها قد جاءت في زمن الماضي، بينما كان هناك فعل واحد في زمن الحاضر وهو (يجب)، وتوظيف الفعل الماضي يدل على أفضليته بالنسبة للإثوس؛ وذلك لانقضاء زمنه فيكون ما يحتاج التأكيد مثلاً قد أكد وانقضى وليس كالمضارع الذي له دلالة الحاضر أو المستقبل بحيث قد ينقطع الحدث أو يتوقف بحيث لا يمكن الجزم بانتهاء الحدث وانقضائه.

٢. تتميز التراكيب التي تتضمن سلطة الاختصاص بأنها قد تكون فعلية أو اسمية، وليست كلها على درجة واحد من القوة؛ إذ إن درجة الإقناع تختلف بحسب دلالة الكلمة نفسها أو بحسب الكلمات التي تتصاحب معها، فمثلاً: كلمة (أكد)، أو (يجب) أقوى من حيث الجهة modality من كلمات مثل: (أوضح)، أو (ذكر). كما أن هذه التراكيب قد تكون مكثفة intensified، وذلك في كلمة (عدد) حين تتصاحب مع الأرقام والنسب أو كلمة (أكد) حين تتصاحب مع كلمة تدل على شخص مسئول في مثل: (أكد الرئيس أن... أو (أكد مصدر مطلع) ففي مثل هذه التراكيب تعطي المتصاحبات قوة أكثر للمعنى فـ(الرئيس) و(المصدر) موضعاً ثقة كما أن توظيف (أن) التي تدل على التوكيد، وكذلك الصفة (مطلع) تزيد من كثافة المعنى.

٣. ظهر عنصر سلطة الاختصاص بوضوح في كلمات مثل: (أكد)، و(قرر)، و(أوضح)، و(ذكر)، و(يجب)، و(طالب)، و(تصريح)، وهو ما يؤكد أنها جميعاً تعد كلمات مفتاحية لسلطة الاختصاص في الصحف العربية. وظهر عنصر (الإحصاء) وذلك بواسطة كلمة (عدد)، ولكنها تكون متصلة بالسلطة والإقناع في مجال الاقتصاد. وظهر كذلك عنصر أكثر من غيرها (النقل أو الاستشهاد) وذلك في كلمات مثل: (أكد)، و(ذكر)، و(طالب)، و(تصريح)، و(تقرير) و(مصادر) وهو أمر طبيعي بحكم طبيعة الصحافة التي تميل نحو النقل بواسطة الأشخاص أو المصادر أو التقارير. وهذان العنصران الأخيران يصبان في سلطة الاختصاص؛ إذ إن (الإحصاء) أو (النقل) من المصادر التي يُعزّز بها المختص رأيه.

٤. قلة تكرار بعض الكلمات مثل كلمة (إحصاء) التي تكررت ١٦ مرة فقط، وتكررت بصيغة الجمع (إحصاءات) ١٨ مرة، وهو ما يؤكد أن عنصر الإحصاء في الصحافة العربية لا يعتمد عليها كثيراً بقدر ما يعتمد على كلمة (عدد) ومتصاحباتها من الأرقام والنسب في توثيق المعلومات.

٢.٢. سلطة الاختصاص في المجالات المختلفة:

ينتقل التحليل الآن إلى زاوية أخرى تتصل بسلطة الاختصاص في كل مجال على حدة ومقارنة نتائج كلمات السلطة في كل مجال.

أولاً: المجال الاقتصادي:

الجدول (١٨): كلمات الإثوس الأكثر تكراراً في المجال الاقتصادي

الرقم	الكلمة	عدد التكرارات	التكرار النسبي	المجلات
١	عدد	٦٤٤	٠.١٤٦٦٥٤٢٨	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
٢	أكد	٣٣٤	٠.٠٧٦٠٥٩٨٢٦	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
٣	يجب	١٨٢	٠.٠٤١٤٤٥٧٧٣	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
٤	تعزير	١٧٤	٠.٠٣٩٦٢٣٩٨٣	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
٥	تصريح	١٣٦	٠.٠٣٠٩٧٠٤٧	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
٦	أوضح	١٣٣	٠.٠٣٠٢٨٧٢٩٧	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤
٧	مؤكدًا	١٢٧	٠.٠٢٨٩٢٠٩٥٢	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٧
٨	تقرير	١١٨	٠.٠٢٦٨٧١٤٣٥	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
٩	دراسة	١٠٢	٠.٠٢٣٢٢٧٨٥٢	أ١٥، أ١٦، أ٤، أ٧
١٠	مصادر	٨٣	٠.٠١٨٩٠١٠٩٥	أ١٥، أ١٦، أ٢، أ٤، أ٧
	المجموع	٢٠٣٣		

يبدو من الجدول (١٨) أن الكلمات الظاهرة هي الأكثر تكراراً في المجال الاقتصادي، وأكثرها تكراراً كلمة (عدد) حيث تكررت ٦٤٤ مرة من أصل ٣٢٠٢ تكراراً في المجلد، وهذا لا يُعد رقماً كبيراً خصوصاً أن بقية التكرارات ستوزع بين المجالين الآخرين، ولكن المميز في كلمة (عدد) في المجال الاقتصادي أنها تكون -كما بينا في الفصل الثاني- أكثر حاجية؛ لأنها تتصاحب مع أرقام رغم قلة تكراراتها. وبالنسبة للكلمة الثانية وهي (أكد) فقد تكررت ١٦٥٢ مرة منها ٣٣٤ مرة في المجال الاقتصادي أي بنسبة ٢٠.٢% وهذا يوضح رغم مركزيتها في الإثوس فإنها ليست مفضلة في مجال الاقتصاد، وهذا هو حال بقية الكلمات التي تظهر في الجدول باستثناء كلمتي (تعزير) و(أوضح) فكلمة (تعزير) تكررت في المجلد ٥٤٢ مرة وتكررت في المجال الاقتصادي ١٧٤ مرة أي بنسبة

٣٢.١% مما يعني أن تكراراتها ليست قليلة مقارنة بالمجالات الأخرى. وكذلك كلمة (أوضح) التي تكررت في المجلد ٣٦٧ مرة وتكررت في المجال الاقتصادي ١٣٣ مرة أي بنسبة ٣٦.٢% مما يعني أنها كلمة (أوضح) توظف في المجال الاقتصادي على نحو واسع.

ثانياً: المجال السياسي:

الجدول (١٩): كلمات الإثوس الأكثر تكراراً

الرقم	الكلمة	عدد	التكرار النسبي	المجلدات
١	عدد	١٨٥٩	٠.١٠٤٤٨٢١٧	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٢	أكد	٩٨٤	٠.٠٥٥٣٠٤١٧	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٣	يجب	٦٠٨	٠.٠٣٤١٧١٦٨	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٤	تصريح	٤٠٣	٠.٠٢٢٦٤٩٩٨١	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٥	مؤكدًا	٣٨٠	٠.٠٢١٣٥٧٣٠٢	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٦	وجه	٣٤٩	٠.٠١٩٦١٤٩٩٥	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٧	طالب	٢٩٦	٠.٠١٦٦٣٦٢١٣	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٨	تقرير	٢٣٣	٠.٠١٤٤٤٤٤٢٨	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
٩	مصادر	٢٣٠	٠.٠١٣٠٩٥٣٩٨	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
١٠	مصدر	٢٠٢	٠.٠١٢٩٢٦٧٨٨	١٢، ١٣، ١٤، ١٥
	المجموع	٥٥٠٨		

يبدو من الجدول (١٩) أن كلمات الإثوس الأكثر تكراراً ضمن المجال السياسي لا تختلف كثيراً عن تلك التي في المجال الاقتصادي فكلمات (عدد) و(أكد) و(يجب) هي الأكثر تكراراً في المجالين بنفس الترتيب، وتعد كلمة (عدد) -التي تكررت ١٨٥٩ مرة وبنسبة ٥٨% من مجموع تكراراتها في المدونة- أكثر تكراراً وبفارق كبير يصل لحوالي ضعف الكلمة التي تليها وهي (أكد) التي تكررت ٩٨٤ مرة من أصل ١٦٥٠ تكراراً وبنسبة ٥٩.٦% أي بنسبة أعلى من كلمة (عدد)، ولكن كلمة (أكد) تتفوق من حيث النسبة. وتعد كلمتا (تصريح) و(مؤكدًا) من الكلمات الأكثر تكراراً في المجال السياسي إضافة إلى المجال الاقتصادي مع اختلاف الترتيب. وفي المقابل يختص المجال السياسي بكلمتي (وجه) و(طالب)، حيث تكررت كلمة (وجه) ٣٤٩ مرة من أصل ٥٢٢ تكراراً أي بنسبة ٦٦.٨% وهي نسبة عالية جداً تؤكد ارتباط هذه الكلمة بالمجال السياسي أكثر من غيره. وتكررت كلمة (طالب) ٢٩٦ مرة من أصل ٤٢٨ تكراراً وبنسبة ٦٩.١% وهي نسبة كبيرة أيضاً تؤكد الارتباط الواضح لهذه الكلمة بهذا المجال.

ثالثاً: المجال الثقافي:

الجدول (٢٠): كلمات الإثوس الأكثر تكراراً

الرقم	الكلمة	عدد التكرارات	التكرار النسبي	المجلدات
١	عدد	٦٩٩	٠.٠٨٩٥٥٠٧٥	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٢	أكد	٣٣٤	٠.٠٤٢٧٨٩٦٢٧	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٣	يجب	٢٩٠	٠.٠٣٧١٥٢٦٧	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٤	مصادر	٢٠٧	٠.٠٢٦٥١٩٣٢	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٥	تعزير	١٩١	٠.٠٢٤٤٦٩٥١٧	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٦	مؤكدًا	١٥٢	٠.٠١٩٤٧٣١٢٤	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٧	مصدر	١٣٦	٠.٠١٧٤٢٣٣٢	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٨	وجه	١٣٦	٠.٠١٧٤٢٣٣٢	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
٩	تقرير	١١٤	٠.٠١٤٦٠٤٨٤٣	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
١٠	دراسة	١١٠	٠.٠١٤٠٩٢٣٩٢	١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٣، ٦، ٨، ٩ ج
	المجموع	٢٣٦٩		

يظهر من الجدول (٢٠) أن كلمة (عدد) ظهرت أيضاً في المجال الثقافي بوصفها أكثر كلمات الإثوس تكراراً بواقع ٦٩٩ مرة من أصل ٣٢٠٢ أي بنسبة ٢١.٨% وهي نسبة تأتي في المرتبة الثانية بعد المجال السياسي. أما كلمة (أكد) فقد تكررت ٣٣٤ من أصل ١٦٥٢ أي بنسبة ٢٠.٢% وهي ذات النسبة التي تحصلت عليها في المجال الاقتصادي، وتكررت كلمة (يجب) ٢٩٠ مرة من أصل ١٠٨٠ تكراراً أي بنسبة ٢٦.٨%. وبالنسبة لكلمة (مصادر) فإن الوضع مختلف حيث ترتفع النسبة فقد تكررت ٢٠٧ مرة من أصل ٥٢٣ تكراراً أي بنسبة ٣٨.٩% وهذا يعني أنها توظف في هذا المجال على نحو واسع، والوضع مشابه كذلك بالنسبة لكلمة (تعزير) التي تكررت ١٩١ مرة من أصل ٥٤٢ تكراراً أي بنسبة ٣٥.٢%، وكذلك كلمة (مصدر) التي تكررت ١٣٦ مرة من أصل ٤٢١ تكراراً أي بنسبة ٣٢.٣% أي تقريباً ثلث التكرارات في حين تنخفض النسبة مرة أخرى مع كلمة (مؤكدًا) التي تكررت ١٥٢ مرة من أصل ٦٥٩ أي بنسبة ٢٣%.

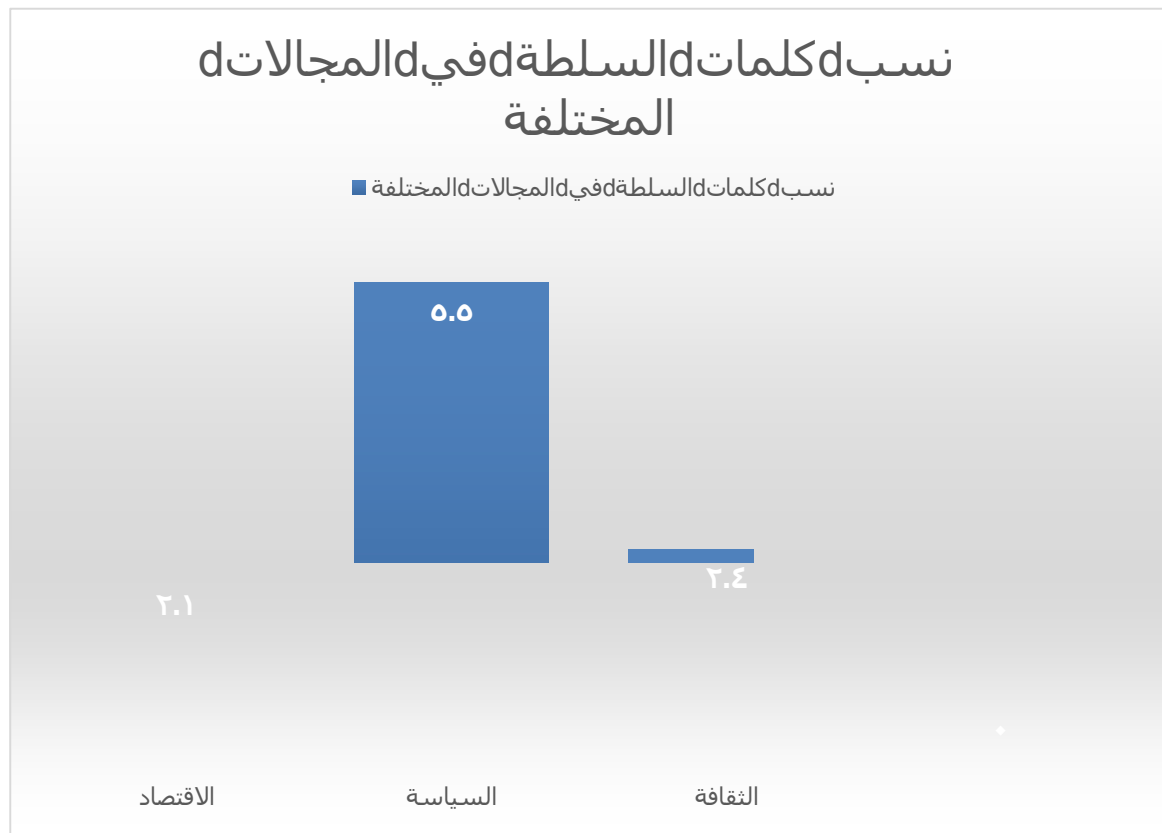
نتائج مناقشة تكرارات وسائل الإقناع في المجالات الثلاثة:

يمكن بناء على النتائج السابقة مقارنة مجموع -ونسب- كلمات وسائل الإقناع التي تناولناها في هذه المناقشة، وذلك بحسب ما يظهر في الجدول (٢١). والرسم البياني (١).

الجدول (٢١): مجموع ونسب تكرارات كلمات سلطة الاختصاص الأكثر تكراراً في المجالات المختلفة

سلطة الاختصاص	التكرارات	النسبة	المجال
٢٠.٥%	٢٠٣٣		
٥٥.٥%	٥٥٠٨		
٢٣.٩%	٢٣٦٩		
	٩٩١٠		

الرسم البياني (١) نسب سلطة الاختصاص في المجالات المختلفة



ويظهر من الجدول (٢١) والرسم البياني (١) أن المجال السياسي هو أقرب المجالات إلى السلطة الاختصاصية بنسبة ٥٥.٥%، وهذا طبعاً بحكم حجم نصوص مجال السياسة التي تمثل حوالي ٦٠% من نصوص المدونة كما ظهر في الشكل (٢) وهذا يعني أن نسبة تكرار كلماتها أقل من النسبة الذي تمثله. وفي المقابل فإن حجم نصوص الاقتصاد هو ١٥% أي ربع حجم نصوص السياسة، وكانت نسبة تكرارات كلماتها ٢٠.٥% أي أن نسبة تكرار كلماتها يتفوق على حجم نصوصها في المدونة؛ مما يعني أنها أكثر تمثلاً لسلطة الاختصاص من السياسة. وأخيراً المجال الثقافي الذي كان حجم نصوصه يساوي ٢٦% ونسبة تكرارات كلماته حوالي ٢٤% أي أقل بقليل، وبهذا يكون المجال الاقتصادي هو أقرب المجالات إلى سلطة الاختصاص، فهو بحكم اشتماله على عناصر إثوسية متمثلة في الاختصاص ونقل المعلومة من المصدر والإحصاء بما يحمله من أرقام ونسب وهي تتناسب مع المجال الاقتصادي أكثر من المجالين الآخرين.

وفيما يخص الكلمات المفتاحية الأكثر تكراراً فإن كلمات مثل: (عدد)، و(أكد)، و(يجب) تعد الأكثر تكراراً في جميع المجالات بذات الترتيب، في حين أن كلمة مثل: (تصريح) تقدم ترتيبها في المجال السياسي عنه في بقية المجالات؛ مما يعني أنها توظف في السياسة أكثر من غيرها. وفي المقابل كانت كلمات مثل: (دراسة)، ومصادر و(تقارير) الأقل تكراراً في المجالات المختلفة، وهو ما يؤكد أنها توظف في جميع المجالات أقل من بقية الكلمات المفتاحية الأخرى.

وختاماً يمكن القول إن سلطة الاختصاص تعد العنصر الأكثر أهمية للإثوس فهو يتداخل مع معظم عناصره، وهي سلطة تتمثل في كثير من الكلمات المتنوعة التي تنتوع بتنوع عناصر الإثوس التي تتداخل معها. كما توجد كلمات مفتاحية تمثل هذه السلطة وهي الكلمات الأكثر تكراراً كما ظهر في الدراسة، وهذه الكلمات تختلف في سلطتها بحسب المجال فبعضها مقنع في جميع المجالات مثل: (أكد)، ومنها ما هو مقنع في مجال دون آخر مثل: (عدد).

وأظهر التحليل بأن المتصاحبات تقوم بدور مهم في إبراز تلك السلطة وتدعيمها سواء أكانت قبل الكلمة أو بعدها، كما أن هذه المتصاحبات قد تزيد من كثافة السلطة كأن تتصاحب كلمة السلطة مع (أنّ) أو (إنّ) وفاعل يدل على شخص ذي سلطة كـ (الطبيب) وكذلك الصفة مثل كلمة (مسئول) في مثل: (مصدر مسئول)، وكثافة السلطة هذه تزيد أيضاً من درجة الإقناع لدى المتلقي.

وأخيراً، تظهر سلطة الاختصاص في جميع المجالات بنسب مقبولة، ولكنها أقرب إلى المجال الاقتصادي؛ وذلك أن المجال الاقتصادي يتناسب مع عناصر سلطة الاختصاص المختلفة فهو مجال تذكر فيه الأرقام، وفيه نقل عن المصادر والتقارير ويتضمن كذلك نقلاً عن مختصين في مجالات متعددة تتصل بالاقتصاد.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - سلطة الاختصاص في الصحف العربية: دراسة على
مدونة حاسوبية

الملحق (أ)

الكلمة	التكرارات	التكرار النسبي	اسم المجلد
عدد	3202	0.106770985	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
أكد	1652	0.055086095	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
يجب	1080	0.0360127	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
مؤكد	659	0.021974416	١١/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
تصريح	643	0.021440895	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
تعزير	542	0.018073041	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
مصادر	523	0.017439483	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
وجه	522	0.017406138	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
تقرير	489	0.01630575	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
طالب	428	0.0142717	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
مصدر	421	0.014038284	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
أوضح	367	0.012237649	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
دراسة	347	0.011570747	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
يذكر	339	0.011303986	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
ذكر	310	0.010336979	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
يؤكد	303	0.010103563	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
موضحا	241	0.008036167	١٢/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
قرر	240	0.008002822	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
تقارير	214	0.00713585	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
ينبغي	185	0.0061688423	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
ورد	164	0.0054685953	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
أعداد	157	0.00523518	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
دراسات	152	0.005068454	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩
تأكيد	117	0.003901376	١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٤/ج١٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٦/ب٧/ب٨/ب٩/ج٩

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - سلطة الاختصاص في الصحف العربية: دراسة على
مدونة حاسوبية

١٠/ج١١/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0037679956	113	ربط
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0034345447	103	تفسير
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.003267819	98	يثبت
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.003234474	97	يعتمد
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.003234474	97	يطالب
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0027009526	81	مطالب
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0022007762	66	أثبت
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0021007408	63	يربط
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0020673957	62	يلزم
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0020340506	61	يوضح
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0020340506	61	شرح
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0020007056	60	تأيد
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0018673252	56	إثبات
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0017672899	53	اكتشاف
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0016672546	50	انتقد
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0015672194	47	تعزز
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0015338743	46	اعتمد
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0014004939	42	توضيح
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0013671488	41	يوجه
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0013338038	40	وضح
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0013004587	39	يفسر
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0012671135	38	يميز
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0012004233	36	توثيق
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0012004233	36	أقر
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0011337332	34	لاحظ
١٠/ج١٠/ب٢/ب٣/ب٥/أ١٦/أ١٧/ب١/ب٢/ب٣/ب٤/ب٥/ب٨/ج٩	0.0010670429	32	يؤيد

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - سلطة الاختصاص في الصحف العربية: دراسة على
مدونة حاسوبية
علي محمد آل مشهور

١٠/ج١٠/ب١٣/أ١٥/أ١٦/ب١/ج٣/أ٤/ج٨	0.0010670429	32	ملاحظة
١٢/ب١٣/أ١٦/ب١/ج٣/ج٨	9.670077E-4	29	يستند
١٢/ب١٣/أ١٥/أ١٦/ج١٧/ج٣/أ٤/ج٨/أ٧	9.003175E-4	27	يبرز
١٢/ب١٣/أ١٥/أ١٦/ب١/ج٣/أ٤/ج٨/أ٧	9.003175E-4	27	أوصى
١٠/ج١٠/ب١٢/أ١٦/ب١/ج٣/أ٤/ج٨	8.669724E-4	26	ينتقد
١٢/ب١٣/أ١٦/ب١/ج٣/ج٨/ج٩	8.336273E-4	25	أيد
١٠/ج١٠/ب١٢/أ١٥/أ١٦/ب١/ج٣/ج٨/ج٩	7.33592E-4	22	يلاحظ
١٢/ب١٣/أ١٧/ج٣/ج٨/أ٧	7.33592E-4	22	انتقاد
١٣/ب١/ج٣/ج٨/ج٩	7.33592E-4	22	اكتشف
١٣/ب١٦/أ١٢/ج٣/أ٤/ج٨/ج٩	6.669019E-4	20	عزز
١٢/ب١٣/أ١٧/ج٣/أ٤/ج٨/أ٧	6.335567E-4	19	يقر
١٢/ب١٣/أ١٧/ج٣/ج٨	6.335567E-4	19	يعين
١٣/ب١٦/أ١٢/ج٣/أ٤/ج٨/ج٩	6.002117E-4	18	إحصاءات
١٠/ج١٠/ب١٣/أ٤/ج١٦/أ١٦/ب١/ج٣/ج٨	6.002117E-4	18	يقرر
١٢/ب١٣/أ١٤/ج١٤/أ٤	5.668666E-4	17	يشكك
١٢/ب١٣/أ١٦/أ١٧/ج٣/أ٤	5.335215E-4	16	موجها
١٠/ج١٠/ب١٣/أ١٦/أ٤	5.335215E-4	16	إحصاء
١٢/ب١٣/أ٤/ج١٦/ج٣/ج٨/ج٩	4.668313E-4	14	يشرح
١٣/ب١٧/ج٣/ج٨	4.334862E-4	13	بصرح
١٢/ب١٣/أ٨/ج٨	4.334862E-4	13	استند
١٣/ب١٦/أ١٧/ج١٧/ب١/أ٢	4.334862E-4	13	فسر
١٧/ج٣/ج٨	4.334862E-4	13	ينصح
١٠/ج١٠/ب١٢/أ١٣/ب١/ج٣	4.001411E-4	12	يحث
١٢/ب١٣/أ٨	4.001411E-4	12	شكك
١٣/ب١	3.334509E-4	10	يستمد
١٣/ب١٦/أ٣/ج٨	3.334509E-4	10	نبه

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - سلطة الاختصاص في الصحف العربية: دراسة على
مدونة حاسوبية
علي محمد آل مشهور

أ١٦/ب٢	3.001058E-4	9	مستندا
أ١٦/ب٢/أ٤	3.001058E-4	9	ينسق
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.334156E-4	7	منتقدا
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.334156E-4	7	ميز
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.334156E-4	7	أسند
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.000706E-4	6	يكتشف
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.000706E-4	6	استمد
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.000706E-4	6	ألزم
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	2.000706E-4	6	يفصح
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	1.667255E-4	5	مصرحا
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	1.667255E-4	5	تشكيك
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	1.667255E-4	5	أوصي
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	1.333804E-4	4	عائنا
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	1.333804E-4	4	نصح
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	1.333804E-4	4	يوصي
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	6.66902E-5	2	موصيا
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	3.33451E-5	1	يسند
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	3.33451E-5	1	مشككا
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	3.33451E-5	1	أنصح
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	3.33451E-5	1	أفصح
أ١٦/ب٣/أ٨/ج٨	3.33451E-5	1	ينبه
		١٥٤٤٠	المجموع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- أرسطوطاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، ط ١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩.
- الشبعان، علي، الحجاج بين المنوال والمثال، ط ١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٨.
- الشمري، عقيل، الثبتي، عبدالمحسن، لسانيات المدونات: نماذج وتطبيقات في لغة الصحافة، (في) المدونات اللغوية: بناؤها وطرائق الإفادة منها، تحرير: صالح بن فهد العصيمي، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥، ١٨١-٢٣٣.
- ماكنري، توني، وهاردي، أندرو، لغويات المدونة الحاسوبية: المنهج والنظرية والتطبيق. ترجمة: سلطان بن ناصر المجبول، دار جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٦.
- مختار عمر، أحمد، المكنز الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، ط ١، سطور، الرياض، ٢٠٠٠.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Al-Thubaity, A. Khan, M. Al-Mazrui, M. & Al-Mousa, M. (2013), New Language Resources for Arabic: Corpus Containing More Than Two Million Words and a Corpus Processing Tool. In Asian Language Processing (IALP), 2013 International Conference on IEEE, pp. 67-70.
- Baker, P. (2006), Using Corpora in Discourse Analysis. London: Continuum.
- Baker, P. & Ellice, S. (2012), Key Terms in Discourse Analysis, Bloomsbury Academic, UK.
- Fairclough, N. (1989), Language and Power. London: Longman.
- Longman Dictionary of Contemporary English, fifth edition (2009), Pearson Education Limited, UK.
- Flanagan and Metzger (2008), Digital media and youth: Unparalleled opportunity and unprecedented responsibility. In M. Metzger, & A. Flanagan (Editors), Digital media, youth, and credibility (pp. 5-28). Cambridge, MA: The MIT Press.
- Longman Dictionary of Contemporary English, fifth edition (2009), Pearson Education Limited, UK.
- McDonald, D. (1983), the Language of Argument, fourth edition, Harper & Row Publishers, Inc., New York.
- Oxford Dictionary, 7th edition, Oxford University Press. UK.
- Piper, A. (2000), Some Have Credit Cards and Others Have Giro Cheques: "Individuals" and "People" as Lifelong Learners in Late Modernity, Discourse & Society 11(3): pp. 15-42.
- Portner, P. (2009) Modality. Oxford: Oxford University Press.
- Ross, R., Ross, M. (1981), Understanding Persuasion, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey.

الاستجواب

دراسة تحليلية في الدلالة الاصطلاحية

صبيحة عبد الرحمن الفرحان

المقدمة:

يتصل مصطلح تحليل الخطاب بمجالات معرفية واسعة ومتباينة مثل علم الاجتماع، وعلم الجغرافيا، وعلم الإحصاء وعلم السياسة، واللغة، وعلم الاتصال وغيرها من العلوم والمباحث ولعل أبرز العلوم المعرفية المرتبطة بتحليل الخطاب السياسي، ولا ينفصل عنه هو علم الاتصال السياسي . والاتصال بمفهومه العام مهم وضروري في حياة البشر فيتصل الناس بعضهم ببعض للتعبير عن رغباتهم وأفكارهم وللتأثير وتحقيق مصالحهم ، فهي سمة إنسانية طبعت بها منذ بدء الخليقة^(١)، وقد عبرت عنها الباحثة (منصوري فاطمة الزهراء) بقولها: "أصبح الاتصال على علاقة مع مختلف الحقول المعرفية في مقدمتها علم السياسة هذه العلاقة والتداخل أفرز حقلا معرفيا جديدا وهو الاتصال السياسي الذي جعل من السياسة ميدانا لدراسته ويتناول المادة الرابطة لمكونات وأطراف العملية السياسية من خلال المفردات، واللغة وحتى الرموز السياسية، ويستند إلى مقتنيات وقنوات عديدة أهمها وسائل الإعلام"^(٢).

لذلك يشكل الاتصال أهمية كبيرة في الخطاب السياسي؛ لأن "الخطاب السياسي خطاب اجتماعي يتواجد مع وجود المجتمع السياسي، والمفردات والمعاني والقيم التي يتضمنها الخطاب في أساسها ملك المجتمع الذي نشأ فيه الخطاب نتيجة التفاعل والاتصال."^(٣)

وتعمل كثير من الحكومات لفرض سيطرتها على وسائل الاتصال وكسب تأييدها، لدعم سياستها وقراراتها؛ لأن (وسائل الاتصال أداة رقابية وتوجيهية تؤثر في سياسات وقرارات المؤسسة السياسية، استنادا إلى المقولة الديمقراطية الشهيرة أن الصحافة هي السلطة الرابعة في الدولة. وتختلف طبيعة التأثير ومداه بين وسائل الاتصال والسلطة السياسية من مجتمع لآخر، ومن نظام سياسي لآخر، ففي النظم الديمقراطية تمارس وسائل الاتصال تأثيرا أكبر في النظام السياسي).

وتتناول كثير من الباحثين تعريف علم الاتصال السياسية كل حسب توجهاته ومنطلقاته، وقد أشار د/ محمد البشر إلى جملة من التعريفات أشهرها: "أن الاتصال هو النشاط السياسي الموجه يقوم به الساسة أو الإعلاميون أو عامة الشعب الذي يعكس أهدافا سياسية محددة تتعلق بقضايا البيئة السياسية وتؤثر في الحكومة أو الرأي العام أو الحياة الخاصة للأفراد والشعوب من خلال وسائل الاتصال المتعددة. فالاتصال السياسي يهدف لغايات مرسومة ومحددة ومقصودة . ولا شك أن للاتصال السياسي علاقة وطيدة بالديموقراطية؛ لأن الديمقراطية في حقيقتها تهدف إلى وجود آليات اتصال مع المواطنين"^(٤) .

"فالديمقراطية والاتصال السياسي حوار متصل ومستمر وخالد؛ لأن تاريخ الديمقراطية تاريخ علاقات واتصالات واستطلاع الرأي، وحرية التعبير عمق ديمقراطي، ولا يمكن وجود اتصال سياسي دون ركائز ديمقراطية لأنه يقرب بين المواطن والديمقراطية"^(٥).

وتؤدي اللغة أيضا دورها في تحليل الخطاب السياسي وعلم الاتصال السياسي والديمقراطية فهي عامل أساسي لكل المفاهيم المعرفية، بل إن اللغة هي أساس الفعل السياسي كما أشار كثير من الباحثين: "فكل رسالة سياسية يبعث بها المرشح أو المتكلم السياسي عبارة عن بنيات لغوية ذات أساليب بلاغية إقناعية متنوعة، ولهذا غالبا ما تراجع هذه الخطابات من قبل مستشارين وتعاد صياغتها مرات عديدة لتحديث الأثر المطلوب"^(٦).

فالخطاب السياسي يتمتع بخصوصية (لأن السياسة تفعل اللغة وتوظفها توظيفا مقصودا، وتغنيها بالألفاظ وتنميها، وتعدد دلالتها وتطورها، فتولد منها المشتقات والمعاني الجديدة، وتستعير الألفاظ الأجنبية وتطرحها في اللسان العربي، وتطرح أيضا ألفاظا بدلالات جديدة ومتطورة عن المعاني التراثية، فأحييت ألفاظا قديمة بدلالة معاصرة مولدة، ومنحتها مفاهيم واسعة، فانتسعت دلالتها، وارتقت وانتشرت، فأصبحت من معجم الخطاب المعاصر).

لذلك ارتبط الخطاب السياسي بمصطلحات سياسية برلمانية أو غير برلمانية فكان للمصطلح (الاستجواب) الذي هو عنوان الدراسة أهمية في هذا الجانب؛ لأنه وثيق الاتصال بالمجتمع فمن خلاله يراقب النائب أعمال السلطة التنفيذية من جانب، ومن جانب آخر يعدّ خدمة لدراسة تطور المصطلح الدلالي عبر التاريخ، ومقدمة لإنشاء معجم لغوي برلماني لمواكبة حركة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

تمهيد:

يجمع علماء اللغة على تشبيه اللغة العربية بالكائن الحي في النشأة والتطور، ويدور ذلك على ألسنة مستخدميها، ويرونها ظاهرة اجتماعية، فهي انعكاس للمجتمع بكل عناصره سلبا وإيجابا، وتشمل اللغة كل التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وكل التحولات الفكرية في المجتمعات الإنسانية.

ويشير عالم اللغة ستيفن أولمان (Stepfen Ullmann) للمعنى السابق بقوله: "فاللغة ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، على الرغم من أن تقدّمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان، فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغيير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة"^(٧).

ولا شك أن التطور الدلالي أحد أهم جوانب التطور اللغوي وعوامله، ودوافع التطور الدلالي متنوعة منها ما يكون بقصد، كالحاجة إلى مصطلحات جديدة، ومنها ما يكون للحاجة إلى معنى جديد، يصاحب ذلك عادة التطور الذي تشهده المجتمعات الإنسانية، (وستحدث عن هذه العوامل لاحقاً). وقد أشار إلى المعنى السابق أ.د/إبراهيم أنيس بقوله: "وينحرف الناس عادة ما بلفظ من مجاله المؤلف إلى آخر غير مألوف حيث تعوزهم الحاجة إلى التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ وما تعلموه من كلمات، فهنا قد يلجئون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد" (٨).

أهمية الدراسة:

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" [العلق ١-٥] لتسجل أول رسالة للبشرية للتعلم والعلم في الخطوة الأولى للدعوة الإسلامية التي غيرت مجرى التاريخ وأسست نموذجاً للحضارة والهوية والثقافة والأصالة.

ومنذ تأسيس المجتمعات البشرية، وارتباط العلاقات الإنسانية بقواعد تنظيمية بين الأفراد من جهة وبين الفرد والمجتمع من جهة أخرى، وعلم القانون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بكافة العلوم الاجتماعية، وعلوم الحياة المختلفة ولا يمكننا فصله عنها، ومن تلك العلوم علم اللغة.

إن حضور اللغة في القضاء (جلساته ومداولاته) وفي (الأحكام) يؤكد حضور هوية الإنسان العربي، وما تتطوي عليه من أبعاد نفسية واجتماعية وتاريخية، والاستجواب مصطلح لغوي وقانوني وسياسي طرأ عليه ما طرأ على كثير من الكلمات من التطور والتغير من خلال استخدامه في العربية، وهو ما يسمى بالتطور الدلالي من خلال الكلمة ومعانيها؛ لأن "معاني الكلمات لا تستقر على حال، بل هي في تغير مستمر لا يتوقف وللتطور الدلالي عوامل مختلفة وله مظاهر مختلفة أيضاً" (٩). والاستجواب أهم الأدوات الرقابية البرلمانية، وهو يشكل وسيلة تفاعل مباشرة مع الجمهور لتحقيق المصالح العامة.

وقد تناولته اللائحة الداخلية لمجلس الأمة الكويتي في أكثر من مادة (من المادة ١٠٠ إلى المادة ١٤٥)، وتناوله الدستور الكويتي في المادة (١٠٠) أيضاً.

منهج البحث:

وتقوم هذه الدراسة على استعراض المعاجم القديمة والحديثة والمعاجم اللغوية المتخصصة في القانون والسياسة حول مصطلح (الاستجواب) والربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، ثم الإفادة من المراجع الصرفية، ليتضح المعنى المقصود والهدف من الدراسة ثم نخرج على المباحث

الدلالية من أجل استبانة كيفية تغير المعنى وأهميته وهو أحد جوانب التطور الدلالي والحديث عن ظاهرة التخصيص التي طرأت على كلمة (الاستجواب)، والآثار المجتمعية للاستجواب على المجتمع الكويتي من حيث إن الحياة السياسية تؤثر في المجتمع وتتأثر به، وانعكاس الاستجواب على جوانب الحياة المجتمعية وتأثر الجانب الاقتصادي والإعلامي والسياسي به.

البحث في المعنى من خلال:

أولاً: المعاجم اللغوية القديمة:

١ - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي:

استعرض معنى (جَوَّب) في قوله: الجَوَّب: الخرق والنقب، وجَابَ الصخرة جَوَّبًا: نَقَبَهَا وفي التنزيل العزيز: {وَتُؤْمَدُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ} [الفجر ٩]، والجَوَّب: اسم (رَجُل) وهو جوب بن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل، وفي أسماء الله تعالى: المُجِيبُ وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول سبحانه وتعالى، وهو اسم فاعل من أجاب يُجيب، قال تعالى {أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} [البقرة ١٨٦] أي فليجيبوني، وقال الفراء فيقال: إنها التلبية، والمصدر الإجابة، والاسم الجابة بمنزلة الطاعة والطاقة.

والإجابة: رَجَعَ الكلام، تقول: أجاب عند سؤاله، وفي أمثال العرب (أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إجابةً) وفي الحديث: "وانجاب السحاب عن المدينة حتى صار كالإكليل" أي انجمع وتقبض بعضه إلى بعض وانكشف عنها، وانجابت الناقة: مدت عنقها لتحلب كأنها أجابت حالبها على إناء، وقد أجاب عند سؤاله وأجابه استجوبه واستجاب واستجاب له^(١٠).

٢ - لسان العرب: للعلامة ابن منظور:

جَوَّب: في أسماء الله المُجِيب، وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول، سبحانه وتعالى، وهو اسم فاعل من أجاب يجيب، والجواب معروف: ترديد الكلام، والفعل أجاب يُجيب قال تعالى: {فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} [البقرة ١٨٦]، أي فليجيبوني.

وقال الفراء: يقال إنها التلبية، والمصدر: الإجابة، والاسم الجابة: بمنزلة الطاعة والطاقة والإجابة، رَجَعَ الكلام، تقول أجابه عن سؤاله، وقد أجابه إجابة وإجابا وجوابا وجابةً واستجوبه واستجاب واستجاب له، والإجابة والاستجابة بمعنى، يقال استجاب الله دعاءه والاسم الجواب والجابة والمجوبة^(١١).

٣ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

جوب: الجيم والواو والباء أصل واحد، وهو خرق الشيء، يقال جُبَّتْ الأرض جَوَّبًا، فأنا جانب وجواب، قال الجعدي: أتاك أبو ليلى يَجُوبُ به الدجى - دُجى الليل جوابُ الفلاة عَثَمْتُ.

وأصل آخر، وهو مراجعة الكلام. و يقال كلمة فأجابه جَوَابًا، وقد تجاوبا مُجَابَبةً والمجَابَبةُ: والجواب، ويقولون في المثل: "أساء سَمْعًا فأساء جَابَةً" (١٢).
وبتأمل ما ورد في على النحو السابق المعاجم اللغوية نسجل الملاحظة التالية:
أنه ما ورد في معنى (جوب) يندرج تحت معنيين أحدهما: خرق الشيء، وقد ورد هذا المعنى من خلال سورة الفجر قوله تعالى: "وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ [٩]".
والمعنى الآخر (التلبية) وإجابة الدعاء وذلك في سورة البقرة قوله تعالى: "أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي [١٨٦]".

وننتقل إلى البحث عن معنى (جوب) في المعاجم اللغوية الحديثة على النحو التالي:

٤ - معجم اللغة العربية المعاصرة:

- جَابَ: يَجُوبُ، وَجُبٌ، وَجُوبًا، فَهُوَ جَائِبٌ، وَالْمَفْعُولُ مَجُوبٌ لِلْمَعْتَدِي.
- جَابَ الصَّخْرَةَ: نَقَبَهَا، خَرَقَهَا {وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} [الفجر ٩].
- جَابَ الْبِلَادَ وَنَحْوَهَا/ جَابَ الْبِلَادَ: قَطَعَهَا سِيرًا أَوْ تَجُولَ فِيهَا "جَابَ الْأَرْضَ بَحْثًا عَنْ عَمَلٍ": ذَاهِبًا وَجَائِبًا بِاسْتِمْرَارٍ.
- جَابَ الْخَبْرُ الْبِلَادَ: عَمَهَا، وَانْتَشَرَ فِيهَا، جَابَ خَبْرُ جَابِهِ الْقَرْيَةَ كُلَّهَا.
- أَجَابَ/ أَجَابَ عَلَى/ أَجَابَ عَنْ يُجِيبُ، أَجِبْ، إِجَابَةً، فَهُوَ مُجِيبٌ، وَالْمَفْعُولُ مُجَابٌ.
- أَجَابَهُ/ أَجَابَ سَوْأَلَهُ / أَجَابَ عَلَى سَوْأَلِهِ / أَجَابَ عَنْ سَوْأَلِهِ: رَدَّ عَلَيْهِ وَأَفَادَهُ عَمَّا سَأَلَ، أَجَابَ بِالْإِيجَابِ: أَجَابَ طَلَبَهُ، أَجَابَهُ إِلَى حَاجَتِهِ: قَبْلَهُ وَقَضَى حَاجَتَهُ، اسْتَجَابَ لَهُ، لِبَاهِ، {أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا} [البقرة ١٨٦].
- اسْتَجَابَ لَـ يَسْتَجِيبُ، اسْتَجَبَ، اسْتِجَابَةً، فَهُوَ مُسْتَجِيبٌ، وَالْمَفْعُولُ مُسْتَجَابٌ لَهُ.
- اسْتَجَابَتِ الْحُكُومَةُ لِمَطَالِبِ الْجَمَاهِيرِ: قَضَتْ حَاجَتَهُمْ، اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ {فَاسْتَجَابَ لَهُ، رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ} [يوسف ٣٤]، اسْتَجَابَ التَّمَاثِيلُ لِبَاهِ وَأَجَابَ إِلَيْهِ بِالْقَوْلِ.
- اسْتَجَابَ لِأَمْرِ الْمَدِيرِ: أَطَاعَهُ فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ، نَفَذَ أَوْ أَمَرَ اسْتَجَابَ الْمُدْرَسُونَ لِمَطَالِبِ مَدِيرِ الْمَدْرَسَةِ.
- اسْتَجُوبَ يَسْتَجُوبُ اسْتِجَابًا، فَهُوَ مُسْتَجُوبٌ، وَالْمَفْعُولُ مُسْتَجُوبٌ.
- اسْتَجُوبَ الشَّخْصَ: طَلَبَ مِنْهُ الْجَوَابَ "اسْتَجُوبَ الْقَاضِي الشَّاهِدَ".
- اسْتِجَابَتِ النِّيَابَةُ الْمُتَهَمِينَ: اسْتِطَقَّتْهُمْ، حَقَّقَتْ مَعَهُمُ بِالْمَسْأَلَةِ، اسْتِجُوبَ الْقَاضِي الْمُتَهَمِ.
- استجابة [مفرد]: ج استجابات (لغير المصدر).
- استجواب [مفرد]: ج استجوابات (لغير المصدر) مصدر استجوبَ استفسار يتقدم به أحد النواب من شأنه فتح باب المناقشة، ومن حق النواب استجواب الحكومة: استخلاص الحقيقة أو المعلومات بالمسألة والتحقيق، مثال: أجرى رجال الشرطة استجوابا للمتهمين.

مُستجيب [مفرد]: اسم فاعل من استجابَ لـ (١٣).

٥ - المعجم الوسيط :

- جاب الطيرُ - جَوَّبًا: انقض. وفلانُ الشيء: قطعة، وقطع وسطه، وخرقه.
- والنمل: قَدها. والصخرة: نقبها. وفي القرآن الكريم {وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} [الفجر ٩]
- والأرض والفلانة والبلاذ: قطعها سَيْرًا. ويقال: جاب الخبرُ البلادَ: انتشرَ فيها والظلام: دخل فيه، (أجابت) الأرضُ: أنبتت، وفلان فلانًا: رد عليه وأفاده عما سأل، ويقال: أجابَ عن السؤال وطلبه: قبله وقضى حاجته. وفي القرآن الكريم {فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة ١٨٦].

- (استجابته): رد له الجوابَ ويقال: استجاب له. وأطاعه فيما دعاه إليه وفي القرآن الكريم {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} ويقال: استجاب الله فلانًا، ومنه، وله: قبل دُعائه، وقضى حاجته.
- (استجوبة): طلب منه الجواب واستجابته.
- (الجابة): الجواب. يقال: "أساء سمعا فأساء جابة".
- (الجواب): ما يكون ردًا على سؤال أو دعاء أو دَعْوَى، أو رسالةٍ أو اعتراض ونحو ذلك (ج) أجوبة، وجوابات وصوت جَوَّب الطير. وفي حديث بناء الكعبة: "فسمعنا جوابا من السماء، فإذا بطائر أعظم من النسر" (١٤).

٦ - المنجد في اللغة العربية المعاصرة:

- جاب: جَوَّبًا وتَجَوَّبًا البلادَ: قطعها.
- جَابَ جَوَّبًا وتَجَوَّبًا الصخرةَ خرقها، اجْتَابَ الصخرةَ: جَابَهَا و- البئرَ: حفرها، الجَوْبَةُ: جُوب: الحفرة المجواب: آلة الخرق.
- جَابَ - جَوَّبًا الثوبَ: قطعه عمل له جيبًا.
- جوب الثوب: عمل له جيبًا.
- جابَ مُجَابَةً: حاوره أجاب سؤاله.
- إجابةً وإجابا وسؤاله وعن سؤاله وإلى سؤاله: رد له الجواب يقال (أجابه إلى حاجته) أي ارتاح إلى قضائها.
- تجاوبوا: جاوب بعضهم بعضا وتجاوروا.
- استجاب استجابة وله: رد له الجواب، والله فلانًا، ولفلانٍ ومن فلانٍ: قبل دعائه وقضى حاجته.
- استجوب استجوبا وله: استجابته، وفي اصطلاح المحاكم: استنطقه.
- الجابة: الاسم من الإجابة بمنزلة الطاعة من الإطاعة يقال: (أساء سمعا فأساء جابة) أي إجابة.
- الجواب: ج أجوبة وجوابات: الرد على سؤال أو خطاب أو رسالة أو دعاء أو اعتراض الخ.

- الجيئة: هيئة وكيفية الجواب.
 - المجوبة: الجواب.
 - الاستجواب (مص) في اصطلاح المجالس النيابية: سؤال يُطرح على الحكومة مع تعليق الثقة عليه، في عرف المحاكم: الاستنطاق^(١٥).
- ومن خلال تصفح المعاجم اللغوية الحديثة نجد أن المعاني السابقة لمعنى جوب (الخرق، وإجابة السؤال) تضمنت معنى الجوب، إضافة إلى وجود المعنى النيابي القائم على استفسار يتقدم به أحد النواب من شأنه فتح باب المناقشة، من أجل استخلاص الحقيقة أو المعلومات بالمساءلة والتحقيق.
- أما المعاجم اللغوية المتخصصة، فقد قدمت للاستجواب المفاهيم الآتية:

١- المفهوم السياسي:

وهنا نجد أن الاستجواب: قد يحمل معنى المحاسبة، بل قد يحمل معنى الاتهام أو الإدانة ولذلك فهو وسيلة من وسائل الرقابة الأكيدة التي تمارسها السلطة التشريعية في مواجهة السلطة التنفيذية. وقد قررت هذا الحق المادة (١٠٠) من الدستور والمواد من "١٣٣" إلى "١٤٣" من اللائحة الداخلية.

وقد قارن د. يحيى الجمل بين الاستجواب والسؤال بقوله " الاستجواب لا يقتصر على إقامة حوار ثنائي ومحدد كما يفعل السؤال، ولكنه يثير مناقشة عامة قد يشترك فيها عدد كبير من أعضاء المجلس"^(١٦). وأشار الدكتور يحيى الجمل أيضا إلى أهميته في إثارة المسؤولية الوزارية؛ لأنه قد يؤدي إلى طرح موضوع الثقة بالوزير المستجوب في المجلس.

أما الدكتور عادل الطبطبائي، فقد ذكر أن الاستجواب "يحمل معنى المحاسبة، وقد ينتهي بتوجيه الاتهام إلى من قدم بحثه، ولذلك يعدّ وسيلة من أهم الوسائل التي تملكها السلطة التشريعية وأخطرها في مواجهة أعضاء الحكومة"^(١٧).

وقد أشار الدكتور الطبطبائي إلى خطورة النتائج التي يمكن أن يؤدي إليها الاستجواب لما يملكه العضو من معلومات خطيرة تصله بوسائله الخاصة، أو عن طريق إجابات رسمية من أحد الوزراء، أو عن طريق مناقشة عامة جرت في المجلس.

يعرف الاستجواب في الموسوعة السياسية بأنه: "طلب عضو برلمان مجلس النواب أو الشيوخ أو مجلس الأمة أو الشعب من وزير من الوزراء بيانات عن سياسات الدولة في مسألة عامة أو خاصة"^(١٨).

وتمت مقارنة معنى الاستجواب بالسؤال الذي يستهدف استيضاح مسألة معينة، أما الاستجواب فيحمل معنى المحاسبة والتي هي أساس الرقابة الشعبية على تصرفات السلطة التنفيذية.

٢ - المفهوم القانوني:

يعرف الاستجواب هنا: "بأنه العمل الإجرائي الذي تقوم بمقتضاه السلطة القضائية بالتعرف على شخصية المتهم، وبمواجهته بالاتهام المسند إليه"^(١٩).

وهنا كمعنى آخر للاستجواب يجمع بين أسئلة المحقق وأجوبة المتهم، فهو تبادل أقوال بين القاضي والمتهم.

وهناك تعريف آخر للاستجواب، يستنبط مفهوم الاستجواب من أجاب والاسم إجابة وهو: الرد على السؤال، أو التحقيق مع الأفراد بتوجيه الأسئلة إليهم وطلب الجواب عنها^(٢٠).

والاستجواب (Interrogatory)، كما جاء في معجم:

wex legal:(inaacivilaction is a list of question one part sends to another as part of discoveryprocess)⁽²¹⁾.

وفي ضوء ما تقدم من كشف وتحليل لكلمة "الاستجواب" عبر معاجم لغوية مختلفة ومعاجم متخصصة، رأينا أن المعجم هو المدونة الرئيسية والأساسية لمعاني المفردات، غير أن المعجم في الوقت نفسه لا يعد كافياً لاستيعاب جميع المعاني، وذلك أن السياق يؤدي دوراً كبيراً في تحديد دلالات الكلمات وتنويعها.

وأختم معاني (الجواب) من خلال معجم المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني الذي أشار إلى معنى التقطيع مصداقاً لقوله تعالى: {وَتَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} أو ما يقطع الجواب فيصل من فم القائل إلى أذن المستمع، أو بمعنى الاستجابة التي هي الإجابة مصداقاً لقوله تعالى: {استجبوا لله وللرسول} فجمع بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فكلاهما يحتاج إلى بذل جهد وتحريّ ودقة في العمل ليصل الإنسان إلى مبتغاه، فيتوجه للخالق ويلج في الدعاء طلباً للإجابة، والاستجواب البرلماني في حقيقته يحتاج إلى جمع المعلومات ليصل فيها النائب إلى حقيقة معينة .

ذكر الأصفهاني^(٢٢) معنى الجواب (جوب: الجوب قطع الجوبة وهي كالثغاب من الأرض ثم يستعمل في قطع كل أرض، قال تعالى: {وَتَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} ويُقال هل عندك جَائِبَةٌ خبر؟ وجوابُ الكلام هو ما يقطع الجوب فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع لكن خص بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب، قال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا}، والجواب يُقال في مُقَابَلَةِ السُّؤال، والسُّؤال على ضربين طَلَبُ المقال وجَوَابُهُ المقال، وطلب النّوال وجَوَابُهُ النّوال، فعلى الأول: {أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ}، وقال: {وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ} وعلى الثاني قوله: {قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا} أي أُعْطِيْتُمَا مَا سَأَلْتُمَا، والاستجابة قيل هي الإجابة وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له، ولكن عُبِّرَ به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها، قال تعالى: {استجبوا لله وللرسول}، و{ادعوني أستجب لكم} و{فليستجبوا لي}، و{فاستجاب لهم ربهم}، و{والذين استجابوا لربهم} وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ

عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي}، وقال: {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح}.

ووجود السابقة الصرفية (أ - س - ت) أي زيادة الأحرف الثلاثة على الفعل الثلاثي منحتة معنى جديداً وهو الطلب كما جاء في المعاجم اللغوية وكما أشار إلى ذلك كثير من علماء الصرف بقولهم: "المعنى الذي يغلب على استفعل هو السؤال والطلب، وهو إما صريح نحو: استغفرت الله، واستكتبت بكراً، وإما في التقرير نحو: استخرجت الودت، فليس هنا طلب في الحقيقة وإنما هو طلب مجازي، فبمزاولة إخراجها والاجتهاد في تحريكه كأنه طلب أن يخرج. وهكذا يأتي استفعل بمعنى أفعّل، نحو: أحصد الزرع واستحصّد، وأجاب واستجاب، وشاهد هذا النوع في القرآن كثيرة: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل..)، (فاستجبنا له ووهبنا له يحي)، (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده)، (فليستجيبوا لي)، (استجيبوا لله وللرسول)" (٢٣).

ولا شك في أن التطور الدلالي له عوامل كثيرة ومختلفة منها ما هو بقصد ومنها ما هو بغير قصد، (كقيام المجامع اللغوية والهيئات العلمية بوضع مصطلحات جديدة، أو إخفاء دلالات جديدة على ألفاظ قديمة لمجارية التطور في مجالات الحياة المختلفة، أما العوامل غير المقصودة فهي الحاجة لكلمة جديدة تعبر عن معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل) (٢٤).

إن هناك أسباباً خارجية تؤثر في دلالة الكلمات وتطورها، إضافة إلى أسباب أخرى داخلية تأتي من داخل اللغة نفسها، وفقاً لاستعمال وحاجة الأفراد لتداول الكلمات ومعانيها. وقد تنبه علماء اللغة القدامى إلى المظاهر اللغوية السابقة، فابن فارس ت (٣٩٥هـ) يشير إلى المعاني الدلالية السابقة بقوله: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمورٌ ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن معروفاً من قبل" (٢٥).

وأشار ابن فارس كذلك إلى أثر الإسلام في دلالات المفردات وكيف تغيرت معانيها قبل الإسلام قائلاً: "فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافقين، ولم يعرفوا الفسق إلا قولهم - فسقت الرطوبة - إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه" (٢٦). وقد تحدث السيوطي (ت ٩١١هـ) في المزهرة عن مظاهر التطور الدلالي في العام المخصوص، "وهو ما وضع في الأصل عاماً ثم يخصص في الاستعمال ببعض أفراد" (٢٧).

وأشار أبو حاتم الرازي (ت ٣١١هـ) في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية) لظاهرة التطور الدلالي أيضاً من خلال تناوله عدداً من المفردات واستعمالاتها اللغوية في الشرائع السماوية قبل الإسلام ونبه إلى التغيير الذي طرأ عليها بعد ظهور الإسلام فقال: "إن الأعمال التي هي في شريعة الإسلام قد كان مثلها في اليهود والنصارى، ولكن لم يكونوا يسمونها بهذه الأسماء، لأن شرائعهم لم

تكن بلسان العرب، فلما جاء الإسلام وبين هذه الأسماء اقتدوا بأهل الإسلام، وصاروا عيالاً عليهم فيها، وقد عرفوا فضيلة رسول الله، وإن كانوا كاتمين لما كانوا عرفوه، كافرين بنعمة الله عليهم حسداً وعناداً^(٢٨).

وأرجع علماء اللغة تغيرات المعنى إلى عدة أسباب منها:

١ - الأسباب اللغوية: وهي أسباب مرتبطة عادة بطرق استعمال اللغة في الكلام في فترة أو أخرى وفي سياق آخر، مثل الكلمة الانجليزية constitutional والتي تستعمل للدلالة على المشي لأغراض صحية، والكلمة تتكون من (constitutional to walk) ولظهورهما جنباً إلى جنب لفترات متعددة، اشتد الترابط بينهما لتمكين العنصر الأول من الكلمة والطغيان عليها والدلالة على معنى العبارة.

٢ - الأسباب التاريخية: وهي عادة أسباب مرتبطة بظروف تاريخية عاشتها الكلمة في فترة من فترات استعمالها ومرتبطة بظروف سياسته خاصة، مثل البرلمان الإنجليزي الذي يختلف عن برلمانات القرن السابع عشر، ولو حدث تعديل دستوري لتغيير الطريقة التي يتكون منها مجلس اللوردات، فلن يتم التخلص من مصطلح "البرلمان الإنجليزي" الذي اشتهر تاريخياً بهذا الاسم، واستبداله بكلمة ((جمعية)) أو ((الكونجرس)) ونحوها، لأن ذلك يحتاج إلى تغيير جوهري في الظروف التاريخية التي استعمل فيها اللفظ.

٣ - الأسباب الاجتماعية:

وذلك أن لكل بيئة من البيئات الفنية والمهنية لغة خاصة بها، كما أنها تمتلك ثروة لغوية تميزها عن غيرها من البيئات الأخرى، وهي ثروة لفظية خاصة بكل مجموعة، وتسهل تواصل أفراد المجموعات بعضهم ببعض، وهذا ما حدث مع كلمة "الحج" التي كان لها معنى مختلف في عصر ما قبل الإسلام ثم اكتسبت معنى جديداً مع صبغتها بالطابع الإسلامي فانتقل المعنى من المعنى العام إلى الخاص، (وسيتم الحديث عن هذا الانتقال في مظاهر التطور الدلالي لاحقاً).

وتتحدد أشكال تطور المعنى - التي يتم في إطارها دراسة دال (الاستجواب) - بثلاث حالات:

١ - توسيع المعنى:

ويقصد به الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام، أي يصبح ما تشير إليه الكلمة من معنى أكثر مما سبق، ومن ثم يصبح مجال استعمالها أوسع ويكثر هذا الأمر في لغة الأطفال خاصة حين يطلق الطفل كلمة البرنقالة على كل الأشياء المستديرة.

٢ - تضييق المعنى:

وهو عكس المفهوم السابق، أي تضييق مجال استعمال الكلمات، وتحديد معاني الكلمات وتقليلها، وبذلك يضيفي التخصص أو التضمن تميزاً، ويسقط ملامح معينة على الكلمة.

٣- نقل المعنى:

ويتم نقل المعنى عندما يتعادل المعنيان في العموم أو الخصوص، وتعد الاستعارة إحدى وسائل نقل المعنى، مثل التعبير عن الأصم بأعمى الأذنين. ولعل الأسباب السابقة لتغيير المعنى تقودنا إلى الحديث عن الآثار المجتمعية للاستجواب وانعكاساته على المجتمع الكويتي. ولعل هذا ما يميز هذه الدراسة ويضفي صفة التفرد عليها مقارنة بأية دراسة لغوية للاستجواب.

الآثار المجتمعية للاستجواب وكيف يستقبله الجمهور:

إن مجلس الأمة الكويتي عبر الانتخابات والاختيار يعبر عن إرادة الأمة، كما يعبر عن مشاركة شعبية في القرار السياسي.

ويعد الأمير قائد البلاد وزعيمها، فيما يقوم مجلس الوزراء بإدارة شئون الحكم، ويعين مجلس الأمة عبر برلمان منتخب مباشرة من الشعب وقراراته ملزمة، وتعد الحرية والمشاركة السياسية، والمساواة بالفرص بين المواطنين أساس النجاح وإعانة للاقتصاد والاستقرار والتقدم والرفاهية وتحقيق المصالح الوطنية للمجتمع الكويتي، وهذا ما يسعى إليه المواطن ليعيد لوطنه حضوره وقوته ويدفع بدولته الكويت نحو التقدم والتحرر ومواجهة الأخطار والأطماع الخارجية بكفاءة واقتدار.

وقد أشار عدد من الأكاديميين إلى قدرة الاستجواب كأداة رقابية فاعلة في إحداث أثر وتغيير على جميع المجالات في المجتمع الكويتي، فقد أشار الدكتور سعد الشمري (من خلال مقابلة أجرتها الباحثة معه) إلى أن الاستجواب يحدث أثرا إيجابيا وسلبيا في الرأي العام متمثلا في الإعلام بأشكاله المختلفة والمننديات الخاصة والعامة، فيحدث التطابق متى ما توافق الاستجواب مع الرأي العام بحيث يأتي ملبيا لسياسة أو إجراء حكومي معين، بينما تأتي الآثار السلبية في حالة ضعف الاستجواب أو نتائجه، وتتأثر أيضا الحياة الاقتصادية بهذا الجانب من خلال نمو الاستثمار وشفافية الأداء المالي وذلك بتوفير بيئة جاذبة للاستثمار والالتزام بخطط واضحة المعالم ومؤسسية ومنضبطة وراشدة.

وقد تتأثر النتائج الاقتصادية للاستجواب بصورة وقتية من خلال التأثير على أسواق المال خاصة حينما يكون الاستجواب ذا صلة بالسياسات المالية أو بالنشاط الاقتصادي أو حين يكون هناك عدم توافق ما بين الحكومة والبرلمان.

هذا وقد أشار أكاديمي آخر إلى أن الاستجواب بوصفه أداة رقابية قد يكون له آثار اجتماعية

سلبية للأسباب التالية:

- ١- زيادة أعدادها في دور الانعقاد الواحد.
- ٢- ضعف المادة المستجوب بشأنها.
- ٣- صلابة الموقف الحكومي والذي ينعكس بدوره على موقف الوزير.

٤ - افتقار الاستجواب إلى عنصر المفاجأة المربك.

٥ - إدارة سليمة للجلسة من قبل رئيس المجلس.

وأشار الدكتور **فهد الشليمي** (رئيس المنتدى الخليجي للأمن والسلام) في برنامج تلفزيوني بعنوان (المساء) على قناة SKY NEWS، حينما وجه إليه سؤال بخصوص (الاستجابات في الكويت ظاهرة صحية أم مطبات)^(٣٠)، إلى أنه من واجب الحكومات إسعاد المواطن، ودور البرلمان التأكيد على هذه السعادة وتنميتها، ونحتاج إلى استجابات موضوعية وحقيقية تخدم المواطن لأن المواطن الكويتي لم يستقد من هذه الاستجابات؛ لأن هناك مبالغة في استخدامها، وأتمنى تنظيمها، والتدرج في استخدامها، عبر السؤال أولاً، أما الاندفاع بشكل مفاجئ للاستجواب، فأعتقد أنه نوع من أنواع المزايدة، والاستجواب يجب أن يكون ضمن الأمور الآتية:

١ - إذا حصل انتهاك للمال العام، فعلى النائب أن يوجه استجواباً للمحافظة على المال العام.

٢ - إخلال في المنصب الوظيفي.

٣ - مشكلة خطيرة في المجتمع الكويتي.

وأضاف أن بعض البرلمانات تقيد الاستجواب فلا يقدمه عضواً واحداً، إنما (٣٠) عضواً ونحتاج إلى وزراء على قدر المسؤولية لا تخشى الوقوف على المنصة، وتقند الدعاوي، وترد على الأسئلة والحجج، وأضاف في البرنامج أنف الذكر النائب السابق والمستشار القانوني **نواف الفزيع**، أن هناك مبالغة في استخدام الاستجواب، يقابله مبالغة في حل البرلمانات والكل يريد حجز مقعده في البرلمان القادم.

وأضاف قائلاً: إن المجتمع بأكمله يعلم مدى الاستياء الذي يعيشه المواطن، فلو قامت الحكومة بتحسين خدماتها، وإبراز هذه الخدمات بشكل أفضل، ووضعت برنامجاً لها لهذه الخدمات لشعر المواطن بالرضا.

ويضيف **د/ محمد الفيلى** عن الاستجواب ضمن فكرة الحوار بين السلطات فيقول: (إن تفسير الحكومة الدائمة للكلمة (استجواب) على أنها أزمة وخط أحمر لا يمكن تجاوزه مرفوض؛ لأننا في نظام برلماني قائم على مبدأ الفصل بين السلطات، والحوار بين السلطات إلزامي وليس اختياري، وفي حال تقديم أي استفسار أو تساؤل من قبل أي سلطة فالسلطة الأخرى ملزمة بالرد، وعدّ أن الاستجواب أحد الأدوات الدستورية للحوار بين السلطات، وتضييق فكرة الحوار، فهناك إفراط في الحساسية من قبل الحكومة اتجاه فكرة الاستجواب)^(٣١).

إن أهم ما يميز الديمقراطية الكويتية والعمل البرلماني على مدى تاريخ هذه التجربة كثرة الاستجابات التي تعرض لها أعضاء الحكومة من الوزراء، والمواطنون يعرفون المجالس التشريعية بعناوين الاستجابات العريضة، وقد أدت تلك الاستجابات بطريقة أو بأخرى للتسبب في استقالة

الحكومة مجتمعه، هذا ما ذكره د/ شملان العيسى عبر العربية نت من خلال مقالة (الاستجوابات: أداة أم وسيلة؟) (٣٢). وأضاف مشيراً إلى حق الاستجواب، فعلى الرغم من مكانته المتميزة في الدستور والعمل البرلماني، فإنه لم يتم التعامل معه كما تتعامل كثير من البرلمانات العريقة مع هذا الحق الدستوري، ففي الكويت باتت لدينا ظاهرة مريضة تتناقض مع العملية الديمقراطية، وهي استخدام أداة الاستجواب من أجل تحقيق مصالح شخصية أو أيولوجية بعيدة عن الاستحقاقات الوطنية.

وأضاف أن طبيعة القضايا التي يضعها حاملو راية الاستجواب بوصفها سبباً أو حجة لاستجوابهم هذا الوزير أو ذاك تعدّ هامشية إلى الحد الذي أصاب الكثير من المواطنين بالتذمر والتملل لما آلت إليه الممارسات البرلمانية.

وانتهى د/ شملان العيسى إلى أنه حيث يكون الطريق مسدوداً ويتعذر على الطرفين التفاهم والتنسيق المشترك يأتي الاستجواب البرلماني ليكون من الوسائل الأكثر حزماً في العمل البرلماني.

استجواب البابطين والطبائحي والسبيعي وزير الإعلام ووزير الشباب: نموذج للاستجواب في

مجلس الأمة الكويتي:

تضمن استجواب وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الشيخ سلمان صباح الحمود الصباح المقدم من النواب الدكتور وليد الطبائحي والحميدي السبيعي وعبد الوهاب البابطين أربعة محاور هي:

- ١ - إيقاف النشاط الرياضي في دولة الكويت.
- ٢ - التفريط بالأموال وهدرها ووجود شبه تنفيح.
- ٣ - التجاوزات المالية والإدارية التي دفعت في وزارة الإعلام، والمجلس الوطني للثقافة والفنون.
- ٤ - إصدار تشريعات لملاحقات المغردين والناشرين عبر إصدار تشريعات مقيدة لحرية الرأي والنشر.

وقد تم تقديم الاستجواب في ٢٠١٧/١/١٥، وأدرج للمناقشة في جلسة ٢٠١٧/١/٣١، وقد أثار هذه الاستجواب ردود أفعال كثيرة، وتناولته الصحف، ووسائل التواصل الاجتماعي ما بين مؤيد ومعارض له، خاصة أنه جاء في وقت لم يمض على عمل المجلس فيه شهرين فقط.

وقد ذكرت صحيفة الأنباء في عددها (١٤٧٦٧) أن الوزير المستجوب طلب استيضاح بعض بنود الاستجواب، رغم أن الوزير وفي مقدمة طلب الإيضاحات حاول النيل من دستورية هذا الاستجواب والتهرب من مواجهته. فيما أشارت صحيفة الجريدة في تاريخ (٢٠١٧/١/١٥) أن (الوزير بصفته المسئول الأول عن الرياضة في الكويت قام بمخالفة توجيهات صاحب السمو، مما أعاد كابوس الإيقاف مرة أخرى للرياضة الكويتية، ثم إن الوزير المستجوب لم يحسن التعامل مع ملف الإيقاف ورغم وجود حالات في الموقف الكويتي لكنه لم يستفد من تجارب تلك الدول التي تعرضت للإيقاف).

في حين أعلنت (صحيفة الرأي) في عددها الصادر (يوم الاثنين ١٦ يناير ٢٠١٧م) أن الاستجواب المقدم لوزير الدولة لشئون الشباب الشيخ سلمان الحمد جلسة كشف الحقيقة. وقد أشارت مجلة العربي الجديد في ٢٠١٧/٢/١ إلى أن نتائج جلسة الاستماع ترجح كفة المعارضين على حساب الموالين للحكومة، وقد دافع الوزير عن نفسه برغم تأكيده أن الاستجواب غير دستوري، مصمما على (توضيح وجهة نظره للشعب الكويتي) على حد تعبيره. وبعد هدوء معركة الاستجواب واستقالة وزير الإعلام ووزير الشباب الشيخ سلمان الحمد الصباح في (٢٠١٧/٢/٧)، جاء الاستجواب لمناقشة قضية تهم شريحة كبيرة من المجتمع الكويتي وخاصة فئة الشباب (قضية الرياضة) فقد ذكر الكاتب (المحامي سعد الدخنان) في جريدة الأنباء (٢٠١٧/٣/٥) أن الرياضة الكويتية أرهقت بفعل الصراع السياسي، وأن يكون للاستجواب والإجراءات التي ستتخذها بعد الاستجواب أن تضع الرياضة الكويتية بمنأى عن يد السياسيين والمتنفذين سواء من الحكومة أو من طبقة التجار حتى تتمكن الرياضة الكويتية من تحقيق نهضتها الحقيقية.

وأضاف أن الوزير لم يسعَ إلى ضبط النفس والتحكم في الانفعالات إلا أن ذلك لم يحدث فقد نجح النواب في الاستفزاز السياسي للوزير مما جعل لغة التصعيد هي اللغة السائدة خلال المرافعات.

الخلاصة:

إن الحقيقة العلمية التي لا ينكرها أي باحث هي أن تأصيل المصطلحات هو مفتاح للمعارف والعلوم، وعنوان لتمييز حقل علمي عن آخر، وأن معرفة المصطلحات اللغوية وتطورها والتغيرات التي طرأت عليها سيساعد الباحثين في تقصي العلاقة المتبادلة بين اللغة العربية واللغات الأخرى قديما وحديثا، سوف يبرهن على قدرة اللغة العربية على التطور والنمو ومواكبه المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات الإنسانية المتقدمة .

لذلك أولت كثير من الجامعات والهيئات العربية اهتمامها لضبط المصطلح ومناسبته على مدلولاته الاصطلاحية ، لأنه يدخل في صلب العلوم ومناهجها ، فتاريخ المصطلحات هو تاريخ العلوم وتاريخ العلوم هو تاريخ الأمة الحقيقي والباقي، وكل علم جديد يحتاج إلى مصطلحات جديدة، بل إن المصطلح يتحول عند ترجمته إلى لغات أخرى إلى منطقة تفاهم مشتركة بين الثقافات والشعوب، فيشكل في داخله رصيда ثقافيا كبيرا، وفي نهاية الأمر هو بحق رسالة تواصل مشتركة موجهة إلى البشر.

هوامش الدراسة:

- (١) مقدمة ابن خلدون عبر ان اجتماع البشر ضروري وهو معنى العمران، ص ٣٠٢.
- (٢) دور الاتصال السياسي في المشاركة الانتخابية، رسالة ماجستير، منصورى فاطمة الزهراء (المقدمة).
- (٣) لغة الخطاب السياسي، د/ محمود عكاشة ص ٣٤٩.
- (٤) مقدمة في الاتصال السياسي، د/ محمد البشر ص ١٩.
- (٥) الاتصال السياسي والديمقراطي، نور الدين قريال، موقع إلكتروني موقع صحيفة الكترونية هسبريس ص ٥.
- (٦) مقدمة في الاتصال السياسي، د/ محمد البشر، ص ٤٦.
- (٧) دور الكلمة في اللغة، ص ١٧٠.
- (٨) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص ١٣٠.
- (٩) التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٦٦، ٥٥.
- (١٠) تاج العروس، ج ٢ ص ٢٠ وما بعدها. (مادة ج و ب).
- (١١) لسان العرب، لابن منظور، م ٣ ص ٢٣٠.
- (١٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج ٢ ص ٤٩١.
- (١٣) معجم اللغة العربية المعاصر، د/ أحمد مختار عمر، م ١، ص ٤١٦.
- (١٤) المعجم الوسيط - مجموعة من المؤلفين ص ١٤٥، ج ١.
- (١٥) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، لويس معلوف، ص ١٠٨.
- (١٦) النظام الدستوري في الكويت أ/ يحيى الجمل ص ٣٨١.
- (١٧) النظام الدستوري في الكويت، د/ عادل الطبطبائي، ص ٩٤٠.
- (١٨) الموسوعة السياسية، ج ١، ص ١٦٩.
- (١٩) الموسوعة الشاملة للمبادئ القانونية، محمد عبدالرحيم عنبر، ج ٢ ص ٧.
- (٢٠) معجم لغة الفقهاء، د/ محمد رواس قلعه جي، د/ حامد صادق قنيبي، ص ٤٠.
- (٢١) نسخة الكترونية (wex legal dictionry).
- (٢٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ١٠٢.
- (٢٣) المعنى في تصريف الأفعال، د/ محمد عبدالخالق عزيمة، ص ١٥١ - ١٥٢، وانظر: مختصر الخطيب في علم التصريف ص ٥٨، وانظر: التطبيق الصرفي، د/ عبده الراجحي ص ١٥.
- (٢٤) التطور الدلالي في اللغة العربية (في ضوء علم اللغة الحديث)، مجلة الدراسات الاجتماعية ص ٦٦، عدد ١٥ - ٢٠٠٣.
- (٢٥) صاحبى في فق اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس ص ٤.
- (٢٦) المرجع السابق، ص ٤٥.
- (٢٧) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج ١، ص ٤٢٧.
- (٢٨) الزينة في الكلمات الإسلامية، لأبى حاتم الرازي، ص ١٥٣.
- (٢٩) الاستجابات في الكويت ظاهرة صحية أم مطبات، قناة sky news.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — الاستجواب "دراسة تحليلية في الدلالة الاصطلاحية" صبيحة عبد الرحمن الفرحان

مراجع الدراسة:

- ١- الاتصال السياسي في وسائل الإعلام وتأثيره في المجتمع السعودي، رسالة دكتوراه من الباحث سعد بن سعود آل سعود.
- ٢- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د/كمال بشر، مكتبة الشباب.
- ٣- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الشباب، ط ١- ١٩٦٢.
- ٤- تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي، د/ حمدي النورج.
- ٥- التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، د. حسين حامد الصالح (مجلة الدراسات الاجتماعية) - العدد الخامس عشر / يناير - يونيو ٢٠٠٣.
- ٦- تاج العروس للزبيدي، تحقيق: علي هلال، ط ٢، ١٩٨٧.
- ٧- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، طبعة جديدة.
- ٨- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر تحقيق: عبدالسلام هارون.
- ٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨.
- ١٠ - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، لويس معلوف.
- ١١ - المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، دار إحياء التراث.
- ١٢ - النظام الدستوري في الكويت، يحيى الجمل، ط ١٩٧٠-١٩٧١.
- ١٣ - النظام الدستوري في الكويت، د. عادل الطبطبائي، ط ٥، ٢٠٠٩.
- ١٤ - موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٣، ١٩٩٠.
- ١٥ - الموسوعة الشاملة للمبادئ القانونية في مصر والدول العربي (مدني - جنائي - دولي)، محمد عبدالرحيم عنبر.
- ١٦ - معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي، د. حامد صادق قنبي، دار نفائس للطباعة والنشر ١٩٨٨.
- ١٧ - المغنى في تصريف الأفعال، د. محمد عبد الخالق عزيمة، دار القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠.
- ١٨ - مختصر الخطيب في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد الخطيب، دار العروبة الكويت - طبعة ١ ٢٠٠٨.
- ١٩ - التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت.
- ٢٠ - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١ ١٩٩٧.
- ٢١ - المزهري في علوم اللغة العربية وأنواعها، جلال الدين السيوطي.
- ٢٢ - الزينة في الكلمات الإسلامية، أبو حاتم الرازي.
- ٢٣ - علم الدلالة، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٩٢.
- ٢٤ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٥ - دور الاتصال السياسي في المشاركة الانتخابية - رسالة ماجستير مقدمه من الطالب: منصوري فاطمة الزهراء - جامعة محمد خضير - الجزائر.
- ٢٦ - مقدمة في الاتصال السياسي، محمد بن سعود البشر، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤٢٩هـ.
- ٢٧ - لغة الخطاب السياسي، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
- ٢٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، ط ١.
- ٢٩ - مقدمة ابن خلدون، دار العلم، بيروت، ط ٧، ١٩٨٩.
- ٣٠ - مقابلة تلفزيونية على قناة نيوز SKY NEWS (أبوظبي).

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — الاستجواب "دراسة تحليلية في الدلالة الاصطلاحية" صبيحة عبد الرحمن الفرحان

مواقع إلكترونية:

- ١- (الشرق الأوسط) ٢٠٠٩/٥١٢ بعنوان (نواب الصراخ والأسباب الحقيقية السياسية في الكويت).
- ٢- العربية نت ٢٠٠٤/١١/١٧، الاستجواب أداة أم وسيلة، د. شملان العيسى.

مراجع أجنبية:

- ١- المعجم القانوني رباعي اللغة، د/ عبد الفتاح مراد، دار الكتب القانونية، مصر، طبعة جديدة مزيّدة ومنقحة.
- ٢- (نسخة الكترونية) WAX LEGAL DICTIONRY , CORNEU LAW SCHOOL.
- ٣- معجم الكويت القانوني (انجليزي -عربي - فرنسي)، بدر اليعقوب، سلسلة الموسوعات العلمية، ط١، ١٩٩٥.

إشكالية تعدد المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي الواحد في القواميس اللسانية المختصة (المستوى الصوتي أنموذجاً)

أفنان السلوم وديمة العتيبي

تقديم:

تشكل المصطلحات أهمية بالغة في حياة كل أمة من الأمم؛ إذ إن تقدمها العلمي متعلق أساساً بضبط جهازها الاصطلاحي وتحديدته وتوحيده، حتى تتمكن من التعبير عن مفاهيمها بكل يسر وسهولة. وعلى الرغم مما يشهده المصطلح العلمي عموماً واللساني خصوصاً من اهتمام كبير من قبل الأفراد والمؤسسات المصطلحية، فإنه لم يسلم من بعض المشاكل التي ألحقت الضرر الجسيم به، ولعل من أهمها: مشكلة تعدد المقابلات اللسانية للمصطلح الأجنبي الواحد.

ونظراً لما يشكله هذا الموضوع من أهمية بالغة بالنسبة للباحثين في مجال اللسانيات، تم تخصيص هذا البحث لدراسة هذه المشكلة، وذلك لعدة أسباب منها:

- مشكلة التشتت المصطلحي التي يعاني منها الباحثون في ميدان علم اللسانيات.
 - صعوبة معرفة المقابل العربي الأنسب للمصطلح الإنجليزي الواحد بين عديد المقابلات.
 - الرغبة في توحيد المصطلح اللساني العربي وتعميم تطبيقه في كل البلاد العربية.
- وقد اختصت هذه الدراسة بالمجال الصوتي من خلال إحصاء ودراسة ٥٠ مصطلحاً لسانياً إنجليزياً صوتياً ورد لها أكثر من مقابل عربي، في مجموعة من القواميس اللسانية المختصة التي تباين فيها المقابل العربي وزمن التأليف، وهي كالاتي:

- معجم علم اللغة الحديث لمجموعة مؤلفين (١٩٨٣).
 - قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي (١٩٨٤).
 - معجم المصطلحات اللغوية لرمزي بعلبكي (١٩٩٠).
 - معجم المصطلحات الألسنية لمبارك مبارك (١٩٩٥).
 - معجم المصطلحات اللسانية للفاسي الفهري (٢٠٠٩).
- ويحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:
- ما آليات توليد المصطلح في اللغة العربية؟
 - ما أسباب تعدد المقابلات العربية للمصطلح الإنجليزي الواحد؟
 - هل لاختلاف الينابيع العربية التي ينهل منها المترجم العربي دخلاً في هذا التعدد؟
 - كيف يمكن حل مشكلة التعدد المصطلحي، وتعميم تطبيق المصطلحات الموحدة في كل البلاد العربية؟

كما يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- إحصاء ٥٠ مصطلحاً لسانياً إنجليزياً في المستوى الصوتي ورد لها أكثر من مقابل عربي.
- التعرف على آليات توليد المصطلح اللساني في اللغة العربية.

- رصد أهم العيوب المصطلحية في بعض المقابلات العربية.
- التعرف على أسباب مشكلة التعدد المصطلحي وطرح الحلول المناسبة لها.
- والغرض الذي يحققه إنجاز هذا البحث نظري وعملي تطبيقي.
- وقد اقتضت طبيعة الموضوع اتباع المناهج الآتية:
- المنهج الإحصائي: لإحصاء ٥٠ مصطلحاً لسانياً إنجليزياً في المستوى الصوتي تعددت معه المقابلات العربية في القواميس اللسانية المختصة.
- المنهج الوصفي التحليلي: لوصف وتحليل المقابلات العربية واستخلاص أهم العيوب المصطلحية منها.
- أما الدراسات السابقة حول هذا الموضوع فلم يقع بين أيدينا سوى الدراسات التالية:
- قاموس اللسانيات: وهو قاموس للدكتور: عبد السلام المسدي، (الدار العربية للكتب، تونس، ١٩٨٤).
- حيث تناول في مقدمة قاموسه إشكالية المصطلح العربي التي تكمن في تعدد المقابلات وقدم نموذجاً لمصطلح (اللسانيات) الذي ورد له ٢٣ مقابلاً عربياً.
- واختلاف هذه المقدمة عن هذا البحث في كونها ركزت على دراسة مصطلح واحد وتحليله، وهو مصطلح العلم (اللسانيات).
- إشكالية المصطلح في المؤلفات العربية (تحليل الخطاب نموذجاً): وهي رسالة ماجستير لرشيد عزي، (المركز الجامعي بالبويرة، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩).
- وتختلف هذه الدراسة عن تلك الرسالة في مجالها ومدونها وهي: الكتب المؤلفة في تحليل الخطاب الحاملة للملحقات الاصطلاحية.
- المقابلات العربية للمصطلح الصوتي الوافد في أشهر المعاجم اللسانية: وهو بحث للدكتور: صالح سليم الفاخري، (مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، العددين: ٣-٤، ٢٠١٤).
- ويختلف هذا البحث في مدونته التي استقى منها مقابلاته.
- أما إطار هذا البحث فقد جاء مشتملاً على فصلين يسبقهما تمهيد، ويليهما خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وهوامش الدراسة.
- - التمهيد:
- وفيه تقديم موجز لإشكالية التعدد المصطلحي.
- ١. الفصل الأول: (المصطلح العربي وآليات توليده).
- واشتمل على مبحثين:
- ١.١. المبحث الأول: (مفهوم المصطلح وبعض المفاهيم المتعلقة به).

٢٠١. المبحث الثاني: (آليات توليد المصطلح العربي).

٢. الفصل الثاني: (المقابل العربي عيوبه وأسباب تعدده).
واشتمل على مبحثين:

١.٢. المبحث الأول: (المقابلات العربية في المجال الصوتي وأهم عيوبها).

٢.٢. المبحث الثاني: (أسباب تعدد المقابلات العربية).

- الخاتمة:

وتضمنت أهم النتائج والحلول المقترحة لهذه المشكلة.

التمهيد:

إشكالية التعدد المصطلحي:

لا يخفى علينا ما يشهده العالم اليوم من تقدم هائل في شتى المجالات والميادين العلمية والفنية والحضارية، الأمر الذي تطلب توليد العديد من المصطلحات لتواكب بها المفاهيم المستحدثة في كل مجال، وكان نتيجة ذلك ظهور العديد من المعاجم والقواميس المختصة.

وقد شاب هذه المعاجم والقواميس المختصة مشاكل عديدة كان من أبرزها ظاهرة التعدد المصطلحي، التي انعكس أثرها على الباحثين والدارسين الذين وجدوا أنفسهم محاطين بالعديد من المقابلات للمصطلح الأجنبي الواحد، مما أحدث لهم مزيدا من اللبس والاضطراب.

ولم يقتصر أثرها في أوساط الدارسين والباحثين فحسب، بل شغلت هذه القضية أيضا بالعلماء الذين تعرضوا لها بالتحليل والدراسة، ودعوا إلى ضرورة ضبط الجهاز الاصطلاحي لكل علم من العلوم، ففي علم اللسانيات على وجه التحديد نجد الدكتور عبد السلام المسدي قد تناول هذه الظاهرة في مقدمة قاموسه ووصفها بعدة أوصاف متضمنة خطورتها، كالتشتت والتبدد والتذبذب.... إلخ^(١) كما وصفها الدكتور محمود حجازي أيضا بكونها ظاهرة "غير صحية ظهرت بمحاولة هدم مصطلحات حديثة مستقرة، لم تكن ثمة ضرورة لإعادة النظر في هذه المصطلحات الأساسية التي كانت استقرت عند أكثر الباحثين"^(٢).

والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لا تقتصر فقط على اللغة العربية كما يرى المستعربون، بل هي ظاهرة عالمية موجودة في اللغات كلها منذ القدم، يقول الدكتور ممدوح خسارة: "إن تعدد المصطلح ظاهرة لغوية عالمية، ولسنا مع المستعرب الروسي (كيفوريك ميناجيان) في زعمه أنها ظاهرة خاصة بالعربية، وأنها ظاهرة فريدة يصعب علينا أن نجد أمثلة تشابهها في لغات أخرى"^(٣)

الفصل الأول

(المصطلح العربي وآليات توليده)

١. المبحث الأول: مفهوم المصطلح وبعض المفاهيم المتعلقة به:

١.١.١ المصطلح (Terme):

لقد أولى الدارسون والباحثون عناية كبيرة بالمصطلحات وخاصة بعد تشعب العلوم وكثرة التخصصات، وأمام هذا الوضع ظهرت عدة تعريفات للمصطلح:

١.١.١.١ في اللغة:

المصطلح مصدر ميمي للفعل (اصطلح) من مادة (صَلَح)، ودلالة هذه الكلمة في المعاجم القديمة تعني الآتي:

١.١.١.١.١ في العين: "الصلح تصالح القوم بينهم" (٤).

٢.١.١.١.١ في الصحاح: "الصالح ضد الفساد" (٥).

٣.١.١.١.١ في المعجم الوسيط:

- "أزال ما بينهما من عداوة وشقاق.

- مصدر اصطلاح واتفاق على طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته" (٦).

١.١.١.١ في الاصطلاح:

١.٢.١.١ ما جاء في كتاب التعريفات للجرجاني (٥٨١٦):

"أن الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينتقل من موضوعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما . وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد ، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين" (٧).

٢.٢.١.١ وعرفه التهانوي (١١٥٨هـ):

"هو العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما، كالعموم والخصوص، أو لمشاركتها في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها" (٨).

٣.٢.١.١ وفي العصر الحديث قدم محمود حجازي:

تعريفًا اتفق عليه المتخصصون في علم المصطلح وهذا التعريف هو الآتي: "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية: كمفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحدد في وضوح. وهو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيحدد بذلك وضوحه الضروري" (٩).

٢.١. المفهوم (Concept):

١.٢.١. في اللغة:

المفهوم اسم مفعول من الفعل فُهِمَ ، ودلالة هذه الكلمة في المعاجم القديمة كالآتي:

١.١.٢.١. جاء في العين: "فهمت الشيء: عرفته وعقلته" (١٠).

٢.١.٢.١. وجاء في اللسان: "معرفتكَ الشيء بالقلب. فهمه فهما وفهما وفهامة: علمه" (١١).

٣.١.٢.١. وفي تاج العروس: "علمه وعرفه بالقلب" (١٢).

تكاد هذه المعاني تنحصر في المعرفة والعقل والعلم.

٢.٢.١. في الاصطلاح:

١.٢.٢.١. عرفه الكفوي (١٠٩٤هـ) في الكليات: "هو الصورة الذهنية سواء وضع، بإزائها

الألفاظ أو لا، كما أن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ" (١٣).

٢.٢.٢.١. وفي العصر الحديث عرفه راون: "بأنه عملية ذهنية تشير إلى مجموعة من

الموضوعات والخبرات أو إلى موضوع واحد في علاقته بغيره من الموضوعات ويعتبر المعنى كلياً؛ لأنه يمثل أفراد مختلفين، وفكراً مجرداً لأنه يمثل الصفة السائدة في هؤلاء الأفراد" (١٤).

٣.٢.١. الفرق بين المفهوم والمصطلح:

المفهوم	المصطلح
- يحيل على فكرة ما يحكمها المتغير وعدم الاستقرار.	- يحيل على بناء يحكمه الاتفاق.
- يركز على الصورة الذهنية.	- يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم.
- المفهوم أسبق من المصطلح فكل مفهوم مصطلح.	- المصطلح تابع للمفهوم.

٢. المبحث الثاني: آليات توليد المصطلح العربي:

يُقصد بآليات التوليد: الوسائل أو القواعد التي يتم بواسطتها توليد كلمات جديدة سواء في اللغة العامة أو في اللغة الخاصة، وتنقسم قواعد التوليد قسمين:

١.٢. توليد بقواعد من داخل اللغة:

١.١.٢. قواعد توليد صرفية:

١.١.١.٢. الاشتقاق:

أ. مفهومه:

الاشتقاق هو: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة" (١٥). ومن الأمثلة عليه: المصطلح الصوتي (انفجاري) منسوب إلى المصدر (انفجار) المشتق من الفعل (فَجَرَ) (١٦)، ويسمى هذا النوع من الاشتقاق بالاشتقاق العام أو الصرفي.

ب. أنواعه:

اختلف المحدثون من اللسانيين العرب في أنواع الاشتقاق ومدلول كل نوع، ومن هؤلاء العلماء محمد أمين في كتابه (الاشتقاق) الذي قسم الاشتقاق إلى أربعة أنواع:

- اشتقاق صغير وهو (الاشتقاق العام أو الصرفي) وقد تقدم التعريف به.
- اشتقاق كبير وهو (الإبدال).
- اشتقاق أكبر وهو (التقليب)، وهذه التسمية من صنيع ابن جني^(١٧).
- اشتقاق كُبار وهو (النحت)^(١٨).

٢.١.١.٢. النحت:

أشرنا سابقا إلى النحت ورأينا أن من العلماء من يعده من أنواع الاشتقاق، ويقوم النحت على "انتزاع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل معنى ما انتزعت منه"^(١٩)، ويعتبر النحت من آليات التوليد المصطلحي غير أنه لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة العلمية كما أشار إلى ذلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة^(٢٠)، إلا أن بعض العلماء لا يحبذ التوليد بالنحت لأنه ينتج كلمات لا تتناسب مع الذوق السليم، ومن الأمثلة على المصطلحات المنحوتة في المجال الصوتي ما نجده عند الخولي في معجمه مثل: قبغاري (قبل الغار)، بعيلثوي (بعد اللثة)... إلخ^(٢١).

٢.١.٢. قواعد توليد دلالية:

١.٢.١.٢. المجاز:

يقصد به: "التوسع في المعنى اللغوي لكلمة ما لتحميلها معنى جديدا"^(٢٢)، ويعتبر المجاز من أهم وسائل التوليد المصطلحي؛ إذ بواسطته "ينتقل اللفظ من الرصيد العام أو اللغة العامة إلى الرصيد الخاص أو اللغة المتخصصة التي هي مادة المصطلح"^(٢٣).

٢.٢. توليد بقواعد من خارج اللغة:

١.٢.٢. الاقتراض اللغوي:

يقوم الاقتراض على "أخذ كلمة من لسان إلى لسان آخر"^(٢٤)، أي أن الاقتراض يتم بين لغتين على الأقل، ل ١ (المصدر) التي يصد عنها اللفظ المقترض ول ٢ (المورد) التي يرد إليها اللفظ المقترض، وتجدر الإشارة إلى أن الاقتراض هو "الطريقة الأخيرة التي يلجأ إليها المُعَرَّب أو المصطلحي بعد العجز عن العثور على كلمة مقابلة للمصطلح الأجنبي، وبعد العجز عن توليد مصطلح جديد بالاشتقاق أو غيره"، ويشتمل الاقتراض على مدلولي (المعرب والدخيل)^(٢٥).

١.١.٢.٢. المُعَرَّب: هو "ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها، على نهجها وأساليبها، فألحقته بأوزانها وأبنيته وأصواتها"^(٢٦)، أي الألفاظ التي تدمج في النظامين الصوتي والصرفي للغة المقترضة، فيمكن الاشتقاق منها مثل الوحدة المعجمية العربية، ويوضع لها جذر يكون أصلا لكل اشتقاق.

٢.١.٢.٢. الدَّخِيل: هو "الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى وحافظت على شكلها ونقلت بصورتها إلى العربية"^(٢٧)، أي الألفاظ التي تخضع للنظام الصوتي للغة المقترضة، ولا تخضع إلى أي تغيير شكلي صرفي، فتحافظ على عجمتها، ومن الأمثلة على ذلك: المصطلح الصوتي (phoneme) الذي يقابله.

الفصل الثاني

(المقابل العربي عيوبه وأسباب تعدده)

١. المبحث الأول: المقابلات العربية في المجال الصوتي وأهم عيوبها.

١.١. المقابلات العربية في المجال الصوتي:

انظر: الجدول (١) التالي:

الفاموس / المصطلح	علم اللغة الحديث مجموعة مؤلفين 1983م	قاموس اللسانيات عبد السلام المسدي 1984م	معجم المصطلحات اللغوية رمزي بعلبكي 1990م	معجم المصطلحات الألسنية مبارك مبارك 1995م	معجم المصطلحات اللسانية الفاسمي الفهري 2009م
1. ABLAUT	° الأبالوت	تناوب	تناوب الأصوات	إبدال المصوتات (الحركات)	تناوب حركي
2. ACCENT	علامة النبر، نبر، اللكنة	نبر	نبر، لكنة، علامة مميزة!	نبرة	نبر، سمة نبر
3. ACOUSTICS	° الأكوستيكا - علم الصوت (الفيزيائي)	سمعي - سمعيات	عالم السمعيات	دراسة الأصوات	سمعيات
4. ANTICIPATION	؟	استباق	استباق	تمائل، توقع	توقع، استباق
5. ALLPHONE	° الألوْفون، (عضو الوحدة الصوتية) ≠	صوت عملي	بديل صوتي	متغير لفظي	بديل صوتي، بدصوت
6. APHERESE	إسقاط الصائت البدئي ≠	ترخيم مطلي	إسقاط بدئي	إسقاط الحرف الأول ≠	إسقاط بدئي
7. ARCHIPHONEME	الفونيم الأساسي &	صوت عملي	فونيم أم &	الفونيم الأم &	صوتية جامعة
8. ASSIBILATION	E المماثلة الصغرية	E تصغير الصوت	E تصغير	E تصغير	E تصغير
9. COALESCENCE	المرج الصوتي	مرج صوتي	انصهار	مصوت مزدوج	مرج
10. DISSIMILATION	مخالفة، تخالف	تباين	مخالفة	مخالفة، مغايرة	مغايرة
11. ELISION	إسقاط	ترخم عملي	إسقاط	حذف	ترخم - حذف
12. EMPHASE	تفخيم-توكيد	تفخيم	توكيد	توكيد	تفخيم

13. FEEDBACK	الترجيع - التغذية الراجعة#	استرجاع	ترجيع	ترجيع	إغذاء
14. FLAB	ع الصامت الممثل	؟	ع ممثل	ع صوت ممثل	صوت أحادي الرعدة - ع صوت ممثل
15. GRAVE	؟	جهر	منخفض التردد	منخفض	خفيض
16. GLIDE	الانزلاقي	نصف حركة	شبه صائت - إنزلاقي - نغمة متغيرة	إنزلاقي - شبه صائت - شبه مصوت	علة
17. HAPLOLOGY	الحذف الصوتي في النطق ≠	تفريد أدائي	إفراد صوتي	حذف، إسقاط	حذف أو ترخيم المتشابه
18. HARMONY	؟	تناغم	تناسق	إشباع-تناغم-تألف-توافق	انسجام، توافق
19. IDIOPHONE	°الأيديوفون (الخاصة الصوتية الفردية)≠	؟	صوت، °إيديوفون، صوت شخصي	؟	°إيديوفون، صوت فردي
20. INSPIRATION	ع شهيقي	ع شهيقي	ع شهيقي، استنشاق	ع شهيقي	ع شهيقي، استنشاق #
21. ISOPHONE	°الأيسوفون (الفاصل في نظام النطق) ≠	؟	خط صوتي	؟	صوت تماثل
22. JUNCTURE	وقفنة	لحام	وقفنة	فاصل - وقفنة	وصل
23. KYMOGRAPH	كيموكراف° (مرسام الذبذبات الصوتية)≠	راسم الصوت	مرسمة سمعية	مرسام الموجات الصوتية≠	خطاطة التمرج
24. METAPHONY	تغير الصوائت	تجانس	إبدال صائقي	تحول صوتي	إبدال
25. MELODIE	اللحن	تناغم		نغم ، لحن ، إتساق الأصوات	نغم

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - اشكالية تعدد المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي الواحد
في القواميس اللسانية المختصة (المستوى الصوتي أنموذجا)

26. MONOPHONE	الصوت المفرد	وحيد الصوت	صوت مفرد	صوت واحد	أحادي الصوت
27. MORPHEME	وحدة صرفية	صيغ	مورفيم	لا وحدة صرفية مجردة	صرفية - مورفيم
28. MORPHOPHNE ME	وحدة صوتية - صرفية	؟	فونيم صرفي &	فونيم صرفي &، وحدة صرفية صوتية	صرف - صوتية
29. NARROW TRANSCRIPTION	كتابة صوتية ضيقة	؟	كتابة أصواتية مفصلة	؟	كتابة - مناقلة ضيقة
30. OBSTRUENT	الصوت المعوق (كلياً أو جزئياً)	حاجز	معوق	غير رئيسي	حاجزي - اعتراض #
31. OCCLUSIVE	انسداد (انفجاري)	انسداد	انسداد	انفجاري - احتكاكي	انفجاري
32. ONSET	بداية النطق - بداية المقطع	؟	استهلال	تهيئ - استعداد #	استئناف
33. ORDER	الترتيب - النظم	نسق	فئة	ترتيب - موقعية - مرتبة #	رتبة
34. ORAL	الشفوي (عكس الكتابي)	شفوي	نطقي	شفوي - لفظي	شفوي - شفوي # - فموي
35. PHONATION	النطق	تصوت	تصوت - إجهار !	تصوت	تصوت
36. PHONE	الصوت الكلامي	صوت	صوت كامل	صوت	صوتة
37. PHONEMATIQU UE	الفونيمي ^٥	صواتي	علم الفونيمات ^٥	علم الأصوات، الصوتيات الوظيفي	صوتيات
38. PHONEME	وحدة صوتية مميزة لا	صوت	فونيم ^٥	وحدة صوتية - حرف!	صوتية، فونيم ^٥
39. PHONICS	الطريقة الصوتية	تصوتي	منهج صوتي، علم الأصوات	تصوت	صوتي
40. PHONOLOGIST	الفونولوجي، عالم الصوتيات	صوتي	عالم الفونولوجيا ^٥	؟	صوتي
41. REGRESSIVE	؟	رجعي	؟	ارتدادي - رجعي - عكسي #	تراجعي
42. RESONATOR	الرئان (مسبب الرنين)	مُدق	؟	مرئان - مضخم صوت	مرئان
43. RETROFLEX	المنثني (الصوت)	التوائي	منثني	ارتدادي - التوائي	اثنتائي - ارتدادي
44. SONANT	شبه صائت	مصوت	شبه صائت - مصوت	مصوت حركة	مصوت أدلق
45. SPIRANT	احتكاكي	الانساي (حرف)	احتكاكي	انساي - احتكاكي - ضيق	الانساي - رخو
46. STRDENT	الخشن (في الملامح المميزة)	صريري	خشن	مصرور - خشن	صريري
47. TIMBRE	ع جرس	ع جرس	ع جرس	ع جرس - نزع الصوت - رنة	ع جرس
48. VELAR	طبقي	لهوي	طبقي	طبقي - لهوي	حجاي - لهوي
49. VELARIZED	ع مُطَبَّق	ع مُطَبَّق	ع مُطَبَّق	ع مُطَبَّق - مُشَخَّم	ع مُطَبَّق - مُطَبَّق
50. YODIZATION	التحول إلى ياء	تليين يائي	تمحيض يائي	التحول إلى اليائية	تليين يائي

الجدول (1) المقابلات العربية في المجال الصوتي

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - اشكالية تعدد المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي الواحد في القواميس اللسانية المختصة (المستوى الصوتي أنموذجا) أفنان السلوم وديمة العتيبي

الرمز:	مدلوله:
¥	مركب معقد.
#	ترادف.
&	خلط في المركب الواحد جزء منه عربي والجزء الآخر دخيل.
o	دخيل.
?	غياب المقابل.
!	تذبذب مصطلحي (المصطلح واحد والمفهوم مختلفان).
£	شبه اتفاق في المصطلح.

جدول: (2) تعريف بالرموز المستخدمة في الجدول: (1)

٢.١ عيوب المقابلات:

توصلنا من خلال الجدول: (٢) إلى وجود عدة عيوب في المقابلات التي تم ترميزها في الجدول: (١)، وتفصيلها كالتالي:

١.٢.١. التركيب المعقد: وهو ما تركب من ٣ كلمات فأكثر، كـ (وحدة صوتية مميزة) مقابل PHONEME

٢.٢.١. الترادف: وهو من العيوب المصطلحية؛ لأنه يكون في اللغة العامة فقط دون اللغة الخاصة أو المختصة، حيث لاحظنا أن للمصطلح الواحد عدة مقابلات مترادفة في القاموس الواحد، مثل ما جاء في معجم الألسنية من مقابلات لمصطلح REGRESSIVE وهي: (رجعي، عكسي، ارتدادي).

٣.٢.١. الخلط في المركب الواحد بين العربي والدخيل: مثل: فونيم أم (فونيم) دخيل (أم) عربي. ٤.٢.١. الدخيل: يُقبل الدخيل في حال عدم القدرة على توليد مصطلح معين بأحد آليات التوليد، أما عند القدرة يصبح الدخيل عيباً، كما نجد في كلمة: أكوستيكا التي يوجد مقابل عربي لها وهو السمعيات.

٥.٢.١. غياب المقابل: في بعض المعاجم على الرغم من توفره في معاجم أخرى تسبقه زمنياً، مثل مصطلح: PHONOLOGIST غير الموجود في معجم الألسنية والأمثلة كثير.

٦.٢.١. التذبذب المصطلحي: (المصطلح واحد والمفهوم مختلفان)، مثل: استخدام مصطلح (حرف) كمقابل لمصطلح PHONEME والمفهوم مختلفان.

٦.٢.٢. ٧.٢.١. شبه الاتفاق في المصطلح: وهو عيب في واضع المصطلح الذي يضع مقابلاً يختلف عن المقابل المتفق عليه في المعاجم الأخرى، كما في معجم علم اللغة الحديث بالنسبة لـ مصطلح ASSIBILATION.

٢. المبحث الثاني: أسباب تعدد المقابلات العربية:

هناك أسباب عديدة أدت إلى نشوء هذه المشكلة تناولها عدد من العلماء والباحثين، نذكر منها ما ذكره أ. واضح عبد العزيز وأ. تهامي بلعقون في محاضرتين قاما بإلقائها ضمن الملتقى الوطني حول المصطلح والمصطلحية المقام في جامعة مولود معمري، تيزي- وزو في دولة الجزائر، بالإضافة إلى الأسباب التي ذكرها د. عبد السلام المسدي في مقدمة قاموسه.

١.٢. اختلاف اللغات والثقافات والمقاربات المعتمدة من لساني عربي ناقل إلى آخر:

من أهم أسباب هذه المشكلة اختلاف اللغة الثانية التي يملكها المترجم أو الناقل للمصطلح، فمن يتقن اللغة الفرنسية مثلا ينطلق من المصطلح الفرنسي، ومن يتقن اللغة الإنجليزية ينطلق من المصطلح الإنجليزي^(٢٨).

٢.٢. الاعتداد بالنفس والتمسك بالنقل الذاتي:

أدت نزعة حب التفرد والريادة والسبق إلى نشوء هذه المشكلة، حيث إن بعض الناقلين "لا يكلف نفسه عناء البحث عن اجتهادات سابقة، سواء من الأقدمين أو المحدثين أو حتى المعاصرين فيسارع إلى وضع مصطلح عربي مقابل للمصطلح الأجنبي فتتعدد المصطلحات المقترحة دونما مسوغ ولا فائدة بل إن بعضهم يصر على وضع مصطلح جديد مقابل المصطلح الأجنبي ولو علم بوجود مصطلح عربي شائع ومقبول"^(٢٩)، فعقدة الذات كما يقول المسدي انعكست على المصطلح ونتاج عنها عقدة المصطلح اللساني العربي خاصة، و المصطلح العلمي عموما^(٣٠)

٣.٢. التعصب القطري:

بالإضافة إلى النزعة الفردية نجد أيضا النزعة الجماعية المتمثلة في "تعصب عدد من العلماء والباحثين للمصطلح الموجود في القطر الذي ينتمون إليه، حتى وإن كان مصطلح آخر في قطر عربي أو أكثر أدق في الدلالة على المفهوم المراد وأنسب وأوسع انتشارا"^(٣١)، فمن هو في الجزائر مثلا يتعصب للمصطلحات التي تنتمي للجزائر، ومن هو في مصر يتعصب للمصطلحات التي تنتمي لمصر... وهكذا.

٤.٢. وجود بعض المشاكل في لغة المصدر:

١.٤.٢. الترادف:

"ذلك بأن عددا من المفاهيم العلمية وضع لها أكثر من مصطلح في اللغة الواحدة وإذا تم ترجمة هذه المصطلحات المترادفة، فإن الحصلة ستكون مصطلحات عربية متعددة"^(٣٢).

٢.٤.٢. ازدواجية المصطلح:

قد تنجم عن ازدواجية المصطلح الواحد في اللغة العربية عن ازدواجية المصطلح في لغة المصدر فعلى سبيل المثال في اللغة الإنجليزية قد يستعمل العلماء الأمريكيون مصطلحا غير الذي يستعمله زملاؤهم البريطانيون للدلالة على المفهوم ذاته، وعند الترجمة إلى العربية نواجه مصطلحين عربيين لمفهوم واحد^(٣٣).

٥.٢. تعدد الجهات الواضحة للمصطلحات العربية:

فالمصطلحات العربية تصدر من جهات متعددة، كالمجامع اللغوية والمؤسسات العلمية والمعاهد المصطلحية والعلماء والأساتذة في الجامعات وغيرهم^(٣٤).

٦.٢. تداخل المصطلحات اللسانية بمصطلحات العلوم الأخرى:

يرتبط علم اللسانيات بروابط قوية مع بعض العلوم الأخرى، كالعلوم الإنسانية (الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة... إلخ) والعلوم التجريبية كالفيزياء وغيرها، حيث أدى هذا الارتباط والتداخل إلى استحداث علوم أخرى كاللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، واللسانيات الحاسوبية وغيرها، فنتج عنه تضخم في المصطلحات وتداخلها مع بعضها البعض^(٣٥).

٧.٢. غياب القرار السياسي في العلم:

يشكل القرار السياسي في المجال العلمي أهمية كبرى، حيث أن ضبط المصطلحات وتوحيدها يتطلب وجود سلطة تفرض استعمال كل ما تقره المجامع اللغوية ومؤسسات التعريب من مصطلحات وتعمم تطبيقه في كل البلاد العربية^(٣٦).

لذلك يمكننا اعتبار غيابه سببا رئيسيا في ظهور مشكلة التعدد المصطلحي، حيث قال المسدي بعد عرضه لأسباب التعدد: "على أن هذه العلل التي سببت تشتت المصطلحات اللسانية ما كان لها أن تتعاضد إلى حد الاستعصاء لولا غفوة القائمين على أمر العلم عن ناموس وضع المصطلح وتطوره طبق مراحل التجريد"^(٣٧)، فهو يرد أسباب التعدد كلها إلى غياب القرار السياسي.

- الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لإشكالية التعدد المصطلحي اللساني في (المستوى الصوتي)، وما تبعه من تعريف بالمصطلح وآليات توليده في الفصل الأول، وتحليل لبعض المقابلات الصوتية وبيان عيوبها وأسباب تعددها في الفصل الثاني توصلنا إلى ما يلي:

أولاً: نتائج البحث:

يمكننا إيجاز ما توصل إليه البحث من نتائج في النقاط التالية:

- مشكلة التعدد المصطلحي ظاهرة عالمية تظهر في أي مجتمع متى توفرت الأسباب الداعية إلى ذلك، وليست خاصة باللغة العربية كما زعم البعض.
- المفهوم ليس مرادفاً للمصطلح بل هو سابق له.
- النحت آلية من آليات التوليد المصطلحي، غير أن البعض لا يحبذه لأنه يُنتج مصطلحات لا تتناسب مع الذوق السليم.
- لحظ البحث من خلال جدول المقابلات: اشتغالها على عدة عيوب مصطلحية كالترادف، والتركيب المعقد، والخلط بين العربي والدخيل في التركيب الواحد. واستخدام الدخيل على الرغم من القدرة على توليد المقابل بآليات من داخل اللغة، والتذبذب المصطلحي، وغياب المقابل بالرغم من وجوده في معاجم أخرى.

- من أكثر الطرق التي تؤدي إلى تعدد المصطلح واختلافه هي الترجمة؛ لاختلاف الأشخاص الذين يقومون بها كأن يكونوا من بلدان وثقافات ولغات متفرقة.
- أهمية القرار السياسي في العلم، لما يترتب عليه من توحيد للمصطلح وتعميم تطبيقه في كل البلاد.

ثانيا: الحلول المقترحة:

- التعاون بين الأفراد والمتخصصين في علم المصطلح؛ للبعد عن الاختلاف وتعدد المصطلح.
- ضرورة وجود قرار سياسي لحفظ المصطلحات العلمية من التعددية والازدواجية كإقامة مؤسسات تربط بالمجامع اللغوية التي تشكل بداخلها لجان متخصصة بهذا الأمر.
- الحاجة إلى بنك مصطلحي في كل الدول تجمع فيه المصطلحات وتقسم على حسب المجال وتحدث كلما احتاج الأمر إلى ذلك.
- ضرورة اتباع خطوات اختبار المصطلح التي قام بوضعها مكتب تنسيق التعريب بالرباط، باعتباره يمثل مركزا لتوحيد المصطلح في الوطن العربي.
- وضع خطة واحدة تلتزم من قبل القائمين على التعريب.
- استغلال وسائل الإعلام في نشر الوعي بعلم المصطلح وأهمية توحيد.
- الاهتمام بأن تكون المصطلحات موافقة للغة العربية وهذا عمل المتخصصين بها.
- إقامة ملتقيات وندوات دورية دولية لمناقشة مشكلة التعددية وسبل توحيدها، كالندوة التي أقيمت في تونس سنة ١٩٧٨م بعنوان: «الألسنية واللغة العربية» والتي توحد بفضلها مصطلح اللسانيات

الهوامش:

- (١) انظر: المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، (الدار العربية للكتب، تونس، ١٩٨٤م) ص ٥٥.
- (٢) حجازي، محمود فهم، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (دار غريب، القاهرة، ط ١٩٩٥م)، ص: ٢٢٨.
- (٣) الحبادرة، مصطفى، طاهر، اشكالات الترجمة في بناء المصطلح اللساني العربي، (مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٢، ٢٠١٦م)، ص ١١٥٠، بتصرف.
- (٤) الفرهادي، خليل بن أحمد، كتاب العيز، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).
- (٥) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، (دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٤٠٧هـ)، مادة: [ص.ل.ح].
- (٦) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مكتبة الشريعة الدولية، ط ٤، مصر، ٢٠٠٥م)، مادة: [ص.ل.ح].
- (٧) الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتاب العربي، ط ٤، بيروت، ١٩٩٨م)، ص: ٤٤.
- (٨) التيهانوي، كشف اصطلاحات العلوم والفنون، تحقيق: د. علي دحروج، (مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م)، ص ٢٧/١.
- (٩) حجازي، محمود فهم، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص: ١١-١٢.
- (١٠) انظر: خليل، كتاب العيز، مادة: [ف. هـ. م].
- (١١) ابن منظور، لسان العرب، (دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ)، مادة: [ف. هـ. م].
- (١٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. نواف الجراح، (دار صادر، ط ١، بيروت: ٢٠١١م)، مادة: [ف. هـ. م].

- ^{١٣} الكفوى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (مؤسسة الرسالة، بيروت)، ج ١/ ٨٦٠.
- ^{١٤} زكريا، محد وفضيلة، حناش، بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية، وزارة التربية، الجزائر، ٢٠٠٨م)، ص ١٧.
- ^{١٥} السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ج ١/ ٢٧٥.
- ^{١٦} انظر: عمر، أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، مادة [ف. ج. ر].
- ^{١٧} ابن جني، الخصائص، تحقيق: الشربيني شريدة، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) ج ٢/ ١٣٦.
- ^{١٨} لمزيد من التفصيل حول رأي العلماء الآخرين في أنواع الاشتقاق، انظر: حماد، محمد أحمد، الثروة اللفظية في اللغة العربية (دار النشر الدولي، ط ١، الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) الحاشية: ص ٢٣٠.
- ^{١٩} يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، (دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٨٦م)، ص ٢٠٩.
- ^{٢٠} حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص ٧٥.
- ^{٢١} الخولي، محمد، معجم علم الأصوات، (مطابع الفرزدق التجارية، ط ١، ١٤٠٢ - ١٩٨٢) حرف الباء والقاف ص ٣٣-١٣٣.
- ^{٢٢} الخوري، شحادة، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، (دار طلاس، ط ٢، دمشق، ١٩٩٢)، ص ١٧٤.
- ^{٢٣} عبد العزيز، حسن، المصطلحات اللغوية، تمام حسان رائدا لغويا، عبد الرحمن حسن العارف، (عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢) ص ٣٠١.
- ^{٢٤} انظر: الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، (دارالشرق العربي، ط ٤، بيروت) ص ٣٢٩.
- ^{٢٥} أحمد، محمد أحمد، الثروة اللفظية في اللغة العربية، ص ٣٠٣ - ٣٠٦.
- ^{٢٦} انظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، (مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٦، القاهرة، ١٩٧٨م) ص ١٢٥.
- ^{٢٧} انظر: باسل، جل محمد، المغرب والدخيل في اللغة العربية، (الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان، ٢٠٠٢م) ص ١٧ - ١٩، وانظر: عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، (مكتبة الخانجي، ط ٦، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص ٣١٤.
- ^{٢٨} انظر: عبد المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، (الدار العربية للكتب، تونس، ١٩٨٤) ص ٥٥، وانظر: عبد العزيز، واضح المصطلح العربي مشاكل وحلول، محاضرة ضمن الملتقى الوطني حول المصطلح والمصطلحية، ج ٢، (جامعة مولود معمري، تيزي- وزو، ٢٠١٤م) ص ٤١٧.
- ^{٢٩} عبد العزيز، واضح، المصطلح العربي مشاكل وحلول، ص ٤١٦.
- ^{٣٠} انظر: المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، ص ٥٦.
- ^{٣١} عبد العزيز، واضح، المصطلح العربي مشاكل وحلول، ص ٤١٦.
- ^{٣٢} عبد العزيز، واضح، المصطلح العربي مشاكل وحلول، ص ٤١٧.
- ^{٣٣} انظر: المرجع نفسه، ص ٤١٧.
- ^{٣٤} انظر: المرجع نفسه، ص ٤١٦.
- ^{٣٥} وانظر: بلعقون، تهامي، المصطلح اللساني العربي إشكالات وحلول، محاضرة ضمن الملتقى الوطني حول المصطلح والمصطلحية، ج ٢، (جامعة مولود معمري، تيزي- وزو، ٢٠١٤م) ص ٤٧٤ - ٤٧٥.
- ^{٣٦} انظر: المرجع نفسه، ص: ٤٧٥.
- ^{٣٧} المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، ص ٥٦.

ملحق خاص بمفاهيم المصطلحات من (معجم المصطلحات الألسنية) لمبارك مبارك

الرقم	المصطلح:	المفهوم:
1	ABLAUT	هي العملية التي يتم فيها إبدال مصوت (حركة) في وسط الكلمة بمصوت آخر ، لتغيير معنى الكلمة مثل حسب حسب.
2	ACCENT	قوة التلفظ التي تعطي للحركة في كل مقطع من مقاطع الكلمة ، وتظهر فقط عند التلغظ بالحركة الطويلة (حرف المد) خاصة.
3	ACOUSTICS	علم يبحث في طبيعة أصوات الكلام ، من حيث حدوثها وانتقالها إلى الأذن والعوامل المؤثرة في ذلك ويستعين هذا العلم بطرائق ووسائل علم الأصوات.
4	ANTICIPATION	العملية التي يتم فيها تأثر صوت آخر يليه من حيث تهيوء أعضاء النطق لإخراج الصوت التالي حتى في أثناء نطق الصوت الأول ، مما يؤدي إلى هذا التوقع إلى تغيير في الصوت الأول نحو: ازتهر تصبح ازدهر ، وأصدق تصبح أزدق.
5	ALLPHONE	ويستعمل بمعنى متغير تركيبى للوحدة الصوتية ، فهو تغيير تلفظ حرف من الحروف بحسب وقوعه في الكلمات مثل حرف s في اللغة الفرنسية حيث يلفظ s أو z وفي العربية نجد حرف الجيم يلفظ ج كما يلفظ "دج" ويلفظ G كما في اللهجة المصرية.
6	APHERESE	وهي عملية إسقاط صوت أو أكثر من بداية الكلمة صامتا كان أو مصوتا أي كان هذا الصوت حرفا أو حركة ، كما نرى في اللغة المحكية مثل فعل الأمر من درس ، أدرس تصبح درس ، غريب مثل: غريب.
7	ARCHIPHONEME	هو الصوت المجرد الذي يتفرع إلى متغيرات لا تؤثر في المعنى ، مثل حرف الجيم الذي ينطق بطرق مختلفة في البلدان العربية.
8	ASSIBILATION	وهو عملية تحويل الصوت الانفجاري الاحتكاكي إلى صوت صفيري.
9	CLICHÉ	هو مجموعة كلمات أو تراكيب أو تعابير يعيده أحيانا كتاب آخرون فيعطي انطباعا بأنه مبتذل.
10	COALESCENCE	هو انصهار مصوتين أي حركتين أو انزلاق بينهما ليكونا حركة واحدة مثل الانزلاق بين الضمة والفتحة حيث يولد الواو حرف العلة ، أو بين الكسرة والفتحة فيولدان الياء حرف العلة.
11	DISSIMILATION	أن يتغير صوت ليخالف صوتا آخر مجاورا له.
12	ELISION	أن نحذف صوتا ما من كلمة وذلك لتسهيل نطق هذه الحركة أو لتحسين جرسها ، أو لحذف حرف وسط الكلام لتسهيل النطق.
13	EMPHASE	أن نكرر كلمة في سياق لغرض بلاغي أو لبيان أهميتها أو لتوكيد معنى الجملة كما يتم ذلك بواسطة رفع الصوت في نطق هذه الكلمة.
14	FLEXION*	تحويل صيغة الكلمة إلى صيغة أخرى مثلا: ناجحون من ناجح ، وهو ما يميزه عن الاشتقاق ، وهو توليد كلمة من أخرى مثلا: ناجح من نجح.
15	FEEDBACK	وهو ما يدل رد فعل المستعمل للمتكلم من انفعالات وملاحظات وإشارات وتعليقات.
16	FLAB	هو الصوت الانفجاري الذي ينطق بسرعة أو هو الصوت الذي ينشأ عن حركة سريعة جدا.
17	GRAVE	صيغة للصوت الذي ينخفض مع اللسان في التجويف الفمي ، وكذلك يسمى الصوت المنسحق.
18	GLIDE	هو الصوت الذي يتكون عن حركة الانتقال بطريقة طبيعية من موضع صوت إلى موضع صوت آخر يليه ، إنه صوت لا يمكن تجنبه وليست له دلالة لغوية. فهو يتكون بالانتقال المباشر دون وقف أو سكتة في الكلمة الواحدة من صوت إلى صوت آخر مختلف عنه.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - اشكالية تعدد المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي الواحد
في القواميس اللسانية المختصة (المستوى الصوتي أنموذجا) أفنان السلوم وديمة العتيبي

19	HAPLOLOGY	أن نسقط أو نحذف صوتاً واحداً من صوتين متتالين متشابهين، أو نحذف صوتاً من كلمة ما ليسهل نطقها مثل "لاسيما" تصبح "سيما".
20	HARMONY	توافق صفات الألفاظ من حيث النبرات والنغمات والأصوات بحيث يكون ذا وقع حسن في نفس السامع.
21	IDIOPHONE	صوت يستعمل في لهجة بعينها.
22	INSPIRATION	وهو إدخال الهواء إلى الرئتين أثناء عملية التنفس، فالفعل الكلامي يبدأ بالشهيق الذي يحدث استعداداً للكلام.
23	ISOPHONE	خط لهجي أو لغوي يبين على الأطلس اللهجي أو اللغوي، حدود المنطقة التي يظهر فيها معلم صوتي ما.
24	JUNCTURE	وهي الوقفة التي تحصل بين صوت وآخر كما بين كلمة وأخرى.
25	KYMOGRAPH	وهو جهاز يحول حركات الموجات الصوتية إلى حركات رأس ريشة تتحرك راسمة الموجات على شريط من الورق ويستعمل هذا الجهاز لدراسة السمات الفيزيائية للأصوات اللغوية.
26	MELODIE*	النمط الذي يتخذ الكلام في صعود النغم وهبوطه للتفرقة بين الأنواع المختلفة للتركيب مثلاً، كما يحصل في استخدام النغم الهابط في التقرير، والنغم الصاعد في الاستفهام وتختلف اللغات في أنماط تنغيمها، كما أن في بعض اللغات أنماطاً تنغيمية خاصة بالذكر والإناث والأعمار والمستويات الاجتماعية المختلفة.
27	MONOPHONE	صوت برأسه، أي صوت واحد لا يخالطه غيره.
28	MORPHEME	وهي أصغر وحدة صوتية لغوية مجردة ذات معنى وهي جزء من كلمة أو من تركيب تبين الوظيفة النحوية في الجملة.
29	MORPHOPHNEME	هي الوحدة الصوتية التي تتبادل مع سواها في مواقع مماثلة من البدائل الصرفية للمورفيم الواحد.
30	MULTILINGUE*	صفة لما يستخدم فيه أكثر من لغتين اثنتين، كالمعجم أو المجتمع اللغوي... إلخ.
31	NARROW TRANSCRIPTION*	أحد نوعي الكتابة الأصواتية، لا يكتفى فيه بتمثيل المعالم الصوتية البارزة بل تتعدى إلى سائر التفاصيل كالهائية والتأنيف والتشفيه والجهر والنبر... إلخ.
32	OBSTRUENT	تطلق هذه الصفة على الحروف الانفجارية أو المزجية أو الاحتكاكية..
33	OCCLUSIVE	صفة للصوت الذي ينحبس معه تيار النفس ثم ينطلق بشكل انفجار خفيف كما يتم في نطق الباء، الكاف، الدال، الثاء، والقاف..
34	ONSET	وهو عملية تحرك أعضاء النطق من موضعها العادي إلى مواقع جديدة استعداداً لنطق صوت كلامي.
35	ORDER	وهو ترتيب أو نظام أو موقع الحروف حسب مخارجها، والكلمات حسب وظيفتها في السياق.
36	ORAL	هي صفة كل صوت ليس كتابياً.
37	PHONATION	هي تسمية تطلق على ذبذبة الأوتار الصوتية المصاحبة للصوت مما ينتج عنه الجهر.
38	PHONE	صوت يصدر عن جهاز النطق الإنساني يختلف عن سائر الأصوات التي تحدث عن أسباب أو أدوات أخرى: كفرع جسم بجسم آخر أو احتكاكه بآخر أو نفخ في جسم خاص.
39	PHONEMATIQUE	فرع من علم اللغة يدرس الفروق الوظيفية بين الأصوات، أي يدرس فونيمات اللغة بعد كشفها ويحدد ألوفونات كل فونيم وتوزيع كل ألفون.
40	PHONEME	يقصد بها الصور المختلفة لصوت (حرف) واحد، في عك، ومك، وكذلك الضمة في كعب وقم، والكسرة في كعب وطر.
41	PHONICS	هي تسمية تطلق على ذبذبة الأوتار الصوتية المصاحبة للصوت مما ينتج عنه الجهر. نفس PHONATION

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - اشكالية تعدد المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي الواحد في القواميس اللسانية المختصة (المستوى الصوتي أنموذجا) أفنان السلوم وديمة العتيبي

شخص مختص بعلم وظائف الأصوات، أو الفونولوجيا.	PHONOLOGIST*	42
أن يؤثر صوت ما في آخر قبله في عملياته المماثلة.	REGRESSIVE	43
هو الجسم أو التجويف الذي يتجاوب مع اهتزاز جسم آخر فيعطي رنيناً أو تضخيماً للصوت.	RESONATOR	44
وهو صوت يرتد في نطقه رأس أو ذولق اللسان إلى الخلف.	RETROFLEX	45
صوت له وظيفة الصامت وقد يقع في هامش المقطع ولكنه خلو من الخصائص الصوتية المرافقة للصوامت كالاختكاك والإغلاق؛ ومن أشبه الصوامت.	SONANT*	46
صوت أو صفة لصوت ينطق بتقارب ناطقين اثنين تقارباً يجعل الهواء المر بينهما ذا احتكاك مسموع؛ وهذا التقارب هو ما يميزه عن الصوت الانفجاري الذي يصاحبه إغلاق تام لمجرى الصوت. وتنقسم الأصوات الاحتكاكية إلى أصوات احتكاكية أفقية وهي التي يكون فيها انفتاح الفم واسعاً أفقياً وضيقاً رأسياً، وأصوات احتكاكية تجويفية وهي التي يصاحبها تجويف في اللسان، كما تنقسم الأصوات الاحتكاكية باعتبار مخرجها، فيقال إن الصوت احتكاكي شفطاني، وهكذا.	SPIRANT*	46
صفة لصوت يتصف بالضجيج وليس له أشكال منتظمة من الموجات، مثل الأصوات الأسنان الشفوية، مثل الفاء والسين والزاي.	STRIDENT	47
صفة للصوت تميزه عن آخر حتى ولو كان يماثله في العلو والنغم؛ فهو الأثر السمعي الذي ينتج عن عدد الموجات البسيطة التي تكون الموجة المركبة التي تحمل الصوت إلى الأذن، وهذه الموجة هي التي تميز صوتاً عن آخر.	TIMBRE	48
صفة للصوت الذي يقارب معه مؤخر اللسان الطبق أو يلامس اللهاة.	VELAR	49
وهي الصفة التي تطلق على الصوت الذي يصاحبه الإطباق.	VELARIZED	50

هذا الرمز (*) المستخدم في الجدول السابق يعني أن هذا المصطلح أو مفهومه غير موجود في معجم الألسنية، وتم استخراجه من معجم المصطلحات اللغوية لرمزي بعلبكي.

آراء النحاة وبعض اللغويين في قراءة الكسائي

إخلاص حسين محمد حامد

مقدمة:

اتجه علماء النحو إلى القرآن بقراءاته المختلفة التي تمثل المعجزة الكبرى للغة العربية والمصدر الرئيسي لها. وكانوا من قبل قد جمعوا قواعدهم من اللسان العربي أي من كلام العرب شعرا ونثرا، فكان نتيجة ذلك كثرة الآراء والمواقف منها بخاصة تلك التي تخالف قواعدهم. وأهدف من هذه الدراسة أن أثبت وأوضح آراء النحاة في قراءة الكسائي؛ أولئك الذين أنكروها، والذين أيدها وأقروها، وكذلك الذين أولوها، وأعرض كذلك كل من وافق القراءة واحتج لها. كما تهدف الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

١- من هو الكسائي؟ وما قراءته؟ ومن رواته الذين رروا عنه؟

٢- من هم أسانذته وتلاميذه؟

وتناولت فقط القراءة التي انفرد بها الكسائي وكان تناولي لآراء العلماء حسب تاريخ وفياتهم. وقد حاولت في هذا البحث أن أقصر الدراسة على فرش^(١) الحروف دون التعرض للأصول^(٢) العامة. والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو كثرة الجدل و الطعن في قراءة أستاذه الذي أخذ عنه القراءة وهو حمزة بن حبيب الزيات^(٣). وطبيعة البحث ألزمتني أن أتبع المنهج الاستقرائي التتبعي لما فيه من تتبع واستقراء لآراء النحاة. وحدود البحث تشمل الربع الأول من القرآن الكريم وأقوم في كل آية يرد فيها قراءة للكسائي بذكر الآية أولا التي فيها القراءة ثم أوضح القراءة في الآية، وأقوم بتوثيق القراءة ثم أورد آراء العلماء فيها. وقد استعنت في هذه الدراسة ببعض المصادر والمراجع للذين ألفوا في الاحتجاج للقراءات خاصة أولئك الذين ألفوا في القرون الأربعة الأولى، ودراسة أخرى بعنوان (موقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري لشعبان صلاح) وهذه الدراسة جمعت كل القراءات التي أشكلت على النحاة ووضحت مواقف النحاة من هذه القراءات، أما الدراسة التي بين يديك فخاصة بالكسائي فقط، وتناولت كل قراءة الكسائي المشكلة وغيرها بالدراسة، وعلى هذه الكتب كان اعتمادادي الأساسي وغيرها من كتب التفسير في إبراز آراء هؤلاء النحاة واللغويين من

(١) فرش: مصدر فرش إذا نشر وبسط، فالفرش معناه النشر والبسط، يقال فرش الحروف ن الحروف: جمع حرف والحرف القراءة، يقال: حرف نافع، حرف حمزة أي قراءته، وسمي الكلام على كل حرف ف في موقعه من الحروف المختلفة فيها بين القراء فرشاً لانتشار هذه الحروف في مواضعها من سور القرآن وكأنما انفرشت في السور بخلاف الأصول، انظر الحفيان، أحمد عبد السميع محمود الشافعي، الإجابات الواضحات لسؤالات القراءات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١٢٦.

(٢) قيل في الأصول أن كلم الواحد منها ينسحب على الجميع، المصدر السابق.

(٣) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، الفهرست، ط ٣، تحقيق: رضا مجددي بن علي بن زين العابدين بن الجابري، دار المسرة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٢، وانظر الحافظ الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٧٤.

القراءات وأبرزت مواقف غيرهم من رؤيتهم لكيفية تعاملهم مع الآيات التي أوردوها في كتبهم، أو ما تتأثر لهم من آراء في الكتب التي تهتم بتجميع آراء النحاة، وجاء البحث في ثلاثة فصول:
الفصل الأول: سيرة الكسائي، أما الفصل الثاني: فكان لقراءته، ورواته، وتلاميذه، وأساتذته، أما الثالث: فعرضت فيه آراء النحاة واللغويين في قراءة الكسائي. وزيلت البحث بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

الفصل الأول: سيرة الكسائي:

(أ) اسمه، مولده، مكانته وآراء العلماء فيه، وفاته، مؤلفاته:

- اسمه: هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز^(١) وهو مولى بني أسد النحوي^(٢). وقيل إن أصله فارسي^(٣)، ولم يبق بالكوفة، وكان ينتقل في البلاد.
- مولده: ذكر الذهبي أنه ولد في حدود سنة عشرين ومائة^(٤)، وحدد صاحب الموسوعة العلمية والأدبية أنه ولد في عام ١١٩ هـ^(٥).
- مكانته وآراء العلماء فيه:

أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين، وهو من أهل الكوفة، استوطن بغداد وروى الحديث^(٦)، وذكر الذهبي أنه من علماء الطبقة الرابعة^(٧)، وذكر د. عبد العال سالم مكرم في كتابه: "كان إذا قرأ أو تكلم كأن ملكا ينطق على فيه، وكان يجلس على منبر الكوفة، ويقرأ، فتضبط المصاحف بقراءته وتأخذ الألفاظ منه"^(٨). سمي بالكسائي، وأختلف في سبب هذه التسمية على عدة أقوال منها: قيل لأنه أحرم في كساء وذلك لأنه قيل للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأنني أحرمت في كساء^(٩)، وقيل لأنه من قرية باكساي^(١٠)، وقيل لأنه في حديثه يبيع الأكسية^(١١).

(١) معجم الأدباء، ج ١٣، ص ١٦٧، اليماني، عبد الباقي عبد المجيد اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ط ١، تحقيق عبد المجيد دياب، ط ١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ١٩٨٦م، ص ٩٧، انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة، دون ط، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٢، ص ١٦٣.

(٢) انظر معجم الأدباء، ج ١٣، ص ١٦٧، الذهبي، الأمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ط ١، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف شعيب الأرنؤوط، صلح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ج ١، ص ١٢٠، العبر في خير من غير، ج ١، ص ٢٣٤، ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ط ٢، دار الكتب العلمية بيروت، عنى بنشره، ج، برجستراسر، ١٩٨٠، ص ٥٣٥.

(٣) الدار قطني: الموسوعة العلمية والأدبية من مقتطفات الأنصاري، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دون ط، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ج ١، ص ٢١٧.

(٤) معرفة القراء الكبار، المجلد الأول، ص ١٢٠.

(٥) الدار قطني: الموسوعة العلمية والأدبية، ص ٢١٧.

(٦) انظر جل كتب التراجم السابقة.

(٧) معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٠٠.

(٨) عبد العال سالم مكرم: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، ص ٥٦.

(٩) الإقناع بن الباذش، ج ١، ص ١٣٨.

(١٠) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص ٢١٧، نزهة الألباء، ص ٦٩.

(١١) ابن الجزري، الحافظ [أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي]: النشر في القراءات العشر، دون ط، أشرف على تصحيحه ومراجعته على محمد الضباع، دار الفكر، دون تاريخ، ج ١، ص ١٧٢.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عنه: كان الكسائي إمام الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بالقرآن^(١)، وكان الكسائي مؤدبا لولد الرشيد فقال: كنت اختلف إليهما في الأسبوع طرفي نهار^(٢). قال عنه أبو بكر الأنباري^(٣): "اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب وكان أوجد الناس في القرآن فكانوا يكثررون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع أو المبادئ". وقال: يحيى بن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي. وقال الإمام الشافعي رحمه الله، من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي^(٤). وقيل إن الكسائي كان يلحن في كلامه؛ ذكر الذهبي أنه اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد، فحضرت صلاة فقدموا الكسائي يصلى فأرتج عليه، قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}^(٥)، قال اليزيدي: قراءة (قل يا أيها) ترتج على قارئ الكوفة؟ قال: فحضرت صلاة، فقدموا اليزيدي، فارتج عليه في الحمد، فلما سلم قلت:

أحفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق^(٦)

وكذلك روى عن الكسائي أنه قال: صليت بهارون الرشيد، وأعجبتني قراءتي فأخطأت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول {لعلهم يرجعون} فقلت (لعلهم يرجعين)، فوالله ما اجتراً هارون أن يقول: أخطأت، ولكنه لما سلم، قال أي لغة هذه؟ قلت يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، قال: أما هذه فنعم^(٧)، وروى عنه أنه قال: ربما سبقني لساني باللحن، فلا يمكنني أن أردّه، أو كلاما نحو هذا^(٨).

الروايات السابقة تشير إلى أنه كان يلحن في كلامه، لذا كان عليه لزاما أن يبحث عن علم يقوم به لسانه وهذا يؤيده ما ذكره الفراء حين قال: إنما تعلم الكسائي النحو على كبر، وسببه أنه جاء يوما إلى قوم، وقد مشى حتى أعيا فقال لهم: قد عييت فقالوا له أتجالسنا وأنت تلحن؟ فقال كيف لحننت؟ قالوا: إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت (مخففا) وإن كنت أردت من التعب فقل: أعييت، فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فورهِ ذلك فسأل من يعلم النحو؟ فأرشدوه إلى معاذ الهراء^(٩) فلزمه حتى أنفذ ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ قال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ...^(١٠). وعن الأصمعي قال: كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب

(١) النشر، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) الأبيات للكسائي، انظر معجم الأدياء، ج ١٣، ص ١٧٢-١٧٣، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٣.

(٣) هو كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري النحوي، ولد سنة ٥١٣ هـ توفي ٥٧٧ هـ، انظر أنباء الرواة، ج ٢، ص ١٦٩، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٩.

(٤) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ص ٥٣٨، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٣.

(٥) سورة الكافرون: الآية ١.

(٦) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٧) الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٤، ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ٧١-٧٢.

(٨) المصدر نفسه، وانظر البداية والنهاية لابن كثير، ج ١، ص ٢٠٢.

(٩) هو من أهل الكوفة وعرف بالهراء لبيعته الثياب الهروبة ت ١٨٧ هـ، أنباء الرواة، ج ٣، ص ٢٨٨.

(١٠) الخطيب البغدادي الحافظ أبي بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج ١١، ص ٤٠٤.

الخطيمة^(١) ينزلون بقطر بل^(٢) وغيرها من قرى سواد بغداد^(٣). وأورد السيوطي قول ابن درستويه عنه: كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه فأفسد بذلك النحو^(٤)، ذكر ذلك أبو محمد البيهقي بقوله:

أفسد النحو الكسائي وثنى ابن غزاله
وأرى الأحمر تيساً فاعلفوا التيس النخالة^(٥)

وينفي هذا الاتهام عن نفسه قائلاً:

أيها الطالب علماً نافعا أطلب النحو ودع عنك الطمع
إنما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع
إذا ما أبصر النحو فتى مر في المنطق مرا فاتسع^(٦)

وفاته: اختلف في تاريخ وفاته، قال أبو عمر الدوري^(٧): توفي الكسائي بالري بقرية أرنوبويه^(٨) سنة تسع وثمانين ومائة، وقيل سنة إحدى وثمانين وقيل سنة اثنين وثمانين وقيل سنة ثلاثة وثمانين سنة ثلاثة وتسعين ومائة^(٩) وذكر البخاري أنه توفي في سنة أحد وثمانين^(١٠).
وخلف كتباً منها :

كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب العدد، كتاب النوادر الكبير، كتاب النادر الصغير، كتاب النوادر الأوسط، كتاب في النحو، كتاب العدد واختلافهم فيه، كتاب الهجاء، كتاب مقطوع القرآن موصولة، كتاب المصادر، كتاب الحرف، كتاب الهاءات وكتاب أشعار^(١١).

الفصل الثاني: قراءته وأساتذته وتلاميذه

أ- قراءة الكسائي:

قد قرأ الكسائي على حمزة بن حبيب الزيات وأقرأ بقراءته بغداد، ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ بها الناس^(١٢). يقول ابن الجزري: "فأختار من قراءة حمزة قراءة غيره من الشيوخ قراءة متوسطة

(١) الخطيمة : قرية على فرسخ من بغداد من الجانب الشرقي منسوبة إلى السري بن الحطم، أحد القواد، معجم البلدان، ياقوت.

(٢) قطر بل: قرية بين بغداد وعكبرا، معجم البلدان.

(٣) انظر معجم الأدباء ياقوت، ج ١١، ص ١٨١، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٦، غاية النهاية، ص ٥٣٩، بغية الوعاة، السيوطي، ج ٢، ص ١٦٣، ابن الأثيري نزهة الألباء، ص ٦٨.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٦٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٨، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ١٦٧، غاية النهاية، ص ٥٣٩.

(٧) هو أحد رواة الكسائي.

(٨) انظر معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٣.

(٩) ارجع معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٨، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ١٦٧، غاية النهاية، ص ٥٣٩.

(١٠) ابن مجاهد، السبعة، ص ٧٨.

(١١) ذكرها السيوطي في البغية، ج ٢، ص ١٦٣، وياقوت في معجمه، ج ١٣، ص ١٦٩، الذهبي في معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٦، الفهرست لابن النديم، د. شعبان خليفة، وليد محمود العوزة، العربي، ١٩٩١، م: ١، ص ١١: ١٨.

(١٢) نزهة الألباء، ص ٦٨.

غير خارجه عن آثار من تقدم من الأئمة^(١)، وبلغ الكسائي في اختياره للقراءات بتحري السند والأثر ويختار من حملة قراءاته ما يتفق مع فهمه وتفسيره للآية موضع التخيير، فقد قال في قوله تعالى: {أنا خير من هذا الذي هو مهين} أنه بلغة بعض القراء قرأ (أنا خير) فقال: لو حفظت الأثر فيه لقرأت به^(٢).

وقد ذكر الكسائي أسباب تركه لقراءة حمزة واختياره القراءة، أنه كان في رحلة مع الرشيد إلى مكة لأداء الحج، فتقدم ليؤم الناس بالصلاة فقرأ عليهم {ذرية ضعافا خافوا عليهم} فأمال (ضعافا) فلما سلم ضربه المصلون بالنعال حتى غشي عليه ولم ينقذه إلا قدوم الرشيد، ومن ذلك ترك كثيرا من قراءة حمزة. هذا ما ذكره ياقوت الحموي في كتابه^(٣). و ذكر ابن الجزري أنه قد انتشرت قراءة الكسائي وكثر تلاميذه الذين حملوها عنه، وقرأ عليه خلق كثير ببغداد وغيرها من البلاد^(٤).

ب- راويا الكسائي:

— أبو الحارث: اسمه: الليث بن خالد البغدادي^(٥)، وقيل الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي، ثقة، معروف، صادق، ضابط. عرض القراءة على الكسائي، وهو من أجل أصحابه، مات سنة أربعين ومائتين^(٦).

— حفص الدوري: اسمه: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان بن عدي بن صبهان، ويقال صهيب، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة، ثبت كبير، ضابط، أول من جمع القراءات ونسبته إلى الدور وهي موضع ببغداد^(٧)، ولد سنة بضع وخمسين ومائة^(٨) وصنف تصانيف، وهو القائل أدركت حياة نافع، ولو كان عندي شيء لرحلت إليه^(٩).

ت- أساتذته وتلاميذه:

_ أساتذته:

من أساتذة الكسائي الذين نهل على أيديهم من بحور العلم حتى فاض ليروي كل ظمآن في كثير من المجالات:

١. حمزة بن حبيب بن إسماعيل الكوفي
٢. سليمان بن مهران الأعمش وهو من أساتذة حمزة^(١٠).

(١) غاية النهاية، ج ١، ص ٥٣٨.

(٢) معاني القرآن، الفراء، ج ٣، ص ١٧١.

(٣) معجم الأدباء، ج ١٣، ص ١٧٤.

(٤) غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦.

(٥) المذهب في القراءات العشر وتوجيهها، ج ١، ص ١٢.

(٦) انظر غاية النهاية، ج ٢، ص ٣٤، الإقناع، ج ١، ص ١٤٠.

(٧) الطبراني، أبو السعد زين الدين منصور بن أبي النصر محمد الطبراني: الشمعة المضيئة لنشر القراءات السبعة المرية، ط ١،

تح د. علي سيد أحمد جعفر، مكتبة الرشيد، ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

(٨) سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٥٤١: ٥٤٣.

(٩) العبر في خبر من غير، وانظر الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غير، ط ١، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد بن السعيد

بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٣٥١.

(١٠) ابن الجزري: غاية النهاية، ج ١، ص ٢٦٢.

٣. أبان بن تغلب أبو سعد الربيعي الكوفي^(١).
 ٤. عيسى بن عمر الهمداني: (٢).
 ٥. عيينة بن أبي عمران ميمون الهاللي مولى امرأة من بني هلال بن عامر^(٣).
 ٦. أبو بكر بن عياش^(٤).
 ٧. معاذ بن مسلم الهراء: اسمه أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوي الكوفي^(٥).
 ٨. أبو جعفر الرواسي: اسمه أبو جعفر محمد بن أبي سارة^(٦).
 ٩. الخليل بن أحمد: اسمه أبو عبد الرحمن الخليل ابن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي، الأزدي^(٧).
 ١٠. عيسى بن عمر الثقفي: اسمه أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي النحوي^(٨).
 ١١. أبو عمر بن العلاء^(٩)، وذكر ابن خلكان أنه سئل عما وضعه اسماء عربية هل يدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقل كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب وهو حجة؟ قال: "أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات"^(١٠).
 ١٢. يونس بن حبيب: اسمه، أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب، مولى ضبه^(١١).
 ١٣. أبو الحسن الأخفش: اسمه أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي^(١٢).
- هذا عرض سريع للشيوخ الذين جلس إليهم الكسائي واكتملت على أيديهم شخصيته العلمية ونضجت.

— تلاميذه:

لقد نقلت كتب التراجم والتاريخ عددا كبيرا من هؤلاء التلاميذ الذين جلسوا إلى الكسائي وتعلموا عليه فتعدد تلاميذه بتعدد معارفه فمنهم من تتلمذ عليه في اللغة والنوادر، ومنهم في القراءات، ونعرض لهؤلاء التلاميذ بشيء من الإيجاز ولا ندعي الإحاطة بكل تلاميذه ولكن نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

(١) ابن الجذري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٤، وانظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٣٠٨.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٦١٣.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣.

(٤) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٣٢٦.

(٥) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٦) ابن الأنباري نزهة الألباء، ص ٥٤.

(٧) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٦.

(٨) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٩) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٣.

(١٠) انظر طبقات النحويين واللغويين، ص ٧٢ — ٧٤.

(١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٤٢.

(١٢) المصدر نفسه.

١. الفراء: اسمه أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي^(١). وذكر السيوطي أنه توفي سنة سبع ومائتين^(٢).
٢. هشام بن معاوية: اسمه، أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي^(٣).
٣. الأحمر: اختلف في اسمه فمنهم من قال علي بن المبارك^(٤)، وقيل علي بن الحسن^(٥).
٤. اللحياني: اسمه، أبو الحسن علي بن حازم اللحياني^(٦)، من بني لحيان بن هذيل بن مدركة^(٧).
٥. ابن الإعرابي: اسمه أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الإعرابي، مولى لبني هاشم^(٨).
٦. القاسم بن سلام: هو أبو عبيد القاسم بن سلام^(٩).

الفصل الثالث: آراء النحاة في قراءة الكسائي.

أ) سورة البقرة:

(١) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١٠). قرأ الكسائي (وهو) بإسكان الهاء مع التخفيف إذا كان قبلها (واو، فاء، ثم) ^(١١).

توثيق: نسبها إليه جلة من العلماء منهم ابن مجاهد، أبو زرعة^(١٢)، القرطبي^(١٣) وغيرهم.

آراء النحاة: تناول هذه القراءة عدد من العلماء وأفردوا الحديث عنها فمنهم من احتج لها كابن خالويه الذي قال: فالحجة لمن سکن: أنه لما اتصلت هذه الهاء بهذه الحروف وأسكنت تخفيفا كما أسكنت لام الأمر منه قوله تعالى {وَلْيَعْقُوا وَلْيَصْفَحُوا} ^(١٤)^(١٥). واحتج لها أيضا أبو زرعه بقولهم: وحجتهم أن الفاء مع (هي وهو) قد جعلت الكلمة بمنزلة (فخذ وفخذ) فاستقلوا الكسرة والضمة فحذفهما للتخفيف^(١٦). وأبو منصور يوجهها على أنها لغة انظر إليه يقول: هما لغتان معروفتان^(١٧) إذا اتصلت

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مطبعة السعادة، تحقيق محمد محي الدين، ج ٢، ص ٢١٧

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ص ٤١١.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٣٤.

(٤) السيوطي بغية الوعاة، ص ٤٠٩.

(٥) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ٩٧. والقفطي، أنباه الرواة، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٦) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٧٦.

(٧) السيوطي، بغية الوعاة، ص ٣٤٦.

(٨) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٥٠.

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢٦.

(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٩.

(١١) ابن مجاهد، السبعة، ص ١٥١.

(١٢) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٣.

(١٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٦١.

(١٤) سورة النور: الآية ٢٢.

(١٥) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ٧٣.

(١٦) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٣.

(١٧) أي الضم والسكون.

الهاء من (هُوَ)، (وهي) بواو أو فاء، أو لام، فإن كثيرا من العرب يسكن الهاء؛ لكثرة الحركات، ومنهم من يتركها على أصل حركتها، وكل جائز حسن، وقاس الكسائي على الباب {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} ^(١) (٢). ونجد أن المهدوي في كتابه جمع ولخص كل ما ذكر موضعا العلة لذلك، حيث نجده يقول: "وعلة من أسكن الهاء إذا كان قبلها واو أو فاء أو لام متصلة بها، أن هذه الحروف لما اتصلت بالكلمة، وكان كل واحد منها على حرف لا يمكن أن يسكت عليها، أشبهت ما هو من نفس الكلمة، فصار قولك (وهو) يشبه في اللفظ (عضدا وسبعا) وصار قولك: (وهي) يشبه في اللفظ (كتفا وفخذا)، والعرب تسكن وسط ذلك تخفيفا، فكذلك أسكنت الهاء من (هو وهي) تخفيفا إذا اتصل بها أحد هذه الحروف الثلاثة" ^(٣).

أما أبو البقاء العكبري يرى أن أصلها الضم فنجده يقول: يقرأ بإسكان الهاء وأصلها الضم؛ وإنما أسكنت لأنها صارت كعضد فخفت، وكذلك حالها مع الفاء واللام؛ نحو فهو، لهو ^(٤). وهذا ما ذهب إليه أبو حيان في بحره ^(٥).

ووجه هذه القراءة أبو مريم توجيهها آخر قائلاً: ووجه الإسكان أن هذه الضمائر لما كانت على حرف واحد، لزمها ما دخل عليها من الواو والفاء وما كان على حرف واحد، فصار معها كحروف أنفسها وجرى مجرى ما لم ينفصل عنها، فخفت الهاء لذلك مع هذه الحروف فقل: (وهو، فهو) كما قيل: سبع، و (فهي) و (لهي) كفخذ وكتف، وأجرى الكسائي عن نافع (ثم) مجرى الواو والفاء وما كان على حرف واحد، فخفف الهاء مع (ثم) كما يخفانها مع هذه الحروف، وجعل المنفصل بمنزلة المتصل لأن الواو والفاء واللام وإن جرت مجرى ما اتصل بالكلمة فإنها ليست من الكلمة فهي مثل ثم في ذلك ^(٦).

نلاحظ في هذه القراءة أن الكل قبلها إما بتأييدهم لها واحتجاجهم لها وإما بتوجيهها. ويمكن أن نلخص أقوالهم في أنهم عللوها بالتخفيف للأسباب التي ذكروها أو أنها لغة.

٢) قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ} ^(٧). قرأ الكسائي: (وصية لأزواجهم) رفعا.

(١) سورة القصص: الآية ٦١.

(٢) أبو منصور، القراءات وعلل النحويين فيها المسمى (علل القراءات)، ج ١، ص ٤٣.

(٣) المهدوي، الإمام أبي العباس أحمد بن عثمان: شرح الهداية في توجيه القراءات، ط ١، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، دار عمار، عمان، الأردن، ٢٠٠٦ م، ص ٣٦٣.

(٤) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٥.

(٥) انظر أبو حيان، البحر، ج ١، ص ١٣٦.

(٦) ابن أبي مريم، الإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي العيسوي الشعوي، ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح د. عمر حمدا الكبيسي، ط ٣، مكتبة التوعية الإسلامية التحقيق والبحث العلمي، مكة المكرمة، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٢٦٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.

توثيق : نسبت إليه في السبعة^(١)، والتيسير^(٢)، وغيرها.

آراء النحاة: احتج لها ابن خالويه في كتابه قائلاً: فالحجة لمن رفع: أي أراد فلتكن وصية، أو فأمرنا وصية، ودليله قراءة (عبد الله): (فالوصية لأزواجهم متاعاً)^(٣). أما أبو زرعة فيقول ومن رفع فالمعنى: (فعلهم وصيته لأزواجهم). وحجتهم أن قراءة أبي: (الوصية لأزواجهم). قال نحويو البصرة: يجوز أن ترتفع من وجهين: أحدهما أن تجعل الوصية مبتدأ والظرف خبراً كما تقول: (سلام عليكم)، والآخر: أن تضمن له خبراً، المعنى: (فعلهم وصية لأزواجهم)^(٤).

وابن جرير الطبري يرى أن أهل العربية اختلفوا في رفع الوصية إلى قولين استمع إليه يقول: "... ثم اختلف أهل العربية في وجه رفع الوصية ؟ فقال بعضهم: رفعت، بمعنى: كتبت عليهم الوصية، وعلل بأنها كذلك في قراءة عبد الله. فتأويل الكلام ما قاله هذا القائل: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً كتبت عليهم وصية لأزواجهم، ثم ترك ذكر كتبت، ورفعت الوصية بذلك المعنى، وإن كان متروكاً ذكره. وقال آخرون: بل الوصية مرفوعة بقوله: (لأزواجهم)، فتأول لأزواجهم وصية^(٥). ونجده بعد أن سرد القولين يفضل القول الأول وعلل لذلك بأن العرب تضمن النكرات، والقول الأول أولى بالصواب في ذلك وهو أن تكون وصية رفعت مرفوعة بمعنى كتبت عليكم وصية لأزواجكم؛ لأن العرب تضمن النكرات مرفعها قبلها إذا أضمرت، فإذا أظهرت بدأت قبلها، فنقول جاءني رجل اليوم، وإذا قالوا رجل جاءني اليوم، لم يكادوا أن يقولوه إلا والرجل حاضر يشيرون إليه بهذا، أو غائب قد علم المخبر خبره، أو يحذف هذا وإضماره، وإن حذفه لمعرفة السامع بمعنى المتكلم، كما قال تعالى: {سورة أنزلناها} وقال: {براءة من الله ورسوله} فكذلك ذلك في قوله {وصية لأزواجهم}^(٦). ويختم ابن جرير الطبري قوله بأنه يفضل هذه القراءة لدلالة ظاهر القرآن على أن مقام المتوفى عنها زوجها في بيت زوجها المتوفى حولا كاملاً، كان حقاً لها قبل نزول آية الميراث^(٧). واحتج لها أيضاً أبو علي الفارسي وأتى لها بالعلل والشواهد لاحتجاجه حيث نجده مفصلاً يقول: حجة من قال (وصية) فرفع، أنه يجوز أن يرتفع من وجهين: أحدهما: أنه تجعل الوصية مبتدأ والظرف خبره وحسن الابتداء بالنكرة، لأنه موضع تخفيض، كما حسن أن يرتفع: سلام عليك، فخير بين يديك، وقوله: لملتصم المعروف أهل ومرحب^(٨)؛ لأنها موضع دعاء، فجاز فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمعنى المنصوب والآخر: أن تضمن له خبراً، فيكون قوله: (لأزواجهم) صفة وتقدير الخبر المضمر وعليهم وصية لأزواجهم،

(١) ابن مجاهد، السبعة، ص ١٨٤.

(٢) الداني التيسير، ص ٨٢.

(٣) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ٩٨.

(٤) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٣٨.

(٥) الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٥٧٨.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) استشهد به أبو علي الفارسي ولم ينسبه، انظر أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٤١ — ٢٤٢.

ولو حمل حامل قوله تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} ^(١) هذا لأنه موضع يحض نفسه فيه على الصبر وجهاً ^(٢)... إلى أن يقول: ويؤكد قول من رفع أن نحوه قد جاء في التنزيل مرفوعاً نحو قوله تعالى: {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ} ^(٣) فقوله: (في الحج) متعلق بالمصدر وليس في موضع خبر، وقوله: {...فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة إيمانكم} ^(٤) وقوله: {...فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} ^(٥)، فهذا النحو قد جاء مرفوعاً على تقدير أخبار ^(٦). ووافق المهدي أبو علي في الوجه الثاني من قوله ^(٧).

أما الداني صاحب كتاب التيسير يرفع التاء على أنها خبر مبتدأ محذوف أي وأمرنا وصية أو فكن وصية ودليله قراءة عبد الله (وصية لأزواجهم متاعاً)، أو مبتدأ محذوف والتقدير: عليهم وصية ^(٨). وهذا ما سبقه إليه أبو علي ووافقه العكبري ^(٩). ويرى أبو حيان أنها خبر مبتدأ محذوف أي أن يكون التقدير عليهم وصية ينبغي أن يحصل هذا على المعنى فقط دون الإعراب لأنه يرى أن هذا الموضع ليس من المواضع التي يحذف فيها المبتدأ. وليس هناك ضرورة تدعو إلى الحذف ^(١٠). هذا ما ذهب أبو حيان بعد أن سرد أقوال النحاة ولخصها في قوله: وصية بالرفع على الابتداء، وهي نكرة موصوفة في المعنى، التقدير: وصية منهم أو من الله على اختلاف القولين في الوصية أهي على الإيجاب من الله أو على النذب للأزواج؟ وخبر هذا المبتدأ قوله (لأزواجهم) والجملة من وصية لأزواجهم في موضع الخبر عن الذين، وأجازوا أن يكون (وصية) مبتدأ، ولـ (لأزواجهم) صفة، والخبر محذوف تقديره فعليهم وصية لأزواجهم، وحكى عن بعض النحاة أن وصية مرفوع بفعل محذوف تقديره كتب عليهم وصية، وقيل كذلك هي في قراءة عبد الله وينبغي أن يجمل ذلك على أنه تفسير معنى لا تفسير إعراب إذ ليس هذا من المواضع التي يضمن فيها الفعل، وأجاز الزمخشري أن يكون التقدير: وصية الذين يتوفون، أو حكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم، فيكون ذلك مبتدأ على حذف مضاف، وأجاز أيضاً أن يكون التقدير والذين يتوفون أهل وصية، فجعل المحذوف من المخبر ولا ضرورة تدعو بنا إلى ادعاء هذا الحذف ^(١١).

ومما ذكر سابقاً نلاحظ أنه ليس من بين النحاة من أنكرها أو ردّها بل الكل أيدّها.

(١) سورة يوسف: الآية ٨٣.

(٢) أبو علي الفارسي، الحجة ج ٣، ص ٢٤١ — ٢٤٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٨٩.

(٥) سورة النساء: الآية ٥٢.

(٦) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ١، ص ٢٤٢ — وانظر الكتاب، ج ١، ص ١٨٩. مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٢٩٩، إعراب القرآن، النحاس، ج ١، ص ٢٧٤.

(٧) انظر المهدي، شرح الهداية، ص ٣٨٩.

(٨) انظر الداني، التيسير، ص ٨٢.

(٩) انظر العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ١٩٢.

(١٠) أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٢٥٤. الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ٣٧٦.

(١١) أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٢٥٤.

(ب) سورة آل عمران:

(١) قوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (١). قرأ الكسائي وحده بفتح الألف.
توثيق: نسبها إليه ابن مجاهد (٢)، وابن الباذش (٣)، وابن الجرزي (٤)، وابن خالويه (٥)، وأبو حيان (٦)
وغيرهم.

آراء النحاة: احتج لهذه القراءة ابن خالويه قائلاً: فالحجة لمن فتح: أنه أوقع الشهادة فجعلها بدلاً
من الأولى (٧). وهذا ما ذهب إليه أبو منصور في معانيه (٨).

وترى الباحثة أن وقوع الشهادة عليه تقتضي (أنّ) (أنّ الدين) بدل من (أنه لا إله إلا هو)
فموضع (أنّ) واسمها وخبرها) نصب لأن المصدر الذي وقعت بدلاً عنه منصوب على أنه مفعول
شهد، وأما الفراء فإنه يفضل خلاف هذه القراءة (٩).

وافق الفارسي ابن خالويه وأبو منصور في قوليهما وأضاف قائلاً: ومن فتح (أنّ) جعله بدلاً،
والبديل كان في تقدير جملتين، فإن العامل لما لم يظهر، أشبه الصفة. فإذا جعلته بدلاً جاز أن تبدله من
شيئين: أحدهما: من قوله: (أنه لا إله إلا هو) فكأن التقدير شهد الله أن الدين عنده الإسلام، فيكون البديل
من الضرب الذي شيء فيه هو هو. ألا ترى أن الدين الذي هو الإسلام يتضمن التوحيد والعدل، وإن
شئت جعلته من بدل الاشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل، وإن شئت جعلته من القسط لأن
الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل، فيكون من البديل الذي شيء فيه هو هو (١٠). عقب أبو حيان على
كلام الفارسي هذا بقوله: هو معتزلي فلذلك يشتمل كلامه على لفظ المعتزلة من التوحيد والعدل وعلى
البديل من أنه لا إله إلا هو، خرجته غيره أيضاً وليس بجيد؛ لأنه يؤدي إلى تركيب بعيد أن يأتي مثله
في كلام العرب وهو (عرف زيد أنه لا شجاع إلا هو)، وتقريب هذا المثال: ضرب زيد عائشة
والعمران خنقاً أختك، فحنقاً حال من زيد، وأختك بدل من عائشة، ففصل بين البديل والمبدل منه
بالعطف وهو لا يجوز بالحال لغير المبدل منه، وهو لا يجوز لأنه فصل بأجنبي بين المبدل منه
والبديل (١١).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٠٢.

(٣) ابن الباذش، الإقناع، ج ٢، ص ٦١٨.

(٤) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١٠٧.

(٥) ابن الجرزي، النشر: ج ٢، ص ٢٣٨.

(٦) أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٧) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١٠٧.

(٨) أبو منصور، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٤٥.

(٩) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٠٠.

(١٠) انظر أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٢-٢٣.

(١١) أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٤٢٥.

وذكر أبو حيان أيضا قول ابن عطية الذي ضعف تخريج هذه القراءة بقوله: قال ابن عطية: وهذا ضعيف ولم يبين وجه ضعفه؛ ووجه ضعفه إلى أنه متنافر التركيب مع إضمار حرف العطف فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية وبجملتي الاعتراض وصار في التركيب دون مراعاة الفصل نحو (أكل زيد خبزاً وعمرو سمكاً). وأصل التركيب (أكل زيد وعمرو خبزاً وسمكاً). فإن فصلنا بين قولك: (وعمرو) وبين قولك: (وسمكاً) يحصل تمنع التركيب وإضمار حرف العطف لا يجوز على الأصح^(١). وابن هشام يرى: أن حذف حرف العطف في الأصل من باب الضرورات^(٢). ومكي بن أبي طالب احتج لهذه القراءة ووجهها بقوله: (ووجه قراءة الكسائي أنه جعل الكلام متصلاً بما قبله، فأبدل (أن) مما قبلها، فيجوز أن يكون بدلاً من (أن) في قوله {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ} ^(٣). فتكون (أن) في موضع نصب، فالتقدير: شهد الله أن الدين عند الله، فهو بدل الشيء من الشيء، وهو هو لأن التوحيد والعدل هو الإسلام، وهو التوحيد والعدل. ويجوز أن يكون بدلاً من (أنه) على بدل الاشتمال، لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل والشرائع والسنن وغير ذلك، فيكون الثاني مشتملاً على الأول ويجوز أن تكون (أن) بدلاً من (القسط)، في موضع خفض على بدل الشيء من الشيء وهو هو، لأن (القسط) العدل والعدل هو الإسلام والإسلام هو العدل^(٤). وأضاف في مشكلة: وهو بمنزلة قولك: سلب زيد ثوبه^(٥).

ووافق الزمخشري مكي على أن الثاني بدل من الأول كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل والمبدل منه في المعنى، فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل^(٦). واتهمه بالعجمة في قوله: ويكون في الكلام اعتراضات: أحدهما بين المعطوف والحال وبين المفعول: شهد وهو لا إله إلا هو العزيز الحكيم وإذا أعربنا (العزيز) خبر مبتدأ محذوف كان ذلك ثلاثة اعتراضات فانظر إلى هذه التوجيهات البعيدة التي لا يقدر أحد على أن يأتي لها بنظير من كلام العرب، وإنما حمل على ذلك العجمة وعدم الإمعان في تراكب العرب وحفظ أشعارهما^(٧).

وأما أبو البقاء العكبري فإنه لخص أقوال العلماء قبله قائلاً: ويقرأ بالفتح على أن الجملة مصدر، وموضعه جر، بدلاً من أنه لا إله إلا هو؛ أي شهد الله بوحدانية بأن الدين وقيل: هو بدل من

(١) أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٢) ابن هشام الأنصاري: مغنى اللبيب، تح، د مازن مبارك، ومحمد علي حمدا لله، ط ٥، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ص ٨٣١.

(٣) آل عمران: الآية ١٨.

(٤) مكي بن أبي طالب، الكشف: ج ١، ص ٣٣٨.

(٥) مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ج ١، ص ١٥٢. وانظر المهدي المهدي، شرح الهداية، ص ٤٠٤.

(٦) الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ٤١٨.

(٧) أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٤٢٥.

القسط. وقيل: هو في موضع نصب بدلا من الموضع والبدل على الوجه كلها بدل الشيء وهو هو. ويجوز بدل الاشتغال^(١)، وهذا ما ذهب إليه ابن أبي مريم في كتابه^(٢)، والبنا الدمياطي في إتحافه^(٣).

٢ قوله تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ}^(٤)
قرأ الكسائي (يبشر) مخففة.

توثيق: نسبها إليه ابن مجاهد^(٥)، أبو زرعة^(٦)، ابن الجزري^(٧)، وغيرهم.

آراء النحاة: وجهها ابن خالويه على أنها لغة فصيحة والتخفيف حسن مستعمل^(٨) وذهب إلى هذا أيضا أبو زرعة في حجته^(٩). وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره بعد أن نسب القراءة إلى قراء الكوفة: بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها، بمعنى أن الله يبشرك بولد يهبه لك، من قول الشاعر:

وإذا رأيت الباهشين إلى العلا غبرا أكفهم بقاع محل
فأعنهم وابشر بما بشروا به وإذا هم نزلوا بضنك فانزل^(١٠)

ثم بعد ذلك قال: والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين بمعنى التبشر^(١١). وهو خلاف هذه القراءة أي بمعنى أنه يفضل غيرها عليها.

ويرى مكي بن أبي طالب أن: التخفيف لغة مشهورة^(١٢). وهذا ما سبقه إليه ابن خالويه. وقبلها أيضا العكبري حيث ذكر في كتابه: ويقرأ بفتح الياء وضم الشين مخففاً؛ وكسر الشين مخففاً أيضاً، يقال بشرته وبشرته وأبشرت، ومنه قوله: {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ}^(١٣). ويرى أبو حيان أنها لغة أيضاً وأتى لها بالشواهد الآتية: قال الشاعر:

بشرت عيالي إذا رأيت صحيفة أتتك من الحجاج يتلى كتابها^(١٤).
وقال آخر:

يا بشر حق بوجهك التبشير هلا غصبت لنا وأنت أمير^(١٥).

(١) انظر العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٤٨.

(٢) ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٣٦٤.

(٣) إتحاف فضلاء البشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧ م، ج ١، ص ٤٧٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٥) ابن مجاهد، ابن مجاهد، السبعة، ص ٢١٩.

(٦) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٣.

(٧) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٨) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١٠٩.

(٩) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٣.

(١٠) أورد هذين البيتين الفراء في معانيه.

(١١) الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٥١، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٧٥.

(١٢) مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٤٤.

(١٣) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٥٧. الآية من سورة فصلت: الآية ٣٠.

(١٤) البيت لا قائل له، انظر الطبري، ج ٦، ص ٣٦٨.

(١٥) البيت بلا نسبه، انظر: أبو حيان البحر، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٣) قوله تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} ^(١). قرأ الكسائي: (يأمركم) بالرفع.

توثيق: أسندها إليه: ابن الجزري ^(٢)، وأبو علي الفارسي ^(٣)، وابن خالويه ^(٤)، ومكي بن أبي طالب ^(٥)، والبنا الدمياطي ^(٦)، وغيرهم.

آراء النحاة: احتج لها ابن خالويه بقوله: فالحجة لمن رفع: أنه استأنف مبتدئاً لدليله: أنه في قراءة عبد الله: (ولن يأمركم). فلما فقد الناصب عاد إلى إعراب ما وجد له بالمضارعة ^(٧). وهذا ما ذهب إليه أبو منصور في كتابه ^(٨)، والعكبري ^(٩)، والدمياطي في إتحافه ^(١٠). ولا يخرج من أقوال هؤلاء أبو زرعة حيث قال: وقرأ بالرفع على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه: لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا من الملائكة والنبيين أرباباً ^(١١). وهذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي حين قال: ومما يقوي الرفع أنه في حرف ابن مسعود زعموا، (ولن يأمركم) فهذا يدل على الانقطاع من الأول ^(١٢). ويرى مكي بن أبي طالب أن حجة من رفع أنه قطعه مما قبله، ففيه ضمير اسم الله جل ذكره، والمعنى: أنه ابتداء الكلام فقال: ولا يأمركم الله أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، رداً لقولهم للنبي: أتريد أن نتخذك رباً. ويقوى الرفع على القطع أن في حرف عبد الله: (ولن يأمركم) فهذا يدل على الاستئناف. والضمير أيضاً لله جل ذكره في يأمركم ^(١٣). ويقول الفراء: إذا رفعت العين فأتبع الكلام العين وإن نصبته فجائز ^(١٤). أما الزمخشري فأيدها ولم يخرج عن أقوال من سبقوه وهو يقول: والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتتصرها قراءة عبد الله (ولن يأمركم)، والضمير في ولا يأمركم وأياًمركم لبشر، وقيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار ^(١٥).

(١) سورة آل عمران : الآيتان ٧٩ — ٨٠.

(٢) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٩.

(٣) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٦٢ : ١٦٣.

(٤) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١٩١.

(٥) مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٥٠—٣٥١.

(٦) البنا الدمياطي، الإتحاف، ص ١٧٧.

(٧) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١١١.

(٨) انظر أبو منصور، القراءات وعلل النحويين فيها، ج ١، ص ١٢١.

(٩) انظر التتبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٧٥.

(١٠) إتحاف فضلاء البشر، ج ١، ص ٤٨٣.

(١١) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٨.

(١٢) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٥٨.

(١٣) مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، ج ١، ص ٣٥١. وانظر الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ٥٠٣، والداني التيسير، ص ٧٤.

(١٤) الفراء، معاني الفران، ج ١، ص ٣١٠.

(١٥) انظر الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ٣١٠.

ووجهها أبو حيان بعد أن نسب القراءة إلى الحرميين: برفع الراء على القطع، والفاعل ضمير مستكن في يأمركم عائذ على الله قاله سيبويه والزجاج، والمعنى على هذه القراءة أنه لا يقع من بشر موصوف بما أوصف به أن يجعل نفسه ربا فيعبد، ولا هو أيضا يأمركم باتخاذ غيره من ملائكته وأنبياء أربابا فانتفى أن يدعو لنفسه ولغيره، وإن كان الضمير عائذا على الله فيكون إخبارا من الله أنه لم يأمر بذلك فانتفى أمر الله بذلك وأمر أنبيائه^(١).

ونلاحظ مما سبق من سرد لأقوال العلماء في هذه القراءة أنهم قبلوها ولم ينكرونها ولم أقف على أن هناك أحدا أنكرها أو ردها.

٤) قوله تعالى {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}^(٢). قرأ الكسائي وحده (وأن الله لا يضيع ...) مكسورة الألف.

توثيق: نسبت إليه في السبعة^(٣)، والإقناع^(٤)، والتيسير^(٥)، والنشر^(٦).

آراء النحاة: احتج لها ابن خالويه بقوله: والحجة لمن كسر: أنه جعلها مبتدأ ودليله قراءة عبد الله (والله لا يضيع) بغير (إن)^(٧). وهذا ما ذهب إليه أبو زرعة في حجة^(٨). والفراء في معانيه^(٩). وأبو منصور يرى أيضا أنها على الاستئناف^(١٠). ووافقه المهدوي^(١١). والطبري كعادته يفاضل بين القراءات فهو لم يفضلها^(١٢).

واكتفى أبو علي الفارسي بالمعنى حين قال: المعنى: يستبشرون، يتوفر ذلك عليهم، ووصوله إليهم، لأنه إذا لم يضعه، وصل إليهم ولم يبخسوه، ولم ينقصوه، فهذا ما يستبشر به، كما أن النعمة والفضل كذلك. ومن كسر فإلى ذا المعنى يؤول، لأنه إذا لم يضعه وصل إليهم فلم ينقصوه^(١٣). وهو يرى أن قراءة الفتح أشد إبانة من قراءة الكسر^(١٤)، أما الزمخشري فيرى أنه قد قرأ بالكسر على الابتداء، وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي، تعضدها قراءة عبد الله^(١٥). وعقب أبو حيان

(١) انظر أبو حيان، البحر، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧١.

(٣) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢١٩.

(٤) ابن الباذش، الإقناع، ج ٢، ص ٦٢٤.

(٥) الداني، التيسير، ص ٩١.

(٦) ابن الجزي، النشر، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٧) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١١٦.

(٨) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٨١.

(٩) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٤٧.

(١٠) أبو منصور، القراءات وعلل النحويين فيها، ج ١، ص ١٣١.

(١١) المهدوي، شرح الهداية، ص ٤٢٧.

(١٢) الطبري، جامع البيان، ج ٤، ص ١٧٥ — ١٧٦.

(١٣) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٩٨.

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) انظر الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٤٨٠.

على قول الزمخشري هذا بعد أن أورد في كتابه قائلاً: وليست الجملة هنا اعتراض لأنها لم تدخل بين شيئين أحدهما يتعلق بالآخر، وإنما جاءت لاستئناف أخبار^(١). ويرى البنا الدمياني بكسر الهمزة على الاستئناف^(٢).

وخلاصة ما يمكن الوصول إليه أنها على الاستئناف والله أعلم.

ج) سورة المائدة :

١) قوله تعالى {وَالْمُحْصَنَاتُ...} ^(٣) قرأ الكسائي وحده بفتح الصاد وسائر القرآن بكسر الصاد.

توثيق: أسندها إليه ابن مجاهد^(٤)، وأبو علي الفارسي^(٥)، وابن الباذش^(٦)، وابن زنجلة^(٧)

وغيرهم.

آراء النحاة: احتج لها ابن خالويه قائلاً: الحجة لمن فتح: أنه جعلهن مفعولاً بهن، لأن أزواجهن أحصنوهن^(٨). بينما اكتفى أبو زرعة باحتجابه لهذه القراءة بالمعنى حيث يرى أن حجة من فتح الحرف الأول وكسر ما عداه: أن المعنى فيه غير موجود فيما عداه، وذلك أن (المحصنات) ها هنا هن من ذوات الأزواج فكن محصنات بهن، فأحلهن بعد استبرائهن الحيض. فأما ما سوى هذا الحرف فإن المراد فيه الإسلام والعفة... الخ. واستشهد ابن زنجلة بقول الفرزدق:

وذا ت حليل أنكحتها رماحنها حلال لمن يبني بها لم تطلق^(٩)

ودعم ابن زنجلة حديثه بسبب نزول هذه الآية قائلاً: وقال : روى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث يوم حنين سرية فأصابوا حيا من العرب يوم أوطاس، فهزموهم وقتلوهم وأصابوا نساء لهن أزواج، فكان ناس من أصحاب رسول الله تأثموا من غشيانهن من أجل أزواجهن، فأنزل الله عز وجل: {المحصنات من النساء} أي المتزوجات (إلا ما ملكت إيمانكم) أي السبايا من ذوات الأزواج لا بأس في وطئهن بعد استبرائهن^(١٠). وأبو علي الفارسي يرى أنه وقع الاتفاق على فتح العين في قوله (والمحصنات) لما فسروا الحرف عليه من أنه يعني به الحرية المتزوجة في دار الحرب^(١١)، وهو بذلك لم يخرج من قول ابن زنجلة السابق. وأكد مكي بن طالب على قول الفارسي حين قال: وحجة من فتح الصاد أنه أجرى الفعل على ما لم يسم فاعله، فجعلهن أحصنهن غيرهن من زوج أو ولى وإنما

(١) البحر، ج ٣، ص ١٢١ — ١٢٢.

(٢) البنا الدمياني، الإتحاف، ج ١، ص ٤٩٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥، النور، الآية ٤، ٢٣، النساء، الآية ٢٥.

(٤) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٣.

(٥) أبو علي الفارسي، الحجة: ج ٣، ص ١٥٠.

(٦) ابن الباذش، الإقناع، ج ٢، ص ٦٢٩.

(٧) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٩٦.

(٨) ابن خالويه: الحجة، ص ١٢٠.

(٩) نسبه ابن زنجلة للفرزدق في حجته ص ١٩٦ — ١٩٧.

(١٠) انظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٩٦ — ١٩٧.

(١١) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ١٥٠، وانظر المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، ج ١، ص ٤٠٥.

خص الكسائي (والمحصنات من النساء) بالفتح لأنه نزل في ذوات الأزواج، حرم الله وطأهن، واستثنى ملك اليمين من السبايا، فلمن سباهن وطأهن بعد الاستبراء. وإن كن ذوات أزواج في بلدن، وهو الاختيار، لأن الجماعة عليه^(١). ووافقه المهدي في ذلك^(٢). وابن أبي مريم يرى أن من فتح الصاد فإنه بناه على أحصنت فهي محصنة، أي أحصنها غيرها إما التزويج وإما الإسلام، وإما التعفف وإما الولي بتزوجها^(٣). ومما سبق ذكره نجد أنه ليس هناك من العلماء من أنكرها بل أيدوها وأقروها ولم أفق على أن أحدا ردها وذلك لأن القراءة لم تخالف أي شروط من شروط صحة القراءة التي ذكرها ابن الجزري في نشره.

٢) قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} ^(٤).

قرأ الكسائي وحده: (هل تستطيع ربك) بالتاء ونصب الياء واللام مدغمة في التاء.

توثيق : نسبها إليه ابن مجاهد^(٥)، وابن الباذش^(٦)، وابن الجزري^(٧)، وأبو علي الفارسي^(٨)، وأبو حيان^(٩)، وغيرهم.

آراء النحاة: أحتج لهذه القراءة ابن خالويه: والحجة لمن قرأ بالنصب: أنه أراد: هل تستطيع سؤال ربك؟ ثم حذف السؤال، وأقام (ربك) مقامه كما قال: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} ^(١٠) يريد أهل القرية، ومعناه: سل ربك أن يفعل بنا ذلك فإنه قادر^(١١). ووافقه العكبري في هذا^(١٢). وقال ابن زنجلة: أي (هل تقدر يا عيسى أن تسأل ربك). لأنهم كانوا مؤمنين. وكانت عائشة تقول: كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا: (هل يستطيع ربك) إنما قالوا: هل يستطيع ربك. وحجته قوله قبلها: (وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا) والله تعالى سماهم حواريين، ولم يكن الله ليسمهم بذلك وهم برسالة رسوله كفر. قال أهل البصرة: المعنى: (هل يستطيع سؤال ربك) فحذف السؤال، وألقى إعرابه على ما بعده فنصبه كما قال: (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ) أي أهل القرية^(١٣) ويرى أبو زرعة أن وجه قراءة الكسائي: هل يستطيع سؤال ربك: ذكروا الاستطاعة في سؤالهم لا لأنهم شكوا في استطاعته، ولكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كأنهم قالوا: إنك مستطيع فما يمنعك؟ (أن ينزل) ألا ترى أنه لا يصح

(١) مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٣٨٤، وانظر تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٧٣.

(٢) المهدي، شرح الهداية، ص ٤٣٩.

(٣) ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٦٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٢.

(٥) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٤٩.

(٦) ابن الباذش، الإقناع، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٧) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٨) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٧٣.

(٩) أبو حيان، البحر، ج ٤، ص ٥٨.

(١٠) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(١١) أبو علي الفارسي، الحجة: ص ١٣٥.

(١٢) انظر العكبري التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٧٣.

(١٣) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٤١.

أن يقول: (هل تستطيع أن يفعل غيرك). فـ (أن ينزل) في موضع نصب بأنه مفعول، والتقدير: هل تستطيع أن تسأل ربك إنزال مائدة من السماء علينا؟ وعن أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: يعني هل تستطيع أن تدعو ربك. قال أبو حيان بعد أن ذكر قول عائشة هذا: نزهتهم عن بشاعة اللفظ وعن مرادهم ظاهره، ومعنى هذه القراءة: هل تستطيع سؤال ربك؟ و(أن ينزل) معمول لسؤال المحذوف، إذ هو حذف لا يتم إلا به^(١).

واحتج لها الفراء وقال أنها وجه حسن حين قال: وذكر عن معاذ أنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تستطيع ربك) بالتاء وهو وجه حسن، أي هل تقدر أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء^(٢). وجوزها الأخفش الأوسط قائلًا: إنما قرئت (هل تستطيع أن تدعو ربك) أو (هل تستطيع ربك أن تدعوه). فكل جائز^(٣).

أما أبو علي الفارسي ذكر في حجته ما ذكره أبو زرعة سابقًا. وأضاف قائلًا: ومثل ذلك قولك لصاحبك، أتعلم أن تذهب عني فإنني مشغول؟ أي: اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك. وأما (أن) في قوله: (هل تستطيع ربك أن ينزل) فهو من صلة المصدر المحذوف، ولا يستقيم الكلام إلا على تقدير ذلك، ألا ترى أنه لا يصح: هل تستطيع أن يفعل غيرك؟ وأن الاستفهام لا يصح عنه، كما لا يصح في الإخبار: أنت تستطيع أن يفعل زيد، فأن في قوله: (أن ينزل علينا) متعلق بالمصدر المحذوف على أنه مفعول به. يتسائل الفارسي فإن قلت: هل يصح هذا على قول سيبويه، وقد قال: إن بعض الاسم يضمه في قوله: إلا الفرقدان

ورد قائلًا: فإن ذلك لا يمتنع؛ لأنه في تقدير المذكور في اللفظ وإن كان محذوفًا منه، إذ كان الكلام لا يصح إلا به، كما ذهب إليه في قوله:

أكل امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل ناراً^(٤)

إلى أن كلا في تقدير الملفوظ به من حيث لو لم تقدره كذلك لم يستقم عنده، فكذلك قياس الآية على قوله^(٥). وعقب أبو حيان على قول أبي علي الفارسي هذا قائلًا: ولا يظهر ما قال أبو علي لأن فعل الله تعالى وإن كان سببه الدعاء لا يكون مقدورًا لعيسى^(٦). ويرى مكي بن أبي طالب: أن حجة من قرأ بالتاء أنه أجراه على مخاطبة الحواريين لعيسى، وفيه معنى التعظيم للرب جلّ ذكره، على أن يستفهم عيسى عن استطاعته، إذ هو تعالى مستطيع لذلك، فإنما معناه: هل تفعل ذلك (على معنى أفعل

(١) انظر أبو حيان، البحر، ج ٤، ص ٥٨.

(٢) الفراء: الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٢٥.

(٣) الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة البلقي المجاسم، معاني القرآن، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٤٨١.

(٤) البيت نسبته أبو علي الفارسي إلى أبي داود الإباضي في الحجة، ج ٣، ص ٢٧٣ — ٢٧٤.

(٥) انظر أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٧٣ — ٢٧٤.

(٦) أبو حيان، البحر، ج ٤، ص ٥٨.

ذلك). وقل هل تستطيع سؤال ربك في إنزال مائدة علينا، والمعنى: هل تفعل لنا ذلك، وقد علموا أن عيسى يستطيع السؤال، ولا بد من إضمار السؤال، إذ لا يجوز أن يقال: هل تستطيع أن يفعل كذا، فـ (أن) مفعول بالمصدر المحذوف، وهو السؤال، وهذا كما تقول للرجل: هل تستطيع أن تكلمني، وقد علمت أنه يستطيع لذلك، فإنما معناه: هل تفعل ذلك (على معنى أفعل ذلك). ودعم مكي حديثه بأن معاذ وعلي بن أبي طالب كانا يقرآن بالتاء.^(١)

وفي خاتمة هذه القراءة بعد أن سردنا الآراء التي وردت فيها ترى الباحثة ما رأته السيدة عائشة رضي الله عنها: تكون (تستطيع) بعدها محذوف مقدر وهو (أن تدعو ربك أو تسأله) أن ينزل علينا مائدة أي حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وعلى تخريج الفراء تكون (يستفعل) بمعنى بفعل. وهذا ما دلت عليه معظم المصادر التي تناولت هذه القراءة وسواء كان هذا أو ذاك فإن القراءة صحيحة موصولة السند إلى الرسول ﷺ.

د) سورة الأنعام:

١) قوله تعالى: {أَرَأَيْتُمْ} ^(٢) قرأ الكسائي وحده (أريتكم) (أريت)، بغير همزة ولا ألف. توثيق: نسبها إليه ابن مجاهد ^(٣)، وابن الباذش ^(٤)، والداني ^(٥)، وابن زنجلة ^(٦)، وغيرهم. آراء النحاة: احتج لهذه القراءة ابن خالويه: حجة من طرحها (أي الهمزة): أن الهمزة لما كانت تسقط من الفعل المضارع في كلام فصحاء العرب، ولا تستعمل إلا في ضرورة شاعر كقوله:

أرى عيني ما لم تراهيا كلانا عالم بالترهان ^(٧)

وقال ابن خالويه: قال الزجاج في أماليه: أما قوله: تراهيا، فإنه رده إلى أصله والعرب لم تستعمل يرى وترى وأرى إلا بإسقاط الهمزة تخفيفاً، فأما رده إلى الماضي فإنها مثبتة، وكان المازني يقول: الاختبار عندي أن أرويه (لم تراهيا) ^(٨).

ويرى ابن زنجلة أن حجة الكسائي: إجماع العرب على ترك الهمزة في المستقبل في قولهم (وترى وترى) فبنى الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها فإذا لم تكن في أولها همزة استفهام لم يترك الهمزة مثل (رأيت). لأن من شرطه إذا تقدمها همزة استفهام فحينئذ يستقل الجمع بينهما. وحجة أخرى أنها كتبت في المصاحف بغير ألف ^(٩).

(١) انظر مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٢٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٠، ٤٦، الكهف، الآية ٦٣.

(٣) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٥٧.

(٤) ابن الباذش، الإقناع، ج ٣، ص ٦٣٩.

(٥) الداني، التيسير، ص ١٠٢.

(٦) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٠.

(٧) البيت في اللسان منسوب إلى سراقه البارقي (انظر اللسان مادة — رأي) وانظر شواهد الشافية، بشرح عبد القادر البغدادي، ص ٣٢٢.

(٨) انظر أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١٤٩، هامش ص ١٣٩.

(٩) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٠.

وقال الفراء: وأكثر كلام العرب ترك الهمزة^(١). وذكر ابن جرير في جامعهم رأي نحاة الكوفة قائلاً: وقال بعض نحوي الكوفة: رأيته عمر أكره الكلام فيه ترك الهمزة، قال: والكاف من رأيته في موضع نصب، كأن الأصل: رأيته نفسك على غير هذه الحال. قال: فهذا يثني ويجمع ويؤنث، فيقال: رأيتهما وأرأيتكم وأرأيتكن أوقع فهله على نفسه، وسأله عنها، ثم كثر الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتنثية والجمع، فقالوا: رأيتهما زيدا ما صنع، وأرأيتكن زيدا ماضيه، فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها، فجعلوها بدلا من التاء، كما قال: (هاؤم أقرعوا كتابيه) وهاء يا رجل، وهاؤها ثم قالوا: هاكم اكتفى بالكاف والميم مما كان يثني ويجمع، فكأن الكاف في موضع رفع، إذ كانت بدلا من التاء، وربما وحدث للتنثية والجمع والتذكير والتأنيث، وهي كقول القائل: عليك زيد، الكاف في موضع خفض والتأويل رفع، فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الأسماء ثم تأتي بالاستفهام، فيقال: رأيته زيدا هل قام، لأنها صارت بمعنى: أخبرني عن زيد، ثم بيت عما يستخير، فهذا أكثر الكلام^(٢).

أما أبو منصور فبعد أن سرد كل قراءات القراء في الآية قال: وكلها لغات صحيحة^(٣). أي يرى أنها لغة صحيحة. وأبو علي الفارسي يرى أن حذف الهمزة على غير القياس، استمع إليه يقول: وأما قول الكسائي (أريتم، أريت) فإنه حذف الهمزة حذفاً على غير التخفيف ألا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تجعل بين بين كما قرأ نافع^(٤). وهذا حذف التخفيف، كما قالوا: ويلمه... إلخ. ولو كان ذلك كله على التخفيف القياسي، لكانت بين بين، ولم تحذف، وقد زعموا أن عيسى كذلك كان يقرؤها على الحذف. ومما يقوي ذلك على استعمالهم قول الشاعر:

فمن را مثل معدان بن ليلى إذا ما النسع طال على المطية^(٥)

فهذا على أنه قلب الهمزة ألفاً، فهذا يقوي قول عيسى والكسائي، ومما جاء على ذلك قول الراجز:

أريت إن جاءت به أملوذا مزجلا ويلبس البرودا^{(٦)(٧)}

أما العكبري فإنه يرى حذف الهمزة هو قياس انظر إليه يقول: يقرأ بإلغاء حركة الهمزة على اللام، فتفتح اللام وتحذف الهمزة وهو قياس مطرد في القرآن وغيره، والغرض منه التخفيف^(٨). ووافق ابن أبي مريم أبا علي الفارسي بأن هذا الحذف حذفاً على غير القياس في قوله: والوجه أن حذف الهمزة حذفاً على غير القياسي، لأن القياس في تخفيفها هاهنا أن تجعل بين بين، كما قرأ نافع

(١) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ١٩١.

(٣) أبو منصور، القراءات وعلل النحويين فيها، ج ١، ص ١٧٩.

(٤) قرأ نافع بألف من غير همزة.

(٥) ورد في اللسان، ولم ينسب، وقيل لأبي الأسود في ديوانه، ص ١٣٤.

(٦) الخصائص: قيل أنه نسب لرجل من هذيل (انظر الخصائص، ج ١، ص ١٣٦) ووجدته في ملحق ديوان رؤية ص ١٧٣، وهو يحكي عن أمه تخاطب سيدها وقد حملت منه وأنكر.

(٧) انظر أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٣٠٦ — ٣٠٨.

(٨) انظر العكبري، التبيين في إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٩٤.

لكن هذا حذف على غير قياس، كما قالوا: ويلمه^(١). أما أبو حيان فجوز حذف الألف حين قال: وجاز حذف اللف وبه قرأ الكسائي، وقد جاء ذلك في كلام العرب، قال الراجز: أريت إن جاءت به أملود^(٢). قال أبو حيان، قال الفراء: للعرب في (أريت) لغتان ومعنيان، أحدهما: أن تسأل الرجل الرجل (أريت زيدا) أي تعينك، فهذه مهموزة.

وثانيها: أن تقول (أريت) وأنت تقول (أخبرني). فها هنا تترك الهمزة إن شئت وهو أكثر كلام العرب تؤمي إلى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين^(٣).

وواصل أبو حيان حديث عن قول الفراء: وإن كانت بمعنى (أخبرني) جاز أن تختلف التاء باختلاف المخاطب وجاز أن تتصل بها الهاء مشعرة باختلاف المخاطب، وتبقى التاء مفتوحة كحالها للواحد المذكر ومذهب البصريين أن التاء في الفاعل، وما لحقها حرف يدل على اختلاف المخاطب، وأعني اختلافه عن اختلاف التاء. ومذهب الكسائي، أن الفاعل هو التاء، وأن أداة الخطاب اللاحقة في موضع المفعول الأول. ومذهب الفراء أن التاء هي حرف خطاب، وأن أداة الخطاب بعده هي في موضع الفاعل، استعيرت ضمائر النصب للرفع^(٤).

ويمكن تلخيص آراء العلماء في:

١. أغلب الآراء على أن تحذف الهمزة للتخفيف.
 ٢. أن الحذف على غير القياس وهو رأي الأقلية.
- ونستطيع أن نقول أنه لا يوجد من بينهم من خطأ القراءة أو ردها.
- ٢) قوله تعالى: {هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ}^(٥) قرأ الكسائي وحده (بزعمهم) مضمومة الزاي.
- توثيق: نسبت إليه في السبعة^(٦)، القناع^(٧)، النشر^(٨)، الحجة^(٩)، وحجة القراءات^(١٠)، وغيرها.
- آراء النحاة: احتج لها ابن خالويه بأنها لغة وأن الضم للاسم^(١١). ويرى أبو زرعة (بزعمهم) بضم الزاي أنها لغة^(١٢). وقال الفراء أنها لغة^(١٣). وكذلك أبو علي الفارسي يذهب إلى أنها لغة^(١٤). كما يرى أبو منصور: أن لضم لغة لبني أسد^(١٥).

(١) ابن أبي مريم، الموضح، ج ١، ص ٤٦٧، انظر اللسان (ولم).

(٢) سبق ذكره.

(٣) انظر أبو حيان، البحر، ج ٤، ص ١٢٩.

(٤) أبو حيان، البحر، ج ٤، ص ١٢٩.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٣٦.

(٦) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٧٠.

(٧) ابن الباذش، الإقناع، ج ٢، ص ٦٤٤.

(٨) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٩) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٤٠٩.

(١٠) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧٣.

(١١) أبو علي الفارسي، الحجة، ص ١٥٠.

(١٢) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧٣.

(١٣) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٦.

(١٤) أبو علي الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٤٠٩.

(١٥) أبو منصور، القراءات وعلل النحويين فيها، ج ١، ص ٢٤٠.

في حين يرى مكي بن أبي طالب: أن الضم لغة بني سعد^(١). وكذلك القرطبي^(٢) وأبو حيان يقول بني أسد^(٣)، وهو قول أبي منصور السابق فوافق صاحب الإتحاف^(٤). مما سبق نلاحظ أن كل العلماء الذين تناولوها خرجوها على أنها لغة.

الخاتمة:

- هذه دراسة تحمل عنوان: (آراء النحاة و بعض اللغويين في قراءة الكسائي). وبعد أن عرضت الباحثة القراءة، وبيّنت آراء النحاة منها، خرجت الدراسة بنتائج أهمها:
- تنوع أساتذته فمنهم علماء في القراءات و منهم في اللغة و منهم في النحو مما أدى إلى نبوغه وبروزه في مجالات شتى.
 - قراءة الكسائي كانت أقل إنكاراً من قراءة حمزة .
 - هناك بعض النحويين لم يتعرضوا للقراءات بنقد أو طعن أو تجريح من هؤلاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ)، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، والخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، الزجاجي (٣٣٧هـ أو ٣٤٠هـ)، السيرافي (ت ٣٦٨هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥هـ).
 - توصي الدراسة بأنه إذا تعارضت القراءة مع القاعدة أن توسع القاعدة لتشمل القراءة، كما توصي بأن يتواصل البحث في مجال القراءات فإنه مجال ثر للغاية.
 - تقترح الدراسة إعادة تحقيق بعض الكتب التي تناولت القراءات المتواترة بالنقد لإزالة الغموض عنها

(١) مكي بن أبي طالب، الكشف، ج ١، ص ٤٥٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٩٠.

(٣) أبو حيان، البحر، ج ٤، ص ٢٣٠.

(٤) انظر البنا الدمياطي، الإتحاف، ج ٢، ص ٣٢، المغني في توجيه القراءات، ج ٢، ص ١٠٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأنباري، الشيخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد:
(أ) الإنصاف في مسائل الخلاف (بين البصريين والكوفيين)، دون ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧م.
- (ب) البيان في إعراب القرآن، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، دون ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
٢. ابن الباذش، أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، تح عبد المجيد قطامش، ط ١، دار التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
٣. البنا الدمياطي، أحمد بن محمد ثمرات ما في فضلاء البشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، ط ١، عالم الكتب، دون تاريخ.
٤. البيلي، أحمد:
(أ) الاختلاف بين القراءات، ط ١، دار الجيل، بيروت، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ١٩٨١م.
- (ب) المكشاف عما بين القراءات الشعر من خلاف.
٥. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن علي بن يوسف الدمشقي:
(أ) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: أحمد علي الصباغ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
- (ب) طيبة النشر، طبعة القاهرة، ١٩٥٠م.
- (ج) غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
- (د) النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، دون ط، دار الفكر، دون تاريخ.
٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان:
(أ) الخصائص، تحقيق: د. محمد عي النجار، ط ٢، دار الهدى، بيروت.
- (ب) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩م.
٧. ابن حجر العسقلاني، الشيخ شهاب أبو الفضل أحمد بن علي:
(أ) تهذيب التهذيب، ط ١، دار المعارف النظامية الكائنة في الهند، دون تاريخ.
- (ب) لطائف الإشارات، تحقيق: عامر السيد عثمان، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٧٧م.
٨. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي:

- (أ) تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معرض، وشارك في التحقيق زكريا عبد المجيد، د. أحمد النجوي، ط ١، (طبعة جديدة)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
٩. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد:
(أ) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ط ٢، دار الهلال، ١٩٨٥م.
(ب) الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط ٤، دار الشروق.
(ج) إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان، العسمين، دون ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٢م.
(د) مختصر شواذ القرآن.
١٠. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنبأه أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط، دار الثقافة، لبنان، ١٩٦٩م.
١١. الذهبي، الإمام شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان:
(أ) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(ب) سير أعلام النبلاء، تحقيق: علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون تاريخ.
١٢. ابن زنجلة، الإمام الجليل أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: حجة القراءات، محققة ومعلق حواشيه سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، دون تاريخ.
١٣. الزجاج: إعراب القرآن، تحقيق: إبراهيم الأنباري، طبعة المؤسسة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٩هـ.
١٤. الزركلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين)، ط ١٠، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
١٥. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ١، دار المعرفة، بيروت.
١٦. السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١٧. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله: أخبار النحويين البصريين ومراتبهم، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، ط ١، دار الاعتصام، ١٩٨٥م.
١٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين:
(أ) المطالع السعيد بشرح الفريدة، ط ١، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، العراق، ١٩٧٧م.
(ب) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البيجاوي، منشورات المكتبة العصرية، دون ط، ١٩٨٧م.

- ج) الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دون ط، مكتبة التراث، القاهرة، دون تاريخ.
- د) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل، دون ط، المكتبة العصرية، بيروت.
١٩. الشاطبي: المرافقات في مقاصد الشريعة، ط ١، المكتبة الكبرى بمصر، القاهرة، د.ت.
٢٠. أبو شامة، أبو شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل بن إبراهيم:
- أ) إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوه، مطبعة الحلبي، ١٣٣٩هـ.
- ب) المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز، تحقيق: طبار التي فلاح، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥م.
٢١. شعبان صلاح: موقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط، دار غريب القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٢. الطبري، أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسوني، المكتبة العلمية الإسلامية، دون تاريخ.
٢٣. الطباوي، أبو السيد زين الدين منصور بن أبي النصر: التمهة المضئية لنشر القراءات السبع المرية، تحقيق: علي سيد أحمد جعفر، ط ١، مكتبة الرشيد، ٢٠٠٣م.
٢٤. أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل، دون ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٥م.
٢٥. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البيجاوي، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٦. أبو علي الفارسي، ابن علي الحسين بن عبد الغفار: الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، ط ١، دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م.
٢٧. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دون ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
٢٨. قمحاوي، محمد الصادق:
- أ) البحث والاستقراء في تراجم القراء، ط ١، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، دون تاريخ.
- ب) طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، ط ١، دون تاريخ.
٢٩. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، حقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملجم، علي نجيب عطوان، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الستار، ط ١، دار الريات للتراث، ١٩٨٨م.
٣٠. ابن مالك، أبو عبد الله محمد جال الدين: شرح ابن عقيل (قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي)، تحقيق: الفاخوري، ط ٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

٣١. ابن مجاهد، أحمد بن موسى: السبعة، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
٣٢. ابن أبي مريم، الإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي العيسوي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: د. عمر حمد الكبيسي، ط٣، مكتبة التوعية الإسلامية، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م.
٣٣. مكي بن أبي طالب، حموش القيسي: (أ) الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر بالفيجالة، دون تاريخ.
- (ب) الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، دار الاتحاد العربي، ١٩٧٣م.
- (ج) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محي الدين رمضان، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- (د) التبصره في القراءات السبع، تحقيق: محمد غوث النوري، ط٢، دار السليفة، ١٩٨٢م.
- (هـ) مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د. حاتم صالح، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩١٤م.
٣٤. المهدي، الإمام أبي العباس أحمد بن عثمان: شرح الهداية في توجيه القراءات، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، ط١، دار عمار، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.
٣٥. النحاس، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: إعراب القرآن، شرح: د. زهير عثمان زاهر، ط٢، مكتبة النهضة العربية، ١٩٥٢م.
٣٦. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق: (أ) الفهرست، تحقيق: رضا مجدد بن علي بن زين العابدين بن الجابري، ط٣، دار المسرة، بيروت، ١٩٨٠م.
- (ب) الفهرست، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، دار الفتوى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

أسلوب الشرط في الحديث النبوي

دراسة تطبيقية في نماذج من صحيح البخاري

فاطمة محمد علي عمر

مقدمة:

هذه دراسة وصفية تحليلية، لا تهدف إلى حصر الأساليب الشرطية، بل تهدف إلى تحليل الأساليب الشرطية لمعرفة دور الشرط في بناء نص الحديث النبوي الشريف، وذلك عن طريق أخذ عينة من الأحاديث النبوية التي وردت بها الأساليب الشرطية المتنوعة ودراستها وتحليلها، وقد اعتمدتُ على "صحيح البخاري" في الحصول على تلك العينة من الأحاديث ومما دفعني إلى هذه الدراسة، كثرة الأساليب الشرطية في الحديث النبوي الشريف وقد يرد في الحديث الواحد عدة تراكيب شرطية، فأردت أن أعرف تفسيراً لذلك، ومما لا شك فيه أن تلك الأساليب الشرطية الكثيرة والمتنوعة لها دور ووظيفة وأهمية في بناء نص الحديث.

فالهدف من الدراسة هو:

- (١) دراسة بناء الجملة الشرطية في نماذج من الحديث النبوي الشريف.
- (٢) معرفة الدور الذي قامت به الجملة الشرطية في بناء نص الحديث.
- (٣) دراسة بعض الظواهر اللغوية التي وردت في تلك النوعية من الأحاديث التي اعتمد بناؤها على التراكيب الشرطية.

يتضمن البحث مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

في المقدمة تحدثتُ عن السبب الذي دفعني إلى هذه الدراسة وأهداف هذه الدراسة.
والمبحث الأول: يتناول مفهوم الشرط في اللغة، ومفهومه عند النحويين، ثم تحدثتُ عن أسلوب الشرط مع (إذا) و (من) و (إن)، لأن هذه الأدوات الثلاث كانت أكثر وروداً في الأحاديث عينة الدراسة.

وفي المبحث الثاني: قمت بدراسة جملة جواب الشرط في الأحاديث عينة الدراسة.

وفي المبحث الثالث: قمت بدراسة الإحالة في الأحاديث عينة الدراسة.

وفي المبحث الرابع: قمت بدراسة التراكيب الشرطية المتوازية في الأحاديث عينة الدراسة وركزت على الدور الذي قامت به تلك التراكيب في بناء نص الحديث.

والمبحث الخامس: يوضح مبدأ الدورية في التراكيب الشرطية في الأحاديث عينة الدراسة.

والمبحث السادس: يوضح التسلسلية التوضيحية في التراكيب الشرطية في الأحاديث عينة الدراسة.

والخاتمة: تحدثتُ فيها عن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

مفهوم الشرط في اللغة:

الشرط إلزام الشيء والتزامه، والجمع شروط وشرائط.^(١)

الشرط عند النحويين:

تحدث النحويون عن الشرط فذكروا الأدوات التي تجزم فعلين، حرف باتفاق وهي: "إن" وحرف على الأصح، وهو: "إذا"، واسم باتفاق وهو: "من، وما، ومتى، وأى، وأين، وأيان، وأنى وحيثما، واسم على الأصح، وهو: "مهما".^(٢)

وأدوات الشرط تقتضي وجود جملتين تسمى الأولى شرطاً والثانية جزاءً، وهي تعد جواباً؛ لأنها مترتبة على الأولى.^(٣)

وبعد دراسة أسلوب الشرط في عينة من الأحاديث النبوية الشريفة في صحيح البخاري، لاحظت ورود بعض أدوات الشرط كثيراً في الأحاديث مثل إذا، مَنْ، إن، لذلك يجب دراسة أسلوب الشرط الذي تستعمل فيه هذه الأدوات الشرطية الثلاث عند النحويين في البداية ثم دراسته بعد ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة.

أسلوب الشرط مع (إذا) عند النحويين:

إذا ظرف للزمان المستقبل، وليس المستقبل صفة للزمان بل هو صفة للحدث^(٤) وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، ... ويكون الفعل بعد إذا الشرطية ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك أى: قليلاً ويحتمل أن يكون مراده أن الأول كثير جداً وأن الثاني كثير أيضاً ولكن دون تلك الكثرة ولهذا لم يقل قليلاً.^(٥)

وإنما كثر وقوع الماضي بعدها؛ لأنه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى لفظه للدلالة على الوقوع، وإن كان بالنظر إلى المعنى على الاستقبال؛ لأن (إذا) الشرطية تقلب الماضي إلى معنى المستقبل مثل (إن).^(٦)

وإنما دخلت الشرطية على الاسم في نحو (إذا السماء انشقت)؛ لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير) والأصل: "إذا انشقت السماء" ثم حذف الفعل الرفع للفاعل مدلولاً عليه بالمفسر الواقع بعده (لا مبتدأ، خلافاً للأخفش) فإنه جوز كونه مبتدأ، ولم يمنع الأول فالأمران عنده سائغان^(٧).

إذن لا يقع بعد "إذا" التي للجزاء إلا الفعل؛ لأن الجزاء لا يكون إلا بالفعل، وإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعاً فرفعه على تقدير فعل قبله؛ لأنه لا يكون بعدها الابتداء والخبر^(٨)

ولا تعمل (إذا) الجزم وإن كان فيها معنى الشرط لما تقرر من أن الحدث الواقع فيها مقطوع به في أصل الوضع، فلم يرسخ فيه معنى "إن" الدالة على الفرض، فلهذا لم تجزم إلا في الضرورة^(٩).

خروج (إذا) عن كل من الظرفية والاستقبال والشرط:

تخرج (إذا) عن الظرفية والشرطية إذا جاءت بعد (حتى) فقد ذكر الأخفش أن الآية: (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها) (سورة الزمر/ ٧١)
(إذا) هنا، لا ظرفية ولا شرطية، و(إذا) هنا جُرب (حتى) أي وسيقوا (إلى) وقت مجيئهم إياها، و (إذا) هنا اسم زمان. (١٠)

أما خروج (إذا) عن الاستقبال، فذلك على وجهين؛ أحدهما أن تجيء للماضي كقوله تعالى: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) سورة التوبة/ ٩٢، وهذا إخبار بقضية وقعت في الزمان الماضي فتكون "إذا" له، و"تولوا" جوابها.

والثاني: أن تجيء للحال، وذلك بعد القسم، نحو/ (والليل إذا يغشى) (سورة الليل ١) ونحو: (والنجم إذا هوى) (سورة النجم ١) دل استعمال "إذا" بعد القسم في نحو هاتين الآيتين على أنها للحال؛ (لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً لفعل القسم؛ لأنه إنشاء، لا إخبار عن قسم يأتي؛ لأن قسم الله - سبحانه وتعالى - قديم، ولا يكون محذوف هو حال من الليل) في الآية الأولى (و) من (النجم) في الآية الثانية؛ (لأن الاستقبال والحال متنافيان) فلا يجعل أحدهما ظرفاً للآخر، (وإذا بطل هذان الوجهان)، وهما: كونهما ظرفاً لفعل القسم وكونهما ظرفاً للحال مع جعل "إذا" للاستقبال (تعين أنه) أي: أن لفظ "إذا" (ظرف لأحدهما) وهو إما فعل القسم أو الكون المحذوف الذي هو حال من الليل أو النجم (على أن المراد به) أي: بإذا (الحال) فلا يتنافي حينئذ، ولا مانع لأن الإنشاء حالي فلا ينافيه أن المراد بهما الحال، ولأن الكون المحذوف حال بالفرض فلا يمتنع كونه مظروفاً لـ "إذا" المراد بها الحال. (١١)

ولا يصح جعلها للشرط (١٢)، إذ لو كانت شرطية كان ما قبلها جواباً في المعنى كما في قولك: "أتيتك إذا أتيتني" فيكون التقدير: إذا يغشى الليل، وإذا هوى النجم أقسمت، وهذا ممتنع لوجهين، أحدهما: أن القسم الإنشائي لا يقبل التعليق؛ لأن الإنشاء إيقاع، والمعلق يحتمل الوقوع وعدمه) قال نجم الدين سعيد في "شرحه للحاجبية": "جزاء الشرط يجب أن يكون قضية خبرية معلقة بالشرط؛ لأن الإنشاء ثابت، والثابت لا يقبل تعليقا". (١٣)

جواب (إذا) الشرطية:

- ورد جواب (إذا) مقروناً بـ "إذا" الفجائية، نحو: (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) سورة الروم من الآية "٢٥" (١٤)
- ورد جواب (إذا) مقروناً بـ "ما" النافية نحو: (وَإِذَا تُلَّتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ) سورة الجاثية "٢٥"

- ورد جواب إذا جملة اسمية، كما في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) سورة الشورى من الآية "٣٧" (١٥) .

أما (مَنْ) الشرطية، نحو: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) (١٦) .

وأما (إِنْ) الشرطية، نحو: (إِنْ يَنْتَهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ) و (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) وقد تقترن بلا النافية فيظن مَنْ لا معرفة له أنهما إلا الاستثنائية، نحو: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) و (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ) و (وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) و (إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) (١٧) و (إِنْ) أصل أدوات الشرط الجازمة، ولذلك اختصت بجواز أن يقع بعدها الاسم المرفوع الذي بعده فعل يفسر ذلك الفعل المحذوف في الاختيار، أما غير (إِنْ) فلا يقع ذلك فيه إلا في الشعر. (١٨)

أولاً: جواب الشرط:

فقد تنوع جواب الشرط في الأساليب الشرطية التي وردت في نماذج من الحديث النبوي، حيث جاء جواب الشرط جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع وقد اقترنت به الفاء ثم لام الأمر، وهذا نجده في مثل: عن أبي قتادة السلمي: أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس" (١٩)

نلاحظ هنا أن نص الحديث يقوم أساساً على أسلوب الشرط، والعلاقة بين عناصر أسلوب الشرط تحقق الترابط في نص الحديث

ونجده كذلك في مثل:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإنه منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) (٢٠) فأسلوب الشرط هنا هو الحديث بأكمله: وأسلوب الشرط من عوامل ترابط الجمل، فالترابط بين جملة الشرط وجملة الجواب يحقق التماسك في البناء اللغوي.

ونلاحظ هنا أن أسلوب الشرط قد تضمن أكثر من وسيلة من وسائل الربط، فأداة الشرط لها دور كبير في الربط، وهذا الدور يتمثل في تعلق جملة بأخرى؛ على أن تكون الأولى شرطاً في حدوث الثانية أو تكون الثانية مترتبة على الأولى أو جواباً لها.

يقول ابن يعيش "واعلم أن كل واحد من الشرط والجزاء جملة فعلية تامة، فلما دخل عليهما حرف الشرط ربطهما وجعلهما كجملة واحدة. (٢١)

ونجد كذلك حرف (الفاء) الواقع في جواب الشرط، فهو يحقق الربط بين جملتي الشرط والجواب. والفاء أساساً للترتيب والتعقيب أي أن الثاني يتبع الأول بلا مهلة.

وقد عد الزجاجي الحرف رابطاً في حديثه عن أقسام الكلم: الاسم والفعل والحرف، حيث يقول "ويسمى القسم الثالث حرفاً لأنه حد ما بين هذين القسمين ورباط لهما. (٢٢)

ونجد هذه الروابط في أحاديث كثيرة أخرى.

ونجده كذلك في مثل: حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: **(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه)** (٢٣) نلاحظ هنا أن فعل الشرط بعد (إذا) هو فعل ماضي قصد به زمن المستقبل واقترن بالفعل المضارع في جواب الشرط لام الأمر والفاء، ونص الحديث ومعناه يعتمد على أسلوب الشرط وعناصره. ومن هنا نرى أن أسلوب الشرط يقوم بدور رئيس في بناء نص الحديث.

ونجده كذلك في مثل: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا دُعي أحدكم إلى وليمة فليأتها)** (٢٤) إن أسلوب الشرط هنا هو الذي يشكل نص الحديث ويعبر عن معناه ونجده كذلك في مثل:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: **(إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فضل عليه في المال والخلق فليُنظر إلى مَنْ هو أسفل منه)** أخرجه مسلم في أوائل الزهد والرقائق. (٢٥) فوجود أداة الشرط الرابطة وحرف الفاء الرابط كذلك يحقق التماسك اللغوي في الحديث فيصل إلى أقصى درجات الإبلابية والمقبولية.

ونجده كذلك في مثل: حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة قال أخبرني منصور قال سمعت ربعي بن جراش يقول سمعت عليا يقول: قال النبي ﷺ **(لا تكذبوا على فاتنه مَنْ كذب على فليج النار)** (٢٦). ومعنى (فليج) فليدخل حيث نلاحظ هنا وجود العلاقة السببية بين فعل الشرط وجملته جواب الشرط مما يحقق الاتساق والترابط بين أجزاء الحديث النبوي.

ونجده كذلك في مثل: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه)**. (٢٧)

فنص الحديث قائم على أسلوب الشرط والترابط بين أجزاء الحديث تحققه العناصر المكونة لأسلوب الشرط.

ونجده كذلك في مثل: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إذا زنت الأمة فتيبن زناها فليجلدها، ولا يثرب، ثم إن زنت فليجلدها، ولا يثرب، ثم إن زنت الثالث فليبعها، ولو بحبل من شعر)** (٢٨)

استخدم في هذا الحديث أداة الشرط (إذا) وأداة الشرط (إن) واقتترنت الفاء ولام الأمر بالفعل المضارع في جملة جواب الشرط ووردت في هذا الحديث ثلاثة أساليب شرطية تشكل نص الحديث.

وجاء جواب الشرط جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع لم تقترن به الفاء أو لام الأمر:

وهذا نجده في مثل: قال مالك أخبرني زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل**

سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها^(٢٩).

فإذا هنا ظرف للزمان المستقبل وهي غير جازمة، وأسلم فعل ماض مبنى على الفتح وهو فعل الشرط وجملة جواب الشرط تبدأ بفعل مضارع لم تقترن به الفاء أو لام الأمر وهو الفعل (يكفر).

ونلاحظ هنا أن أسلوب الربط (إذا أسلم يكفر الله) هو أساس الحديث والجمل التي جاءت بعده كانت مُكملة لمعنى الحديث.

فأسلوب الشرط هنا هو التركيب المحوري في الحديث.

وأداة الشرط (إذا) ربطت بين جملة الشرط وجملة الجواب.

ونجده كذلك في مثل: قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي

ﷺ يقول: (مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله).^(٣٠)

مَنْ هنا أداة شرط جازمة و(يُرد) فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة وهو فعل الشرط وجواب الشرط جملة (يفقهه في الدين) في محل جزم، فأسلوب الشرط هنا هو التركيب الرئيس في نص الحديث، وربطت أداة الشرط (مَنْ) بين جملة الشرط وجملة الجواب

ونجده كذلك في مثل: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ - قال (تَعَسَّ عَبْدُ

الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطى رضي، وإن لم يُعط لم يرض) لم يرفعه إسرائيل عن أبي حصين^(٣١).

(إن) هنا شرطية جازمة، (لم يُعط) فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة و (لم يرض) جواب الشرط مجزوم بحذف حرف العلة وهو لم يقترن به الفاء. ونلاحظ هنا أن أسلوب الشرط هو الحديث بأكمله فهو يشكل نص الحديث بأكمله.

وجاء الجواب جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع كذلك في مثل: عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: (أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ ويقول هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يك هذا من عند الله يُمضِه).

^(٣٢)

فجواب الشرط هنا الفعل (يمضه) فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة وأسلوب الشرط هنا يشكل تركيباً رئيساً في نص الحديث ومعناه.

وجاءت جملة جواب الشرط تبدأ بفعل مضارع سبقته (لا) الناهية واقتترنت بها (الفاء) وهذا نجده في مثل: حدثنا الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ: (إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها)^(٣٣).

فأسلوب الشرط هنا يشكل نص الحديث بأكمله ويعبر عن المعنى المقصود من خلال عناصر أسلوب الشرط (أعنى الأداة وفعل الشرط وجملة جواب الشرط) والتضافر بين تلك العناصر كلها هو الذي يصل بالقارئ إلى المعنى المقصود.
و(الفاء) ربطت بين جملة الشرط وجملة الجواب مما يحقق التماسك في البناء اللغوي للحديث.

ونجده كذلك في مثل: حدثنا شعبة قال أخبرني حبيب بن أبي ثابت قال سمعت إبراهيم بن سعد قال سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدًا عن النبي ﷺ قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها).
فقلت أنت سمعته يحدث سعدًا ولا ينكره؟ قال نعم.^(٣٤)

نلاحظ هنا كذلك أن أسلوب الشرط يشكل نص الحديث ومعناه.
وجاءت جملة جواب الشرط تبدأ بفعل ماضٍ. وهذا نجده في مثل:
أخبرنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عروة أن عائشة (رضي الله عنها) أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه".
نلاحظ هنا أن أسلوب الشرط في الحديث يمثل التركيب المحوري^(٣٥) فيه والحديث قائم على أسلوب الشرط وجملة جواب الشرط (نفث على نفسه بالمعوذات) بدأت بفعل ماضٍ، إلا أن (إذا) تحول زمن الماضي إلى زمن المستقبل.

ونجده كذلك في مثل: عن أبي هريرة قال: ربما ذكر النبي ﷺ قال: (إذا تقرب العبد منى شبرًا تقربت منه ذراعًا وإذا تقرب منى ذراعًا تقربت منه باعًا أو بوعًا).
يوجد اثنان من الأساليب الشرطية في الحديث وبنى الحديث بأكمله على هذه الأساليب الشرطية والتضافر بين عناصر الأساليب الشرطية يحقق التماسك في نص الحديث ليعبر عن المعنى المقصود في صورة جلية.

ونجده كذلك في مثل: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (من يقرأ ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله ما تقدم من ذنبه)^(٣٦).

فأسلوب الشرط هنا هو الحديث بأكمله ونص الحديث ومعناه قائم على أسلوب الشرط.
ونجده كذلك في مثل: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: (من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزلة من الجنة كلما غدا أو راح)^(٣٧).

وجاءت جملة جواب الشرط أحيانًا تبدأ بفعل ماضٍ سبقته (قد) واقترن بها الفاء.
وهذا نجده في مثل: عن أبي قلابة عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكرؤا بصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله).^(٣٨)

فجملته (فقد حبط عمله) هي جواب الشرط في محل جزم (وقد) هنا للتحقيق والفاء رابطة الشرط، وأسلوب الشرط هنا هو الحديث بأكمله.

ووجود الفاء الرابطة يحقق التماسك في نص الحديث؛ لأنها ربطت بين جملة الشرط وجملة الجواب.

وهذا نجده كذلك في مثل: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: (من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة).

وتوجد أحاديث أخرى جاء فيها جواب الشرط يبدأ بفعل أمر (انظر ٦١٣١، ٥١٢، (١١١٠)، ٣٧٥٥). وتوجد أحاديث أخرى جاء فيها جواب الشرط جملة اسمية (انظر (٦٣٨١، ٦٦٧٢)، ٣٠٦٨، (٢٩٥٨، ٢٦٥٥)، (٢٣٤٨)).

فقد تتوع جواب الشرط فجاء في صور شتى، ولكن أريد أن أركز على الدور الكبير الذي قام به أسلوب الشرط في الحديث النبوي الشريف فقد رأينا في النماذج السابقة كيف كان أسلوب الشرط هو التركيب المحوري في الحديث الذي قام عليه نص الحديث ومعناه وكيف أن التضافر بين عناصر أسلوب الشرط حقق التماسك والاتساق في نص الحديث فتكون الفكرة أكثر تأثيراً في المتلقي.

ثانياً: الإحالة:

تضمنت الأساليب الشرطية التي وردت في الأحاديث النبوية عينة الدراسة إحالات ضميرية كثيرة، واستخدام الضمير هو البديل لإعادة (نصية) لاسم ما في الجملة^(٣٩) وذكر علماء اللغة الإحالة من عناصر السبك النحوي وعرفها الدكتور حسام أحمد فرج في كتابه (نظرية علم النص) أنها: "يُقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتسمى تلك العناصر عناصر محيلة، وهي: الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فهذه الكلمات تعود إلى عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النص".^(٤٠)

ويحقق استرجاع المعنى عن طريق الإحالة الاقتصاد في اللغة، إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر المحال إليها وتجنب مستعملها إعادتها، وفي الوقت نفسه تحفظ المحتوى مستمراً في المخزون الفعال دون الحاجة للتصريح به مرة أخرى ومن ثم تتحقق الاستمرارية والإحالة هي وسيلة من وسائل الربط اللفظي أيضاً. وتخضع الإحالة لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية للعنصر المحيل والعنصر المحال إليه.

ويلاحظ أن هذا التطابق يتم بصرف النظر عن موقع المحال إليه بالقياس إلى المحيل، سواء أكان سابقاً عليه أو لاحقاً له.^(٤١) والإحالة الضميرية التي جاءت في الأحاديث النبوية عينة الدراسة.

نجدها في مثل:

يقول الرسول ﷺ: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرفوا ولا تزنا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه). (٤٢)

نلاحظ في الحديث إحالات ضميرية متتالية ترتد جميعها إلى قول النبي ﷺ: "بايعوني" وجاءت أساليب شرطية متتالية تتضمن هذه الإحالات الضميرية، فأسلوب الشرط وتكراره يعزز أهمية هذه الضمائر وقيمتها، وهذا يعطى النص مبدأ التماسك والاتساق، مما يوفر أعلى درجات الإبلابية والمقبولية فوجدنا في الحديث الأساليب الشرطية الآتية، والتي تضمنت إحالات ضميرية متتالية:

- فمن وفي منكم فأجره على الله
- ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره فهو إلى الله
- وإن شاء عفا عنه
- وإن شاء عاقبه

ونجد الإحالة كذلك في مثل: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه). قال ابن شهاب وكان الرسول ﷺ يقول (أمين). (٤٣)

فأسلوب الشرط (من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) تضمن إحالات ضميرية في كلمة تأمينه، له، ذنبه. فأسلوب الشرط هنا يعزز أهمية هذه الضمائر وقيمتها. ونجد الإحالة الضميرية كذلك في مثل: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً). (٤٤)

نلاحظ هنا أن الحديث بُني على جملة الشرط (إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة) فكانت جملة الشرط هي التركيب المحوري في الحديث وجاء أسلوب الشرط يتضمن إحالات ضميرية متتالية. اتضحت في كلمة (بيتها، لها أجرها ولزوجها - أجره - بعضهم) والإحالة هي وسيلة من وسائل الربط اللفظي مما يحقق التماسك والاتساق في نص الحديث.

ونجد الإحالة الضميرية كذلك في مثل: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا نسي الصائم فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه). (٤٥)

نلاحظ هنا أن جملة الشرط (إذا نسي الصائم فأكل وشرب) هي أساس الحديث وتضمنت جملة جواب الشرط إحالات ضميرية في كلمة (صومه، أطعمه، سقاه).

ونجد الإحالة الضميرية كذلك في مثل: عن عبد الله رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (إذا نصح العبد سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين).^(٤٦)

فأسلوب الشرط هنا تضمن إحالات ضميرية متتالية ظهرت في ضمير الغائب في كلمة (سيده) وضمير الغائب في كلمة (ربه) وضمير الغائب في كلمة (له) وضمير الغائب في كلمة (أجره). إن الإحالات الضميرية قد حققت الربط اللفظي في الحديث والربط اللفظي يحقق الربط المعنوي في نص الحديث كذلك.

ونجد الإحالة الضميرية كذلك في مثل: عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن بعبسى ثم آمن بي فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران).

نجد في هذا الحديث ثلاثة أساليب شرطية استُعملت فيها^(٤٧) أداة الشرط (إذا) وتضمنت هذه الأساليب الشرطية إحالات ضميرية كثيرة، ظهرت في ضمير الغائب في كلمة (أمته) وضمير الغائبة في كلمة (تأديبها، علمها، تعليمها، أعتقها، تزوجها وضمير الغائب (الهاء) في كلمة (له، فله، ربه، مواليه) إنَّ هذه الإحالات الضميرية قد ربطت بين ألفاظ الحديث وعزز قيمتها أسلوب الشرط الذي تضمنها مما يحقق التماسك والاتساق في نص الحديث.

ونجد الإحالة الضميرية كذلك في مثل:

عن النبي ﷺ قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها). فقلت أنت سمعته يحدث سعدًا ولا ينكره؟ قال نعم.^(٤٨)

تضمن أسلوب الشرط إحالات ضميرية ظهرت في ضمير الغائبة في كلمة (تدخلوها)، (بها) و (منها)، و (الجماعة في كلمة (تخرجوا).

نلاحظ من نماذج الأحاديث السابقة التي استُخدمت فيها الإحالة أنها جميعًا إحالة قبلية.

والإحالة القبلية (Anaphora): فيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه، وهي الحالة الأكثر شيوعًا، أما الإحالة البعدية (Cataphora) وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه وتستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل على تكثيف اهتمام القارئ، ففي تلقى النص يؤدي وجودها إلى خلق مكان فارغ مؤقت حتى يتم شغله بالمرجع المطلوب. إن استعمال الإحالة البعدية قد يثير مشكلة مؤقتة لدى مستقبل النص تساعد على رجوعهم في صميمه وقد يؤدي تأخير التعبير المشارك إلى دعم قدرة المتلقي على استرجاع العناصر أو الصفات التي ارتبطت بالإحالة البعدية أكثر من قدرتهم على استرجاع أو تذكر الصفات التي ارتبطت بالإحالة القبلية. وإذا كانت الإحالة (القبلية) تحقق استرجاعًا مقبولًا للمعنى مع إضفاء صفة الاقتصاد اللغوي على النص، وإذا كانت الإحصاءات تؤكد على أنها أكثر عناصر السبك ورودًا في

أي نص - فإن كثرتها واستمرارية وجودها تؤكد على ضرورة وجود تلك العناصر المحال إليها وجودًا فاعلاً على مدار النص، فهي تمثل الأساس الذي يحمل معانيه وأفكار صاحبه. والإحالة كعنصر من عناصر السبك النحو يرتبط بشكل أشد وضوحاً من غيره من العناصر بالبناء اللغوي التلقائي للمعاني الذي يحمل غرضاً أساسياً، وهو تقديم جمل متوازنة ومرتبطة لا انقطاع فيها.^(٤٩)

ونلاحظ كذلك أن الضمائر التي استُخدمت في الإحالة هي ضمير الغائب وضمير الغائبة والجمل التي استُخدمت فيها الإحالة الضميرية هي جمل فعلية شرطية. وينبغي أن نفرق بين الجمل التي يستخدم فيها الضمير استخداماً حتمياً أي يجب وجود الضمير فيها، لأن غيابها ينتج جملاً غير صحيحة نحوياً والجمل التي يكون استخدام الضمير فيها اختيارياً، بحيث يجوز وجوده أو عدم وجوده، وما يتضح من الأحاديث عينة الدراسة يبين أن وجود الضمير إجبارياً وليس اختيارياً، لأنه لو قمنا بتكرار الاسم العائد إليه الضمير في الجملة لحصلنا على جملة غير صحيحة نحوياً.

ثالثاً: التوازي:

جاءت أساليب شرطية متوازية كثيرة في نماذج الأحاديث النبوية الشريفة عينة الدراسة. والتوازي أو الموازة Parallelism يقع بين الجمل أو العبارات التي يتحد تركيبها أو يكاد. وقد يكون بين تركيبين يشتركان في عدد الوحدات وفي أوزانها وترتيبها وفي الفاصلة أو القافية. والتوازي يتحقق ببعض هذه الشروط الأربعة بصورة كلية أو جزئية وليس تحققها مجتمعة شرطاً، وهو يتيح للنص صورة من التنسيق كما يحقق جرساً موسيقياً تطرب له الأذن.^(٥٠)

والأساليب الشرطية المتوازية التي جاءت في الأحاديث عينة الدراسة كان الغرض منها بعمامة التعليم والنصح للإنسان المسلم لما يصلح دينه ودنياه وآخرته والتفصيل في أمور تهمه في العبادات والمعاملات، وسوف نعرف المزيد بعد دراسة الأساليب الشرطية المتوازية التي وردت في الأحاديث عينة الدراسة.

والتوازي نجده في مثل: قال حدثني عمران بن حصين وكان مبسوراً قال سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعداً فقال: (إن صلى قائماً فهو أفضل، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد).^(٥١)

فالتركيب الشرطي الأول يوازي تفصيلياً التركيبين الشرطيين التاليين اللذين اقترنا ببعضهما تضادياً. والغرض من التوازي هنا هو التفصيل في أمر من أمور العبادات وهو الصلاة. إن اقتران التوازي بالشرط يعمق الفكرة ويحقق مبدأ الانسجام في بنية الحديث، ويعكس قدرة تنظيمية هائلة داخل النص.

وقد تكون علاقة التوازي بين التراكيب الشرطية لأغراض المقصدية التفصيلية. وهذا نجده

في مثل:

أخبرني أبو إدريس: أنه سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ تَوْضَأَ فَلَيْسَتْ تَنْتَرُ وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ).^(٥٢) فالتوازي بين التركيب الشرطي الأول والتركيب الشرطي الثاني لغرض التفصيل في أمور تهم الإنسان المسلم الذي يبحث عن الطهارة الحقيقية فالمقصود هنا هو تعليم المسلم أمور دينه.

ونجده كذلك في مثل:

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: (أربع خلال من كن فيه كان منافقاً خالصاً من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها).^(٥٣)

فلاحظ أن علاقة التوازي بين التراكيب الشرطية الأربعة المتتالية (إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) الغرض منها التفصيل في علامات المنافق أو صفاته حتى يبعد المسلمون عن تلك الصفات والغرض من التفصيل هنا التعليم والنصح. والتراكيب الشرطية المتوازية كذلك تقوم بتوزيع الجمل توزيعاً متساوياً مما يحقق الانسجام في النص، ونلاحظ كذلك السجع بين (غدر وفجر) وجرس الكلمات يعرض الفكرة في صورة لها تأثيرها الكبير في المتلقي.

ونجد كذلك التراكيب الشرطية المتوازية في الأحاديث عينة الدراسة في مثل: حدثنا زكريا عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعها ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).^(٥٤)

فالتركيب الشرطي الأول (فمن اتقى المشبهات) يوازي التركيب الشرطي الثاني (ومن وقع في الشبهات)، واقترن التركيبان ببعضهما تضادياً، والتركيب الشرطي الثالث (إذا صلحت صلح) يوازي التركيب الشرطي الرابع (وإذا فسد فسد) واقترن التركيبان ببعضهما تضادياً كذلك. والغرض من التراكيب الشرطية المتوازية هي التعليم والنصح للإنسان المسلم وهي تحقق الانسجام والتناسق في نص الحديث وهذا يساعد في عرض الفكرة في صورة أفضل فتكون أكثر تأثيراً وإقناعاً في المتلقي.

ونجد التراكيب الشرطية المتوازية كذلك في مثل:

حدثنا إسماعيل عن قيس أن بلالاً (رضي الله عنه) قال لأبي بكر (رضي الله عنه): إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله. (٥٥)

فالتركيب الشرطي الأول (إن كنت) يوازى التركيب الشرطي الثاني (وإن كنت) وبينهما علاقة تضاد تظهر جلية في جواب الشرط (فأمسكن) وجواب الشرط (فدعني). ونجدها كذلك في مثل: عن أبي هريرة (رضي الله عنه): عن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). (٥٦) فالتركيب الشرطي الأول يوازى التركيب الشرطي الثاني ويساويه في كل عناصره.

ومن التراكيب الشرطية المتوازية المتساوية العناصر كذلك: حدثني زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَخِيرَ فَقَدْ غَزَا) فالتركيب الشرطي الأول (مَنْ جَهَّزَ) يوازى التركيب الشرطي الثاني (وَمَنْ خَلَفَ) ويساويه في كل عناصره.

ونجد هذه التراكيب الشرطية كذلك في مثل: عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا هَلَكَ كَسْرَى فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْتَفِقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ). (٥٨)

فالتركيب الشرطي الأول (إِذَا هَلَكَ كَسْرَى) يوازى التركيب الشرطي الثاني (إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ) ويساويه في كل عناصره إن وجود العناصر المتساوية في التراكيب الشرطية المتوازية يحقق التناغم بين تلك التراكيب مما يحقق أقصى درجات الإبلاغية والمقبولية، ويوفر كذلك قوة تأثيرية هائلة في المتلقي.

رابعاً: مبدأ الدورية في التراكيب الشرطية:

كلمة (دورية) هي مصدر صناعي من دورة أي: دوران الشيء وتكراره بانتظام (٥٩) فالشرط يتكرر بانتظام وبصورة مستمرة ومتتابعة في أحاديث كثيرة وتتخذ الدورية نمطين: نمط شمولي وآخر جزئي، فالشمولي نجده في مثل: حدثنا العوام حدثنا إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي قال: سمعت أبا بردة واصطحب هو ويزيد بن أبي كبشة في سفر فكان يزيد يصوم في السفر فقال له أبو بردة سمعت أبا موسى مراراً يقول قال رسول الله ﷺ: (إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا). (٦٠)

وكذلك: أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا دَعَى أَحَدُكُمْ إِلَى وَلِيْمَةٍ فَلْيَأْتِهَا). (٦١)

وكذلك: عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ). (٦٢)

وكذلك: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ يَمُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). (٦٣)

وكذلك: أخبرني عمرو أن بكيراً حدثه أن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أنه سمع عبيد الله الخولاني: أنه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم وإني سمعت النبي ﷺ يقول: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ). (٦٤)

وكذلك: حدثني سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ الْجُمُعَةُ فَلْيَغْتَسِلْ). (٦٥)

وكذلك: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ). (٦٦)

وكذلك: حدثني أبو الأسود عن عكرمة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (٦٧) وهناك الكثير من الأحاديث التي يتكرر فيها أسلوب الشرط. بصورة دورية منتظمة ويأتي الشرط بانياً لنص الحديث كاملاً، إذ يُلاحظ أن نص كل حديث من هذه الأحاديث قد نُقلت دلالاته وماهيته وتصوراتهِ عبر الشرط؛ ويمكن القول: إن الربط الدوري هو ربط ذو طبيعة أفقية وخطية، أي: يظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، وكذلك عبر العلاقات والتصورات التي تعكسها الكلمات والجمل (٦٨) وقد ذكر (فنديك) أن التطابقات والتشابهات تحدث علاقات تصورية ناجحة، وتحدث التماسك وهذا ما يوفره مبدأ الدورية.

أما الدورية الجزئية: فتظهر عبر ظهور النسق الدوري بصورة منتظمة جزئياً في نص الحديث. ومن ذلك: عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). (٧٠)

نلاحظ في الحديث السابق أن الشرط يرد بصورة متكررة جزئياً عبر نص الحديث، ويمكن ترتيب التراكيب الشرطية الدورية على النحو الآتي:

- مَنْ اتَّقَى الْمَشَبَهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ.
- إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ.
- إِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ.

ومصدر الدورية هو التركيب الأول، فمن الأول انبثق الثاني والثالث، إذن العلاقة تعاقبيه أو تراتبية، فالتركيب يعقب الآخر، ومرتّب على ما يسبقه من حيث الدلالة التركيبية الكلية.

ونجد كذلك الدورية الجزئية في مثل: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته وإذا أدرك سجدة من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته).^(٧١)

ففي الحديث قد تكرر الشرط جزئياً عبر نص الحديث، وورد في الحديث تركيبان شرطيان

هما:

- إذا أدرك فليتم صلاته.

- إذا أدرك فليتم صلاته

والدورية الجزئية هنا دورية توضيحية توضح أمراً من أمور الصلاة.

ونجد كذلك الدورية الجزئية في مثل: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه).^(٧٢)

نلاحظ أن الشرط قد تكرر في الحديث، فقد ورد في الحديث تركيبان شرطيان هما:

- إذا أمن الإمام فأمنوا

- ومن وافق تأمينه غفر له)

فالدورية الجزئية هنا تراتبية فالتركيب الشرطي الثاني مرتّب على التركيب الشرطي الأول الذي يسبقه من حيث الدلالة التركيبية الكلية.

ونجد كذلك الدورية الجزئية في مثل: عن عروة عن عائشة قالت: خرجنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فمنا من أهل بعمره ومنا من أهل بحج فقدمنا مكة فقال رسول الله ﷺ (من أحرم بعمره ولم يهد فليحلل ومن أحرم بعمره وأهدى فلا يحل حتى يحل بنحر هديه ومن أهل بحج فليتم حجة). قالت فحضت فلم أزل حائضاً حتى كان يوم عرفة ولم أهمل إلا بعمره فأمرني النبي ﷺ أن أنقض رأسي وأمتشط وأهل بحج وأترك العمرة ففعلت ذلك حتى قضيت حجي فبعث معي عبد الرحمن بن أبي بكر وأمرني أن اعتمر مكان عمرتي من التتعيم.^(٧٣)

قد تكرر الشرط في الحديث وورد فيه ثلاثة تراكيب شرطية هي:

- من أحرم بعمره ولم يهد فليحلل.

- من أحرم بعمره وأهدى فلا يحل)

- ومن أهل بحج فليتم حجه

والعلاقة بين هذه التراكيب الشرطية هي علاقة تفصيلية توضيحية، فالدورية الجزئية هنا دورية توضيحية توضح أمراً من أمور الدين وهو الحج والعمرة.

خامساً: التسلسلية التوضيحية:

يقوم التركيب الشرطي بتوضيح التركيب البؤري الذي يسبقه وذلك عب مجموعة من التراكيب الشرطية المتتابعة التي تدل على رغبة الرسول ﷺ في عرض التفاصيل المرتبطة بهذا التركيب في دقة شديدة ونرى هذا التابع للشرط عبر نص الحديث.

وهذا نجده في مثل: ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون).^(٧٤)

إن قول النبي ﷺ (إنما جعل الإمام ليؤتم به) فهذا التركيب يمثل التركيب البؤري في الحديث أو التركيب المحوري وجاءت بعده مجموعة من التراكيب الشرطية التي توضحه فتوضح كيف يؤتم بالإمام، (فإذا كبر فكبروا إلخ) وتوجد علاقة كبيرة بين تلك التراكيب الشرطية تكمل المعنى شيئاً فشيئاً ونلاحظ هنا أن هذه التراكيب الشرطية هي أساس نص الحديث ولها دور كبير في بنائه والترابط بين تلك التراكيب الشرطية يحقق التماسك في نص الحديث والتماسك يحقق الإبلالية التوضيحية.

ونجده كذلك في مثل: ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلى يعني عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلى فيه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه).^(٧٥)

فالتراكيب المحوري أو البؤري في الحديث هو "صلاة الجميع وعشرين درجة" وجاءت بعده التراكيب الشرطية التوضيحية؛ وهي:

(١) إذا توضأ فأحسن رفعه الله

(٢) وإذا دخل المسجد

فنلاحظ هنا أن الحديث اعتمد اعتماداً رئيساً في توضيح المعنى على التراكيب الشرطية وكذلك ربطت التراكيب الشرطية بين أطراف الحديث جميعها مما أدى إلى التماسك في نص الحديث ووصل به إلى أقصى درجات الإبلالية.

ونجد كذلك التسلسلية التوضيحية في مثل: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان).^(٧٦)

فالتراكيب المحوري في الحديث هو (آية المنافق ثلاث) وجاءت التراكيب الشرطية الثلاثة التالية له موضحة له فبينت التراكيب الشرطية الثلاثة علامات المنافق.

ونجد كذلك التسلسلية التوضيحية في مثل: عن عبد الله بن بريدة أن عمران بن حصن وكان رجلاً مبسوراً وقال أبو معمر مرة عن عمران قال: سألت النبي ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعد فقال: (مَنْ صَلَّى قائماً فهو أفضل وَمَنْ صَلَّى قاعداً فله نصف أجر القائم وَمَنْ صَلَّى نائماً فله نصف أجر القاعد). فالتركيب المحوري هو: (سألت النبي ﷺ وهو قاعد). وجاءت ثلاثة تراكيب شرطية تالية له توضح أن المسلم يمكن أن يصلي وهو قائم أو قاعد أو نائم ووضح الحديث كذلك الأجر الذي يأخذه المسلم في كل حالة.

الخاتمة:

تتاول هذا البحث دراسة (أسلوب الشرط في الحديث النبوي الشريف) دراسة تحليلية وتطبيقية في نماذج من (صحيح البخاري)، وقبل أن أبدأ في هذه الدراسة قمت بدراسة أدوات الشرط الأكثر وروداً في الأحاديث عينة الدراسة في العربية وهي: (إذا - مَنْ - إن). وبدأت البحث بمقدمة تحدثت فيها عن السبب الذي دفعني إلى هذه الدراسة والهدف من هذه الدراسة وما تضمنه البحث من مباحث، وقد وجدت بعد دراسة (إذا) في العربية ما يأتي:

(١) (إذا) ظرف للزمان المستقبل، ولا يقع بعد (إذا) التي للجزاء إلا الفعل، لأن الجزاء لا يكون إلا بالفعل، وإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعاً فرفعه على تقدير فعل قبله لأنه لا يكون بعدها الابتداء والخبر، ويكون الفعل بعد (إذا) الشرطية ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك - وقد تخرج (إذا) عن الظرفية والاستقبال والشرط:

تخرج (إذا) عن الظرفية والشرطية إذا جاءت بعد (حتى) كما في الآية (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) (سورة الزمر / ٧١).

أما خروج (إذا) عن الاستقبال، فذلك على وجهين؛ أحدهما أن تأتي للماضي، والثاني أن تأتي للحال، وذلك بعد القسم، نحو (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) (سورة الليل ١)

- ورد جواب (إذا) الشرطية مقروناً بـ "إذا" الفجائية، وورد مقروناً بـ (ما) النافية، وورد جملة اسمية.

(٢) (إن) أصل أدوات الشرط الجازمة، ولذلك اختصت بجواز أن يقع بعدها الاسم المرفوع الذي بعده فعل يفسر ذلك الفعل المحذوف في الاختيار، أما غير (إن) فلا يقع ذلك فيه إلا في الشعر.

(٣) أما (مَنْ) الشرطية، نحو (مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ).

(٤) وبعد الدراسة التحليلية للتراكيب الشرطية في نماذج من الحديث النبوي الشريف، اتضح

ما يأتي:

أولاً: جواب الشرط:

- جاء جواب الشرط جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع وقد اقترنت به الفاء ثم لام الأمر. فكان

أسلوب الشرط هو المؤسس للبناء اللغوي والمعنوي في الحديث، فقد كان أسلوب الشرط هو الحديث

بأكمله في كثير من الأحاديث، وأسلوب الشرط من عوامل ترابط الجمل فالترابط بين جملة الشرط وجملة الجواب يحقق التماسك في البناء اللغوي، كذلك تضمن أسلوب الشرط أكثر من وسيلة من وسائل الربط، فأداة الشرط لها دور كبير في الربط، وكذلك حرف (الفاء) الواقع في جواب الشرط، يحقق الربط بين جملتي الشرط والجواب، وهذا يحقق التماسك اللغوي في نص الحديث فيصل إلى أقصى درجات الإبلاغية والمقبولية.

- جاء جواب الشرط جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع لم تقترن به الفاء أو لام الأمر.
- جاءت جملة جواب الشرط تبدأ بفعل مضارع سبقته (لا) الناهية واقتترنت بها (الفاء).
- جاءت جملة جواب الشرط تبدأ بفعل ماض.
- جاءت جملة جواب الشرط تبدأ بفعل ماض سبقته (قد) واقتترنت بها (الفاء).
- جاءت جملة جواب الشرط جملة اسمية.
- قام التركيب الشرطي بدور رئيس في بناء نص الحديث وتحقيق الترابط والتماسك اللغوي فيصل إلى أقصى درجات الإبلاغية والمقبولية.

ثانيًا: الإحالة:

تضمنت الأساليب الشرطية التي وردت في الأحاديث النبوية عينة الدراسة إحالات ضميرية كثيرة، كذلك كانت الإحالة قبلية والضمائر التي استخدمت في الإحالة هي ضمير الغائب وضمير الغائبة والجمل التي استخدمت فيها الإحالة الضميرية هي جمل فعلية شرطية.

- ويتضح من الأحاديث عينة الدراسة أن وجود الضمير إجباري وليس اختياريًا، لأنه لو قمنا بتكرار الاسم العائد إليه الضمير في الجملة لحصلنا على جملة غير صحيحة نحويًا.
- إن هذه الإحالات الضميرية قد ربطت بين ألفاظ الحديث وعزّرت قيمتها أسلوب الشرط الذي تضمنها مما يحقق التماسك والاتساق في نص الحديث. فالإحالة كانت وسيلة من وسائل الربط اللفظي في نص الحديث، والربط اللفظي يحقق الربط المعنوي فيصل الحديث إلى أقصى درجات الإبلاغية والمقبولية.

ثالثًا: التوازي:

- وردت أساليب شرطية متوازية كثيرة في نماذج الأحاديث النبوية الشريفة عينة الدراسة.
- الأساليب الشرطية المتوازية التي جاءت في الأحاديث عينة الدراسة كان الغرض منها بعامة التعليم والنصح للإنسان المسلم لما يصلح دينه ودنياه وآخرته والتفصيل في أمور تهمة في العبادات والمعاملات فوجدنا الكثير من التراكيب الشرطية المتوازية لأغراض المقصدية التفصيلية.
- وردت بعض التراكيب الشرطية المتوازية تجمعها علاقة التضاد.
- وردت بعض التراكيب الشرطية المتساوية العناصر في بعض الأحاديث عينة الدراسة.
- إن وجود العناصر المتساوية في التراكيب الشرطية المتوازية يحقق التناغم والتناغم بين تلك التراكيب مما يحقق أقصى درجات الإبلاغية والمقبولية، ويوفر كذلك قوة تأثيرية هائلة في المتلقى .

- إن اقتران التوازي بالشرط يعمق الفكرة ويحقق مبدأ الانسجام في بنية الحديث، ويعكس قدرة تنظيمية هائلة داخل النص.

رابعاً مبدأ الدورية في التراكيب الشرطية:

كلمة (دورية) هي مصدر صناعي من دورة أي: دوران الشيء وتكراره بانتظام، فالشرط يتكرر بانتظام وبصورة مستمرة ومتتابة في أحاديث كثيرة، وتتخذ الدورية نمطين: نمط شمولي وآخر جزئي، فالشمولي يُلاحظ فيه أن نص كل حديث من هذه الأحاديث قد نُقلت دلالاته وماهيته وتصويراته عبر الشرط؛ ويمكن القول: إن الربط الدوري هو ربط ذو طبيعة أفقية وخطية، أي: يظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل. وقد ذكر (فندايك) أن التطابقات والتشابهات تحدث علاقات تصويرية ناجحة، وتحدث التماسك وهذا ما يوفر مبدأ الدورية.

أما الدورية الجزئية فكانت في الأحاديث عينة الدراسة دورية تعاقبية أو تراتبية، فالتركيب يعقب الآخر، ومرتّب على ما يسبقه من حيث الدلالة التركيبية الكلية.

- وجاءت كذلك الدورية الجزئية دورية تفصيلية توضيحية توضح أمراً من أمور الدين في بعض الأحاديث عينة الدراسة.

خامساً التسلسلية التوضيحية:

- ظهرت التسلسلية التوضيحية في بعض الأحاديث عينة الدراسة، حيث يقوم التركيب الشرطي بتوضيح التركيب البؤري الذي يسبقه وذلك عبر مجموعة من التراكيب الشرطية المتتابة التي تدل على رغبة الرسول ﷺ في عرض التفاصيل المرتبطة بهذا التركيب في دقة شديدة ونرى هذا التتابع للشرط عبر نص الحديث.

- كانت التراكيب الشرطية في هذه النوعية من الأحاديث هي أساس نص الحديث ولها دور كبير في بنائه والترابط بين تلك التراكيب الشرطية يحقق التماسك في نص الحديث والتماسك يحقق الإبلالية التوضيحية، كذلك اعتمد الحديث اعتماداً رئيساً في توضيح المعنى على هذه التراكيب الشرطية وربطت هذه التراكيب الشرطية كذلك بين أطراف الحديث جميعها مما أدى إلى التماسك في نص الحديث ووصل به إلى أقصى درجات الإبلالية والمقبولية.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - أسلوب الشرط في الحديث النبوي - دراسة تطبيقية في نماذج من صحيح البخاري

هوامش البحث:

- (١) لسان العرب، ابن منظور (بيروت - دار الرسالة ١٩٥٦)، انظر كذلك: القاموس المحيط، الفيروزبادي.
- (٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام جمال الدين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط. (بيروت: المكتبة العصرية ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٦)
- (٣) شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، د. ط. القاهرة، إدارة المطبعة المنيرية، ج ٧، ص ٤١-٤٦
- (٤) شرح مغنى للبيت المسمى بـ"شرح المزج للدماميني محمد بن أبي بكر بن عمر ت ٨٢٨ هـ - دراسة وتحقيق عبد الحافظ حسن مصطفى العسيلي الطبعة - بدون - ن. ط. - ص ٤٩٣
- (٥) المرجع نفسه ص ٤٩٣، ٤٩٤
- (٦) شرح الكافية للاسترايادي النحوي ت ٦٨٦ هـ ١٠٨/٢، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٥ م.
- (٧) شرح مغنى اللبيب - تحقيق عبد الحافظ العسيلي - ص ٤٩٥
- (٨) كتاب الألفية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي - تحقيق عبد المعين الملوحي ١٩٩٣، ص ٢٠٤
- (٩) الكتاب، سيبويه ٦١/٣، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ط.).
- (١٠) شرح مغنى اللبيب - ص ٤٩٧، ٤٩٨
- (١١) شرح مغنى اللبيب - ص ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، وكذلك شرح الكافية، الاسترايادي، ١١١ / ٢.
- (١٢) شرح مغنى اللبيب / ٥٢٠، شرح الكافية ١١١/ ٢
- (١٣) شرح مغنى اللبيب / ٥٢٠، ٥٢١
- (١٤) انظر الجنى الداني، ص ٣٦٩، ٣٧٠، المرادي
- (١٥) شرح مغنى اللبيب / ٥١٥
- (١٦) مغنى اللبيب، تأليف ابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١، ص ٣٥٨ - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا، ١٩٩١ م.
- (١٧) المرجع نفسه، ص ٢٩، ٣٠
- (١٨) الكتاب، سيبويه ١ / ٤٥٦، وكذلك شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٩، وكذلك شرح الكافية، الرضي ٢ / ٢٣٧، وكذلك المقتضب، المبرد - ٧٤/٢، ٧٥، تحقيق عبد الخالق عضيمة - مصر ١٣٨٥ هـ
- (١٩) ١١١٠ - كتاب التطوع (٢٦) باب واحد - ما جاء في التطوع مثني مثني - برنامج المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني ٢٠٠٩ - كتب المتون - صحيح البخاري - النسخة الأولى - مصدر الكتاب موقع وزارة الأوقاف المصرية - الكتاب مُرقم آلياً وغير موافق للمطبوع.
- (٢٠) ٦٧١ نسخة (٢) رقم ١٥ كتاب الجماعة والإمامة، باب ٣٤، إذا صلى بنفسه فليطول ما شاء.
- (٢١) شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٣ / ١٥١، عالم الكتب، بيروت (د. ت.)
- (٢٢) الإيضاح في علل النحو، الزجاجي / ٤٤، تحقيق د. مازن المبارك، بيروت ١٩٨٢
- (٢٣) ٢٤٢٠ نسخة (٢) رقم ٥٤ كتاب العتق، باب ٢٠، إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - أسلوب الشرط في الحديث النبوي - دراسة تطبيقية في نماذج من صحيح البخاري

(٢٤) ٤٨٧٨ نسخة (٢) رقم ٧٠ كتاب النكاح، باب ٧١، حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه.
(٢٥) ٦٤٩٠ نسخة أولى - رقم ٨١ كتاب الرقاق باب ٣٠ باب فليُنظر إلى مَنْ هو أسفل منه ولا ينظر إلى مَنْ هو
فوقه

- (٢٦) ١٠٦ نسخة أولى - رقم ٣ كتاب العلم، باب ٣٨ - أثم مَنْ كذب على النبي.
(٢٧) ١٩٦١ نسخة (٢) - رقم ٣٩ كتاب البيوع، باب ١٣ - مَنْ أحب البسط في الرزق
(٢٨) ٢١٥٢ نسخة (١) - رقم ٣٤ كتاب البيوع، باب ٦٦ - بيع العبد للزاني.
(٢٩) ٤١ - نسخة أولى - ٢ كتاب الإيمان، باب ٣١ - حسن إسلام المرء.
(٣٠) ٢٩٤٨ - ن ٢ - ٦١ كتاب الخمس، باب ٧ - باب قوله تعالى فَإِنَّ اللَّهَ خُصْسه وللرسول،
(٣١) ٢٨٨٦ - ن ١ - ٥٦ كتاب الجهاد، باب ٧ - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.
(٣٢) ٣٨٩٥ - ن ١ - ٦٣ كتاب مناقب الأنصار، باب ٤٤ - باب تزويج النبي عائشة.
(٣٣) ٨٢٧ - ن ٢ (١٦) كتاب صفة الصلاة (٧٧) باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل.
(٣٤) ٣٢٨٦ - ن ٢ (٦٤) كتاب الأنبياء (٥٢) باب. أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم.
(٣٥) ٤١٧٥ - ن ٢ (٦٧) كتاب المغازي (٧٨) باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
(٣٦) ٣٥ - ن ١ (٢) كتاب الإيمان (٢٥) باب قيام ليلة القدر من الإيمان.
(٣٧) ٦٣١ - ن ٢ (٢٥) كتاب الجماعة والإمامة (٩) باب فضل مَنْ غدا إلى المسجد أو راح.
(٣٨) ٥٢٨ - ن ٢ (١٣) كتاب مواقيت الصلاة (١٤) باب أثم مَنْ ترك العصر.
(٣٩) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تأليف زتسيسلاف وأورزنيك - ترجمة وتعليق: د/ سعيد حسن
بحيري - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - ٢٠١٠.
(٤٠) نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج. تقديم د/ سليمان العطار، د/ محمود
فهيم حجازي - ٨٣ - الطبعة الأولى ٢٠٠٧ - الناشر مكتبة الآداب.
(٤١) المرجع نفسه - ٨٤ .
(٤٢) البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٨.
(٤٣) ٧٤٧ - ن ٢ (٢٦) كتاب صفة الصلاة (٢٩) باب جهر الإمام بالتأمين.
(٤٤) ١٣٥٩ - ن ٢ (٣٠) كتاب الزكاة (١٦) باب مَنْ أمر خادمه بالصدقة ولم ينال بنفسه.
(٤٥) ١٨٣١ - ن ٢ (٣٦) كتاب الصوم (٢٦) باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا.
(٤٦) ٢٤١٢ - ن ٢ (٥٤) كتاب العتق (١٧) باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عدي وأمتي.
(٤٧) ٣٢٦٢ - ن ٢ (٦٤) كتاب الأنبياء (٤٩) باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت) مريم ١٦.
(٤٨) ٥٣٩٦ - ن ٢ (٦٤) كتاب الأنبياء (٥٢) باب. أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم.
(٤٩) رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد، تقديم د. سليمان العطار، محمود فهيم حجازي، ص ٨٤،
٨٥.

(٥٠) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج ٦، ص ١١٢، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، ط ٣، بيروت،
دار الجبل.

(٥١) ١١١٥ - ن ١ (١٨) كتاب تقصير الصلاة (١٧) باب صلاة القاعد.

(٥٢) ١٥٩ - ن ٢ (٤) كتاب الوضوء (٢٤) باب الاستئثار في الوضوء.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) - أسلوب الشرط في الحديث النبوي - دراسة تطبيقية في نماذج من صحيح البخاري

- (٥٣) ٣٠٠٧ - ن ٢ (٦٢) كتاب الجزية والموادعة (١٧) باب أثم من عاهد ثم غدر.
(٥٤) ٥٢ - ن ١ (٢) كتاب الإيمان (٣٩) باب من استبرأ لدينه.
(٥٥) ٣٧٥٥ - ن ١ (٦٢) كتاب فضائل الصحابة (٢٣) باب مناقب بلال بن رباح.
(٥٦) ١٨٠٢ - ن ٢ (٣٦) كتاب الصوم (٦) باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية.
(٥٧) ٢٦٨٨ - ن ٢ (٦٠) كتاب الجهاد والسير (٣٨) باب من جهر غازياً أو خلفه بخير.
(٥٨) ٢٩٥٢ - ن ٢ (٦١) كتاب الخمس (٨) باب قوله (ص) أحلت لكم الغنائم.
(٥٩) معجم اللغة العربية، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ط١، القاهرة: عالم الكتب ٢٠٠٨م، ٤ ص ٧٨٥.
(٦٠) ٢٨٣٤ - ن ٢ (٦٠) كتاب الجهات والسير (١٣٢) باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة.
(٦١) ٤٨٧٨ - نسخة (٢) رقم ٧٠ كتاب النكاح باب ٧١، حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه.
(٦٢) ٥٩٣٠ - ن ٢ (٨٢) كتاب الاستئذان (٤٥) باب لا يتتأجى اثنان دون الثالث.
(٦٣) ٣٥ - ن ١ (٢) كتاب الإيمان (٢٥) باب قيام ليلة القدر من الإيمان.
(٦٤) ٤٣٩ - ن ٢ (١١) كتاب المساجد (٣٢) باب من بنى مسجداً.
(٦٥) ٨٥٤ - ن ٢ (١٧) كتاب الجمعة (١١) باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم.
(٦٦) ١٨٥١ - ن ٢ (٣٦) كتاب الصوم (٤١) باب من مات وعليه صيام.
(٦٧) ٢٣٤٨ - ن ٢ (٥١) كتاب المظالم (٣٤) باب من قُتل دون ماله.
(٦٨) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيرى، ص ١٢٢، ط١، القاهرة، الشركة المصرية العالمية
لونجمان، ١٩٩٧م).
(٦٩) انظر السابق نفسه ص ١٢٢.
(٧٠) ٥٢ - ن ١ (٢) كتاب الإيمان (٣٩) باب من استبرأ لدينه.
(٧١) ٥٣١ - ن ٢ (١٣) كتاب صفة الصلاة (١٦) باب من أدرك ركعة من العصر بعد الغروب.
(٧٢) ٧٤٧ - ن ٢ (١٦) كتاب صفة الصلاة (٢٩) باب جهر الإمام بالتأمين.
(٧٣) ٣١٣ - ن ٢ (٦) كتاب الحيض (١٨) باب كيف تهل الحائض بالحج والعمرة.
(٧٤) البخاري الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،
(المنصورة: مكتبة الإيمان، ٢٠٠٣م) كتاب الأذان، باب: إيجاب التكبير وافتتاح الصلاة، حديث رقم ٧٣٤.
(٧٥) البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الصلاة في مسجد السوق، حديث رقم ٤٧٧.
(٧٦) برنامج المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني ٢٠٠٩ - كتب المتن - صحيح البخاري. www.shamela.ws

مراجع البحث:

— القرآن الكريم.

الإسترياذي: شرح الكافية، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٩٧٥

أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة. ط١، القاهرة: عالم الكتب ٢٠٠٨م.

البخاري:

- صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المنصورة، مكتبة الإيمان، ٢٠٠٣م.
— كتاب الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ —
١٩٨٧م تحقيق د. مصطفى ديب البغى - أستاذ الحديث وعلومه - كلية الشريعة -
جامعة دمشق.

**جسور (نشرة غير دورية محكمة) - أسلوب الشرط في الحديث النبوي - دراسة تطبيقية
في نماذج من صحيح البخاري**
فاطمة محمد علي عمر

- صحيح البخاري، برنامج المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني ٢٠٠٩ كتب المتون. مصدر الكتاب موقع وزارة الأوقاف المصرية الكتاب مُرقم آليًا وغير موافق للمطبوع.
- حسام أحمد فرج:** نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري. تقديم د. سليمان العطار، د. محمود فهمي حجازي، ط ٢ - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٩م
- الخطيب القزويني:** الإيضاح في علوم البلاغة - شرح محمد عبد المنعم خفاجي. ط ٣ بيروت، دار الجبل.
- الدَّماميني:** شرح مغنى اللبيب المسمى بـ (شرح المزج)، دراسة وتحقيق عبد الحافظ حسن مصطفى العسيلي، ن. ط
- زتسيسلاف وأورزنيك:** مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص - ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ٢٠١٠م.
- سعيد بحيري:** علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ط ١، القاهرة: الشركة المصرية العالمية لوجمان، ١٩٩٧ م.
- سيبويه:** الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ط.
- الميرد:** المقتضب - تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة - مصر ١٣٨٥ هـ.
- المرادي:** الجني الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ابن منظور:** لسان العرب، بيروت - دار الرسالة، ١٩٥٦.
- الهروي:** كتاب الألفية في علم الحروف - تحقيق عبد المعين الملوحي ١٩٩٣.
- ابن هشام الأنصاري:**
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، بيروت، المكتبة العصرية.
- مغنى اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا ١٩٩١ م.
- ابن يعيش:** شرح المفصل، د. ط، القاهرة، إدارة المطبعة المنيرية.

دراسات في الترجمة

أحمد مختار عمر - من الترجمة الآلية إلى الترجمة الفنية

أشرف عبد البديع عبد الكريم

١/١: مهاد تاريخي: العربية والترجمة:

لم يكن الاهتمام بالترجمة ولید اللحظة الآنية، بقدر ما يمكن اعتباره ملازما للعرب ملازمة وجود، على ما تورد المصادر التاريخية^١، وكيف أن عرب الجاهلية طوعوا الكلمات غير العربية إلى استعمالها، ثم ما لبث الأمر أن تغير في مرحلة مفصلية في حياة الدولة الإسلامية، كما حدث في العصر العباسي حين ترجموا علوم اليونان واجهتهم المشكلة فتصدوا لها، وكان هذا الاتصال الأول والمؤثر في حياة التعامل مع المصطلحات الأجنبية بشكل مباشر وفاعل، ثم كان الاتصال الثاني في العصر الحديث عقب الاتصال المصري بالغرب على يد محمد علي، حين بدأ يرسل الإرساليات والبعثات الدراسية إلى أوروبا، وهنا كان الاتصال مؤثرا جدا، وأثره واضح على الدراسات العربية المترجمة، وهي مرحلة رفاعه رافع الطهطاوي ورفاقه التي كانت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. ثم كانت المرحلة الأخيرة التي تعنينا نحن اللسانيين، وقد بدأت تقريبا مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة حين أرسل جماعة من اللسانيين العرب للحصول على الدكتوراه من الجامعات الغربية، وهنا واجهوا مشكلة عصية، فحاولوا أن يقدموا لها حولا، وكان قد تأسس قبل ذلك مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٢، وبدأ العمل به ١٩٣٤م في القاهرة، وأقيمت المؤتمرات الدولية للترجمة والتعريب، وخصصت المجالات الخاصة كمجلة اللسان العربي والمعجمية ... إلخ، وعلى الرغم من كل ذلك فإن المشكلة تستعصي على الحل؛ لأسباب عديدة لا داعي للخوض فيها في هذا السياق، وقد انزلق اللسانيون جميعا إلى هذه المشكلة ذات القرار البعيد، على الرغم من أنهم الموكل إليهم تقديم الحلول، فإذا كانوا مختلفين في كيفية التعامل مع هذه المصطلحات، فإن هذا لم يقتصر على ذلك، بله لدى الباحث الواحد.

وقد قسمت البحث عددا من العناصر، بحيث تجلي جوانبه على النحو الآتي:

١/١: مهاد تاريخي موجز،، العربية والترجمة.

٢/١: مكانة الشيخ في درس اللساني والعنوان المقترح.

٣/١: مادة الدراسة.

٤/١: آلية قراءة المصطلحين لدى الشيخ وطريقة صياغتهما في البحث.

٥/١: قراءة للمصطلحين لدى الشيخ في ضوء اقتراحات الأنطاكي.

(١) ليس المقام مقام سرد تفاصيل جوهريه في هذا الشأن، وإنما نكتفي بالإحالة إلى بعض المصادر التاريخية ... أبو الفرج الأصفهاني ٦ / ١٢٧ على سبيل المثال، وكوركيس عواد: الورق أو الكاغد؛ صناعته في العصور الإسلامية، ١ / ٤١٢: ٤١٩، عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية، ص ٤١: ٤٣ على سبيل المثال.

٦/١: دراسة تطبيقية لمصطلحي Vowels و Consonants في "أسس علم اللغة":

١/ ٦/١: المعالجة الأساسية.

٢/ ٦/١: المعالجة التفصيلية.

٧/١: دراسة تطبيقية لمصطلحي Vowels و Consonants في "دراسة الصوت اللغوي".

٨/١: خلاصة الكلام على مقترحات الشيخ أحمد مختار.

وستعالج هذه المطالب على الانتظام والاتساق الوارد أعلاه، فيما يستقبل من حديث ببيان

شافٍ ووافٍ

٢/١: مكانة الشيخ في الدرس اللساني والعنوان المقترح^(٩):

لم ألتق بالشيخ الجليل إلا مرة واحدة في القاهرة حسوة طائر، حين ترقية أحد الزملاء إلى درجة أستاذ، وكان الشيخ يومئذ عضوا بلجنة الترقيات، وعلى الرغم من عدم الاتصال المباشر به، قد تتلمذت على مؤلفاته وقد أفدت منها ككل الباحثين.

والشيخ حقيق بالإمامة في هذا الباب من العلم، ولا يعني البحث في مؤلفاته، أن هذا انتقاص منه، حاشا وكلا، وقد حاولت، والله، جاهدا في كيفية إيراد اسمه، فلم أجد أفضل من صيغة الشيخ أو الشيخ الجليل، وأنبه إلى أن هنالك ثلة من العلماء والباحثين الذين سترد أسماؤهم في ثنايا البحث، وستكون الإشارة إليهم بأسمائهم فقط، تمييزا للشيخ وليس تقليلا أو انتقاصا منهم، وهو عندي من الحفاوة والمكانة والإجلال، إذا ذكرت هذه العبارة، فالمعنى هو ما أردت، وليس لها معنى آخر؛ خشية أن يتلقفها المغرضون والمرجفون.

ولم يكن اختيار الشيخ اختيارا عشوائيا؛ فهو من المعدوديين الذين قدموا دراسات كثيرة وعميقة في اللسانيات العربية، أسهمت في أن تتبوأ مكانة مرموقة، كما أنها ساعدت كثيرا في أن يقع الاختيار عليه ضمن مجموعة من الباحثين العرب؛ لمناقشة أعمالهم في هذه السلسلة التي تحاول أن تقدم قراءة لهذين المصطلحين (Vowels و Consonants) في كيفية اختيار المكافئات العربية لها، وهذه الخلافات بين الباحثين العرب مردها إلى أسباب كثيرة وعديدة؛ منها ما هو ثقافي، ومنها ما هو قطري ... إلخ، فإذا كانت المشكلة ليست بين الباحثين، بله لدى الباحث الواحد في عدد من

(٩) لكتاب هذا البحث بحث بعنوان "نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس. وينبغي الإشارة إلى أن هذين المصطلحين من المصطلحات الأساسية في الدراسة الصوتية القديمة والحديثة على السواء، ومن ثم، فقد نالا اهتماما كبيرا في الدراسات الصوتية الحديثة، خاصة حين محاولة نقلهما إلى العربية، ومن هنا تعددت المقترحات لهما، وعندئذ لم أستطع أن أتعرض لكل المؤلفات اللسانية العربية؛ لكثرتها من جهة، ولطول الفترة الزمنية التي تزيد على سبعين عاما من جهة أخرى، وعلى هذا، فقد جاءتني فكرة أن تناول هذين المصطلحين في بعض المؤلفات الحديثة على فترات من الزمن، كلما وجدت فرصة سانحة، وعلى هذا يمكن اعتبارها سلسلة بدأت بإبراهيم أنيس، الذي يمكن اعتبار بحثه الحلقة الأولى، وهذا البحث الحلقة الثانية في هذه السلسلة. وأرجو أن يتناول هذا الموضوع أحد الباحثين في دراسة علمية موسعة.

كتابات، فإن الشيخ يمثلها في هذا حين التعامل مع هذين المصطلحين، أو في مؤلف واحد على ذلك النحو الذي هو موجود لدى إبراهيم أنيس في "الأصوات اللغوية" أو لدى محمود السعران الذي يحتاج إلى إبانة شديدة في هذا المجال، باعتباره من أوائل اللسانيين العرب الذين أولوا هذه القضية اهتماما فعلياً وجوهرياً منذ ما يزيد عن نصف قرن^(١).

أشير ابتداءً إلى أن اختياري وقع على الشيخ الجليل؛ لعدد من الأسباب الجامعة المانعة، منها، **الأول:** وهو سبب عام، إذ ألف عدداً من المؤلفات المهمة في الدلالة والأصوات وتاريخ اللغة العربية والمعاجم والعربية المعاصرة واللسانيات العامة وأخطاء الإذاعيين، فضلاً عن الدراسات والأبحاث في المجالات العربية والأجنبية، وعندي أنه لم يترك مجالاً من مجالاتها إلا ضرب فيه بسهم وافر، **الثاني:** كان يعنى في مؤلفاته بإقامة مسارد للمصطلحات، وهي تعني الكثير عند من يعانها ويكابد الأمرين في اختيار المكافئات المناسبة، ومن ثم فهو يعني اهتمامه الضمني "غير المباشر" بقضية المصطلح، وهو سبب وجيه، وإن كان لا يقل قيمة في حيثيات اختيار الشيخ للبحث. **الثالث:** وهو أنه من المترجمين العرب المعودين، كما أنه من الذين كتبوا بالعربية والإنجليزية في الوقت ذاته، وهو ما يجعله يعايش المشكلة ليس عن قرب بقدر ما كان يجاهر بها من خلال شئئين، الأول: الاحتكاك المباشر بالمؤلفات الغربية خصوصاً المكتوبة بالإنجليزية، الثاني: الاحتكاك غير المباشر بالباحثين الغربيين في المؤتمرات العلمية، وقد يقول قائل إنكم عكستم القضية، إذ كان ينبغي أن يكون العنصر الأول هو غير المباشر، والثاني هو الاحتكاك المباشر، وربما يبدو هذا صحيحاً للوهلة الأولى، لكنه يظل يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأن الرؤية الأولى يتعامل فيها الشيخ تعاملًا مباشرًا مع المصطلح اللساني، وهو بيت القصيد، لا الرأي الثاني الذي يلتقي فيه الشيخ في المؤتمرات الذي يتميز بشكل عام بالحديث في الإطار العام، خلافاً للأول وهو الاحتكاك المباشر. ومن هنا أردت أن أذكر هذا البيان للإيضاح والبيان الذي هو مقصد كل بحث علمي. ولا ريب أن العنصر الثاني والثاني خاصان خلافاً للأول وهو العام.

كما أود أن أشير إلى ملحظ يتعلق بالعنوان المقترح؛ إذ اقترحتُ له الترجمة الآلية، قاصداً بها الترجمة الحرفية لدى الشيخ، وقد جاءتني هذه الفكرة من خلال متابعة الاقتراحات في السفريين اللذين يمثلان مادة الدراسة؛ فقد اقترح في "أسس علم اللغة" أربعة مقترحات لكل مصطلح، في حين قدم في "دراسة الصوت اللغوي" مقترحين اثنين فقط، وهذا جعلني أرى أن اقتراحاته في "دراسة الصوت اللغوي" أدق، ولهذا وسمت مرحلة الترجمة في "أسس علم اللغة" بالترجمة الآلية / الحرفية، إذ قدم عدداً من المقترحات لا مكان لها في ثنايا الكتاب، على ما سيبقي في ثنايا البحث، بينما تقلص العدد إلى النصف في السفر الثاني "دراسة الصوت اللغوي"، وهو ما جعلني أنعتها بالترجمة الفنية، على ما يشير إليها العنوان. وقد أوردت هذه الملاحظة في صدر البحث؛ حتى يكون القارئ على بينة، كما أنني لن أعيد ذكر هذه الملاحظة في البحث من قريب أو بعيد.

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٢٩.

٣/١: مادة الدراسة:

سيقتصر التركيز في هذا البحث على سفرين أساسيين قدّم من خلالهما اقتراحات عدة للمصطلحين الغربيين، الأول: أسس علم اللغة لماريوباوي. وهو ترجمة له، والثاني: دراسة الصوت اللغوي. وهو من تأليفه.

وقد وقع اختياري على هذين السفرين؛ لأنهما يعالجان هذين المصطلحين بشكل موسّع؛ فالأول تناول الموضوع بشكل معقول ومقبول وهو ترجمة، وفي الترجمة يعمل المترجم ثقافته وعقله ويحاول أن يربط بين اللغتين المنقول منها "اللغة المصدر" والمنقول إليها "اللغة الأم"، وهو بيت القصيد في الترجمات العلمية، وأما السفر الثاني فانصب موضوعه على الدراسة الصوتية صبا؛ فقدّم فيه تفصيلاً ليس في الأول، على ما يبدو بوضوح في ثنايا التحليل والمناقشة. وعلى هذا يمكن اعتبار السفرين عملاً واحداً مكوناً من جزأين، إن جاز لنا مثل هذا، في بناء المفاهيم الصوتية، على الرغم من أن السفرين مختلفان من حيث المؤلفين وطبيعة المادة المعالجة فيهما، وسينعكس هذا بشكل واضح على كيفية التعامل معهما، حين محاولة نقلهما إلى العربية أو اقتراح مكافئ لهما. وعلى الرغم من أن الكاتب والمترجم واحد لهما، إلا أن ملاحظ عدة ستتبدى على هذه المقترحات، وكذلك حين مقارنة تلك المقترحات التي اقترحها على فترات من الزمن.

٤/١: آلية قراءة المصطلحين لدى الشيخ وطريقة صياغتهما في البحث:

إنه لمن المفيد أن أتناول الآلية التي تعاملتُ بها في كيفية استخلاص الملاحظات على اقتراحات الشيخ الجليل لهذين المصطلحين، وقد مرت المعالجة عندي بثلاث خطوات، تكونُ بنية التحليل، وهي كما يأتي:

الخطوة الأولى: تتبعت المصطلحين في مسرد المصطلحات في نهاية كل سفر، وقد حدد فيه المكافئات المقترحة وأرقام صفحاتها، وما اقترحه لها من مقترحات.

الخطوة الثانية: وهي العودة إلى هذه الصفحات المذكورة في مسرد المصطلحات، مع متابعة بعض المواضع الأخرى.

الخطوة الثالثة: وهي تتبع المواضع الشارحة والمفسرة لهذين المصطلحين في مواضع منتثرة من السفرين، وتحتاج هذه الخطوة إلى متابعة دقيقة وربطها ببعضها، وما يمكن أن تقدمه من تفسير وتوضيح يكشف جوانب أخرى غامضة خافية. وجدير بالذكر أنني حين أتعامل مع هذين المصطلحين، سأأخذ سبيلي كما يلي:

— المصطلحان الغربيان: "Vowels و Consonants" حين الحديث عنهما سأستخدم مفهوم "مصطلح" باعتبارهما مصطلحين راسخين لدى المتخصصين خاصة الناطقين باللغة الإنجليزية منهم — المقترحات "العربيات": الأصوات الساكنة وأصوات العلة "والمقترحات الفرعية الأخرى"، وهما المقترحات أو المقترحات للمصطلحين الغربيين، وهي متعددة، وقد قصدت قصداً

إلى هذا الاستعمال؛ لأنه على الرغم من اتفاق جل الباحثين على مقترحين اثنين من هذه المقترحات التي اقترحت، إلا أن الشيخ استعمل مقترحا آخر، ولم يكن يركن إلى أي منها، على ما سيرد في ثنايا التحليل. ومن ثم سيكون نهجي في التعامل مع هذه المصطلحات كما يلي:

إذا كان الحديث عن المصطلحين الغربيين فاستخدم مفهوم "مصطلح" بينما إذا كان الحديث عن اقتراحات الشيخ فاستعمل مفهوم "مقترح/ اقتراح أو مقترحات"؛ لأنه واضح أنه لم يكن يسميها مصطلحات بل كلمات، على ما سيأتي بيانه. أما إذا كان الحديث من جهتي، فستأرجم Consonant بصامت و Vowel بصائت. ولا ريب أن هذه الاستعمالات الثلاثة لها ما يبررها، فاستعمال "مصطلح" يعني أنه كان واضحا في أذهان المتخصصين الغربيين، وإن كانت هنالك بعض الملاحظات إلي يمكن أن تقال في هذا السياق. بينما استعمال مفهوم "اقتراح" ومشتقاته لدى الشيخ، يعني أن الأمر لم يستقر بعد لمفهوم دون الآخر، أما استعمال هذه المكافئات العربية محددة، على ما أشرت إليه أعلاه، فإن هذا له دلالاته. كما أشير على جهة التنبيه إلى أن الاستعمالات المتباينة تدل على مراحل زمنية متباينة مر بها المصطلحان الغربيان في كيفية الصياغة العربية لهما، وعلى هذا فهذا الاستعمال المختلف في البحث مقصود.

٥/١: قراءة للمصطلحين لدى الشيخ في ضوء اقتراحات الأنطاكي:

أشار الشيخ الجليل إلى آثار الفوضى في التعامل مع المصطلحات العربية، وتحديدًا مع هذين المصطلحين، فقال: من آثار فوضى المصطلحات عدم اتفاق اللغويين العرب حتى الآن على مصطلحين محددين يقابلان المصطلحين Vowels و Consonants. وقد استعملوا في مقابل الأول "الكلمات ولا أقول المصطلحات حيث لا اصطلاح": علة، لين، صائت، طليق، كما استعملوا في مقابل الثاني الكلمات: صحيح، ساكن، صامت، حبيس^(١).

ولي مع هذا النص الذي عزاه الشيخ إلى الأنطاكي في كتابه "الوجيز فقه اللغة" وقفة متأنية، فحين عدت إلى كتاب الأنطاكي، وجدته اقترح مكافئين، فاختر لـ Consonants حبيسا ولـ Vowels طليقا، وبرر اختياره لهذين المقترحين "في الحاشية"؛ أن فيهما إشارة إلى الفرق الجوهرية بين نوعي الأصوات هذين^(٢).

غير أن الذي يتبين من خلال نص الشيخ ونص الأنطاكي، أن إشارة الشيخ توحى بأن هذه المقترحات منقولة عن الأنطاكي كلها، وهذا ليس صحيحا، إذ لم يقترح الأخير إلا مقترحين اثنين، وأشار إلى مقترحات الباحثين التي لم ترق له، وهذا يشير من ناحية إلى أن هنالك كما من الدراسات التي سبقت الأنطاكي على ما هو وارد في الدراسات التي عرض لها، كما أن هنالك إشارة إلى أن كل هذه المقترحات لم ترق له من ناحية أخرى، على ما سيأتي بيانه.

(١) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٤٦ "الحاشية".

(٢) ينظر الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص ١٤٦، الحاشية، الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، ص ١٣٠: الحاشية.

غير أن ما يستلفت النظر أن الأنطاكي اختار مكافئين؛ لأن فيهما فرقا بين هذين النوعين، حسب تعبيره، وهو قول لا ريب فيه من ناحية، كما أنه يحتاج إلى إعادة نظر من ناحية أخرى؛ إذ الفروق بينهما لا تقتصر على هاتين الصفتين، فالنوع الثاني Vowels أكثر وضوحا في السمع من النوع الأول Consonants، ومن هنا حاول العلماء أن يقترحوا مكافئين قديما وحديثا، فاقترحوا في القديم "الأصوات الساكنة" للأول وأصوات اللين والعلّة والمد... إلخ للثاني، وهي تسمية وجدت استحسانا لدى بعض المحدثين، كما هي الحال لدى إبراهيم أنيس وتام حسان والشيخ الجليل هنا، فإذا كان مقترحا الأنطاكي يعكسان فروقا جوهرية على ما ذهب إليه، فإن ما اقترحه أنيس في فترة مبكرة كان له تأثير وتلقفه الباحثون فيما بعد كما فعل الشيخ، وبالعكس لم ير رأي الأنطاكي أحد من الباحثين، بل لم يشع انتشاره، وبقي يدور في فلكه هو ومقصود عليه، ومن ثم فإن ما ذهب إليه يحتاج إلى تبيان، ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أن كل مقترح سواء في التراث أم الحديث له حيثياته التي تجعل منه سببا وجيها وكافيا خلافا لما ذهب إليه الأنطاكي؛ أن اقتراحه لو كان كما قال لاختاره الباحثون، وهذا لم يحدث، كما أنه أكثر ترددا في الكلام، وربما يقول قائل: إن هذه الفروق لا تصلح أن تكون مكافئا مناسباً، خاصة أن هنالك فروقا أكثر أهمية، لكن الرد يظل ماثلا: ألا كان بإمكانه أن يسميها "أصوات المد" خاصة أن النوع الثاني يستغرق فترة زمنية ضعف النوع الأول، وهي سمة جوهرية تنبئ إليها القدامى فسموها بأصوات المد، خاصة أن الألف والواو والياء الساكنة المسبوبة بحركة من جنسها، تستغرق مدة زمنية أكبر، والسؤال لماذا اختار هذين المكافئين وترك فروقا أخرى؟ على الرغم من أن الباحثين ذهبوا مذاهب أخرى خلافا للأنطاكي، وعلّة هذا لا يمكن أن أرجح رأيا واحدا وأترك رؤى كثيرة، وهي رؤية الجمهور من العلماء. كما أنه مما أورد الأنطاكي في تصنيفه للأصوات اللغوية حسب عنوانه، فقال: التصنيف الأساسي المتبع للأصوات اللغوية هو قسمتها إلى أصوات طليقة وأصوات حبيسة^(١).

وقد أورد كمال بشر عددا من التقسيمات^(٢)، ونحن وإن كنا لا ننكر عليه أنه التصنيف الرئيس، فإنه من ناحية أخرى ليس التصنيف الوحيد، وقد أورد ابن جني قديما عددا من التصنيفات للحروف^(٣)، وكذلك فعل ماريوباي^(٤) والشيخ الجليل^(٥).

(١) السابق: الموضع ذاته.

(٢) كمال بشر: علم الأصوات، ص ١٤٩ وما بعدها.

(٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/ ٤، وينظر تفصيلا موسعا للتقسيمات التي ذهب إليها ١/ ٦٠ وما بعدها، وهي تقسيمات يبدو فيها النقل عن السابقين، خاصة عن سيبويه في تعريف الجهر والهمس. قارن ذلك بما ورد لدي سيبويه، الكتاب ٤ / ٤٣١، ٤٣٦ على سبيل المثال. حيث تظهر مقارنة النصوص نقل ابن جني عن سيبويه الدرس الصوتي، وتحديدًا في باب "الإدغام" دون روية.

(٤) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

(٥) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ١٦٢.

وينبغي أن أشير إلى أنني لا أعترض على فكر الأنطائي بقدر الملاحظة على صوغ المكافئ المناسب، خاصة أنه عاد فذكر أن النوع الأول "الطلاق" هو الصوت الذي يجري معه النفس طليقا لا يعترض طريقه عقبة؛ حتى يخرج من الفم. وأما الصوت الحبيس فهو الصوت الذي يحدث معه انسداد جزئي أو كلي في نقطة من نقاط القناة الصوتية^(١). ونلاحظ على هذا النص أن الأنطائي سوى في التعريف الآخر بين الصوت المحبوس والصوت المسدود، مما هو ظاهر، وما يؤيد هذه الملاحظة أنه أعاد الفكرة ذاتها مباشرة، فقال: وفي كل صوت حبيس نقطة انسداد للقناة الصوتية^(٢)، ويبدو أن الأنطائي، كما هو ظاهر، سوى بين "الحبس، السد" على الرغم من أن الحبيس بمعنى المنع والإمساك، أما السد فهو الحجز بين شيئين، فإذا كان قد سوى بينهما، فالفرق واضح وظاهر، إذ السد هنا ليس حجزا أو فصلا بين شيئين، ومن ثم ليس متوفرا في هذه الحالة، ومن ثم فالتسوية تحتاج إلى إعادة نظر. وبناء على تسوية الأنطائي إذا كانت صحيحة فيمكن أن نضيف إليها "موصدة"، على أساس أن الحبس شديد ومحكم.

أعود نزلة أخرى لأبين أن النص الذي أشار إليه يوحى أنه مجمل كلام الأنطائي، وهذا ليس صحيحا؛ لأن الأنطائي بعدما انتهى من رؤيته، أورد أن المحدثين من علماء الأصوات لهم رؤى مختلفة وعرض لها، وكلها لم ترق له، وأشير إليها فيما يرد من بيان.

فعرض لتسمية تمام حسان "الصباح والعلل" والسعران "الصوامت والصوائت" والقصاص والدواخلي "السواكن والحركات" وأنيس "الأصوات الساكنة وأصوات اللين"^(٣). وكل هذه المقترحات لم ترق له؛ لأن: اقتراح الدكتور تمام يصلح في مقام الصرف لا في مقام الأصوات ... وأما تسمية الدكتور محمود السعران ففيها شيء من الغرابة والتناقض، إذ كيف يسمى الصوت ساكنا؟ وأما اصطلاح الدواخلي والقصاص ففيه التباس بين الساكن الذي لا تتلوه الحركة والساكن بمعنى Consonant ومثل هذا يقال في اصطلاح الدكتور إبراهيم أنيس^(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة عددا من الملاحظ على ما أورده الأنطائي حول رؤية العلماء، صحيح هي متعددة لكن دلالتها ظاهرة مستعنة لمن أراد أن يتدبر أو أراد الوصول إلى الحقيقة، وإنا واجدون عددا من المصطلحات وليست المقترحات في التراث العربي، لأنها صارت راسخة ومعلومة. كما نلاحظ شيئين على ما أورده الأنطائي، الأول: الكم الكبير في المصطلحات المستعملة، الثاني: التباين فيها، وظاهر وواضح أن التراث العربي ليس شيئا واحدا؛ بمعنى أنه بيانات مختلفة فهو ليس بيئة واحدة، إذ هنالك بيئة البلاغيين وبيئة المفسرين وبيئة اللغويين وبيئة

(١) الأنطائي: الوجيز في فقه اللغة، ١٤، الأنطائي: دراسات في فقه اللغة، ص ١٣٠.

(٢) السابق: الموضع ذاته.

(٣) الأنطائي: الوجيز في فقه اللغة، ص ١٤٦، الأنطائي: دراسات في فقه اللغة، ص ١٣٠.

(٤) السابق: الموضع ذاته.

علماء الإعجاز القرآني وبيئة النحاة ،، إلخ، ومن ثم فالتراث العربي متعدد الاتجاهات؛ بمعنى أن لكل بيئة لها مصطلحاتها الخاصة بها، ومن ثم فقد تعددت المصطلحات نظرا لتعدد البيئات المختلفة، وحين تعامل المحدثون من علماء الأصوات مع التراث، تعاملوا معه على أنه شيء واحد، وهذا ليس صحيحا، ومن ثم وجدنا المصطلحات متنوعة، وقد أدى هذا التنوع إلى أن العلماء ذكر كل منهم مصطلحا أو مصطلحات وترك أخرى، ومن هنا تعددت المقترحات لتعدد البيئات في التراث العربي.

وقد أورد الأنطاكي تعليقا على اختيارات الباحثين، فذكر أن (تمام) اختار "الصباح والعلل" وهو اختيار تراثي بالدرجة الأولى، لكنه اختيار الصرفيين، وهذا ما قاله الأنطاكي إنه يناسب الصرفيين، وكلامه صحيح، لكنه كان ينبغي عليه أن يعلم أن ليس لديهم من الزاد إلا التراث العربي وهو متشعب ومتعدد، أما اقتراحات السعران والقصاص والدواخلي وأنيس فجميعهم يميل إلى النقل عن ابن جني؛ بمعنى أنها قريب من قريب، وسأعرض فقط لما أورده السعران "الصوامت والصوائت" وهما صفتان من صفات الأصوات المقابلة، وليس فيها غرابة لو تدبرناها، فالصامت بمعنى الصوت المشكل بالسكون، وهو ضد الحركة، وهو في الوقت ذاته يقبل الحركات الثلاث "الفتحة، الضمة، الكسرة" وهي رؤية ابن جني في الأساس، كما يمكن أن ننظر إليها من زاوية أخرى، وهي أن الأصوات حسب بعض التقسيمات تنقسم إلى نوعين حسب النطق، وهو التقسيم الأساسي حسب المخارج، وهو تقسيم مبني على فروق نوعية بين النوعين، منها أن النوع الثاني أكثر وضوحا في الكلام مقارنة بالنوع الآخر، وعلى هذا الأساس فالنوع الآخر أقل وضوحا مقارنة بالنوع الأول، وعلى هذا فلدينا نوعان، الأول أكثر وضوحا والثاني أقل وضوحا، ومن هنا كانت المقارنة بين النوعين عن طريق المقابلة "الصامت والصائت" وأشير إلى أنني أعتبرهما مصطلحين، خلافا لرؤية الشيخ الجليل الذي سماها "كلمات لا مصطلحات" فيما أورده سلفا، وعندي أن الباحثين حين اختاروا هذين المصطلحين لم يكن اختيارا عشوائيا بل بعناية؛ لأنه اختيار ابن جني في "سر صناعة الإعراب" و"الخصائص" على نحو ما أشرت إليه في موضع آخر من هذا البحث.

وجدير بالذكر أن الأنطاكي استعمل "المحبس" بمعنى النقطة التي يحدث عندها الانسداد^(١)، غير أن الذي لفت الانتباه أنه أورد في الصفحة ذاتها وتحديدا في الحاشية، فقال: وهذه تسمية أخرى نقترحها بدلا من كلمة "مخرج" التي اتفق عليها القدماء والمحدثون من اللغويين. وذلك لأن كلمة "مخرج" تدل كما يشير إلى ذلك اشتقاقها على المكان الذي يخرج منه النفس أو الصوت، لا على مكان الانحباس، وإذا كانت نقطة الانسداد ونقطة الخروج واحدة في كثير من الأصوات، فإنها ليست كذلك مع بعضها. ألا ترى أن نقطة الانسداد مع الميم هي الشفتان، وأن مخرج الميم من الأنف^(٢).

(١) الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص ١٤٨.

(٢) السابق، ص ١٤٨: الحاشية.

وما يحتاج إلى معاودة النظر أن "المحبس" من اختياره، حسب وصفه، أطبق المحدثون والقدماء على السواء، وهذا رأي فيه نظر، إذ استعمل القدماء "المخرج" أمثال سيبويه، وتبعه في ذلك جل الباحثين في التراث العربي، بينما عاب المحدثون هذا الاستعمال، واستعملوا بدلا منه "الموضع" على ذلك النحو الذي أورده أحد الباحثين^(١)، وهذه ملاحظة فيها مغايرة لما أورده الأنطاكي من ناحية ولما أورده أنيس وشادة الألماني من ناحية أخرى، كما أن ملحظا آخر يطل برأسه أن هنالك اتفاقا بين القدماء والمحدثين، وهذا أيضا يحتاج إلى إعادة نظر. وكلام الأنطاكي الأخير في بيان المفارقة بين المحبس والمخرج صحيح، لا مرأى فيه، لكن أترك الحكم للباحثين في شيئين، الأول: هل كان ثمة اتفاق بين الباحثين قديما وحديثا حول استعمال المصطلح، الذي أورده الأنطاكي، الثاني: أنه استعمل كلمة "المحبس" كما هو ظاهر في النص لا المصطلح، وهذا أيضا يحتاج إلى مراجعة، الثالث: أنه يستعمل "كلمات" لا مصطلحات حسب تعبيره، خلافا لما هو متعارف عليه بين الباحثين.

كما يلاحظ أن الشيخ استعمل في الترجمة مصطلح "الأصوات الساكنة" في حالة الجمع، و"صوت ساكن" في حالة الأفراد طيلة الترجمة، كما أنه لم يشر إلى أصل هذا المكافئ المقترح من قريب أو بعيد، وهل هو من بنات أفكاره أم استقاه من التراث العربي؟ وهذه ملاحظة كان ينبغي عليه أن يتوقف أمامها بالكشف والبيان والإيضاح، خاصة أنه تعرض لقضية الترجمة في أكثر من مناسبة؛ فحين تناول في "عدد الألسنية" مجلة عالم الفكر، ١٩٨٩، تعرض للحديث عن المصطلح Linguistics^(٢) وكيفية تفضيله "الألسنية" على مقترحات أخرى أكثر رسوخا، كما أنه تعرض لهذا الأمر في النص الذي أورده منذ قليل في كتاب "أسس علم اللغة"، فضلا عما سبق أنه مترجم، والمترجم يتعرض لهذه المشاكل حين المفاضلة بين تصورات عدة لمصطلحات غربية واختيار دقيق لما يناسبها من العربية. إن متابعة التراث العربي تشير وبوضوح إلى أن ابن جني صاحب اقتراح "الأصوات الساكنة"، ولم يشر إليه الشيخ ولا إبراهيم أنيس على ما تبدى في سياق سابق، وعلى ما هو ظاهر من خلال متابعة السفرين الجليلين، كما سيأتي تفصيله.

وهنا تجدر الإشارة، بناء على ما هو وارد في ص ٤٦، ٢٧٥، أن في المسرد موضعين ذكر فيهما ما سماه بالكلمات لا المصطلحات، حيث لا توجد مصطلحات، وأبدأ بالنص الأول الوارد في الحاشية^(٣)، وقد أوردت النص سابقا، ومن ثم قلن أعيدته نزلة أخرى اختصارا للمساحة المكانية، وأذكر عليه عددا من الملاحظ فيما نستقبله من تفصيل وبيان شارح.

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ١٠٧.

(٢) للشيخ بحث بعنوان "المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية"، فضل فيه مصطلح "الألسنية" على مصطلح "علم اللغة" وأورد حيثيات كثيرة يؤمّد، ينظر ص ص ٤ : ٢٤.

(٣) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٤٦ "الحاشية".

أولاً: لم يشير الشيخ إلى أنه سيحدد المقترح الذي سيعتمد عليه في الترجمة وأسباب ذلك في إحدى الحواشي الأولية، وإن شئت الدقة كان ينبغي أن يصدر كتابه بمقدمة نقدية يطرح فيها الأفكار الخاصة بالترجمة واقتراح المكافئات المناسبة لها، على ذلك النحو الذي صنعه تمام حسان في ترجمته لكتاب "النص والخطاب والإجراء" لروبرت دي بوجراند.

ثانياً: ذكر أنه استعمل "علة، لين، صائت، طليق" بناء على ما أورده في الحاشية، وهو النص المنقول عن الوجيز للأنطاكي كما هو واضح، غير أنني أضيف إليه مصطلحات أخرى لم يوردها صاحب "الوجيز في فقه اللغة": أصوات الجوف، حروف المد". ولم يشير إليها الشيخ تعليقا على نص الوجيز، وإن كان قد ذكرها في موضع آخر.

غير أن الذي كان عليه أن يفعله: لماذا كل هذه الكلمات؟ حسب تعبير الشيخ الجليل، في التراث العربي ولماذا أورد المحدثون من علماء الأصوات على أنها شيء واحد؟ ويبدو أنه يعود إلى علتين اثنتين:

الأولى: أن المحدثين من علماء الأصوات تعاملوا مع التراث العربي على أنه شيء واحد، وهذا ليس صحيحا ولا دقيقا، فالدراسة الصوتية توزعت في التراث العربي بين علماء اللغة "المعاجم" وعلماء البلاغة وعلماء النحو وعلماء الإعجاز القرآني وعلماء التفسير ... إلخ، وقد كان لكل فريق مصطلحاته الخاصة به، وحين تعامل علماء الأصوات معها، ذكروها على أنها شيء واحد، وهذا ليس صحيحا.

الثانية: أن هذه المصطلحات المتباينة في التراث العربي، كانت نتيجة اجتهاد هذا الفريق أو ذاك في كيفية صوغ هذا المصطلح أو ذاك، إذ نظر كل فريق إلى المصطلح من زاوية غير تلك التي نظر إليها الفريق الآخر، وقد أصاب كل منهم جانباً من الحقيقة في تسميته. إلا أن هذه الاستعمالات المتنوعة أدت إلى التباين، على الرغم من قيمة كل استعمال الذي لا يمكن التقليل منه بأية حال من الأحوال.

فإذا كان هنالك عصبية من الباحثين استعملوا أصوات صحيحة، ففي المقابل استعمل آخرون "أصوات علة" وفي هذا تدقيق في صياغة المكافئات المقترحة عن طريق المقابلات، فالصحيح يقابله العليل، ومن ثم يكون المتقابلان. ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى أن ثمة أسباباً خاصة جعلتهم يختارون هذين المقترحين دون سواهما من المصطلحات التراثية الأخرى منها، أن الأصوات الصحيحة في حالات الجزم تبقى شاهدة دون أن يحذف منها شيء، بينما "أصوات العلة، اللين" يتم حذفها والتخلص منها نتيجة ضعفها، أما أولئك الذين نظروا إلى "حروف المد"، فنظروا إلى أن هذه المجموعة من الأصوات تستغرق مدة زمنية أطول مقارنة بالأصوات الصحيحة^(١).

(١) ينظر: ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٩.

غير أن الأمر في بدايته، كما هي الحال مع أنيس، كان الاستعمال "أصوات ساكنة"^(١)، وإن كان هنالك من الباحثين من أشار إلى استعمالات جديدة قبل هذا بفترة من الزمن، على ما اقترحه مندور^(٢)، وأشرنا إليه فيما مضى، ولم يستعمل المقترحات التراثية التي كانت سائدة حينئذ، ويبدو أن اللغويين أمثال أنيس والسعران والشيخ كانوا متأثرين بشكل مباشر أو غير مباشر بما أورده ابن جني في "سر صناعة الإعراب"^(٣).

ولما كانت هنالك استعمالات عدة للتراثيين تعكس شيئا واحدا، فقد توجه المعاصرون من علماء الأصوات تلقاء استعمال "الأصوات الصامتة" في مقابل "الأصوات الصائتة" إلا أن هذا أخذ فترة من الزمن، وأن مرحلة الشيخ تمثل حلقة ضمن حلقات هذه الفترة التي أخذتها حتى استوت على سوقها. ويبدو أن العلماء قد استقروا على هذين الاقتراحين اللذين لم ينالا اهتمام أنيس على ما أبنا عنه، لكن اقتراح مندور وجد قبولا لدى المتأخرين من الباحثين، فهو قديم حديث في آن واحد، ولما كان الأمر كذلك فقد استقر الأمر بين المحدثين من علماء الأصوات على اقتراح "الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة"؛ لأنها لا تعكس ظلالات تراثية، كما هي الحال مع "الأصوات الساكنة"، كما أن فيها مقابلة بين المصطلحين تعكس جوانب مهمة ليست موجودة في المصطلحات التراثية، كما أن الاكتفاء بهما يوفر هذه المصطلحات التراثية للإفادة منها في سياقات أخرى، وهكذا تقتصر على مقترحين بدلا من المقترحات العديدة، وفي هذا تقليص لما هو مستعمل من جهة، وتوحيد استعمال هذه المقترحات من جهة أخرى.

وما يمكن قوله في هذا السياق، إن استعمال الشيخ ما هو إلا استعمال أنيس، مع مفارقات محدودة بينهما، أو بتعبير آخر إن فكر الشيخ في التعامل مع هذين المقترحين امتداد لفكر أنيس، خاصة أنهما ينتميان إلى مدرسة لغوية واحدة.

وإذا كان الشيخ أورد للمصطلح الأول عددا من المقترحات، وترك أخرى، فإنه أورد Consonantes الذي لم يستعمل منها إلا "أصوات ساكنة"، وعلى هذا لم أر له استعمالات للمقترحات الأخرى القريبة، وكان قد أورد مسردا للمصطلحات وذكر المواضع التي وردت فيها هذه المصطلحات، وحين عدت لهذه المواضع لم أجد شيئا مذكورا منها في ثانيا السفر، واللافت للنظر أن المسرد يكون خاصا بالمصطلحات وليس بالكلمات على ما أورده الشيخ أولا، ثم إن مسرد المصطلحات المستعملة ليست ما يمكن أن يتصوره أو يقترحه أو يقبله المصطلح الغربي ثانيا. على أية حال، هو لم يذكر المقصود، وإن كنت أرجح الأول.

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٨.

(٢) محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٤٢٩.

(٣) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١ / ٢٧، استعمل ابن جني مصطلح "الأصوات الساكنة" الذي اعتمد عليه المحدثون من علماء الأصوات دون أن يسيروا إلى ذلك تصرّحا أو تلميحاً.

وأشير إلى مقترح مرجوح لديه، أشار إليه في معرض حديثه عن المكافئات المقترحة من قبل بعض الباحثين الذين أشار إلى أفعالهم دون أوصافهم فيما يتعلق بمصطلح Consonants، فذكر منها "حببس" ولم أر له استعمالا عنده إلا في المسرد، ويبدو أنه نقله عن محمد الإنطاكي في الوجيز، على ما أشار إليه في سياق آخر^(١)، فضلا عن أنه لم يستعمله كمقترح أساسي، بل جاء في معرض وصف "الأصوات الصامتة" بأنها ينحبس معها الهواء، خلافا لـ "الأصوات الصائتة" التي وصفها بأنها "طليق"^(٢).

ويبدو أنه نهج نهج أسلافه في صوغ المكافئ العربي، إن لم يكن قد نقله عنهم، فالصوت الصامت ينحبس معه الهواء، إلا أن الذي ينبغي أن نستظهره ونستوضحه أن هذا "الانحباس" ليس على إطلاقه، بل يحتاج إلى إبانة وتفصيل فيما نستقبله من حديث.

فالصوت الصامت ينماز من الصوت الصائت في أن الثاني ينماز بالانحباس، إلا أن "الانحباس" المشار إليه من قبل الشيخ مقترح عام، إذ هو ليس نوعا واحدا بل أنواعا، فالأصوات الصامتة، قد يكون الانحباس مع بعضها انحباسا تاما، كما في الباء والتاء والطاء والذال ... إلخ، وهو ما أطلق عليه المحدثون "الأصوات الانفجارية"^(٣)، وتبقى سمة جوهرية تحتاج إلى إبانة شديدة؛ أن هذه النوعية من "الأصوات الانفجارية"، هي أن الأهمية الكبرى ليست في التقاء العضوين التقاء تاما، وهو ما يؤدي إلى انحباس الهواء انحباسا تاما؛ بمعنى أنه ليس كل التقاء تام لا بد أن يكون الصوت معه "انفجاريا"؛ لأن الميم تلتقي فيها الشفتان التقاء تاما محكما، ومع ذلك فهي صوت "مائع"^(٤). إذن يبقى هنالك عنصر آخر هو الفیصل وهو مترتب على التقاء العضوين التقاء محكما، وهو أن انفصال العضوين يكون سريعا وفجأة.

وينبغي أن نشير إلى أنه ليس كل التقاء عضوين التقاء تاما يكون معه الانفصال سريعا، وهنا يتبدى أن القول الفصل في "الأصوات الانفجارية" ليس التقاء العضوين التقاء تاما بقدر الانفصال السريع، فكلما كان الانفصال سريعا كلما كان الانفجار قويا، خاصة أن أنيسا حين تناول وصف "الضاد" القديمة والحديثة، ذكر أن الفرق بينهما في "الشدة" حسب وصفه، فإذا كانت الضاد القديمة، حسب وصف القدماء لها أقل شدة، فإن الضاد الحديثة أكثر شدة^(٥)، وبناء عليه فإن الفارق بينهما في سرعة انفصال العضوين في الحديث، مما يؤدي إلى الانفجار الشديد، وبطء الانفصال في الضاد

(١) ينظر: ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٤٦: الحاشية.

(٢) من الملاحظ أن هذه "الكلمات لا المصطلحات" حسب وصفه، أشار إليها في ثنايا التحليل، ينظر مقترح "طليق": أسس علم اللغة، ص ٧٩. ويبدو أن الشيخ لم يشأ أن يقدم تعليقا على نص الأنطاكي في حينه؛ على أساس أن هذه المقترحات سيتعرض إليها ماريوباي في أثناء التحليل، ومن هنا تركها حتى لا يكون هنالك تكرار.

(٣) استخدم القدماء مصطلح "الشديد".

(٤) استعمل القدماء مصطلح "الحروف البينة أو المتوسطة".

(٥) ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٤٩.

القديمة يؤدي إلى ضعف الانفجار، وعلى الرغم من هذا، إلا أن أحدا لم يقل إن الضاد القديمة ليست "انفجارية"، وعلى هذا يمكن اعتبار التقاء العضوين التقاء تاما، ما هو إلا وسيلة لهذا الانفصال السريع، فشرط أساسي في الأصوات الانفجارية أن الانفصال لا بد أن يكون فجأة؛ لأنه لو حدث الالتقاء وكان الانفصال بطيئا، لا ينتمي إلى هذه النوعية كالميم مثلا، وعلى هذا فالمعول الرئيس ليس على الالتقاء التام، وإنما الالتقاء التام وسيلة مهمة لنتيجة حتمية، وهو حدوث الانفجار الذي سببه الانفصال السريع.

ولا يقتصر "الانحباس" على الأصوات الانفجارية فقط، إذ ثمة "أصوات احتكاكية" لضيق مما بين العضوين في موضع إنتاج الصوت. فضلا عن أن هذا الضيق متنوع، فكلما زاد الضيق بين الأعضاء زاد الصوت ارتفاعا، وهو ما أطلق عليه القدماء "صغيرا"^(١)، وكلما اتسعت المسافة بين الأعضاء كلما خفت شدة الصوت، وهو ما أطلقوا عليه "الحفيف". كما أن هنالك نوعا من الأصوات لا يقع هذين الموقعين، وهو ما يسمى بالأصوات المائعة، فضلا عن أن هذا الانحباس التام أو الجزئي لا يقع في منطقة واحدة، بل في مناطق عدة من الشفتين أو طرف اللسان مع أصول الثنايا أو أقصى اللسان أو أقصى الحلق ... وبناء عليه، فإن تسمية الأصوات الانحباسية تحتاج إلى إبانة وتفصيل شديدين، وقد أشار إلى ذلك في موضع آخر^(٢).

٦/١: دراسة تطبيقية لمصطلحي Vowels و Consonants في "أسس علم اللغة":

جعلت المعالجة في هذا المطلب في قسمين، القسم الأول يقترب من المعالجة كما في السفر الآخر أو يكاد، أما القسم الآخر، فهو ليس له نظير في معالجة السفر الآخر، ويبدو أن الأمر لا يعود إلى طبيعة الكتاب، إذ هو كتاب عام في اللسانيات، بقدر ما يكمن أن نعزوه إلى طبيعة المؤلف التي تميل إلى التدقيق والتقصي والتحري في بحث كل جزئية من جزئيات الكتاب، وإن كان كتابا عاما، كما هو ظاهر. ومن ثم، فالتباين يعزو إلى المؤلفين المتباينين ثقافيا.

١/٦/١: المعالجة الأساسية:

وقع الاختيار على هذا السفر الذي ترجمه الشيخ منذ ما يناهز الثلاثين عاما، والترجمة عمل مضمّن لا يقل أهمية عن التأليف، خاصة إذا كان من لسانی في قيمة وقامة الشيخ؛ لأنه حينئذ سيتوقف أمام اختيارات عدة، كما لا بد أن لديه من الحيثيات التي تجعله مقترحا مرجوحا على غيره، وأعلم ولا ريب، أنه كان مدركا لهذا كله، وهو ما كان مدعاة إلى أن يعرض لاختيار المكافئات العربية المناسبة في أكثر من سياق، وهو ما يشير صراحة أو ضمنا إلى مدى معاناته، على الرغم مما قدمه السابقون له؛ أمثال تمام حسان وكمال بشر ومحمود السمران، وسبق هؤلاء

(١) استعمل المحدثون له مصطلح "الأصوات الاحتكاكية".

(٢) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ١٣٥ وما بعدها.

جميعاً إبراهيم أنيس، غير الذي يبدو واضحاً من خلال متابعة هذه المؤلفات، أن الشيخ الجليل أفاد من هؤلاء جميعاً إفادة ظاهرة، غير أنه على الرغم من كل هذا جانبه الصواب في الصياغة أو في التعامل مع هذين المصطلحين، وهو ما نحاول استجلاءه في هذا البحث.

ويلفت النظر في نص الشيخ السابق، أنه استعمل "كلمات" لا "اصطلاحات"، حسب تعبيره، ومن ثم تبدو المشكلة ظاهرة مستعلنة منذ البداية في ذهنه، وعبر عنها بشكل سريع وخاطف، لكنها دالة دلالة تشير إلى المعاناة التي كان يكابدها، كما عايشها السعران وعبر عنها بشكل مباشر في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ اللسانيات في العالم العربي أكثر وضوحاً مما هي لدى الشيخ الجليل؛ لأن السعران من الأوائل الذي عانوا اختيار هذا الأمر في البداية، فضلاً عن أنه لم يكن لديه من الرصيد المصطلحي الذي يركن إليه، مما جعل المشكلة عصية وشاخصة عنده، وهو ما ليس موجوداً لدى الأخير، صحيح هي موجودة لكنها ليست كما هي لدى الأول، وهذه الملاحظة هي التي جعلتني أتصور أنه أفاد من السابقين؛ لسببين، الأول: مقارنة النصوص، كما سيتبدى من خلال هذه القراءة، الثاني: من خلال مقارنة المصطلحات والنصوص في الكتابين.

أحاول بداية أن أقارن بين جانبين أساسيين في "أسس علم اللغة"، وهما أن الشيخ سلك سبيلين متباينين، غير أنهما متكاملان في الوقت ذاته على ما يستبين في التحليل، الأول: تعامله مع المصطلح في ثانياً التحليل، الثاني: مسرد المصطلحات التي ذكرها فيه وذكر مواضعها في الكتاب، وعندي أن رؤية الشيخ تمثل طريقين، يحتاجان إلى إيانة وتوضيح تردان أدناه.

وأبدأ بقراءة هذين المحورين اللذين يدور حولهما هذان المصطلحان، وهما يجمعان رؤية الشيخ العامة، وأبدأ بالمحور الأول: وهو قراءة فيما أورده في مسرد المصطلحات في نهاية الكتاب، فقد أورد للمصطلح Consonants المقترحات الآتية: صوت ساكن "أو حبيس، أو صحيح، أو صامت" في الصفحات ٤٦، ٥١، ٧٨^(١)، وأما Vowels فقد اقترح له ما يلي: علة "لين، صائت، طليق" فقد ورد في الصفحات ٤٦، ٧٨^(٢). هذا هو اقتراحه العام الذي يحتاج إلى إيانة شديدة، نخصص لها المساحة المكانية فيما نستقبله من تحليل أدناه.

أود أن أسجل هنا ملحظين متكاملين في الوقت ذاته، الملحظ الأول: فيما يتعلق بكيفية التعامل مع المصطلحين، حيث أورد المقترح "صوت ساكن" ثم وضع مكافئات أخرى معادلة له، فذكر "حبيس، صحيح، صامت" وعلى الرغم من أنه سوّى بينها كما هو ظاهر، غير أنني ألحظ فروقاً جوهرية من خلال صنيعه؛ لأنه يدل على أنها ليست سواء، وإلا لماذا وضع "صوت ساكن" قبل القوس ثم وضع داخله "حبيس، صحيح، صامت"؟ إن هذا يعني صراحة أو ضمناً، أنه لا يسوّى بينها من حيث الرتبة الاصطلاحية، أو بتعبير آخر، أن "صوت ساكن" هو المقترح الأساسي وما

(١) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٢٧٥.

(٢) السابق، ص ٢٨٥.

دونه "حبس، صحيح، صامت" يأتي في منزلة أدنى، وعلى هذا فإن منزلة المقترحين متدرجة، فالأساسي "صوت ساكن"، والثانوي "حبس، صحيح، صامت"، وعلى فهي ليست سواء من حيث الأهمية، التي تبدو في ظاهرها واحدة.

وما يقال عن المصطلح Consonants ينطبق على المصطلح Vowels حيث تعامل معه بالطريقة ذاتها التي تعامل بها مع المصطلح الأول على الطريقة الواردة أعلاه. كما أن هنالك جوانب أخرى يمكن النظر إليها، وهي تؤكد الملاحظة الأولى. ومن ثم أنتقل إلى الملاحظة الأخرى لتدعيم الأولى.

الملحظ الثاني: تتبعت اقتراحات الشيخ لهذين المصطلحين في تلك الصفحات المشار إليها أعلاه، فلم أعثر له على استعمال "حبس، صحيح، صامت"، وكذلك لم يستعمل "لين، صائت، طليق" في هذه الصفحات، واستعمل فقط "صوت ساكن، صوت علة" أو على صيغة الجمع "أصوات ساكنة، أصوات علة" وبناء عليه، فإن هذه الملاحظة تدعم الملاحظة السابقة وتؤكددها، وهكذا نصل إلى استعمال مقترحين أساسيين، وليس مجموعة من المقترحات، ويبدو أن هذه الفكرة؛ أعني استعمال هذين المقترحين كان قد سبقه إليها إبراهيم أنيس، لكنه كان مفارقا للشيخ من نواح عدة منها:

الأولى: أنه أشار إلى عدد من المقترحات الأخرى كـ "الصوت الصامت والصائت" غير أن إبراهيم أنيس كان واضحا حين وضعها في الحاشية؛ لأن هذا يعني أنهما ليسا أساسيا بالنسبة له، وأنه لن يستعمله، وهو ما بقي عليه طيلة الكتاب، غير أنه استعمل مكافئات أخرى، على ما أشرت إليه في سياق آخر^(١)، وكل هذا لم يفعله الشيخ الذي لم يستعمل المقترحات في ثنايا ترجمة الكتاب، وأشار إليها في معجم المصطلحات في نهاية الكتاب، حسب تعبيره، وهذا يوحي أنه استعملها من ناحية، كما يوحي أنها سواء من ناحية أخرى فيما أورده ماريوباي.

وتبدو ملاحظة جوهرية شاخصة في معالجة ماريوباي تتعلق بترجمة هذين المصطلحين بوجه من الوجوه في قوله "وفي طريق تيار الهواء إلى الفم والأنف، إن تذبذبت الأوتار الصوتية، ينتج ما يسمى بالصوت المجهور Voiced أو Sonant مثل الباء والميم، أما إذا ظلت الأوتار مفتوحة بدون ذبذبة، فإن الناتج يكون صوتا مهموسا أو صامتا Unvoiced أو Surd مثل ب، ف وإن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت ودرجة إسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج^(٢).

ونحاول أن نربط ما ورد في النص بما أورده الشيخ في سياق آخر، فقد اقترح في حاشية ص ٤٦ عددا من المقترحات للمصطلح الأول، وذكر منها "صامت"، ويقصد به الأصوات الصحيحة

(١) أشرف عبد البديع: نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، ص ١٤٢، ١٦٣.

(٢) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

"الصاح" حسب تعبير تمام حسان^(١)، في مقابل "الأصوات الصائتة أو العلة" على ما أوردنا، وهذا قول لاشية فيه، غير أن الذي يحتاج إلى إعادة نظر، أن يكون "الصوت الصامت" في موضع آخر، يعني المهموس، وهو الضعف أو الخفاء، على ما هو وارد في النص السابق، وربما يقول قائل: إن الشيخ إنما هو مترجم، غير أنه كان بإمكانه تقديم مقترح آخر، لا يوقعه في هذا الإشكال.

وإذا كان "أسس علم اللغة" سفرا في اللسانيات العامة، فقد نال المصطلحان الغربيان اهتماما مقبولا؛ خاصة أن التركيز ليس على مستوى لساني بعينه، بقدر ما هو مناقشة قضايا لسانية عامة، ومن هنا سنتوجه شطر مؤلف آخر أكثر أصالة من الأول، وهو "دراسة الصوت اللغوي"، وقد ذكرت أنه أكثر أصالة من الأول لعلتين، الأولى: أنه من تأليف الشيخ، ومن ثم يحمل أفكاره، الثانية: أنه في الدراسة الصوتية، على ما يشير إليه العنوان، وبناء على هذا، يفترض أن ينال المصطلحان الغربيان عناية من حيث الصياغة، ومن حيث التفصيل لجوانب أحسب أنها لم تأخذ حظها من العناية والرعاية في السفر الأول.

٢/٦/١: المعالجة التفصيلية:

أورد ماريوباي مصطلحات أخرى ترتبط بهذين المصطلحين الغربيين، إذ لم يكتف بما أوردته من تفصيل، وإنما أورد عددا من المقترحات تتعلق بمصطلح Consonants على النحو الآتي:

Voiced و Unvoiced^(٢) و Conant^(٣). فقد أورد لها مصطلحين "مهموس، صامت"، ولم يكتف الأمر بهذا، بل الأدهي والأمر أنه أشار في الموضع ذاته إلى مقارنة بين هذا المصطلح مع مصطلح Surd^(٤)، وحين عدت إلى المصطلح الأخير وجدته سوّى بينهما، كذلك في قائمة المصطلحات، وهنا يبدو التداخل في المقترحات لمصطلح غربي واحد، إذ سوّى بين عدد من المصطلحات الغربية على نحو غير دقيق، أدى إلى أن ينتج عنهما عدد من المقترحات، وهذا أيضا يحتاج إلى إعادة نظر، خاصة أنه سوّى بين مقترحات ليست دقيقة، ويحتاج هذا التبيان إلى العودة إلى ثنايا التحليل في الكتاب، وسأركز على موضعين، الأول: الموضع التي أشار إليها في الحاشية، الثاني: الموضع الأخرى التي يمكن أن تكون كاشفة لمثل هذه الموضع، على ما يكمن أن نراه كاشفا، وهو ما نستقبله في المناقشة فيما يلي من حديث.

وأشير إلى الموضع الأول الذي أشرت إليه أعلاه، وأعني به مسرد المصطلحات، فقد أوردنا أعلاه، فقد سوى بين ثلاثة مصطلحات وهي: Consonants و Unvoiced و Surd، وهي

(١) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص ١١٣.

(٢) السابق، ص ٢٨٥.

(٣) السابق، ص ٢٨٣.

(٤) السابق، ص ٢٨٥.

تسوية تحتاج إلى إعادة نظر على ما أوردت أعلاه، كما نتج عن هذا أن جعل لها المقترحات الآتية: مهموس (أو صامت).

ونلاحظ على رؤية الشيخ ملحظين، الأول: أنه سوّى بين اقتراحين "مهموس، صامت"، لكن التسوية تحتاج إلى رجع البصر؛ إذ نلاحظ أنه جعل المقترح الأساسي، كما هو ظاهر، مهموس، ثم وضع بين قوسين هكذا (أو صامت)، وهذا يدل على شيئين، أن المقترح الأول أساسي، والآخر: فرعي "صامت"، والثاني: وهو يدل على أنه فرعي، وهو ما يؤكد الملاحظة الأولى السابقة، أنه وضعه بين قوسين، وهذا يدل على أنه غير أساسي، أو يمكن الاستغناء عنه، بدليل أنه وضعه بين قوسين من جهة، كما أنه أضاف إلى ما بين القوسين "أو" التي تدل على التخيير، فضلا عن الشعور بعدم الأهمية أو أنها تأتي في مرتبة أدنى من حيث درجة التلقي المصطلحي. والثاني: أن تسوية الشيخ تحتاج إلى إعادة نظر، خاصة أن المقترحين متباينان لدى أهل الاختصاص، وليس بمعنى واحد، خاصة أن مقترح "صامت" يدل على النوع الآخر الذي يقابل "صائت"، وهي صفة تميز هذه النوعية ضمن صفات أخرى، على ما أوردنا في موضع آخر من البحث، بالإضافة إلى أن المقترحين متباينان كما يلي.

فـ "الهمس" يحدث أولا في الحنجرة؛ بمعنى أنه صفة ترتبط بموضع، خلافا للصامت الذي يدل على النوع الآخر، لكنه صفة غير مرتبطة بموضع، ليس كما في الصفة الأولى، كما أن مقترح "الصامت" يرتبط بما عدا الأصوات الصائتة؛ أي يرتبط بنوع أو فئة من الأصوات، خلافا للنوع الأول، وما يمكن قوله إن علماء الأصوات قسموا الأصوات عدة تقسيمات منها الجهر والهمس والصامت والصائت، كما أن مقترح "الصامت" حمل معاني عدة قديما وحديثا. كانت هذه الملاحظات الأولية فيما يتعلق باقتراحات الشيخ على هذين المقترحين. أما الشق الآخر الذي سيقدم لنا تفسيراً مضيئاً، هي المواضع التي أشار إليها في مسرد المصطلحات، وأتناولها فيما يلي من حديث.

Consonants و Unvoiced و Surd أورد الشيخ هذه المصطلحات في مسرد المصطلحات حسب تعبيره، لكن شيئا نفث في نفسي أنه على ما أوردنا في حاشية ص ٤٦، أنه سماها بالكلمات لا بالمصطلحات، وهذه ملاحظة تحتاج إلى وقفة وتأمل .

أورد الشيخ أن هذه المصطلحات وردت في الصفحات الآتية: ٤٦، ٧٨^(١). إن هذا الارتباط بين هذه المقترحات على النحو المشار إليه من قبل الشيخ، يدل على العلاقة القائمة بينها، وسنرجع لها في ثنايا التحليل لبيانها، فضلا عن مشتقاتهما، مسوياً بينهما في المكافئ المقترح، وأنا أبين هذا وأفسره فيما يلي من تفسير والتسوية ظاهرة بين المصطلحين لديه، وهذا يحتاج إلى إعادة قراءة من

(١) ينظر: أسس علم اللغة، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

جهة، كما أنه يضيف مقترحا جديدا إلى المقترحات الأربعة التي اقترحها بزيادة "مجهور" وبمتابعة ثانيا السفر، وجدت ما يحتاج تفصيله إلى بيان.

فحين عدت إلى تلك الصفحات التي أوردتها المترجم في سياق الحديث عن المصطلح الغربي Voiced تناول تقسيم الأصوات إلى أصوات علة Vowels وأشباه أصوات العلة Semivowels وسواكن Consonantes في أقسام وأوصاف أخرى مثل: انفجاري Plosive، واحتكاكي Fricative وجانبي Lateral، وأنفي Nasel، ومجهور Voiced، ومهموس Unvoiced^(١).

وثمة ملاحظة على قدر من الأهمية تطل برأسها في النص الآتي: "وفي طريق تيار الهواء إلى الفم والأنف، إن تذبذبت الأوتار الصوتية، ينتج ما يسمى بالصوت المجهور Voiced أو Sonant مثل الباء والميم، أما إذا ظلت الأوتار مفتوحة بدون ذبذبة، فإن الناتج يكون صوتا مهموسا أو صامتا Unvoiced أو Surd مثل ب، ف، وإن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت ودرجة إسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج^(٢).

وفي النص الثاني ما يحتاج إلى بيان؛ فقد سوّى بين مقترحين عربيين "مهموس، صامت" وهذا تقسيم لم يعتد عليه الباحثون، فالمهموس يقابله مجهور، والصامت يقابله صائت، وهما تقسيمان متباينان؛ إذ الأول تقسيم متعلق بالهمس والجهر في الحنجرة، والحنجرة يمكن اعتبارها عضوا ليس مباشرا، على أساس أنها ليست موضعا لنطق بعض الأصوات اللغوية؛ لأن الأصوات مواضع خروجها إما من الأنف والفم، كما هي الحال مع الميم والنون، أو من الفم فقط، كما هي الحال مع بقية الأصوات.

والصامت والصائت تقسيم آخر؛ لكن التقسيم الأول مكاني، إن صح التعبير، في حين أن الصامت والصائت تقسيم وصفي، وشتان ما بين التقسيمين، أقول ومن ثم، لا يمكن اعتبار المهموس هو الصامت؛ لأن الهمس هو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين؛ نتيجة اتساع فتحة المزمار، الذي يؤدي إلى اتساع بين الوترين الصوتيين، كما أن الهواء الخارج من الرئتين هواء ضعيف، ومن ثم يخرج الهواء دون أن يهتز معها الوتران الصوتيان، وهذا ما يحدث عكسه مع الأصوات المجهورة التي يضيق معها فتحة المزمار، فيؤدي إلى ضيق ما بين الوترين الصوتيين، كما أن الهواء الخارج من الرئتين معه يكون قويا، فيهتز معه الوتران الصوتيان^(٣). أما "الصامت والصائت" فصفتان من صفات عدة تشترك فيها الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، وشتان ما بين التقسيمين، ومن ثم لا يمكن اعتبار المقترحين مقترحا واحدا، وهذا ليس صحيحا، إذ الخلاف بين الاثنين واضح وظاهر، فكيف يكون يسوّى بين مقترحين لا علاقة بينهما على النحو المبين أعلاه؟!

(١) السابق، ص ٤٦.

(٢) السابق، ص ٧٨.

(٣) أشار ماريوباي إلى شيء من هذا القبيل، غير أن الصياغة تحتاج إلى إعادة نظر في ضوء ما ورد هنالك، ينظر: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

ثم أن الباحثين مجموعون على ألا علاقة بينهما، فكيف يسوّي بينهما؟! ربما يقول قائل إن ثمة علاقة وشائج قريبي بين المقترحين لدى الشيخ، وهي أن الهمس هو الخفاء لغة، كما أن الصامت يعطي المعنى ذاته، ومن ثم سوّى بينهما، ويظل الأمر لدى الباحثين مختلف، خاصة أنهم مجموعون على تباين المصطلحين، وهذا أمر ثابت بيقين

وقد نقلت هذين النص على طولهما من موضعين مختلفين وهما لماريوباوي، لكن خيطا دقيقا يربط بينهما، فيما يتعلق بما قدمه الشيخ من اقتراحات تتعلق بهذين المقترحين، وأول ما يلفت النظر أنه استعمل في النص الأول "سواكن" كمقترح ولم يستعمل "صامت"، وهذا يؤكد ما أوردته من ملاحظ في سياق سابق، كما يلفت النظر في النص الأول أن ماريوباوي أورد تقسيمات متباينة، وهذا ما ترجمه الشيخ، وهو على بينة منه، وهذا ما دعاني سلفا إلى أن أذكر لماذا اختار الشيخ تقسيما وترك تقسيمات أخرى؟ إن هذا لا يدعي أن هناك توازنا، فإذا كان الشيخ الجليل اختار مقترحا، فقد ترك مقترحات أخرى، ولم يبين السر وراء ذلك، وهو على علم بهذه التقسيمات، كما يعكسها النص السابق.

أوردت النص كاملا ليستبين موقع المقترح "مجهور" من الأوصاف الأخرى، وهذا المقترح يحتاج إلى إعادة نظر من وجوه منها، صحيح "الجهر" بمعنى الظهور والقوة والوضوح مقارنة بالأصوات الأخرى الصامتة، لكنه ليس المقصود بما عناه الشيخ بـ Consonantes لعدة أسباب، منها أن السياق سياق مقارنة بين الجهر والهمس، فالمعنى واضح، لا لبس فيه، وما يزيد الأمر وضوحا وتأكيذا أن "الجهر والهمس" يحدثان في الحنجرة، أما Consonantes فتحدث في الفم، وشتان ما بين صفتين، تحدث إحداها في الفم والأخرى في الحنجرة، فضلا عما سبق، فإن الكاتب أورد تقسيم الأصوات من حيث مخرج الأصوات، فذكر أنها ثلاثة "أصوات علة وأشباه أصوات علة وسواكن" وهو تقسيم دقيق مبني على اعتبارات دقيقة، ثم انتقل في النص السابق، ليزكر صفات أخرى على ما هو وارد، والسؤال: لو كانت Consonantes و Voiced بمعنى واحد لكان هنالك تكرار في سطرين أو في سطور متقاربة، وهذا أمر يستبعد مع الشيخ، فضلا عن ماريوباوي، إذن يتوجه الرأي شطر أن المصطلحين الغربيين ليسا بمعنى واحد، وأن لبسا حدث أدى إلى هذا بشكل مباشر أو غير مباشر.

إذن، ما أورده الشيخ حين سوّى بين هذه المكافئات التي بلغت "خمسة، أربعة" أولا، ثم المصطلح الأخير "المجهور" يحتاج إلى وقفة متأنية، ولم يكتف عند هذا الأمر، بل سوّى بين Consonantes و Surd في مواضع عدة من الترجمة، وهي تسوية غير دقيقة؛ لأن الأول شاع استعماله بين المتخصصين، ومن ثم استعمال الثاني بمعنى الأول لا مجال له هنا. وعلى هذا يحتاج إلى إعادة نظر.

كما أنه يسوّى بين مصطلحين غربيين ليسا على درجة واحدة من الترقى المصطلحي، ولو كانا بمعنى واحد، لما ذكر مؤلف الكتاب مصطلحين بمعنى واحد؟ إذ لو كانا بمعنى واحد أو قريب، فسيعد تكرارا ممقوتا، وأحسب أن هذا الأمر لا يخفى على ماريوباي. وعلى هذا، فالإشكالية تتمحور في صياغة الشيخ للترجمة، وهو بيت القصيد ولب الموضوع.

إذن لدى الشيخ الجليل صامتان Consonantes و Surd ثم أضاف في سياق ثالث Voiced، وهي تسوية توحى بعدم التدقيق من ناحية، والبلبلّة من ناحية أخرى في انتقاء المكافئ، وهو ما بدا واضحا في الترجمة في أثناء الكتاب وفي مسرد المصطلحات، ولا يمكن أبدا أن نرجع هذا المقترحات إلى ماريوباي، وإلا سنكون نحمل الأمور أكثر مما تطيق، ولا يمكن أن يكون ذكرها على أنها شيء واحد، كما ترجمها الشيخ.

ويمكن أن أنظر إلى هذه المقترحات من ناحية أخرى، خاصة أن ماريوباي استعمل عددا من المصطلحات الغربية للتعبير عما عبر عنه بالصوت الساكن؛ إذ قدم لها مصطلحين، إن صح التعبير، أحدهما أساسي "ساكن" والآخر ثانوي "صامت"، وإن أردت غاية في الدقة، فقد استعمل مقترحا واحدا حين التعامل مع هذه المصطلحات وهو "الساكن"؛ لأننا وجدناه مستعملا إياه على طول خط الترجمة، ومن ثم فإذا كان المؤلف استعمل عددا من المصطلحات، فإن الشيخ حاول أن يقلص كل هذا إلى مقترح واحد في ثنايا الترجمة.

وعلى هذا يمكن أن تحسب للشيخ من نواح منها، الأولى: أنه قلص استعمال عدد من المقترحات إلى ما أوردناه أعلاه، أساسي وثانوي، وهذه ميزة تحسب له وتقوي اقتراحاته، كما أنه قلص المصطلحات التي استعملها ماريوباي من حيث العدد، فإذا كان المؤلف استعمل عددا من المصطلحات التي يمكن أن تؤدي الغرض، إلا أنها ليس على درجة واحدة من الشيوع والانتشار، إذن اتفق المحدثون على مصطلح واحد، وقد أورد لها المؤلف عددا من المصطلحات غير شائعة بين الباحثين، ومن هنا يمكننا أن نقول إن ماريوباي استعمل كلمات لا مصطلحات، حسب تعبير الشيخ، ومن هنا لم يستعمل ما هو أكثر شيوعا؛ بمعنى لم يقتصر في استعماله على مصطلح واحد، وإنما استعمل مصطلحا واحدا وكلمتين أخريين، بتعبير دقيق؛ لأنها لم تتحول منذ أن كتب سفره ولن تتحول؛ لأن العلماء مطبقون فيما بينهم على أن مصطلح Consnsntes هو الذي يؤدي الغرض، ومن ثم فإن الإشكالية ليست مع المترجم، بل مع الكاتب، فقد حاول المترجم أن يتجاوز ما وقع فيه الكاتب على ما يبدو، ويقدم له اقتراحا واحدا على ما رأينا أعلاه. يقول ماريوباي في هذا الشأن: وفي طريق تيار الهواء إلى الفم أو الأنف إن تذبذبت الأوتار الصوتية، ينتج ما يسمى بالصوت المجهور Consonantes أو sonant مثل الباء والميم. أما إذا ظلت الأوتار مفتوحة بدون ذبذبة، فإن الناتج يكون صوتا مهموسا أو صامتا Unvoiced أو surd مثل ي، ف^(١).

(١) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

لكن الترجمة بهذه الطريقة تثير الكوامن، خاصة أن الشيخ ترجم Consonantes بـ "الصوت المجهور" وبـ "السواكن" كاقتراح أساسي، و"صامت" كمقترح ثانوي لهذا المصطلح في حشايا التحليل من ناحية ثانية، وأضاف مقترحات في مسرد المصطلحات من ناحية ثالثة. كما أن ترجمة Consonantes بـ "الصوت المجهور" فيه نظر، خاصة أن المعنى غير مستقيم من وجوه، وأنا أستظهره على النحو الآتي.

فإذا كان القصد اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة، فكان عليه أن يستخدم مقترحا آخر خلافا لما هو مستعمل؛ لأنه قدم مقترحا له في موضع آخر. إذن المشكلة تكمن في التدقيق في اختيار المقترح المقدم؛ لأن المعنى غير مستقيم في عبارة الشيخ الجليل، وإذا قبلنا استقامة العبارة الأولى "خلافا لترجمة المصطلح"، فإن المعنى يشوبه بعض الغموض؛ لأن الوترين الصوتيين يهتز مع الأصوات المجهورة، وهذا لا خلاف فيه، إنما الخلاف يكمن في أنه استعمل "أو" التي تعيد "التخيير" بعد مصطلح Consonantes، وذكر مصطلح Sonant ومعناه "الصوت أو الحرف"، وبناء على هذه الصياغة تكون العبارة، أن اهتزاز الوترين الصوتيين ينتج عنهما "الصوت المجهور" وهذا صحيح، لكن ليس بالضرورة أن ينتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين "حرفا، صوتا"، خاصة أن الأصوات المهموسة لا يهتز معها الوتران الصوتيان، ولم يقل أحد إنها ليست أصوات. بالإضافة إلى أن الهمزة يصفها المحدثون من علماء الأصوات بالصوت الذي لا بالمهموس ولا بالمجهور، ولم يقل أحد إنها ليست صوتا، فماذا عسى الشيخ الجليل أن يقول في هذا؟ أما المصطلح surd فقد توقفت معه فيما ورد أعلاه، بما لا يحتاج أن أعيده نزلة أخرى.

وثمة ملاحظة أخيرة أني في بحث سابق، قسمت الدراسات اللسانية العربية إلى مراحل فيما يتعلق بدراسة المصطلحات، وقد جعلت يومئذ الشيخ ضمن المرحلة الثالثة^(١)، وكل مرحلة لها ما يميزها من غيرها من المراحل السابقة واللاحقة من حيث الصياغة والتدقيق، كما هو ملاحظ ثمة، كما أن أحد الباحثين يبدو أنه أفاد مما لدى السابقين له في صوغ المكافئات الدقيقة، إذ اقترح Consnantes صامتا، وللثاني Vowels حركات^(٢)، ويلاحظ أنه اختصر وأوجز ما هو موجود لدى الشيخ، فقد قدم الشيخ مقترحين اثنين، الأول مباشر "الساكن" والثانوي "الصامت"، ثم أضاف في ثنايا التحليل "الوقفيات"، لكنه يأتي في مرتبة أقل مقارنة بالأول والثاني. على أية حال، يمكن استخلاص أنه استعمل ثلاثة مقترحات، لكنها لم تكن على درجة واحدة من الترفي المصطلحي، إلا أن محمد فتيح الذي ينتمي إلى جيل المرحلة الأخيرة، أو بتعبير آخر، هو من تلاميذ الشيخ، يبدو أنه أفاد مما ورد قبله، فقلص العدد الموجود لدى الشيخ، فاقترح للأول "صامت" وللثاني "الحركات"، وهو اقترح يحتاج إلى قراءة في ضوء ما رد لدى الشيخ، وإن شئت الدقة، فهو يحتاج إلى قراءة وربطه بما قبله وبعده.

(١) أشرف عبد البديع: طرائق نقل المصطلح اللساني في المؤلفات العربية، ص ٢٧.

(٢) ديفيد إيركومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص ٦١، ٣٥٢، ٣٦٦.

٧/١: دراسة تطبيقية لمصطلحي Vowels و Consonants في "دراسة الصوت اللغوي":

ستكون طريقة المعالجة في هذا السفر كما هي الحال مع السفر الأول، وإن كانت طبيعة المعالجة في السفرين هي التي ستفرض القضايا الأساسية التي يمكن أن تميز بينهما، وهو ما أشرت إليه أعلاه في إيجاز غير مغل.

وإذا كانت طبيعة المعالجة متميزة في المادة، فإن هذا سيؤدي لا محالة، إلى التمايز في التعامل معهما، على ما سيرد أناده بفضل بيان. ويمكن أن أوجز المواضع التي يمكن الإلمام بها في الكتاب يعطي تصورا معقولا ومعالجة وافية لهذين المصطلحين الغربيين على النحو الآتي.

الأول: مسرد المصطلحات الصوتية في نهاية الكتاب، الثاني: مواضع المعالجة لهما في ثنايا التحليل، والذي يبدو أن مواضع التحليل مفارقة لما ورد في السفر الأول، لما أوردته أعلاه من أسباب، وأحاول تبيان الموضوعين ببيان وافٍ فيما نستقبله بفضل بيان.

المعالجة الأولى الخاصة بـمسرد المصطلحات: أورد الشيخ للمصطلح الأول Consonants مكافئين مقترحين من قبله "ساكن، صامت"^(١)، ويبدو أن هذا السفر جاء تأليفه بعد ترجمة "أسس علم اللغة" والذي لفت انتباهي إلى هذه الملاحظة أنه هنالك استعمل أربعة مقترحات "ساكن، صامت، صحيح، حبيس"^(٢)، وهذا يشير بشكل مباشر أو ضمني إلى تعدد المقترحات للمصطلح الغربي، وهذا يعني عدم وضوح الرؤية، وإن أشار إلى القضية على ما أوردناه حين مناقشة السفر الأول، أو أنه على الرغم من وضوح الرؤية عنده فيما يتعلق بهذين المصطلحين، إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من هذا الحشد الهائل من المقترحات، التي بدت ظاهرة مستعلنة في السفر الأول، غير أنه تقلص في السفر الثاني إلى النصف تقريبا، وهذا يعني صراحة أو ضمنا؛ أنه حاول أن يتلافى ما فاتته فيما يتعلق بصوغ مكافئ عربي دقيق، فتم التخلص من مكافئين في هذا الكتاب "صحيح، حبيس" وهما عندي في مرتبة أدنى في درجة التلقي المصطلحي مقارنة بالمكافئين "ساكن، صامت" اللذين أوردتهما وأصرّ على استعمالهما معا على ما هو بادٍ.

كنت قد أوردت أن مقترح "ساكن" عند الشيخ أولى، وفي صدارة مقترحاته في سفره الأول، وأدليت بدلوي ثمة أعلاه، وهنا يبدو ظاهرا ما كان خافيا في السفر الأول، إلا أنه هنالك تردد إزاء طريقتين، الأساسي "صوت ساكن"، والفرعي "حبيس، صحيح، صامت" وذكرت أن "صوت ساكن" أساسي عنده على ما بدا واضحا، وهنا بدا لي ما خلته صحيحا، جاء على نحو دقيق من الصحة، غير أنه أورد شيئا ليس موجودا في السفر الأول، حيث قرن مقترح "صوت ساكن" بمقترح آخر أقل أهمية في سفره الأول على ما بدا وأوردته ثمة "صوت صامت"، وهي تسوية تحتاج إلى التوقف أمامها لتأمل التعامل معها على نحو دقيق. وعلى هدي من هذا، فقد سوّى بين مقترحين اثنين

(١) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٤١٤.

(٢) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٢٧٥.

"صوت ساكن، صوت صامت" في مسرد المصطلحات، وقد ذكر المواضع التي ورد فيها المقترحات في الصفحات: ١٢٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٩٦، ٣١٣^(١)، وحين عدت إلى هذه الصفحات وجدت عجباً عجباً.

فقد تتبعت هذه المواضع لديه في سفره، فلم أجده استعمل من هذه المقترحات الواردة في مسرد المصطلحات إلا "أصوات ساكنة" في حالة الجمع، أو "صوت ساكن" في حالة الأفراد في كل هذه المواضع بشكل عام، وهي صفة غالبية، على الرغم من تسويته بين الحالتين في مسرد المصطلحات، وهو الصنيع ذاته الذي قام به في سفره الأول الذي ترجمه، وهو ما يؤدي الغموض، كما لم يذكر مقترح "صامت" إلا في موضع واحد^(٢)، وكذلك أورد Vowels في الصفحات: ١٢٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ٣٠٠^(٣)، وتكاد هي الصفحات التي ذكر فيها المصطلح الأول، مما يشير بجلاء إلى ارتباط المقترحين ببعضهما، على ما أوردت سلفاً.

أعود فأشير إلى أن الشيخ أورد مقترحين للمصطلح الأول، وقال إنه يمكن تقسيم الأصوات على أساس من نوع النطق إلى تقسيمين هما:

١ - العلل Vowels أو الصوتات.

٢ - السواكن Consonants أو الصوتات^(٤).

يلاحظ أن الشيخ ذكر مقترحين لكل مصطلح غربي على ما هو وارد في نصه، غير أن ملحظاً أساسياً يعالان في صراحة تامة، يتفرع إلى ملاحظ عدة، وهي على قدر من الأهمية فيما يتعلق باقتراحه لهما، الأول: طريقة صياغة الأفكار وأعني بها أنه ذكر مقترح "العلل" كمكافئ للمصطلح الغربي Vowels ثم ذكر "أو الصوتات" وهذا يعني صراحة أو ضمناً أن المقترحين ليسا سواء من حيث درجة التلقي المصطلحي؛ لأنه وضع المصطلح الأساسي أولاً، ثم ذكر المصطلح الغربي، وبعدما انتهى، يبدو أنه وجد أنه من الأجدر أن يذكر مقترحاً آخر درج علماء الأصوات على استعماله؛ بدليل أنه لو لم يذكر المقترح الأخير "الصوتات" ما اختلف المعنى أولاً، وما أخذه أحد على الصياغة ثانياً، لكن كل هذا يعني صراحة أو ضمناً أن المقترحين ليسا سواء، وما يقال عن المصطلح الأول يقال عن المصطلح الآخر.

وهكذا قدم اقتراحين أساسيين "السواكن والعلل" وإن لم يذكر هذا صراحة، وجعل المقترحين الآخرين "الصوتات والصوتات" في مرتبة أدنى، واستعملها دون أن يشير إلى هذا، كما يشير إلى ذلك عدم استعماله لها في ثنايا التحليل على ما تظهره الصفحات التي أوردتها في مسرد المصطلحات في كلا السفرين، والذي يبدو أن الشيخ استعمل المقترحين استعمالاً يبدو طبيعياً، ومن

(١) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ص ٤١٤.

(٢) السابق، ص ٤١٦.

(٣) السابق، ص ٤٣٦.

(٤) السابق، ص ١٣٦.

ثم، فقد خطى باستعمال "الصوامت والصوائت" خطوات أبعد، وكان محمد مندور قد اقترحهما حين ترجم بحث أنطوان ماييه "علم اللسان"^(١)، وهو من الأوائل الذين اقترحوا هاتين الصيغتين حديثاً، إن لم يكن هو الأول^(٢)، غير أن اقتراحه على الرغم أنه ليس من أولي الاختصاص، إلا أنه شاع وانتشر بين اللسانيين أنفسهم.

وهنا ملحظ على قدر من الأهمية لا بد من التنويه إليه، فيما يتعلق بمصطلح "الصوائت"، فقد ورد استعماله لدى ابن ابن جني فقال: فالصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتاً، فهو صائت، وصوَّتْ تصوتياً، فهو مصوَّتْ، وهو عام غير مختص^(٣).

وقد نبهني إلى صياغة هذا المقترح من قبل مندور، أن بشرا أورد تفصيلاً في إحدى الحواشي يقول فيه: وتسمية الحركات تسمية مقبولة وهي جيدة، وإن كان من الجائز تسميتها بالصائتة والمصوتة، وقد آثرنا هنا استعمال مصطلح "حركات" ومفرده "حركة" لشهرته الواسعة ووضوح مدلوله، ومن الجدير بالذكر أن هناك من علماء العربية القدامى من جروا على استعمال المصطلحين "صائت ومصوت" وما تفرع عنهما في بحوثهم، فهذا ابن جني مثلاً يسمي الحركات الطويلة بالمصوتات أو الحروف المصوتة^(٤). غير أنني لم ألحظ ذكراً لمصطلح "الصائت" في النص الذي أورده بشر، وإن كان لا يفرق بين "صائت ومصوَّت" في النص، ويرجع الفارق إلى أصول الكلمات^(٥)، غير أنه من الواضح أنه لم يستعمل إلا "مصوَّت" في نص الخصائص، وحسبي من تبرز أن ما توصل إليه بشر من الجمع بين المصطلحين، أنه لا يفرق بينهما إلا الأصول، هو صحيح بدليل أنه جمع بينهما في نص "سر صناعة الإعراب" السابق.

وجدير بالذكر أن أنيساً في تلك الحقبة المبكرة وتحديداً في تلك الفترة التي قدم فيها مندور اقتراحه، لم يرق له ولم يستعمله نهائياً في "الأصوات اللغوية" إلا في تلك الإشارة التي أشار إليه فيها في الحاشية^(٦)، وهنا يبدو أن إشارة أنيس لاقتراح مندور في الحاشية لها دلالتها، خاصة أنه لم يشر إلى من هؤلاء الذين استعملوا أو اقترحوا هذا الاقتراح، وأشار إليهم باستخدام فعل مبني للمجهول! فضلاً عن وضعه المقترح في الحاشية، كما أنه قدم اقتراحين أساسيين في المتن

(١) ينظر محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٤٣٠.

(٢) ليس غرضي هنا أن أعرض للمؤلفات اللسانية العربية الأخرى التي تناولت هذين المصطلحين، فقد أورد د. السمران أن القصاص والدواخلي من ناحية ود. علي عبد الواحد وافي اضطربوا في صياغة المكافئ العربي لهذين المصطلحين، ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، حاشية، ص ٣٤، ٣٥، على أنه تجدر الإشارة إلى أن هذين المؤلفين يحتاجان إلى قراءة لهذين المصطلحين، أرجو أن أفرغ لهما في قابل الأيام.

(٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١ / ٩، ١٠.

(٤) كمال بشر: علم الأصوات، ص ١٤٩ "الحاشية". ويلفت النظر أن أحد الباحثين نقل كلام بشر الوارد في المتن دون أن يشير إليه، ويكاد يكون النقل حرفياً، ينظر: عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية الفونتيكا، ص ٢٠٥.

(٥) السابق: الموضع ذاته.

(٦) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٨.

"الأصوات الساكنة وأصوات اللين"، بل جعلهما عنوانا لهذا الموضوع. وعلى هذا يتبين أن الشيخ أفاد بشكل واضح مما اقترحه أنيس، وإن لم يقل هذا صراحة.

غير أن هنالك خلافا ملحوظا بين اقتراح الشيخ وأنيس، أنهما اتفقا في المقترح المقدم حول "الأصوات الساكنة" واختلافا حول المقترح المقدم لـ Vowels؛ فقد ارتضى أنيس أصوات اللين^١، في حين استعمل الشيخ "أصوات العلة" على ما أوردنا أعلاه، غير أن الذي ينبغي الإشارة إليه أن إبراهيم أنيس استعمل في مواضع أخرى "أصوات العلة وحروف اللين، لكن "أصوات اللين"^٢، جاءت في مرتبة أساسية عنده.

وعلى هذا، فقد اتفق اللغويون على عدد من المقترحات، على ما هو ظاهر لدى الشيخين، فارقوا فيها بدرجات متفاوتة ما اقترحه مندور، فإذا كان أنيس قد أعرض إعرضا تاما عن اقتراح مندور، فإن الشيخ تعامل مع اقتراح مندور وذهب به بعيدا مقارنة باستعمال الأول، على ما يتبدى لديه في مادة الدراسة هنا، ومن ثم نلاحظ أن جوانب الاتفاق والاختلاف قائمة بين الشيخين الفاضلين.

وعلى الرغم من أن كلا الجانبين ظاهر وواضح لديهما، إلا أنني أرجح أن تأثر الأخير بالأول كان الأكثر والأقرب، وإن جاء بشكل غير مباشر؛ أولا: لأنه استعمل مقترحي أنيس على النحو المشار إليه، على الرغم من التباين البادي في استعمال "أصوات لين" لدى أنيس و"أصوات علة" لدى الشيخ، وإن كان أنيس استعمل "أصوات علة" على ما أشرت إليه أعلاه، لكنه لم يكن المقترح الأول لديه لكنه استعمله. وتؤدي هذه الملاحظة إلى أن جوانب الاتفاق كانت أكثر بكثير من جوانب الاختلاف، كما أن جوانب المقاربة بينهما تتمثل في عدم استعمال أنيس لـ "أصوات صامتة وأصوات صائتة" وكان أمره واضحا في عدم استعماله لهما طيلة الكتاب وكذلك الشيخ، وإن أشار إليهما إشارة خاطفة، كما أنه وضعهما في المتن خلاف أنيس، ويبدو أن الذي أدى به إلى هذا الصنيع، أن مرحلة الشيخ كان المقترحان "أصوات صامتة وأصوات لين" قد تبوأ مكانة مرموقة، ويكاد يجمع عليهما الدراسون، خاصة أن الفترة بين مؤلف أنيس "الأصوات اللغوية" ومادة الدراسة لدى الشيخ هنا، ما يناهز نصف قرن تقريبا، على ما تظهره تواريخ نشر الملفين لدى الشيخ، وكانت اللسانيات قد تبوأ مكانة فيه، بحيث ضببت كثيرا من المفاهيم، واستجدت مناهج لم تكن من ذي قبل.

ويظل الأمر يحتاج إلى بيان حول هذه الجزئية، فإذا كان الحديث عن مسرد المصطلحات في نهاية الكتاب والاقتراحات في ثنايا الكتاب، كان ينبغي عليه ألا يشير إلا لما هو مستعمل، ويترك

(١) السابق: الموضوع ذاته.

(٢) أشرف عبد البديع: نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، ص ١٣٨.

الأثرية الباقية من المقترحات، ويشير إليها في الحاشية على نحو ما فعل في مقام آخر^(١)، فضلا عما أوردت من ملاحظ عليها في مقامها من البحث.

٨/١: خلاصة الكلام على مقترحات الشيخ أحمد مختار:

وإذا كان لنا من قول فصل في هذا السياق الختامي، فأني لاحظت من خلال رصد ما ورد في ثنايا السفرين في المواضع المذكورة (ينظر: ٣/١ من البحث) أن الشيخ استعمل عددا من المقترحات وهي كلمات لا مصطلحات، إذ يبدو أنها لم تصل بعد إلى درجة التلقي المصطلحي عنده في تلك الحقبة أو حسب تصوره، لكنها هكذا على ما تصوره أفعاله قبل أقواله في آلية التعامل مع المصطلح بوجه عام وهذين المصطلحين بوجه خاص. كما لاحظنا من خلال هذا البحث في طريقة تعامله مع المصطلحين، أنه لم يكن يرتكن إلى ركن شديد، ويبدو ذلك جليا ساطعا، حين قدم عددا من المقترحات للمصطلح الغربي الواحد، وما هو أغرب في طريقة الشيخ حين التعامل مع هذين المصطلحين.

وإذا كان، على ما أوردت، الشيخ أورد أربعة مقترحات في السفر الأول، واثنين في السفر الثاني، فإن هذا يؤكد ما ذهبت إليه، وأن هذه المقترحات ليست سواء، ومن ثم فقد تخلص منها في السفر الثاني، ومن ثم، هل يعني هذا أنه لم يكن يعتني بهذا الأمر كثيرا؟! وكيف لم يعتن؟! وقد أشار إلى هذا في سياق آخر من السفر الأول على ما أوردته.

أما المكافئ الآخر Vowels، فقد اقترح له أربعة مكافئات هي: علة، لين، صائت، طليق^(٢). ويبدو أن مصطلح "طليق" يقصد به أن هذه الأصوات لا يعوقها أي عائق، وهي صفة جوهرية فيها، وقد أوضح ذلك بقوله: وأصوات العلة Vowels sounds تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك (لاحظ احتمال مد الصوت لا نهائيا، وتردد الجرس الصوتي، والانفتاح النسبي لمجرى الصوت في مثل آه - أوه)، أما الأصوات الساكنة فيصاحبها قدر كبير من التوتر والاحتكاك، وفي بعض الحالات غلق كامل لمجرى الهواء ثم فتحه الفجائي^(٣).

لاحظ قوله في النص "إن أصوات العلة تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك" وهو ما يعني أن فيها استمرارية؛ أي تسغرق وقتا أطول، وهو ما سماه ماريوباي بالاستمرارية، وهو ما يسميه القدماء بأصوات المد، كما أنها أكثر وضوحا في السمع مقارنة بالأصوات الصامتة، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك، وهو ما يعني أن هناك قدرا كبيرا من الحرية تجعل هذه الأصوات تتصف بالطلاقة "طليقة" وهو ما أوضحه في موضع لاحق بقوله: وعن إنتاج أصوات العلة يفتح الفراغ الفموي بوجه عام، ويكون حرا من العقبات بالقياس إليه عند

(١) أشار الشيخ إشارة خاطفة حين ترجم كتاب ماريوباي، ينظر أسس علم اللغة، ص ٤٦ من الحاشية.
(٢) من خلال مقابلة النصوص يتضح أن ابن جني صاحب المصطلحات الثلاثة الأولى. ينظر ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/ ٤٧.
(٣) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

إنتاج الأصوات الساكنة^(١). وهو ما يفسر النص السابق المذكور في موضع آخر، ويبدو أن هذه الكلمات، حسب تعبير الشيخ، قد أوردتها لا على أساس أنها مصطلحات تعامل بها علماء الأصوات، ولكن على أساس أنها عبارات/ كلمات شارحة في مقامات عدة، وربما أدت هذه الرؤية بالشيخ إلى أن يفعل شيئين يبدوان على طرفي نقيض، الأول: ما أوردته في النص السابق من حاشية ص ٤٦ أنها كلمات وليست مصطلحات، الثاني: أنه أورد في معجم المصطلحات هذه الكلمات التي ليست مستعملة إلا في تلك المواضع التي أشار إليها فيها في معجم المصطلحات، ربما على أساس أنها تمثل عنصرا في تلك الصفحات، أو ما يمكن اعتباره مصطلحات في هذه الصفحات دون سواها من المواضع الأخرى من الكتاب، الثالث: وهو الأهم، إذا كانت هذه كلمات وليست مصطلحات بناء على ما هو وارد لديه، ومن ثم، كان ينبغي ألا تكون مذكورة في هذا المعجم باعتباره معجما مصطلحيا يخص المصطلح لا الكلمات. ومن ثم فإنه على الرغم من أنه أشار إلى أهمية الموضوع في سياق سفره الأول، إلا أن الأمر ندَّ عنه بشكل لافت للنظر، على ما يبدو من خلال المقارنة بين السفريين.

وعلى الرغم من أنه اختار مقترحين في السفر الثاني، إلا أن متابعة ثنايا الكتاب تظهر الحيرة التي كان يكادها في اختيار المكافئ بوجه عام. ويبدو أنه حين ترجم السفر الأول شعر بحجم المشكلة العويصة في ترجمة المصطلح اللساني، فأشار إليها على ما أوردنا في صفحة ٤٦ من الحاشية، إلا أنه حين تعرض له في السفر الثاني، غيّر فكرته، أو بتعبير أكثر تحديدا من ذي قبل، حاول أن يقلص العدد، وهذا يعني أنه فكر في المشكلة بشكل عميق، إلا أن صوغ المكافئين المقترحين من قبله، يشير إلى أنه لم يستطع أن يرجح مكافئا على آخر، فذكر مقترحين وأخصهما بمعالجة مفصلة فيما نستقبله من حديث في المطلب القادم.

إذ تارة يذكر مقترحا واحدا لهذين المصطلحين، ولم يفعل هذا إلا مرتين، نزلة في عناوين الفصول وأخرى في مسرد المصطلحات؛ أقصد فهرس كتاب "دراسة الصوت اللغوي"؛ لأن موضوعه علم الأصوات، خلافا لكتاب ماريوباي المترجم الذي كان موضوعه اللسانيات العامة "أسس علم اللغة"، وقد قلت في صدر البحث إن طبيعة السفريين ستؤثر بشكل أو بآخر على طريقة التعامل مع هذين المصطلحين أو المصطلحات بشكل عام، وهنا كان مضطرا إلى أن يصنع هذا الصنيع؛ لأن طبيعة العنوان تميل إلى الإيجاز والبيان، فكان عليه أن يختار مقترحا واحدا من عدد من المقترحات العديدة التي اقترحها، فضلا عن الآلية التي استخدمها، فقد استعمل طريقتين غير منسجمتين، الأولى: من خلال متابعة السفريين، خاصة "دراسة الصوت اللغوي" لم يبق على حالة واحدة، فتارة يذكر مقترحا واحدا، وأخرى يذكر مقترحين وثلاثة يذكر أكثر مما سبق، الثانية: أن هذه السياقات التي وردت فيها هذه الاقتراحات لديه، كأنها فرضت عليه فرضا، يبدو ذلك من خلال

(١) السابق، ص ٧٩.

متابعة واعية لتلك المواضع التي وردت فيها المقترحات، وعلى بيئة من هدي هاتين النقطتين، يبدو أنهما تعكسان قلق الشيخ؛ لأن الخلل ظاهر والقلق بادٍ في طريقة التعامل معهما، وينسجم هذا الاستنتاج مع ملحظين وردا لديه، الأول: مباشر: وأعني به تلك الإشارة التي أوردتها للشيخ في كتاب ماريوباي "أسس علم اللغة" حاشية ص ٤٦، وهو كلام للشيخ، يعكس التردد والقلق والحيرة التي كان يعايشها، كما كان أسلافه، الثانية: غير مباشرة، وأعني بها التعدد في كيفية التعامل مع هذين المصطلحين، وهنا أحاول أن أوجز طريقة الشيخ في التعامل مع هذين المصطلحين، على النحو الآتي:

الأولى: في عناوين الفصول وفهرس الموضوعات، لم يذكر إلا مقترحا واحدا، على ما يبدو في كتابه، وقد أشرت إلى هذه الملاحظة أعلاه. الثانية: في ثنايا الكتاب؛ أقصد في ثنايا التحليل خلال فصول الكتابين، وقد تعامل معهما كما يأتي:

في بداية عناوين الفصول خاصة عند المصطلحات الغربية الرئيسية، اقترح لها أكثر من اقتراح على ما أوردناه في ثنايا التحليل (ينظر: ٥/١ من البحث).

٢ - في ثنايا التحليل داخل الفصول نراه لم يذكر إلا مقترحا واحدا فقط، وترك المقترحات الأخرى، وقد أشرنا إلى هذه المقترحات الأساسية في ثنايا التحليل، بحيث لا تحتاج إلى إعادتها هنا نزلة أخرى.

٣ - في مسرد المصطلحات، يعرض لعدد من المقترحات لم يرد لها ذكر في ثنايا التحليل، بل ورد منها في اقتراحاته في بعض العناوين الفرعية للعناوين الرئيسية لبعض الفصول أو كل الفصول على ما أوردنا سلفا.

إذن، هذه الطرائق للشيخ الجليل تظهر القلق البادي لديه، وهو قلق انعكس سلبا على هذه الطرق الذي بدا فيه عدم الانسجام إلى حد بعيد، إذ نلاحظ عليه في ثنايا التحليل أنه بقي على حالة واحدة في استعمال مقترح واحد، وأصر عليه إصرارا وقد نجح في ذلك، كما هي الحال مع عناوين بعض الفصول، لكن اللافت للنظر أنه تجاوز هذا في العناوين الأساسية، لكنه حين راح يبدأ في التحليل لم يستطع أن يتخلص منها تماما، فبدأت شاخصة في العناوين الفرعية إما عند أول مرة يعرض لهذه المقترحات وإما في بداية الفصول، ويبدو أن طبيعة المعالجة هي التي فرضت عليه ذلك، ففي كتابه "دراسة الصوت اللغوي" كان لديه من المجال والمكان ما يجعله يعرض له في بداية الفصل أو كلما وجد إلى ذلك سبيلا في المتن، أما في الترجمة فكان يعرض غالبا لمثل هذه الحالات في الحاشية. لكن صنيع الشيخ مع الطريقة الثانية لم تكن بشكل مباشر وصريح، وإنما بدا عليه الاستحياء على ما أوردناه (ينظر: ٧/١ من البحث)، أما الموضوع الثالث الذي ذكر فيه الشيخ عددا من المقترحات، وهذا ليس عيبا بقدر ما توصيف لحالة من حالات التعامل مع المصطلح الغربي لدى باحث في قيمة وقامة الشيخ، لكن الأغرب الغارب، أنه أورد مقترحات لم يرد لها ذكر في

الأولين. وعلى هذا بدا التضارب لا التناقض بينها، كما أنه أورد عنوانا سماه مسرد المصطلحات في الكتابين، على الرغم من أنه في كتاب ماريوباي سماها كلمات لا مصطلحات، على ما أوردناه في ثنايا التحليل.

وإذا كانت النقاط السابقة تضع أيدينا على طرق تعامل الشيخ مع المصطلح بوجه عام، وهذان المصطلحان بوجه خاص، ويبدو أن الشيخ كان يقصد إلى هذا قصدا، فهو يعلم أن بنية الكتاب الرئيس في التحليل، ومن ثم لم يشأ أن يرهق القارئ ومتن النص بعدد من المقترحات التي تؤخذ عليه من ناحية، وتجعل من المادة العلمية مادة فيها من الرطانة ما ينأى الشيخ بها عن ذاته، وعلى هذا سلك فجا واحدا، وهو اقتراح مكافئ عربي واحد، والذي يؤكد هذه الملاحظة أنه في بداية الفصول استعمل اقتراحين على ما وصفناه لدى الشيخ بأنه جاء على استحياء.

ومن ثم يبدو أن هنالك آلية عمل من خلالها الشيخ وكانت مقصودة، فحين التعامل مع النص أو المتن لا يريد أن يرهق القارئ من أمره عسرا، فكانت الطريقة المشار إليها، وإن كان هذا لا يمنعه في يذكر مقترحا آخر فرعي مع الأساسي، لكنه لا يريد أن يطيل فيذكر مقترحا واحدا، وكأنه يريد أن يعطي إشارة سريعة وخاطفة دون أن يزيد من عنائه. ثم تأتي الطريقة الثالثة التي أورد فيها كل شيء، ويبدو أنه كان يعني مقترحات السابقين عليه، وإلا لماذا أورد مقترحات لم تستعمل في الكتاب سواء في المتن أم في الحاشية؟ إن هذا الصنيع ليس له إلا مبرر واحد إلا أنه أراد أن يضع مقترحات السابقين في مسرد المصطلحات، صيح هو لم يقل بهذا صراحة، لكن صنيعة يوحى بهذا ضمنا. كما أن هذه الإشارة في مسرد المصطلحات تشير إلى المفارقة بينه وبين الموضعين السابقين، أن هذا الموضع يختلف عما سبق في أنه لا يعرض لرؤيته الشخصية بقدر ما يعرض فيه كل ما ورد من آراء السابقين، وإن كانت الملاحظات هذه إلى صل لدى الشيخ إلى درجة التلقي المصطلحي، حين وصفها بالكلمات في سياق سابق.

٩/١: المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١ - أحمد مختار عمر (دكتور):

- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، بدون طبعة، ١٩٩٧

٢ - ماريوباي:

- أسس علم اللغة، تر. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨.

ثانيا: المراجع:

١ - إبراهيم أنيس (دكتور):

- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠، الطبعة السابعة،

- ٢ - أبو الفرج الأصفهاني:
- الأغاني، الجزء السادس، والجزء السادس عشر، طبعة دار الكتب المصرية.
- ٣ - أحمد مختار عمر (دكتور):
- المصطلح الألسني العربي، عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩، عدد الألسني، ص ٣: ٢٤٠.
- ٤ - أشرف عبد البديع عبد الكريم (دكتور):
- نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، ألقى في الموسم الثقافي لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للعام الجامعي ٢٠١٤، ٢٠١٥.
- طرائق نقل المصطلح اللساني في المؤلفات العربية، ضمن كتاب: دراسات تطبيقية في علم المصطلح، عالم المعرفة، المنيا، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
- ٥ - تمام حسان (دكتور):
- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الرباط، ١٩٨٦.
- ٦ - ابن جني (ت ٣٩٢ هـ):
- سر صناعة الإعراب، الجزء الأول، تحقيق د. حسن هنداي، دار القلم، دمشق.
- ٧ - سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "ت ١٨٠ هـ":
- الكتاب، كتاب سيبويه، الجزء الرابع، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
- ٨ - عز الدين إسماعيل (دكتور):
- المصادر الأدبية واللغوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- ٩ - عصام نور الدين (دكتور):
- علم الأصوات اللغوية، الفونتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، الطبعة الثانية، ١٩٩٣.
- ١٠ - كوركيس عواد:
- الورق أو الكاغد؛ صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٢٣، العدد الأول، ١٩٤٨، مطبعة الترقى بدمشق، ص ٤٠٩: ٤٣٨.
- ١١ - ديفيد إيركرومبي:
- مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة د. محمد فتيح، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

- ١٢ - محمد مندور (دكتور):
- النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، الناشر: دار نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦، بدون طبعة.
- ١٣ - محمد الأنطاكي:
- دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٦٩.
- الوجيز في فقه اللغة، طبعة ١٩٦٩.
- ١٤ - محمود السعران (دكتور):
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، النشر: دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت،
لبنان، بدون تاريخ، بدون طبعة.

جسور (نشرة غير دورية محكمة) — جسور مع الرواد : العالم اللغوي أ. د. محمد عوني عبد
الرءوف بين أصدقائه وتلاميذه — حفل تكريم سيادته بالمجلس الأعلى للثقافة في ٢٠١٦/١/١٤ م

جسور مع الرواد

العالم اللغوي الأستاذ الدكتور

محمد عوني عبد الرءوف بين أصدقائه وتلاميذه

في حفل تكريم سيادته بالمجلس الأعلى للثقافة يوم ٢٠١٦ / ١ / ١٤ م

كلمة : حمدي إبراهيم

عندما يكون المحتفى به رفيع المقام راسخ القدم شامخاً في تواضع، وكريماً بلا حدود، وسمحاً مع من يخالط، ورقيقاً مع الكبير ومع الصغير، وسخياً في العلم وفي عطاء النفس بلا حدود، فإن اللسان يعجز عن الإحاطة بكريم شمائله، كما تعجز البلاغة عن تعداد مناقبه ومآثره، إن هذا القول ليصدق على أستاذنا الخلق الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف في رحلة عطائه العلمي والأكاديمي التي يشهد على تميزها القاصي والداني، ولست أقول هذا من منطلق المجاملة أو المديح؛ فهو لا يحتاج إلى ثناء مهما كان عاطراً، ولأن مآثره وحدها هي الشاهد الحق على عظيم عطائه، ولقد تذكرت أنني قرأت أن الأحنف بن قيس عندما سئل وكان البعض يراقبه لأنه أكثر العرب حلمًا عما إذا كان هو الأكثر حلمًا أم معاوية بن أبي سفيان، قال في تواضع جم فطر عليه : "معاوية يقدر لكنه يحلم، وأنا أحلم ولا أقدر، فأين أنا من معاوية"، وهذا هو الأمر الذي دفعني إلى القول بأن اللسان يعجز عندما ينبري للثناء على من يتصف بأجمل الأوصاف وأجل الشمائل، وتذكرت أيضاً الزعيم الأثيني بركليس الذي شهدت مدينة أثينا إبان القرن الخامس قبل الميلاد أوج ازدهارها، وسمو حضارتها في عهده، وكان مشهوراً بالبلاغة والبيان، كما كانت خطبه قطعاً من روائع الكلم، تذكرت أنه في إحدى خطبه التي كان يثبث فيها بسالة الأثينيين قال إنه حين تكون مآثر الممدوح سامية عظيمة فإن الثناء عليه من المتحدث يكون قاصراً ؛ لأنه مهما كان جديراً فلن يصل بكلماته إلى سمو بطولتهم في ساحة الشرف والجهاد، ومع هذا، فإن سمو المقام لا يمنع الإنسان من أن يتحدث بصدق عما يحته وما يعتلج داخل صدره من مشاعر صادقة لا يبغي من ورائها سوى الشهادة الحقة على فضل من يحتفى به. والناس صنفان: صنف يكرم على ما أسداه من فضل، وصنف آخر ينال من يقوم بتكريمه شرفاً سابغاً، وأستاذنا من الصنف الثاني؛ لأن التكريم في حقه شرف ومكرمة، وفي هذا المقام أتذكر قول شاعر حينما رأوها أن يؤتي من يحبها عطراً فقال:

أسدي لك عطراً شدياً *** فأسدي بذلك للعطر شرفاً

فأنت نفسك تتضوعين بعطر *** يفوق شذاه أي عطر

ولقد أمضى أستاذنا الدكتور عوني عبد الرؤوف سنوات من عمره ناسكاً في محراب العلم يبحث ويقرأ ويكتب وينشر ما لا تستطيع عصبه من أولي العزم إنجازه . وهو يؤمن بأنه يكفي من المأثرة ذيوع صيتها كما قال الشاعر هسبرس العظيم في ملحمة الإبيودة.

ولقد أهداني بالأمس الأستاذ الدكتور عوني كتابه في طبعته الجديدة "تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوربي"، وشرفني بأن أهداني هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة ٢٠٠٨، والثانية عام ٢٠١٢. وهذا كتاب فريد من نوعه؛ لأنه يدور حول ترجمات كتب الديانات السماوية الثلاث : القرآن الكريم والعهد الجديد والعهد القديم، وما أثلج صدري حقاً أن سيادته يخصص مساحة من الكتاب - الباب الثاني - يقدم فيها قائمة بالكتب المنقولة إلى العربية في العصر العباسي وفي مقدمتها كتب أفلاطون وكتب أرسطو وكتب هيربوقراطس الطبيب وجالينوس وكتب الرياضيات

والفلك، ومن الصعب أن نتحدث هنا عن محتويات هذا الكتاب الرصين الذي يشتمل على صفحات كبيرة تم تناولها من منطلق علم غزير وفكر دقيق ودأب لا يعرف الكلاله ولا الملل.

وبعد، فإنني واحد من الذين ينظرون بعين الإكبار والإجلال لهذا العالم الذي يكرمه اليوم المجلس الأعلى للثقافة ممثلاً في لجنة الدراسات الأدبية التي تشرفت بعضويتها سنين عدداً، وأملت فيها علماء ذوي قدر رفيع وعلم غزير وتواضع جم، كان منهم الدكتور عوني، فما شاهدت منه سوى الإخلاص والتجرد والبساطة والذوق الرفيع، وأحمد الله سبحانه وتعالى أن من عليّ بصداقته وحبّه الذي لا شك أنه حب في الله وفي العلم الذي تحلقنا حوله وفي الرسالة التي نذرنا أنفسنا للوفاء بها وفي العهد الذي قطعه كل مخلص على نفسه كي يعطي ولا يكف عن العطاء.

وفي هذا الصدد فإنني أتذكر مقولة، يُقال فيها: أعط بينما العطاء في مقدورك وفي متناول يدك؛ فإن الشجرة التي في حديقة دارك تعطي من ثمرها المستحق وغير المستحق على السواء، وهب ما تكف أبداً عن العطاء؛ لأنها تعرف أنها إن كفت عن العطاء ستجثت من جذورها ويُلقى بها في النهر. إن المناسبة جليلة والمحتفى به من القلائل الذين صاروا نساكاً في محراب العلم والبحث، ومهما قلت فلن أوفيه حقه، لا ولن أسمو إلى سمو قدره وأريحيته. وأختتم كلمتي بأن أدعو الله أن يمتعه بالصحة والسعادة وأن يوفقه إلى مزيد من البذل والعطاء وأن ينفعنا بعلمه ومكارم أخلاقه وأن يجزيه عنا خير الجزاء فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. والسلام عليكم.

كلمة : محمود فهمي حجازي

السيدة الأستاذ الدكتور أمل الصبان الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة ، الأستاذ الدكتور محمد حمدي إبراهيم زميل العمر، السيد الأستاذ الدكتور أحمد درويش مقرر هذه الجلسة الخاصة.

تفوق في الدراسة بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم درس في ألمانيا في جامعة ميونيخ، وكانت هناك ظروف خاصة فعاد إلى مصر، ثم أوفد مرة ثانية للدكتوراه في جامعة برلين. بعد عودته إلى مصر بدأ تعاوننا واستمر على مدى خمسين عامًا.

الأستاذ الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف كان له دور كبير في الدراسات العربية بمدرسة الألسن ثم كلية الألسن، وهو المنشئ الحقيقي لعدد كبير من أقسامها، منها قسم اللغة الألمانية وقسم اللغات السامية وأخيرًا قسم اللغات الإفريقية. وله دور كبير في التخطيط والإشراف والتمكين، وفي كل مجالات العلم والبحث.

الأستاذ الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف له فضل كبير في تعميق الصلة مع الجامعات الألمانية، وكانت لنا مشاركة كبيرة في الإشراف المشترك على جيل كامل من الباحثين، وبصفة خاصة مع جامعة إيرلانجن - نورنبرج ومع الأستاذ الفاضل فيشر.

الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف احتفلنا به - وأنا كنت حاضرًا - عندما نال جائزة ريكتر. ريكتر هذا مترجم نادر، إحساسه بالشعر وببلاغة العربية بالإضافة إلى القدرة البارعة على الأداء باللغة الألمانية.

والأستاذ الدكتور عوني كان في قمة المشاركين في الكتاب التذكاري لفischer الذي أشرفت عليه، كما تعاون في ترجمة بعض أجزاء بروكلمان، وكتب عن الاستشراق .

الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف تعاون في مجالات كثيرة ؛ ففي أثناء عملية تطوير محدود لكتب اللغة العربية شارك معي ومع الأستاذ الدكتور أحمد كشك والأستاذ الدكتور رشدي طعيمة في كتاب للتدريبات اللغوية، ولهذا الكتاب قصة نادرة . لقد حضر كل منهم ومعه أوراق كثيرة أعدها قبل الاجتماع الأول، فنظرت فيها وقمت بتسويقها وبذلك ظهر الكتاب.. هذا شيء نادر أن المشاركين يأتون وكل واحد معه إعداد قوي لذلك .

الخبرة في التعليم بدأت في إطار المدرسة الألمانية، وهناك اهتمام كبير باللغة العربية في هذه المدرسة يدحض ما يقال دون تمييز عن ضعف تلاميذ بعض المدارس في اللغة العربية.

في مجال تعليم العربية لأبناء اللغات الأخرى وتكوين خبراء في هذا المجال لا بد أن أشير إلى نقطة مهمة: في فترة الازدهار العربي بعد حرب أكتوبر وقبل مقاطعة مصر بسبب كامب ديفيد كانت هناك نقلة في العمل العربي المشترك ، في هذه السنوات كان رئيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هو الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر - سوداني - وكنت مستشارًا له؛ فأنشأنا أول معهد يعطي ماجستير في تعليم العربية لأبناء اللغات الأخرى - ك تخصص - والأستاذ الدكتور عوني شارك مشاركة قوية في علم اللغة ومقررات علوم اللغة في هذا المعهد. وأدى هذا المثال القوي في تعليم

العربية لأبناء اللغات الأخرى إلى أنه قدم إلى المجلس الأعلى للجامعات مشروعًا لإنشاء برنامج يمنح الدرجة الجامعية الأولى في تخصص جديد هو تعليم العربية لأبناء اللغات الأخرى . هذا البرنامج ناجح، أنا أعرف خريجيه ؛ لأن بعضهم عمل معي في كازاخستان . برنامج ناجح بكل المعايير وتعاونت معه في هذا الموضوع إداريًا . لكن بكل أسف لم أجد جامعة أخرى تقلده ، رغم النجاح . هذا أمر يحدث في مصر أحيانًا.

ثم... الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف هو زميل دائم في لجان الترقيات الجامعية التي ارتبطت بها زمنًا... احترام العلم ، احترام الأستاذية ، ثم الإخلاص والنزاهة ، وبالنسبة لي يضاف إلى ذلك الصداقة الدائمة.

الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف كان من أوائل من نهضوا بسلسلة الذخائر، التي كانت لها مشكلة ثم نهضنا بها وجعلناها سلسلة لها شعبية عند المثقفين.

وبذلك لا بد أن أذكر هنا الجانب الشخصي؛ فالأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف امتدت صداقتي به بعد أن عدنا في الوقت نفسه من ألمانيا، وكنا نلتقي مع الراحل الفاضل الأستاذ فاروق خورشيد والأستاذ الدكتور عبد الله البري والأستاذ الدكتور الدالي، ومد الله في عمر أستاذنا الأستاذ الدكتور حسين نصار وصديقي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد مرسى. هذه المجموعة النادرة التقت على حب العلم والثقافة والوطنية وحب الانتماء العربي مع الانفتاح الثقافي العالمي، ولذلك هذه فرصة مناسبة لكي أعبر عن تحيتي لهذه النخبة، رحم الله من رحل ومد الله في عمر من هم على قيد الحياة.

الأستاذ الدكتور عوني هو نموذج كريم للانتماء العربي المصري وللثقافة العالمية وللخلق الرفيع، مد الله في عمره ونفعنا به وبطلابه وأحبابه. وشكرًا.

كلمة: محمد العبد

في البداية أود أن أعبر عن سعادتي بالمشاركة في هذه الاحتفالية، وكم أنا فخور بأن أشارك في احتفالية بأستاذي الدكتور عوني عبد الرؤوف، وأنا أعترز دائماً بأن أكون تلميذاً له. واهتمامات الأستاذ الدكتور عوني متعددة بين تأليف وترجمة وتحقيق كما رأينا في سيرته الذاتية المختصرة منذ قليل وهذه المجالات يكمل بعضها بعضاً أيضاً، فالتأليف والترجمة والتحقيق عناصر ثلاثة تكون في مجموعها صغيرة واحدة حينما يؤلف وحينما يحقق وحينما يترجم.

إذا نظرنا في هذين الكتابين: البدايات والقافية سنرى أن الدكتور عوني عبد الرؤوف يملأ يده من التراث ومن المصادر المعتمدة في هذا الموضوع، موضوع بدايات الشعر العربي، وكذلك الحال في كتاب القافية، وإلى جانب هذه المعرفة الواسعة بمصادر التراث وما الكتب التي ينبغي له أن يقرأها وأن يفيد منها وأن يعيد النظر فيها، وأن يستخلص منها ما يمكن أن يقدم جديداً لموضوعه كان الكتاب من الصفحة الأولى حتي الصفحة الأخيرة. وكذلك الحال في الترجمة، فكتاب البدايات، أو القافية والأصوات اللغوية يعود فيهما الدكتور عوني عبد الرؤوف على وجه الخصوص إلى الاستشراق الألماني، وينتهج في هذين الكتابين منهج اللغوي التاريخي المقارن.

في الثقافة العربية المعاصرة كثير من المؤلفات التي دارت حول موسيقى الشعر أو التي دارت حول القافية، ولكنها جميعاً يمكن أن نقول إنها تتسم بالوصفية، هذه المؤلفات المعروفة لأساتذة أجلاء مثل: الدكتور محمد النويهي، والدكتور شكري عياد، والدكتورة نازك الملائكة، والدكتور عز الدين إسماعيل، والدكتور كمال أبو ديب، وغير هؤلاء من الذين عنوا بدراسة البنية الإيقاعية للشعر العربي، كانت دراساتهم جميعاً علمية وقيمة، ولكنها كانت في النهاية دراسات وصفية، والدكتور عوني عبد الرؤوف انفرد بهذين الكتابين بأن قدم الموضوعين من وجهة نظر أخرى هي هذه الدراسة التاريخية المقارنة، فحينما يتحدث في كتاب بدايات الشعر العربي ويعرض لبحور الشعر العربي فإنه يبدأ حديثه بأن يعرف ببحور الشعر في اللغات السامية المختلفة، ويتحدث عن البحور في الشعر الأكادي والشعر السرياني والشعر العبري والشعر الحبشي ويتحدث عن الوزن في كل لون من هذه الألوان، ثم يتحدث عن البحور في الشعر العربي ذاته، ويقارن بين هذه البحور المختلفة باعتبار أنها تنتمي في النهاية إلى لغات تمثل فصيلة لغوية واحدة هي اللغات السامية، ويترك الفرصة للطبع للقارئ لأن يسهم في هذه المقارنة، هذا يعني من البداية أن الدكتور عوني يريد بهذا المنهج التاريخي المقارن أن يقول: إن أي دراسة لظاهرة من ظواهر الشعر العربي أو الثقافة العربية بوجه عام أو اللغة العربية في مظاهرها واستعمالاتها المختلفة إنما تتأتى على نحو كامل حينما ننظر إلى العربية في ضوء هذه اللغات السامية، وهو في ذلك يقول ما يعرف، ويعرف ما يقول، فهو يفيد من هذه الكتب العربية من ناحية ويضم إليها هذه المعرفة الواسعة بالاستشراق الألماني وبما كتب عند الألمان عن الشعر العربي والأدب العربي

بعمامة من ناحية أخرى، وهو لا ينتهج هذا النهج على نحو ظاهري كما نرى في دراسات كثيرة، لكنه يؤرخ في كتاب البدايات للبدايات بالفعل، فيتحدث عن المرحلة الأولى، مرحلة النقوش العربية، ثم ينتقل منها إلى مرحلة السجع، ثم ينتقل من السجع إلى مرحلة أخرى هي مرحلة الرجز، والبحر معروف أنه من البحور البسيطة، ثم ينتقل من الرجز إلى البحور الأخرى المعروفة، وأنها كانت كما نعرف جميعاً بحوراً مركبة، فالمنهج واضح، والتطبيق موجود في هذا الكتاب على نحو علمي متقن، وحينما يعرض لرأي فإنه يعرض له وهو يعي خلفية هذا الرأي، فقد يتبنى رأياً لباحث عربي، أو قيد يتبنى رأياً لمستشرق ألماني، لكنه في الحالين يعرف أن هذا الرأي ينبغي من واقع البحث ذاته أن يُتبنى، وأن يكون هو الرأي الصائب في هذه المسألة، وهناك مواضع كثيرة في هذين الكتابين تعد دليلاً قاطعاً على ذلك.

وكذلك الحال في الكتاب الآخر وهو القافية والأصوات اللغوية، ومن البداية نرى أن العنوان ينبغي إلى أن القافية لا تدرس من حيث هي بنية تتكون من حروف معروفة، بل ينبغي إحياء هذه البنية بأن نعد صلة ضرورية بين هذه البنية وبين الأصوات اللغوية، وذلك أن القافية إنما هي في حقيقتها جزء من البنية الإيقاعية في القصيدة، هذه مسألة يتكامل بعضها مع بعض، وليست مسألة مباحث وموضوعات وتفرعات إلى آخر هذه الأمور، وكذلك الحال في هذا الكتاب فهو يطبق هذا المنهج التاريخي المقارن أيضاً، فيتحدث عن القافية في الشعر الأكادي والسراني والعبري والحشي، ويعقد هذه المقارنة بين القافية في العربية والقافية في شعر تلك اللغات السامية المختلفة، وكذلك يطبق هذا المنهج حينما يتحدث عن هذه الثورة التي تعرضت لها القافية في الشعر العربي، فيتحدث عن المزوج، ويتحدث عن الموشحات، ويتحدث عن ألوان أخرى عرفت القافية العربية في تاريخها الطويل.

لا أريد أن أطيل في كلمتي، لكنني أريد أن أقول إن الدكتور عوني قد تبني هذا المنهج، وأنه قد استطاع حقيقة أن يطبق هذا المنهج وأن يفيد منه إفادة علمية حقيقية، وأقول أيضاً ما زال هذان الكتابان لا نظير لهما في دراسة البنية الإيقاعية للشعر العربي من حيث إنهما قد اعتمدا في الأساس هذا المنهج التاريخي المقارن.

الدكتور عوني - في نهاية كلمتي - أقول: إنه رجل وهو اسم على مسمى، الدكتور عوني لم يكن عوني أنا فقط، وإنما كان عوناً لجميع تلاميذه ومحبيه، أنا لا أعرفه إلا هكذا، وأعتقد أن حياتي سوف تنتهي وأنا أعرف الدكتور عوني هكذا. الدكتور عوني ليس عالماً يؤلف كتباً فحسب، لكنه أستاذ يجعل من علمه شيئاً متاحاً، حتى الآن نذهب إلى غرفته ونجتمع، وغرفته في كلية الألسن هي حقل مفتوح دائماً لكل تلاميذه من جميع الأقسام، يأتون إليه ويتحدثون إليه ويسعدون بهذا الحديث ويستشيرونه في مسائل علمية شائكة، ولديه دائماً الإجابة بكل التواضع وبكل القدرة إن كنت أطلت فأعذر والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة: إيمان السعيد جلال

في البداية أحب أن أتوجه بالشكر إلى المجلس الأعلى للثقافة؛ ممثلًا في لجنة الدراسات الأدبية واللغوية، التي تُكرّم واحدًا من حراس العلم وسدنته الذين حملوا مشعل الاستتارة، واقتحموا المناطق الصعبة من الأفكار الرائدة.. هكذا تعلم من طه حسين وأمين الخولي وأحمد أمين وفؤاد حسنين وغيرهم، وهكذا تعلم من أنطون شبيتالر A. Spitaler وألبرت ديترش Dietrich, A وفالتر هنتس Hinz, w. ... وهكذا علمنا وصبر علينا.

إن تكريم لجنة الدراسات الأدبية واللغوية علمًا من أعلامها المؤسسين إنما هو تكريم للجنة كلها بتاريخها الطويل، وتكريم لنا جميعًا نحن أبناءه وتلاميذه ومريديه؛ ففي كل منا قبسٌ من "عوني عبد الرؤوف".

أتحدث الآن عن عمل شرفتُ بمشاركة أستاذي فيه إعدادًا وتقديرًا، ثم تأليفًا، هو كتاب "جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة"، وهو عمل استغرق إعداده قرابة اثني عشر عامًا. بدأ ببحوث جمعتها لأستاذي ليتقدم بها لجائزة اتحاد الكتاب في مجال دراسات الاستشراق لعام ٢٠٠٣، وبعد حصوله على الجائزة صدر العمل في شكل كتاب يحمل العنوان نفسه عن المجلس الأعلى للثقافة على هامش الندوة الدولية الثانية حول قضايا الترجمة "دور الترجمة وتفاعل الثقافات" عُقدت في مايو ٢٠٠٤م.

وفي عام ٢٠٠٦م كان لدينا من المادة ما يتيح إصدار جزء ثانٍ من الكتاب، فقد أتيحت لدكتور عوني السفر إلى ألمانيا في يوليو ٢٠٠٥م من خلال هيئة التبادل العلمي الألمانية DAAD فجمع مادة وفيرة ساعدته على إنجاز دراسات عدة بخاصة حول المستشرقين الذين تولوا إدارة معهد الدراسات العربية بجامعة جوتنجن Seminar für Arabistik منذ إنشائه سنة ١٧٣٧م، وكلهم من أعلام المستشرقين، منهم ميشائيليس Ch. B. Michaelis (١٦٨٠ - ١٧٦٢)، وإيwald H. Ewald (١٨٠٣ - ١٨٧٥) وقيلهاوزن J. Wellhausen (١٨٤٤ - ١٩١٨م)، وفيستفالد W. Stenfeld (١٨٠٨ - ١٨٩٩)، ونلدكه Th. Nöldeke (١٨٣٦ - ١٩٣٠). وقد شرفتُ في هذا الجزء بالمشاركة بدراستين فضلًا عن الإعداد للنشر، أما التقديم فكان لأستاذي؛ حرصًا منه على أن يكتب كلمة طيبة يقدمني بها. وعند نفاذ طبعة المجلس الأعلى للثقافة ناشدنا صاحب مكتبة الآداب بإعادة إصداره، فأصدرناه سنة ٢٠١١م جزءًا أولًا ومزيجًا.

وتوالت الدراسات في مجال جهود المستشرقين فتجددت الحاجة إلى جزء ثالث صدر سنة ٢٠١٥م. وبين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠١٥م صدر هذا العمل في ١٦٠٠ صفحة، حرصنا فيها على تجاوز الحديث العام المجل حول جهود المستشرقين في تحقيق تراثنا وترجمة كنوزه إلى الوقوف بدراسات ضافية على نماذج قيمة مما حققه من كتب في اللغة أو الأدب أو كتب التراجم والطبقات وكتب الطب والديانات والعقيدة والتاريخ، وغير ذلك؛ ليتبين القراء منهج المستشرق في التحقيق أو الترجمة أو هما معًا.

وقد حرص الكتاب على أن يقدم نماذج لمستشرقين ينتمون إلى بلدان مختلفة ومدارس في الاستشراق متعددة، مع ملاحظة التركيز على المستشرقين الألمان.

فالقارئ يجد الإنجليزي تشارلز لايل Charles Lyall (١٨٤٥-١٩٢٠) وتحقيقه ديواني عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل وترجمتهما شعراً إنجليزياً، والإنجليزي أنطوني بيغان Antony Bevan (١٨٥٩ - ١٩٣٣) وتحقيقه نقائض جرير والفرزدق، والإنجليزي وليم رايت William Wright (١٨٣٠ - ١٨٨٩) وكتابه في نحو اللغة العربية، كما يجد الفرنسي سلفستر دي ساسي SilvesterDe Sacy (١٧٥٨ - ١٩٣٨) ووجد الهولنديين راينهاردت دوري Reinhart Dozy وفان فلوتن Van Vloten (١٨٦٦ - ١٩٠٣)، والمجري إيجناس جولدتسيهر IgnazGoldziher (١٨٥٠ - ١٩٢١). أما المستشرقون الألمان فلهم النصيب الأكبر: إدوارد زاخاو Sachau, E. (١٨٤٥ - ١٩٣٠) وتحقيق الطبقات الكبرى، كارل بروكلمان Brockelmann, C. (١٨٦٨ - ١٩٥٦) وطبقات ابن سعد، ألبرت ديتريش Albert Dietrich (١٩١٢ - ٢٠١٥) وتحقيق ترجمة شرح ديا ستوريديوسي في هيوالي الطب، جوستاف فليجل Flügel, G. (١٨٠٢ - ١٨٧٠) وتحقيق كتاب الفهرست لابن النديم، أنا ماري شيميل Annemarie Schimmel (١٩٢٢ - ٢٠٠٣) سيرتها وأعمالها، فريدريش ريكتر Rückert, Friedrich (١٧٨٨ - ١٨٦٦) وترجماته مع التركيز على ترجمة ديوان الحماسة لأبي تمام، يوليوس فيلهاوزن مستشرق تعرض لنقد النصوص الدينية للديانات الثلاثة، وفيستفالد الذي قدم للطبعة مائتي عمل عن التراث العربي، ثم فقد بصره في أخريات حياته. ونجد فريتس كرنكوف Fritz Krenkow (١٨٧٢ - ١٩٥٣) المستشرق الذي أسلم ولم تسلم تحقيقاته من سطو الآخرين، ونجد كذلك أنطون شبيتال Anton Spitaler (١٩١٠ - ٢٠٠٣) ويوليوي ليبيرت Julius Lippert (١٨٦٦ - ١٩١١) وتحقيق تأريخ الحكماء للقفطي، ونجد أخيراً فولف ديتريش فيشر Wolfdietrich Fischer (١٩٢٨ - ٢٠١٣).

وتحرص هذه الدراسات في معظمها على تناول جهد المستشرق في عمله بداية من جمع المخطوطات التي تتوفر له، ومقابلة النسخ عند التحقيق، ورصد القراءات المختلفة، وإثبات أصحها، وتسجيل الفروق، ووضع التعليقات المفيدة التي تتضمن شروحا وتفسيرات وتراجم وصنع الفهارس المختلفة، ويسبق ذلك كله التقديم للعمل الذي يحققه وبيان قيمته ومنهج التحقيق.

وقد حرص د. عوني على أن يقدم قوائم بالمراجع التي استعان بها بعض هؤلاء المستشرقين في تحقيقهم، إذا كان المستشرق قد أثبتها، كما فعل تشارلز لايل، وقد يجتهد في جمع هذه القائمة إذا أغفلها المحقق، فيجمعها د. عوني مما ورد في مقدمة التحقيق وفي التعليقات، مثلما حدث عند دراسة الفهرست لابن النديم من تحقيق فليجل، وهي قوائم تكشف عن جهود المحقق ودقته واجتهاده وحرصه على الحصول على المادة والقراءة الصحيحة للنصوص في المظان المختلفة.

وفي بعض الفصول يحرص د. عوني على تقديم بليوجرافيا كاملة بمؤلفات المستشرق موضوع الدراسة ؛ حتى يوضح قيمة جهوده، وتنوع إنتاجه وامتداد عمله عبر قرون عدة.

وإذا كانت عناية بعض الدراسات تركز على المستشرق مترجماً للتراث العربي فإنه يورد جانباً من ترجماته كما حدث في الدراستين الخاصتين بريكرت.

يمتاز هذا السفر بأجزائه الثلاثة بما يقدمه من بيبليوجرافيات، كانت في الجزء الأول بيبليوجرافيا المصادر العربية التي حققها المستشرقون أو قاموا بترجمتها جمع فيها تحت ٩١ علماً من أعلام المستشرقين عدداً كبيراً من ذخائر التراث العربي التي حققها هؤلاء المستشرقون أو ترجموها، وحرص فيها على التدقيق والتحقق من أسماء بعض المؤلفين والمحققين والمترجمين وعناوين أعمالهم وضبط التواريخ وأماكن النشر، مما ورد بعضه مضطرباً في موسوعات الاستشراق ومؤلفاته.

وفي الجزء الثاني قائمتان بيبليوجرافيتان: الأولى بتحقيق المستشرقين الألمان تحديداً وترجماتهم وتنضم ١٤٤ علماً تحت كل منهم ما قدمه من تحقیقات وترجمات، أما القائمة الثانية فتضم دراسات المستشرقين الألمان وفيها ١٤٩ علماً تحت كل منهم قائمة بدراساته.

أما الجزء الثالث فإنه يتجاوز البيبليوجرافيا بصورتها التقليدية المعنية برصد المعلومات مع تدقيقها، باعتبارها عملاً مرجعياً، إلى إعادة النظر في محتواها وإعادة تصنيفها، فنجد مثلاً دراسة عن المستشرقين الرواد مصنّفين بوصفهم أصحاب مدارس علمية "الاستشراق مدارس" وفيه دراسة للأستاذ صاحب المدرسة العلمية وتلاميذه وعلاقته العلمية بهم وما أنجزوه من أعمال مشتركة.

أو تكون البيبليوجرافيا للمستشرقين الذين وفدوا إلى مصر فعملوا أعضاء بمجمع اللغة العربية أو مديرين للكتبخانة الخديوية أو محاضرين بالجامعة المصرية.

أو تكون في الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جوتنجن والمرحلتين اللتين مرت بهما هذه الدراسات، وأبرز أعلامها وأهم إنجازاتهم. أو تكون بالنظر إلى المستشرقين الألمان من تلاميذ المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي.

إن من ينظر في محتوى هذا العمل يدرك مدى الحاجة إلى مثل هذه الدراسات العلمية النزيهة التي تتناول جهود المستشرقين تناولاً علمياً موضوعياً بعيداً عن الانشغال بالأصول التاريخية لحركة الاستشراق ومراميها وعلاقاتها بالفكر الاستعماري.

يوجه د. عوني منذ البداية عنايته إلى المشروع العلمي للمستشرقين وما أنجزوه بعيداً عن التعصب لهم أو ضدهم، متعمقاً في إنجازهم بوصفه عملاً علمياً خالصاً لدراسة الشرق وحضارته وثقافته وتاريخه وفنونه ولغاته وعلومه وعقائده ومذاهبه وما أنجزوه، وقيّمته وأثره، والمناهج العلمية المنضبطة التي أخضعوا لها عملهم بموضوعية وإنصاف وتدقيق في البحث والاستقراء والتحقق والدراسة والترجمة.

وإنني بعد هذه الرحلة مع جهود المستشرقين التي تمتد حتى الآن؛ حيث نعكف الآن على الجزء الرابع من هذا الكتاب الموسوعة لأجد أن هذا العمل هو محاولة لإنصاف هؤلاء العلماء الأفاضل ممن خلصت نواياهم العلمية لفتح مجال التواصل بين الثقافة العربية والثقافات الغربية، وقد استطاع هذا الكتاب أن يجدد النظر والتأمل في جهودهم بعيداً عن التعصب والهوى. إن من ينظر في هذا الكتاب

يستطيع أن يتبين رحلة عمر طويلة مجيدة امتدت من أساتذة مصريين أفاض، وضعوا الأساس الصحيح للنظر في حركة الاستشراق، إلى أساتذة مستشرقين تلقى العلم عليهم في جامعات ألمانيا.

إن هذا الاهتمام الأصيل بحركة الاستشراق وجهود المستشرقين لا يتجلى في هذا العمل الموسوعي وحده، بل في معظم ما أنجزه د. عوني من أعمال عُرضت على حضراتكم في بداية الجلسة، وتقف نسخها خارج القاعة شاهدة على هذا العمر المجيد:

- فريدريش ريكتر عاشق الأدب العربي.
- إعادة إصدار الطبقات الكبرى لابن سعد بتحقيق زاخاو وتلاميذه.
- مشروعه لإصدار سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقيق المستشرقين، ومنها: ديوانا عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل بتحقيق تشارلز لايل وترجمته الشعر العربي شعراً إنجليزياً.
- إعادة إصدار تحقيق جوستاف فليجل لكتاب الفهرست لابن النديم.
- إعادة إصدار تحقيق ليبرت لكتاب تاريخ الحكماء لابن القفطي.
- إعادة إصدار ترجمة كتابي جولدتسيهر مذاهب التفسير الإسلامي، والعقيدة والشريعة في الإسلام، والتقديم لهما بدراسات ضافية.
- ترجمة كتاب زيگرد هونكه "الله ليس كمثله شيء".
- ترجمة يوميات جولدتسيهر (عن الألمانية).
- ترجمة يوميات جولدتسيهر الشرقية (عن الألمانية).
- وفي كل ذلك يجتهد د. عوني في أن يجعلنا نحب تراثنا كما أحبه المستشرقون فحققوا روائعه ونفائسه وترجموها، ودرسوا متونه وكنوزه، وقدموا لنا نماذج رائعة في خدمة تراثنا العربي.

في النهاية أحيي أستاذي الذي صحبته ما يربو على ثلاثين عاماً، تلقيت عليه العلم والسلوك الأكاديمي الرصين، كما تعلمت منه مكارم الأخلاق التي اجتمعت فيه. ومثلما تفانى في خدمة العلم بأمانة ومسئولية ونزاهة نرصدها في كل ما أنجزه، تعامل معنا نحن الأبناء والتلاميذ بكل رفعة واستقامة.

واليك أستاذي دعاءً بالعمر المديد مع موفور الصحة والقدرة على العطاء.
وسلام على المخلصين،،،

كلمة : كرمة سامي

"يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (المجادلة: ١١).

عوني عبد الرؤوف: تحالف المعارف قبل نهاية الألفية السابقة بعقد كامل، توجهت وأنا معيدة حديثة التخرج إلى مكتب عميد الكلية لتوقيع أوراق منحة إلى الولايات المتحدة، كانت تلك هي المرة الأولى التي أدخل فيها مكتب عميد الكلية، رأيت رجلاً تحيطه هالة من الوقار والسكينة والرقى.

سألني عن تخصصي أدب أم لغة؟! أجبت بفخر: "أدب!" امتعض في صمت .. ولم أفهم السبب!! بعدها بسنوات وبعد حصولي على درجة الدكتوراه، أصبحت في العام الجامعي ١٩٩٤-١٩٩٥ عضواً بلجنة خدمة المجتمع وتنمية البيئة في أول تشكيل لها في تاريخ الكلية والتقنيته مرات في اجتماعات تلك اللجنة التي كانت تضم فرسان الكلية ويرأسها عالم بارز من علماء كلية الألسن أ. د. محب سعد فاكشفت في د. عوني عقليةً عمليةً إداريةً منظمةً مبهرة، لا يبخل بمقترحاته الفذة لتطوير الكلية والتي كان د. محب رحمه الله يرحب بها بسعة صدر واحترام جم لعقلية د. عوني المتفردة.

لم أكن أعلم عندئذ أن د. عوني مدير المدرسة الألمانية- أحاول أن أحاكه في نطقها بتفخيم اللام- في عصرها الذهبي وأن د. عوني هو مصدر ذلك البريق والتألق. كيف 'اكتشفت' د. عوني - الكنز الإنساني المعرفي- واخترته أستاذاً لي برغبتي الكاملة رغم أنني تخرجت في قسم اللغة الإنجليزية وليس العربية أو الألمانية أو السامية أو اللغات الشرقية الإسلامية أو الإفريقية (مناطق نفوذ د. عوني الرئيسة)!! لم أشرف بالتتلمذ مباشرة على يدي د. عوني في قاعات المحاضرات وهناك من هم أحق مني بذلك الشرف، لكن الله منّ عليّ وأكرمني بتلك المنحة ولهذا في الحكي لا ينفصل الإنساني عن الأكاديمي.. والعاطفي عن المعرفي د. عوني هو أستاذي الذي شرفت بالتتلمذ على يديه عبر مؤلفاته وترجماته وحوارات علمية متعمقة في مكتبته بالكلية وأيضاً مشاركاته الثرية في لجان الكلية: أخلاقيات البحث العلمي، والتعليم والطلاب، والدراسات العليا والبحوث، ومجلس الكلية.

هو الذي وضع عام ٢٠١١ قسماً رفاعة لأبنائه ليجسد به حلمه أن يردده الخريجون من أبناء رفاعة في حفل تخرجهم كل عام.

هو الذي رعاني ووجهني عند وضع لائحة الدراسات العليا وفق نظام الساعات المعتمدة في الفترة من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١٢ وأفاض عليّ بخبراته الإدارية والعلمية في كل مراحل إعداد اللائحة حتى صدرت على الصورة التي أردناها لتليق بكلية الألسن وكنت كالصبي المبتدئ الذي يتعلم "أصول الصنعة" على يدي أستاذه المعلم المتمرس.

تحالف المعارف أديب الأسطورة عند العرب (٢٠٠٢ تأليف: فاروق خورشيد تقديم: عوني عبد الرؤوف) شعرت بالفخر وبالزهو عندما رأيت اسم د. عوني عبد الرؤوف يقدم لهذا الكتاب، هو عراب الكتاب الذي يقدم له في "قراءة محبة" (التعبير الأصلي للشاعر والناقد الفلسطيني الكبير عز الدين المناصرة) ولم تكن هذه المقدمة إلا قمة جبل الجليد. ما الذي يتميز به الكتاب؟ ولماذا لا بد أن نقرأه؟!

في المقدمة تتجلى طبيعة د. عوني البحثية في الاهتمام بالعقلية العربية، والدفاع عن الحضارة الإسلامية، نافيا عنها اتهام بعض المستشرقين المغرضين، ووصفهم للعقلية السامية أنها عقلية مجدبة، عقلية دنيا!! على العكس أثبت د. عوني في مقدمته أن العرب رواة وحكاؤون ولكن الحكاية العربية لها خصائصها وروحها المتفردة سواء كانت تحكي قصص الشطار أو الحيوان أو ألف ليلة وليلة. أشار د. عوني إلى اتهام المستشرقين للأساطير العربية أنها ترجع إلى أصول يونانية أو فارسية أو هندية وكأن الراوي العربي عقلية دنيا لا دور له سوى الترجمة أو النقل أو اتباع ما تبدعه العقلات العليا، وتعليقا على تطاول هؤلاء النقاد الغربيين على الأدب العربي كتب د. عوني: "هذه شينشنة نعرفها من أخزم!!" وبالبحث في معنى المثل العربي تبين لي أنه يعنى أن هذه العادة الغالبة والخلق المتشابه للدارس الكاره لما يدرسه!! لا يهتم د. عوني بمدح الكتاب الذي ألفه صديق عمره وإنما يرسم خارطة تؤهل القارئ لرحلة سعيدة ومثمرة في قراءته.

والفريد أن كاتب المقدمة لديه الكثير ليضيفه - فقط لو اتسع الوقت والمساحة - فهو يقدم عرضا معرفيا ثريا يثير فضول القارئ عن صنوف من المستشرقين والنقاد بذكره أسماء عدة ما بين مدافع ممتن مثل زيجريد هونكه ومهاجم جاحد مثل إرنست رنان. ذلك أن الكم المعرفي في المقدمة ينهض بكتاب منفصل يضاف إلى المجال. عندئذ توجهت إلى مكتب د. عوني لأحبيه على المقدمة وعلمت أنه صديق حميم لفاروق خورشيد الذي أقدره فازددت فخرا بـ د. عوني وأنا نعمل في نفس المؤسسة. ملحمة جلجاميش (٢٠٠٣) ترجمها عن الألمانية د. عبد الغفار مكاوي راجعها عن الأكاديمية د. عوني عبد الرؤوف تتميز مقدمة د. عوني للملحمة المترجمة بأنها ذات طبيعة خاصة تُقرأ لذاتها؛ إذ إنه يقدم لها في شكل عرض لجزء من نسيج تاريخ مصر الثقافي.

تبدأ المقدمة بتعريف مترجم الملحمة المتقف النبيل د. عبد الغفار مكاوي - أحد فرسان ورفاق مشوار د. عوني الثقافي - بالإشارة إلى أن كتاب "ثورة الشعر الحديث" بدأ باتفاق بين عبد الغفار مكاوي وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي بتقديم شعراء أوربا للقارئ العربي والتزام مكاوي بالاتفاق عكس زميليه اللذين شغلتهما مشاريع ثقافية أخرى عن اتفاقهما مع زميلهما فكان أن نشر ما قام به، ويضيف كاتب المقدمة أن الاتفاق شبيه بذلك الذي تم بين طه حسين وعبد الحميد العبادي وأحمد أمين. تكفي المقدمة كي يدرك القارئ العربي كم الغزارة المعرفية التي يتمتع بها د. عوني وأن لديه في مخزونه المعرفي الكثير ليضيفه إلى القارئ العربي. كذلك في المقدمة إحالات مرهقة - ولكن ممتعة - للقارئ تدل على تعدد روافد ثقافة د. عوني وتنوع اهتماماته المعرفية التي تصب في النهاية في مصب واحد: الحب الذي يكنه للثقافة العربية. يكتب د. عوني عن ملحمة جلجاميش بحب يكنه لتلك الأوديسة البابلية، اللوحات، والشظايا، والقطع الصغيرة، والجزارات (بضم الجيم)، أين اكتشفت؟ ومتى؟ ومن اكتشفها؟ واقتناها؟ ومن درسها؟ وترجمها؟ ونشرها؟ متعرضا لمعلومات في الجغرافيا والتاريخ والآثار والتجارة والاستكشافات والرسائل العلمية التي تناولتها * * . تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوربي تأليف د. عوني عبد الرؤوف (الطبعة الثانية المنقحة

٢٠١٢) ظننت أنني أستحق لقب "متقف" حتى اقتربت من د. عوني إنسانينا وأكاديميا فأهداني مؤلفاته، وتسلسل إليّ مفهوم "سدنة" الألسن الذي يسبق توقيعه دائماً. تبلورت في مخيلتي صورة مشروع د. عوني الثقافي: "تحالف المعارف"، الذي يشرف على تنفيذه بالتكليف والأمر المباشر أو بالإلهام والقوة ويختار لك لتتضم إلى مريدي د. عوني وفريقه العلمي. وكان من نصيبي الاشتراك في كتابه القيم ذلك عندما استدعاني إلى مكتبه بالدور الأول بكلية الألسن وكلفني بكتابة ملحق "الترجمة الآلية"، وكذلك بترجمة مؤشر اليونسكو للترجمة (UNESCO Index Translationum) منذ ١٩٢٢ إلى ٢٠١٢ (سنة نشر الكتاب) وعرضه.

تضمن المؤشر قواعد بيانات وببليوغرافيا دولية لتاريخ الكتب المترجمة في العالم تستحق القراءة بين سطورها وبياناتها للدراسة والتصنيف والتعليق لما بها من مفارقات ومعلومات تدهش القارئ المتخصص وغير المتخصص وتمثل ذخيرة لكل مؤسسة معنية بالترجمة والتخطيط لها. أكثر المؤلفين ترجمة وفق بيانات المؤشر وقتئذ حسب ترتيبهم: أجاثا كريستي، وجول فرن، وويليام شيكسبير، وباربرا كارتلاند!! وأكثر اللغات ترجمة عن غيرها هي الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.

أما أكثر الدول اهتماماً بالترجمة عن لغتها الأم أو إلى لغات أخرى فهي وفق الترتيب التالي: ألمانيا، وإسبانيا، وفرنسا، واليابان. وبالمناسبة فإن تحتل مصر المركز الثامن والأربعين (٤٨) ضمن قائمة تضم خمسين دولة!! مستشرق خالط الفقهاء في دمشق وجاور بالأزهر: إيجناس جولدسيهر (١٨٥٠-١٩٢٠) (٢٠١٥) حدثني معلمي بحماس عن المستشرق اليهودي الذي نقش على ختمه آية من سورة يوسف "فصبر جميل والله المستعان"، وأدى صلاة الجمعة بأحد جوامع القاهرة، ومعروف عالمياً بأنه شيخ الإسلاميات، ورائد الدراسات الإسلامية. ثم كلفني د. عوني بالانضمام إلى فريق العمل بترجمة الدراسة الطويلة التي كتبها رافايل باتاي (١٩١٠-١٩٩٦) عن جولدسيهر ونشرها في ترجمته لـ "اليوميات الشرقية ١٨٧٣-١٨٧٤"، وفتح بذلك لي مجالاً لم أخضه من قبل!! ولمعرفتي برافايل باتاي وقلمه المسموم آثرت أن أحل ما كتبه باتاي عن جولدسيهر. باتاي متخصص في الأنثروبولوجيا والدراسات الحضارية، ويدعي فهمه العميق لمنطقة الشرق الأوسط، وهو مؤلف كتاب "العقل العربي" ١٩٧٣ الذي يعد تورا المارينز والمحافظين الجدد، ويصنف على أنه تحليل معياري لا غنى عنه لدراسة المجتمع العربي (!!)، ومرجع رئيس لفهم الشخصية العربية وعقليتها (!!)، كان يفرض على المجدد الأمريكي أن يقرأه قبل سفره للخدمة بالعراق أو في منطقة الشرق الأوسط. يدعي باتاي أن جولدسيهر عظمة عقلية cerebral، تقابلها خسة عاطفية emotional، شخص فصامي، جاحد، مريض نفسياً، شيطان، متعصب. لا يستطيع باتاي أن يشكك في مصداقية جولدسيهر العلمية، ولكنه يستطيع اغتياله إنسانياً. من قراءتي لليوميات التي ترجمها د. عوني للمركز القومي للترجمة تبين لي أنه عالم حاد الطباع، وكذلك سليل اللسان، ولكنه ليس شيطانياً. كل ما قام به أنه عبر عن كراهيته لليهود وحاخاماتهم الذين سيطروا على المؤسسة اليهودية، ووصفها جولدسيهر بأنها "عفن خارجي"، و"قراغ داخلي". بل بلغ به مقتته لهم بأن وصف إلقاء محاضراته على حضور من اليهود كـ "نثر

اللؤلؤ على الخنازير !! " انهارت موضوعية باتاي الهشة مع محاولاته حبس جولدتسيهر في معتقل أيديولوجي صهيوني، كان جولدتسيهر الوحيد الذي أظهر جوهر التراث الإسلامي المعياري في منحاه الحقيقي فادعى باتاي أن علاقة جولدتسيهر بالإسلاميات علاقة عمل فحسب! كان جولدتسيهر موحدًا بالله، لكنه ارتكب جريمتين في نظر باتاي: أولاً أن عقيدته كانت اليهودية وليست الصهيونية، وثانياً أنه تفرغ للإسلاميات لا اليهوديات !! جاء جولدتسيهر باحثاً وليس مستعمراً، مؤمناً إيماناً راسخاً أن العلاقة بين الشرق والغرب علاقة حضارية وليست استعمارية.

لذلك تتقل فيه جولدتسيهر "من جنة إلى جنة"، وكان "مفتونا بالجو العلمي النبيل المشبع بالتقوى الذي غمر نفسه به في دمشق والقاهرة". فتح لى د. عوني بوابة "اليوميات الشرقية" أو "العام المحمدي" الذي دون فيه جولدتسيهر يوميات رحلة أدت إلى تحوله وجدانياً إلى الإسلام، ورسخت إيمانه بتطابق جوهر العقيدة، وشهدت مناهضته للاستعمار وللتغريب.

أستاذي ومعلمي وصديقي وزميلي د. عوني .. أنت قدوتي لكنك أجهدتني معلمي الفاضل.. ألهمت وراءك أحاول عبثاً أن ألحق بك.. لأنك باحث عصي على التصنيف، غير نمطي، تنتوع روافدك المعرفية، لا تخضع لنمط أو قالب، تعلم متى تلتزم ومتى تتحرر. كيف تكون من المعارف نسيجا واحداً، وكيف تشكل فريقاً من الباحثين في مجالات وتخصصات الدراسات اللغوية والأدب والاستشراق والترجمة ولغات مختلفة وتوجههم للدفاع عن الثقافة العربية والعقلية العربية؟! تمضي قدماً في مسعاك بخطى وثيقة ثابتة..

ولهذا أطالبك وأنا التلميذة المحبة لشخصك ولعلمك.. أطالبك بكتابة سيرتك الذاتية الثقافية لتكون سنداً ثقافياً وأخلاقياً للأمة التي كرسَتْ حياتك لتعليم أبنائها وتهذيبهم..

كلمة: إيمان رمزي

أشرف اليوم بوجودي في حفل تكريم العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف القائمة العلمية الكبيرة الذي أثرى الحياة العلمية بأبحاثه اللغوية المتنوعة كما أقدم بكل الشكر لإدارة المجلس الأعلى للثقافة على هذا النهج الذي من شأنه أن يعطى العلماء الأجلاء جزءا مما يستحقونه على ما قدموه من مجهودات تخدم العلم والحياة العلمية في مصر والذي من شأنه أيضا أن يعلى من فكرة القدوة لدى شباب الباحثين بوجه خاص والشباب بوجه عام. ولن أتحدث اليوم عن ما قدمه هذا العالم الجليل للدراسات اللغوية من ثروة علمية يجب أن يتوقف عندها كل من يعمل في هذا المجال ولكن سوف أتناول جانبا مختلفا من جوانب شخصية الأستاذ الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف إنه جانب التخطيط والرؤية المستقبلية ، وقد اخترت الحديث عن هذه النقطة المضيئة في شخصية سيادته حيث عايشتها عن قرب بل كان لها دور في تحديد مستقبلي على المستوى العملي وهذه الرؤية المستقبلية وهذا التخطيط قد اتضحا عندما أسس سيادته قسم اللغات السامية في كلية الألسن منذ أكثر من عشرين عاما ووضع لائحته التي تنص على أن يضم القسم شعبتين هما: شعبة اللغة العبرية وشعبة اللغة الجعزية وتضم الأخيرة اللغة الجعزية وهي لغة إثيوبيا قديما كما تضم أيضا اللغة الأمهرية وهي اللغة الرسمية لإثيوبيا الآن .

ولا يخفى على أحد أنه في هذا التوقيت لم تكن الدولة المصرية تولى أي اهتمام لإفريقيا وكان هذا النهج هو ما تتبعه الدولة ابتداء من رأس الدولة ووصولاً إلى كافة المستويات ولكن ظل الأستاذ الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف مدركاً لأهمية هذه اللغات وما تمثله لمصر من الناحية الإستراتيجية وقد صدقت رؤيته بالفعل؛ فاليوم وبعد مباحثات ومفاوضات سد النهضة الإثيوبي نجد الدولة في أمس الحاجة إلى عدد غير قليل من مترجمي اللغة الأمهرية لمعرفة كل ما يجري على أرض الواقع في إثيوبيا. وقد حافظ قسم اللغات السامية على رؤية الأستاذ الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف حيث يعمل على محورين : الأول هو تدريس اللغة الأمهرية باعتبارها لغة ثانية حيث يمكن أن يدرسها الطالب إلى جانب لغة التخصص والثاني هو تفعيل دراسة اللغة الأمهرية في الشعبة داخل القسم لتكون لغة التخصص لطلاب هذه الشعبة.

وعلى المستوى الشخصي أسعى جاهدة لأوضح لطلاب القسم أهمية دراسة هذه اللغة وذلك لأنني على دراية بطريقة تفكير الطالب في هذه المرحلة العمرية فهو عندما يلتحق بكلية الألسن يريد أن يدرس الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية أو العربية أو العبرية وقد مررت أنا شخصياً بالحالة نفسها فقد كنت أول من عين في تخصص اللغة الأمهرية وأذكر يوم التعيين قال لي أستاذي الفاضل محمد عوني عبد الرؤوف: إما التعيين في تخصص اللغة الأمهرية وإما فلا تعيين، وكدت أبكي في هذه اللحظة فأنا أريد التخصص في اللغة العبرية ولكن وبعد مرور هذا الوقت أدركت قيمة ما وجهني إليه أستاذي الفاضل واليوم أتوجه إليه بكل الشكر والتقدير وأعترف أن رؤيته كانت هي الصواب . وفي الختام أسأل الله أن يمتعك بكل الصحة وأن يظل عطائك العلمي متجدداً ومستمرا .

كلمة: هالة جمال القاضي^(١)

مدخل:

كلما تصفحت الكتاب التذكاري (في اللغة والأدب والحضارة)^(٢) لأستاذي الدكتور عوني - أجدني حزيناً؛ لأنني لم أكن ضمن المشاركين فيه؛ حيث لم أكن - وقت صدوره - قد التحقت بركب تلاميذ الأستاذ المعلم. فقد تتلمذت له بشكل مباشر منذ ٢٠٠٩م؛ أي بعد صدور كتابه التذكاري بعام واحد. لكن الله - عز وجل - كريم مجيب الدعاء؛ فقد منحني أستاذي - بفضل الله وعونه - شرف المشاركة في تكريمه بالمجلس الأعلى للثقافة بورقة بسيطة^(٣)؛ أنجزت على إثرها هذا البحث الذي يختص بفرع من إسهاماته العلمية الكثيرة؛ وهو: تحقيق نصوص التراث العربي ونقده.

ومن المعروف أن مُنَجَّرَ الدكتور عوني امتد ليشمل فروعاً شتى في العربية ولغات أخرى؛ فهو أستاذ اللسانيات العربية، واللغات السامية، واللغات الإفريقية، واللغة الألمانية، وهو المتخصص في الترجمة، والاستشراق والاستشراق الألماني خاصة، وتحقيق النصوص ونقدها، بالإضافة إلى اهتماماته الأدبية، والحضارية، والتربوية أيضاً.

وإسهام الدكتور عوني في تحقيق النصوص من بواكير أعماله العلمية وأولها، بما قدمه في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة جوتنجن Göttingen بألمانيا؛ وكانت بعنوان: "كتاب القوافي لأبي يعلى التتوخي.. دراسة وتحقيق". وإنه لشرف كبير أن أكون تلميذة الأستاذ الوحيدة - إلى الآن - التي تخصصت في تحقيق النصوص ونقدها في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. أسأل الله أن يبارك في عمره ويستمر في إمداد الحياة العلمية بتلاميذ كثر في هذا التخصص المهم.

محتوى البحث:

أعرض في هذا البحث استقراءً وصفيًا تحليليًا لإسهام الدكتور عوني في هذا المجال من خلال ثلاثة فروع رئيسة هي:

- ١- تحقيق نصوص مخطوطات التراث العربي.
- ٢- إصدار تحقیقات المستشرقين لنصوص التراث العربي مترجمة إلى العربية، ومصحوبة بدراسات.

٣- نقد تحقیقات المستشرقين لنصوص التراث العربي.

والفرع الأول هو تحقيقه للنصوص العربية المخطوطة التي لم تنشر من قبل؛ ويضم عملين في القافية والنحو، وُقمتُ بوصف منهجه - في تحقيق النص - وتحليله من خلال تتبع إجراءات التحقيق العلمي جميعها وفق ترتيب عمل المحقق متضمنة تقنيات العلم من استكشاف وقراءة ومعالجة.

(١) باحثة دكتوراه.

(٢) في اللغة والأدب والحضارة، كتاب تذكاري تكريمًا للأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف، تحرير: د. إيمان السعيد جلال، ود. ماجد مصطفى الصعيدي، دار الكرز، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٣) تكريم الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف من قِبَل لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة، في ١٤/١/٢٠١٦م

أما الفرع الثاني وهو إعادة إصدار تحقیقات المستشرقین، فجعلته فرعاً مستقلاً بذاته؛ لأنه ليس فرعاً من التحقیق أو نقد التحقیق، ولأنه يحتل حيزاً كبيراً ومهماً من إسهام الدكتور عوني، كما أنه فرع أصیل في بابه لم يسبق لأحد الاهتمام به قبل أستاذنا الجلیل، ويضم خمسة أعمال في الأدب والتراجم، عرضت كلها منها على حدة وصفاً وتحليلاً، ورتبتها وفق تاريخ إصدارها؛ مبينة قيمة كل نشرة، وما أضافته إلى النشرات الاستشرافية والعربية.

وأما الفرع الثالث نقد تحقیقات المستشرقین لنصوص التراث العربي، فقد رصدت فيه المباحث العلمية التي ضمها كتاب الدكتور عوني: جهود المستشرقین في التراث العربي بين التحقیق والترجمة، والتي وصل عددها إلى أحد عشر مبحثاً في نقد تحقیقات كثير من المستشرقین الألمان والإنجليز وغيرهم.

(١) تحقیق نصوص التراث العربي:

وفي هذا الباب أسهم الدكتور عوني بعملين:

الأول: تحقیق كتاب القوافي لأبي يعلى التنوخي (ت القرن الخامس الهجري).

والثاني: تحقیق شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد اليرافي (ت ٣٦٨هـ)، الجزء الخامس والسادس، ومراجعة تحقیق الجزء العاشر.

(١ / ١) كتاب القوافي لأبي يعلى التنوخي:

وهو كتاب في علم القافية صنفه أبو يعلى التنوخي معتمداً على المصنفات التي سبقته، ومضيفاً إليها، وذاكراً العلماء الذين أخذ عنهم. ويتخذ هذا المصنف أهميته مما حفظه من آراء علماء العربية الأوائل في هذا الفن؛ حيث فُقدت معظم مصنفاتهم في هذا الباب، كما ذكر الدكتور عوني في معرض حديثه عن أهمية النص^(١). كذلك يتخذ المصنف أهميته من كونه تلميذاً لأبي العلاء المعري أحد أهم المصنفين العرب في هذا الفن، الذي حفظ له تلميذه أبو يعلى آراءه في علم القافية في هذا الكتاب^(٢).

وصنف أبو يعلى الكتاب في ستة أبواب هي:

١- القافية معنى ودلالة.

٢- وزن الشعر وما يلحقه.

٣- لوازم القافية.

٤- عدد القوافي.

٥- اللين في القوافي.

٦- عيوب القافية.

(١) كتاب القوافي، القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن عبد الله بن المحسن التنوخي، تحقیق: د. محمد عوني عبد الرؤوف، مراجعة: د. إيمان السعيد جلال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، ص ٣٠.

(٢) السابق، ص ٣١.

وتحقيق كتاب القوافي لأبي يعلى التتوخي من أوائل الأعمال العلمية لأستاذنا، فهو رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة جوتنجن بألمانيا، كما سبق، وقد أنجزها سيادته في ١٩٦٥م، ثم نشرها بمكتبة الخانجي، عام ١٩٧٥م، ثم الطبعة الثانية بدار الكتب والوثائق القومية، عام ٢٠٠٣م، وأخيراً الطبعة الثالثة بالأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، عام ٢٠٠٩م.

وتعد **طبعة** الدكتور عوني هي الطبعة الأولى لهذا النص وفقاً لتاريخ الحصول على درجة الدكتوراه، ثم تأتي طبعة ثانية للنص عام ١٩٧٠م، من تحقيق: عمر الأسعد، ومحيي الدين رمضان، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت^(١). ويذكر الدكتور عوني في مقدمة الطبعة الثالثة للكتاب - هذه الطبعة الأخرى له، ويقول إنه رجع إليها، ولم يجد بها أي إضافة لما قدمه في تحقيقه^(٢).

وأما عن **مخطوطات النص**، فقد اعتمد الدكتور عوني على نسخة واحدة للنص، ذكر أنها نسخة فريدة، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، رقم ٢٥/شعر، نسخها محمد السراج الخزرجي الأنصاري سنة ٧٣٩هـ، عن أخرى نسخت سنة ٤٥١هـ؛ أي في حياة المؤلف كما يقول دكتور عوني^(٣).

وقد وصف الدكتور عوني المخطوط بدقة، فذكر ما ورد في صفحة العنوان من وقف وتملك، كذلك صحح عنوانها من "كتاب القوافي في علم العروض" إلى "كتاب القوافي" اعتماداً على نوع الخط وموضوع النص^(٤). كذلك أورد أستاذنا في معرض وصف النسخة جملة الأخطاء المكررة مع ذكر أرقام الصفحات الواردة بها^(٥)، وهو أمر مهم يحد من تكرار التعليقات، ويعبر عن مدى الصعوبة التي واجهها المحقق في قراءة النص وتصحيحه. وكذلك اهتم أستاذنا بوضع صور من بداية المخطوط ونهايته قبل النص مباشرة.

وأما عن **تحرير النص وضبطه**، التزم أستاذنا المحقق منهجاً منضبطاً جداً مستقراً في العنونة، والتفكير، والضبط بالشكل، والترقيم. وهذا الانضباط على مستوى الإجراء الواحد أكثر ما يميز منهج د. عوني في التحقيق. فاتخذ مثلاً من عنونة النص وتلقيه منهجاً في توضيح معالم النص وغاياته الموضوعية؛ فأبرز العناوين الرئيسة لأبواب الكتاب الستة في بدايات مستقلة، وإن صغر حجم الأبواب، كما أبرز العناوين الفرعية بصورة واضحة، كما في الباب السادس: عيوب القافية؛ حيث قام بترقيم هذه العيوب التسعة معنونة في صدر كل صفحة جديدة^(٦). كما نلاحظ أن أستاذنا أضاف عنوانات من صنعه لما يقتضيه التبويب على حد تعبيره في التعليق على العنوان: "ما يلحق آخر الشطر"^(٧)، وهو أمر مباح للمحقق شرط أن ينبه عليه، وما دام في حدود ضيقة.

(١) انظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، د. محمد عيسى صالحية، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٩٢م، ج١، ص ٢٦٢.

(٢) كتاب القوافي، لأبي يعلى التتوخي، تحقيق: د. عوني، ص ٨.

(٣) السابق، ص ١٤.

(٤) السابق، ص ١٥.

(٥) السابق، ص ١٦، ١٧.

(٦) السابق، ص ١٧١.

(٧) السابق، ص ٧٩.

وامتد الانضباط إلى الترقيم العددي والتعبيري؛ ليكونا أداة للمحقق لمساعدة القارئ في فهم النص، وإبراز ماهية المخطوط الذي اعتمد عليه. فنجده يرقم أوراق المخطوط في الهامش الجانبي للنص، مستخدماً الأرقام العددية والحروف الهجائية، فالصفحة الأولى من الورقة الثانية هي: ٢/أ، والصفحة الثانية من الورقة الثانية: ٢/ب... وهكذا، وربط بهذا الترقيم علامة (/) في نهاية الفقرة التي تنتهي عندها الصفحة. كذلك فالنص منضبط على مستوى الترقيم التعبيري، فاستخدم كل علامات الترقيم موظفة وفق استعمالاتها المعروفة في تحقيق النصوص، فعلى سبيل المثال يضع بعض الألفاظ بين قوسين هلالين؛ ليعبرها في المتن، فتكون محل نظر من القارئ، يلتفت إلى المراد منها، ومن ذلك الألفاظ الواردة في بيان عيب الإيطاء، مثل: "فإن جاء في بيت (رجل)، وفي بيت آخر (الرجل) بالألف واللام، لم يكن ذلك إيطاءً"^(١). كما وظّف استخدام القوسين المعقوفين في إبراز ما أضافه من هامش المخطوط؛ مثل ما ورد في النص التالي: "يقال: صام النهار، إذا دَوَّمت الشمس في السماء. [ثبتت وسط السماء] وصام الفرس إذا قام"^(٢)، ويقول الدكتور عوني تعقيباً على ذلك إنه رأى إضافة العبارة بالمتن توضيحاً للفظ (دومت)، ويسمى المعقوفان في علم التحقيق بعلامة التكملة الحديثة^(٣) لما يحويان من إضافات يرى المحقق ضرورة عدم الاستغناء عنها. وأخيراً لم يستخدم المحقق القوسين المزهرين للآيات القرآنية كما هو معروف في تحرير النص، وإنما وضعها بين علامتي التنصيص، فكانت مما يحسبه القارئ استشهاداً عادياً وليس بقرآن، من ذلك قول المصنّف في أنواع حروف الروي: "وكذلك الألف التي تصير في الوصل نوناً نحو "لنسفعاً بالناصية" والتتوين الذي يصير في الوقف ألفاً..."^(٤)، وقد كتب أستاذنا الآية كاملة بالهامش منبهاً على رقمها ورقم السورة واسمها ونوعها: ١٥ ك العلق ٩٦. ولأن موضوع النص القافية، فهو يحتوي على عدد كبير من أبيات الشعر التي تحتاج إلى نوع تحرير خاص. وقد نبه الدكتور عوني في تقديم النص على الأخطاء الكثيرة بالأبيات التي أحدثت خللاً بالوزن العروضي^(٥)، وتم ضبط الأبيات ضبطاً كاملاً بالشكل، وكذلك تخريجها من الدواوين الشعرية وكتب اللغة والأدب. كذلك ذكر أستاذنا بحر البيت في متن النص بين معقوفين قبل البيت مباشرة.

أما عن التعليق على النص؛ فقد توسع أستاذنا في هذا الإجراء توسعاً كبيراً. فمن حيث الشكل قسم سيادته الهامش السفلي إلى هامشين: الأول خاص بالمخطوط، واتخذ من الحروف الهجائية ترقيماً له: (أ، ب، ج، ...). أما الهامش الثاني فلسائر التعليقات الأخرى من توثيق مادة النص، وتخريج الشواهد، وتراجم الأعلام، والتوضيحات الأخرى، واتخذ من الأرقام العددية ترقيماً له: (١، ٢، ٣، ...).

(١) السابق، ص ١٨٨، ١٨٩.

(٢) السابق، ص ٦٣.

(٣) انظر: تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م، ص ٨٦.

(٤) كتاب القوافي، لأبي يعلى التتوخي، تحقيق: د. عوني، ص ١٠٠.

(٥) السابق، ص ١٦.

أما من حيث المضمون؛ فتضم التعليقات محاور عدة أتبع فيها أستاذنا التوسع والدقة، وجاءت على النحو الآتي:

أولاً - التعليق على المخطوط: فبالإضافة إلى كونه مدرجاً في هامش خاص، تفرع النهج فيه إلى ثلاثة فروع:

١- تصحيح أخطاء النص: وقد صحح المحقق هذه الأخطاء في المتن منبهاً عليها في الهامش، وقد امتدت الأخطاء - إلى جانب الألفاظ والعبارات - إلى الشواهد من الحديث النبوي والأبيات الشعرية. كما أضاف أيضاً الألفاظ المطموسة بالمخطوط من اجتهاده حتى يستقيم المعنى.

٢- حواشي النص: كما ذكرنا في تحرير النص أنه أضاف بعض نصوص حواشي المخطوط إلى المتن لإتمام المعنى والفائدة، لكنه كذلك في مواضع أخرى أضاف هذه النصوص في الهامش فقط لكونها دخيلة على المتن وليست ضرورية، كما ورد في الهامش التالي تعقيباً على اسم علم (علقة): "ورد بالهامش: علقة هذا يكنى بالفحل، ويدعى أيضاً بحامي الظعائن، وقصته مشهورة"^(١)؛ وهو علقة بن عبدة الفحل شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، وقد عرفه د. عوني بالهامش أيضاً ذاكراً مصادر ترجمته.

٣- الزيادة والحذف: أضاف المحقق بعض العنوانات كما ذكرنا من قبل؛ غاية التوضيح والتنسيق، ونبه على ذلك بالهامش. كذلك حذف بعض الألفاظ؛ غاية الترتيب والتنسيق؛ من مثل حذف لفظي: (فصل، وباب) من بعض العناوين، فالمصنف يكتب مثلاً: "فصل الإشباع"، فيحذف (فصل) ويبقى على (الإشباع) واضعاً قبلها ترقيماً عددياً، لربطها بما قبلها وبعدها... وهكذا في مواضع عدة^(٢). وهذا الحذف وإن كان غير مرجو في التحقيق ولا يؤيده الكثيرون^(٣)، فهو لا يؤثر على المعنى بشكل سلبي، وربما كان محموداً في بعض المواضع؛ لأن غاية المحقق كانت الترتيب والتنسيق؛ لإبراز المعنى والربط بين الفصول والأبواب.

ثانياً - توثيق مادة النص: إن توثيق مادة النص لهو من أهم الإجراءات التي يقوم بها المحقق؛ لأنه دور إجرائي يعتمد على المعرفة وإدراك المحقق لموضوع النص ومراده. وقد لجأ أستاذنا للمصادر اللغوية؛ بغية توثيق المادة، وبالأخص ما صُنّف في القافية بطبيعة الحال. ومصنّفات القافية التي اعتمد عليها منها ما رجع إليه مخطوطاً لحدثاة عهد التحقيق ومنها المطبوع، وهي: التصريح والقافية لابن القطاع (ت ٥١٥هـ) (مخطوط)^(٤)، وتلقيب القوافي وتلقيب

(١) السابق، هامش (د)، ص ١٣٣.

(٢) السابق، ص ١٣٥، وانظر أيضاً في حذف لفظ (باب): ص ١٥٥، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٧.

(٣) يقول الأستاذ عبد السلام هارون في ذلك: "ومن مذاهب أداء النصوص قديماً وحديثاً ألا يلجأ المحقق إلى أي تغيير أو تبديل كان، إلا ما تقتضيه الضرورة الملحة ويحتمه النص، مما هو واضح وضوح الشمس، متعين لدى النظرة الأولى، أو يكون المؤلف قد نص على إجازة إصلاح أخطائه". تحقيق النصوص ونشرها، ص ٧٩.

(٤) هو كتاب الشافي في علم القوافي لابن القطاع الصقلي، أما "التصريح والقافية" فهو عنوان باب من هذا الكتاب، وقد ذكره الدكتور عوني في فهرس مراجع التحقيق المخطوطة، تحت عنوان: باب التصريح والقوافي. وقد نشر الكتاب بمركز الدراسات والإعلام، دار إشبيلية، الرياض، ١٩٩٨م، تحقيق: د. صالح بن حسين العابد.

حركاتها لابن كيسان (ت ٣٢٠هـ)، كتاب القوافي لنشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) (مخطوط)^(١)، ولزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، ومختصر القوافي لابن جني (ت ٣٩٢هـ) (مخطوط)^(٢)، والوافي في علمي العروض والقوافي للتبريزي (ت ٥٠٢هـ) (مخطوط)^(٣). والرجوع إلى مصادر مخطوطة هو عمل شاق جداً للمحقق، فهو بمثابة تحقيق إلى جانب التحقيق الأصلي، وهو من المهام الصعبة التي كان ينتهجها المستشرقون في تحقیقاتهم الأولى لنصوص التراث العربي، هذا النهج الذي سار بعض المحققين العرب على منواله كما فعل أستاذنا الدكتور عوني، ولم يدخر جهداً نظير توثيق مادة النص والوصول به إلى أقرب صورته أرادها مؤلفه.

وقد اهتم الدكتور عوني بتوثيق المصطلحات من هذه المصادر، وكذلك اعتمد عليها في نقد بعض النصوص. من ذلك تعريف القافية [ص ٩٦، ٧٠، ٧١، ٧٢]، وتعريف العروض والضرب [ص ٧٩]، والتصريع [ص ٨٠]. ومن ذلك أيضاً تعليقه على حروف الروي بذكر أقوال الأخفش، وابن جني، والتبريزي، وأبي العلاء، ونشوان الحميري [ص ٩٩، ١٠٠].

ثالثاً - تخريج الشواهد: وهو الأمر الذي احتل أكبر حيز من التعليقات؛ بسبب من طبيعة النص الذي يتخذ من الأبيات الشعرية تحديداً مصداقيته وتفسيره.

وقد توسّع فيه أستاذنا توسّعاً كبيراً؛ حيث إنه ينسب البيت إلى صاحبه، ويذكر تمامه، ويفسر بعض ألفاظه، ويرده إلى الديوان والمصادر الأخرى التي استشهدت به. وواضح من التخريجات أنه عانى كثيراً في نسبة الأبيات، فهي في معظمها لشعراء مجهولين ورد ذكرهم في المصنفات اللغوية والأدبية، كما أن هناك بعض الأبيات اختلف في نسبتها إلى صاحبها؛ من مثل البيت الآتي:

وليس الغنى والفقْر من شِمةِ الفتى ولكن حُطُوطٌ قُسِّمَتْ وَجُدُودٌ

ويلق الدكتور عوني على البيت بأنه نسب إلى عبد الرحمن بن حسان بزهر الأدب، ونسب إلى رجل من بني قريع بشرح الحماسة للمرزوقي، ونسب إلى المخبل السعدي بالخزاعة، ونسب إلى معلوط بعيون الأخبار وتاج العروس رواية عن ابن دريد الذي نسب أيضاً إلى سويد بن حذاق العبدي^(٤). وإنها لدقة شديدة من المحقق في تخريج الشاهد، وجهد كبير في استقصاء كل هذه المصادر.

ورغم كل ما بذله أستاذنا المحقق من جهد في تخريج هذه الشواهد، فإنه لم يعثر على نسبة ثلاثة عشر بيتاً، وقد أعاقه في ذلك ما ذكره في مقدمة التحقيق من أن "المؤلف يعتمد إلى الاستشهاد على الشواذ والنادر في العروض والقافية بأبيات لا تضمها الكتب والمراجع بين دفتيها... هذا بالإضافة إلى أنه يستشهد أحياناً بشطر البيت فقط... كما لا نستطيع أن نغفل ما سببه لنا الناسخ من متاعب، لما وقع فيه من خطأ عند نسخ الأسماء... لذلك كله وجب علي أن أرجع إلى كل الكتب الأدبية واللغوية التي وقعت عليها يدي، حتى أستطيع أن أهتدي إلى تحقيق الشواهد، ونسبتها إلى مؤلفها"^(٥).

(١) لم ينشر إلى الآن.

(٢) نشره الدكتور حسن شاذلي فرهود، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

(٣) نشره الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، ١٩٨٦م.

(٤) كتاب القوافي، لابن المحسن التتوخي، تحقيق: د. عوني، هامش (٤)، ص ٧١.

(٥) السابق، ص ١٣.

رابعاً- **تراجم الأعلام:** كذلك فقد توسّع الدكتور عوني في ترجمة كل الأعلام الواردة في النص، حتى أنه في حال تكرار اسم العلم يحيل إلى ترجمته السابقة عندما ورد لأول مرة. وربما لم تكن تراجم الأعلام في الهامش من الأمور الواجبة على المحقق، خاصة إذا كان العلم مشهوراً، ففي هذا الكتاب لم يستثن أستاذنا أي علم من الترجمة وإن كان كذلك، فترجم حتى للصحابي الجليل علي بن أبي طالب، وكذلك من اللغويين المشهورين الخليل بن أحمد وابن دريد... إلخ، وقد توسع كذلك في ذكر مصادر الترجمة؛ فمثلاً يذكر تسعة مصادر في ترجمة النابغة الذبياني، وهذا يدل كذلك على الجهد الكبير الذي بذله المحقق في استقصاء المصادر وإن كانت لا تتعلق بتوثيق مادة النص وشواهد.

أما في ما يتعلق **بمكملات التحقيق:** القبلية (تقديم النص)، والبعدية (الكشافات)؛ فكان في كل منهما ما يستحق الوقوف عنده؛ لما يضيفه من قيمة إلى النص المحقق.

أولاً- **تقديم النص:** وقد احتوى على تمهيد يضم تعريفاً بالنص، وأغلب مصادر التحقيق، ووصف المخطوط، وتنبيه على الأخطاء الكثيرة المكررة بالنص. ثم أهمية الكتاب، ثم ترجمة المؤلف، ثم صور من المخطوط.

وأكثر ما يميز هذا التقديم هو الترجمة التي وضعها الدكتور عوني للمصنف أبي يعلى التنوخي، وهي تعد الترجمة المفصلة الأولى له، التي استطاع من خلالها إثبات نسبه في شجرة (التنوخيين)، وأيضاً إثبات تلمذته لأبي العلاء المعري صاحب اللزوميات.

ثانياً- **الكشافات:** وضمت ستة فهارس، منها اثنان لا يتعلقان بالنص نفسه، وإنما بالتحقيق، وهي بترتيب المحقق:

- ١- فهرس الأعلام الواردة بالكتاب.
- ٢- فهرس الأشعار الواردة بالكتاب.
- ٣- فهرس الأرجاز الواردة بالكتاب.
- ٤- فهرس الكتب التي ورد ذكرها بالتعليق.
- ٥- فهرس الاصطلاحات الواردة بالكتاب.
- ٦- فهرس مراجع التحقيق.

ويعد غريباً إدراج كشاف للكتب الواردة بالتعليق بين كشافات النص، فالمتعارف عليه والمستقر في أدبيات تحقيق النصوص العربية والاستشرافية على حد سواء- هو أن الكشافات من الإجراءات التي تتعلق بالنص فقط، وغير مطلوب من المحقق عمل كشافات للتعليقات. وعلى الرغم من ذلك فهذا يعد مبالغة في التيسير على القارئ من قِبَل المحقق، وهذا من أكثر ما يميز منهج الدكتور عوني؛ حيث إخراج العمل في صورة لا تحتمل أدنى أنواع الخلط. وعليّ أن أعترف أن هذا الكشاف المتعلق بالتعليقات يَسِّر من عملي في تصنيف مصادر التحقيق واستخدامها. ومع ذلك كان من الأولى إدراج هذا الكشاف في نهاية قائمة الكشافات المتعلقة بالنص، لوضع الحدود بين النص والتعليق عليه.

وكان مهماً أيضاً هذا الكشف الذي وضعه الدكتور عوني عن **مراجع التحقيق**؛ فهو إضاءة مهمة لعمل المحقق المثابر، ومن خلاله نستطيع أن نحدد مدى امتلاك المحقق لأداته المعرفية بالتراث العربي، كذلك مدى الجهد الذي بذله في استقصاء صحة النص، وربطه بعلوم العربية جميعاً. وأكثر ما يميز تلك القائمة من المراجع هذه المراجع المخطوطة التي رجع إليها أستاذنا كما سبق وذكرنا في التعليق على النص. كذلك فقد رجع إلى مصنفات عربية من تحقیقات المستشرقين، وهي كذلك مراجع لها قدر من الصعوبة في التعامل معها؛ لأن جهازها النقدي مكتوب بلغة المستشرق، وربما كان هذا يسيراً على أستاذنا نظراً لامتلاكه الأداة اللغوية، ومكوته في هذه الفترة التي أنجز فيها رسالته للدكتوراه - في جامعة جوتنجن بألمانيا بين طبعات ودراسات المستشرقين. ورغم ذلك أفصح أستاذنا في تقديم النص عن الصعوبات التي واجهها في الحصول على المراجع العربية في هذا التاريخ؛ حيث يقول: "ولم يكن هذا بالعمل اليسير لوجودي آنذاك بمدينة جوتنجن بألمانيا الغربية، وقلة المراجع التي يمكن الرجوع إليها في هذا الصدد، سواء بهذه المدينة أو بغيرها من المدن الأوروبية التي كنت أحصل من دور كتبها على ما بها من كتب عربية تفيدني في البحث، عن طريق زيارة هذه الدور والانتقال إليها، أو الإرسال في طلبها بالبريد"^(١).

ولأن **تحقيق النصوص** ليس بالعمل الإجرائي بالنسبة إلى المحقق وحسب، فنجد أن اهتمام أستاذنا الدكتور عوني قد امتد إلى دراسة موضوع القافية في دراساته اللاحقة؛ حيث قدّم دراسة مهمة في كتاب "القافية والأصوات اللغوية"^(٢) عن القافية في اللغات السامية وفي العربية وفي الشعر الأوربي. وهذا الكتاب دراسة حديثة لموضوع القافية أفاد فيها أستاذنا من معرفته باللغات السامية (الأكادية، والسريانية، والعبرية، والحبشية)، كذلك أفاد من معرفته الكبيرة بدراسات المستشرقين لهذا الفن اللغوي في العربية والساميات. لكن ما نود قوله ونؤكد عليه إن أستاذنا أفاد كثيراً من مصنفات التراث العربي في هذا الفن، وهذه الإفادة لم تكن لتتبلور لولا تحقيق ما صنفه العرب الأوائل، فقد امتد تحقيق الدكتور عوني لنص كتاب القوافي لأبي يعلى التتوخي إلى ما هو أبعد من النص المحقق. فتحقيق النص هو دراسة دقيقة لنصوص التراث العربي، يمكن أن نفيد منها في دراستنا الحديثة.

(١ / ٢) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي:

أسهم الدكتور عوني مع مجموعة كبيرة من الأساتذة في تحقيق هذا الكتاب المهم، الذي صدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية في ثمانية عشر جزءاً^(٣). فقدّم تحقيق الجزء الخامس (٢٠٠٣م)، والجزء السادس (٢٠٠٤م)، وراجع تحقيق الجزء العاشر (٢٠٠٦م). وهذا التحقيق

(١) السابق، ص ٩.

(٢) القافية والأصوات اللغوية، د. عوني عبد الرؤوف، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

(٣) شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الجزء الأول صدر ١٩٨٦م.

يعد النشرة الأولى لهذا الكتاب الذي ظل لسنوات طويلة- على أهميته- مرجعًا مخطوطًا للباحثين. فشرح السيرافي من أهم شروح الكتاب، بما هو الشرح الكامل الأول للكتاب، وصاحبه هو اللغوي النحوي أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) من أهم علماء القرن الرابع الهجري.

ولهذا الكتاب طبعة أخرى لاحقة عن دار الكتب العلمية في خمسة أجزاء (٢٠٠٨م)، ولكنها للأسف الشديد طبعة غير علمية، فمن الواضح جدًا أنها مأخوذة عن طبعة دار الكتب، فلا حديث عن مخطوطات اعتمدت عليها، ولا حديث عن منهج تحقيق، حتى أن القائمين عليها اقتبسوا أجزاء من مقدمة طبعة دار الكتب في مقدمتهم المزعومة. وما العجب إن كان هذا عهدنا بنشرات هذه الدار!

أما **المخطوطات** التي اعتمدتها لجنة السيرافي في تحقيق النص، فقد بلغت اثني عشر مخطوطًا محفوظة بدار الكتب المصرية، وأيضًا بالمكتبة السليمانية باستنبول مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ومنها مخطوطات كاملة للكتاب، ومنها مخطوطات بها أجزاء منه. وفي تقديم الجزء الأول ذكر لمخطوطات أخرى لم يتسن للجنة الوصول إليها^(١).

وأما بالنسبة إلى إجراءات التحقيق الأخرى، فلا يوجد ثمة اختلاف عن منهج أستاذنا في تحقيق كتاب القوافي، اللهم إلا مقابلة النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، فهذه مرحلة لم تتوافر لتحقيق كتاب القوافي نظرًا لنسخته الوحيدة المعتمد عليها. ومن الجدير بالذكر أن لجنة السيرافي اعتمدت في الأجزاء الأولى على طبعة بولاق (١٨٩٨ - ١٨٩٩م) لكتاب سيبويه في مقابلة نصه في شرح السيرافي، وفي الجزء الخامس الذي حققه الدكتور عوني نجده يعتمد على طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (١٩٦٦ - ١٩٧٧م) التي صدرت في خمسة أجزاء. ونشرة الأستاذ هارون بالطبع هي الأدق صحة والأكثر اطمئنانًا في المقابلة.

وقبل أن أتم الحديث عن إسهام أستاذي الجليل في تحقيق نصوص التراث العربي، لا بد أن أذكر إشرافه العلمي الذي منحني إياه في مرحلة الدكتوراه؛ بما أتاحه لي من تقديم مشروع رسالة الدكتوراه في تحقيق نص معجمي، وهو **كتاب الأفعال لابن القوطية (ت ٣٦٧هـ)**^(٢). فقد تحمس كثيرًا لهذا العمل، وكان سببًا- بعون الله وفضله- في فتح باب تسجيل الرسائل العلمية في تحقيق النصوص في كلية الألسن. ومن الجدير بالذكر هنا أن الدكتور عوني هو الأستاذ الوحيد بكليتنا الذي يدرس بمرحلة الدراسات العليا في نطاق المواد اللغوية- علم تحقيق النصوص والاستشراق، فأنا مدينة له تعريفني بهذين العلمين، فقد تخطى بأستاذيته المخلصة الجادة حاجز اللوائح التي تمنعنا من الاتصال بترائنا العربي وتحقيق نصوصه.

وهذا المعجم اللغوي- كتاب الأفعال- من أوائل معجمات الأبنية العربية، بل هو الأول في باب تصنيف معجمات الأفعال الشاملة، وقد نشره لأول مرة المستشرق الإيطالي الكبير إجناتسيو جويدي في

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج١، ص ٣١- ٤١.

(٢) سجلتها بقسم اللغة العربية/ كلية الألسن/ جامعة عين شمس، في نوفمبر ٢٠١٤م، بإشراف د. محمد عوني عبد الرؤوف، ود. إيمان السعيد جلال، تحت عنوان: "كتاب الأفعال لابن القوطية ت ٣٦٧هـ.. دراسة وتحقيق".

ليدن (١٨٩٤م) معتمدًا نسخة خطية واحدة، ثم نشره علي فودة استنادًا إلى طبعة جويدي في (١٩٥٢م)، وهي الطبعة العربية المتداولة للكتاب منذ أكثر من خمسين عامًا. وأحققه اليوم -بفضل الله- تحت إشراف أستاذي الجليلين الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف والدكتورة إيمان السعيد جلال- استنادًا إلى ثلاث نسخ خطية جديدة توافرت لدينا من مكتبات العالم، بالإضافة إلى طبعة جويدي. أسأل الله أن يتمه على خير ويجعله ثمرة ما زرعه أستاذي في من حب وإخلاص للتراث العربي وتحقيق نصوصه.

(٢) إصدار تحقیقات المستشرقین لنصوص التراث العربي؛ مترجمةً ومصحوبةً بدراسات:
والإصدار الجديد لتحقیقات المستشرقین ليس بتحقیق جدید للنص، ولا هو نقد لتحقیق النص، وإنما هو بمثابة تفسير النشرة الاستشرافية للقارئ العربي، في طبعة جديدة مترجمةً، ومصحوبةً بدرسات علمية.

وقد تفرد أستاذنا الجليل بهذا الفرع من إسهامه في تحقیق النصوص ونقده -بين أقرانه من الأساتذة الأجلاء المشتغلين بتحقیق النصوص في زماننا. فقد أخذ على عاتقه إعادة إصدار تحقیقات بعض المستشرقین التي رأى فيها فائدة جمة، وليس لها نظیر في النشرات العربية. وقام في إصداره الجديد لها بترجمة كل ما يتصل بالجهاز النقدي للنص الذي كتبه المستشرق بلغته. وبالطبع كانت الأداة اللغوية لأستاذنا هي مفتاح هذه الإصدارات الجديدة، وكذلك إدراكه الفذ بخصوصية طريقة الصياغة اللغوية للمستشرقین في هذا الفن من مصطلحات واختصارات.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عوني هو صاحب اقتراح سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقیقات المستشرقین الصادرة عن مركز تحقیق التراث بدار الكتب المصرية؛ فقد اقترحها عندما كان عضوًا باللجنة العلمية لمركز تحقیق التراث (٢٠٠٠ - ٢٠٠٤م)، ومنها بدأ إصدار أول عمل عنها وهو ديوان عبيد بن الأبرص تحقیق المستشرق تشارلز لايل. ويضم هذا الفرع من إسهامه الأعمال الخمسة التالية في الأدب والتراجم، مرتبة وفق تاريخ إصدارها:

١- الطبقات الكبير لابن سعد، تحقیق المستشرق الألماني زاخاو Sachau ومجموعة من المستشرقین، في ثمانية أجزاء، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٧ - ١٩٦٨م.

٢- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقیق المستشرق الإنجليزي تشارلز لايل Charles Lyall، الطبعة الأولى: مركز تحقیق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقیق المستشرقین، رقم ١، ٢٠٠٣م. الطبعة الثانية: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣- ديوان عامر بن الطفيل، تحقیق المستشرق الإنجليزي تشارلز لايل، الطبعة الأولى: مركز تحقیق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقیق المستشرقین، رقم ٢، ٢٠٠٣م.

٤- كتاب الفهرست، للنديم، تحقيق المستشرق الألماني جوستاف فليجل Flügel، في جزأين، سلسلة الذخائر، رقم ١٤٩ - ١٥٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م. بمشاركة الدكتورة إيمان السعيد جلال.

٥- تاريخ الحكماء، للقفطي، تحقيق المستشرق الألماني يوليوس ليبيرت Julius Lippert، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، والثانية: ٢٠١٤م. وأعلم أيضاً أن أستاذي - الآن - بصدد العمل على إصدار كتاب الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق المستشرق الإنجليزي وليم كيرتون William Cureton.

(١/٢) الطبقات الكبير لابن سعد:

حقق زاخاو هذا الكتاب بمعاونة تلاميذه في ليندن (من ١٩٠٤م حتى ١٩١٨م)، واعتمدوا في تحقيقه على خمس مخطوطات. وقد توافرت لهذه الطبعة من الأسباب ما جعلها في مقدمة تحقيقات المستشرقين الجيدة والدقيقة؛ حيث توافر عليها مجموعة من أهم المستشرقين المشتغلين بالتراث العربي واللغات السامية، ومنهم فريدريش شفاللي، ويوليوس ليبيرت، وكارل بروكلمان. كما حظيت هذه الطبعة بمراجعة الشيخ محمد عبده، وقد حرص زاخاو لدقته العلمية على إيراد تصحيحاته هذه بالطبعة^(١). فلما لهذه الطبعة من قيمة علمية جلية، حرص الدكتور عوني على ترجمة تعليقات زاخاو وتلاميذه في (٥٦٨) صفحة، مع إصدار طبعة ليندن في حلتها الجديدة كما هي.

وقد حرص الدكتور عوني على ترجمة عبارة المستشرقين الألمانية ترجمة أمينة؛ لأنه أراد أن يجعل القارئ العربي يتعرف أسلوب كل مستشرق، وطريقته في الكتابة، كذلك فإنه نبه القارئ العربي في الهامش إلى بعض التعبيرات الغربية المحضة، والآراء المخالفة التي لنا فيها رأي آخر^(٢).

وقد عدل أستاذنا في ترجمة التعليقات عدة أمور؛ حيث يقول: "قمتُ بتعديل أرقام الآيات القرآنية الوارد ذكرها بالتعليق، حتى تطابق الأرقام الواردة بالمصاحف التي بين أيدينا. كذلك عدلتُ عن اتباع طريقة المستشرقين التي اصطَلَحُوا عليها في الاكتفاء بإيراد الأعداد الرومانية لصيغ الأفعال المجردة والمزيدة، لغرابتها على القارئ العربي. فبدلاً من أكتب: (حضر X) مثلاً، أكتب (استحضر)"^(٣). وهذه من الصعوبات التي تواجه الباحثين الذين يلجأون إلى طبعات المستشرقين، بالإضافة إلى الاختصارات الكثيرة التي يستعملونها في التقديم أو التعليق، والتي تضيف غموضاً على النص بالنسبة إلى الباحث.

ولطبقات ابن سعد طبعة حديثة في أحد عشر جزءاً من تحقيق الدكتور علي محمد عمر، صدرت عن مكتبة الخانجي بالقاهرة (٢٠٠١م)، واعتمد فيها المحقق على أربع نسخ خطية، بالإضافة إلى طبعة زاخاو. ويذكر المحقق في تقديم طبعته أنه أفاد من ترجمة تعليقات طبعة ليندن التي ترجمها الدكتور

(١) جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، د. عوني عبد الرؤوف، إعداد وتقديم: د. إيمان السعيد جلال، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، ج ١، ص ٥٦.

(٢) السابق، ص ٦٠.

(٣) السابق، ص ٥٨.

عوني^(١). كذلك يثبت بالأدلة نقص طبعة ليدن وأن بها تصحيقات وتحريفات، ويقدم بذلك تحقيقاً علمياً جديداً، مفيداً فيه من طبعة المستشرق، وغير متجاهل لها، معلناً كذلك أهمية ما قدمه الدكتور عوني من ترجمة لتعليقات كان من الممكن أن يتجاهلها ولا يفيد منها إن كانت غير مترجمة.

(٢/٢) ديوان عبيد بن الأبرص:

(٣/٢) ديوان عامر بن الطفيل:

هما التوأم الذي أصدره المستشرق الإنجليزي السير تشارلز لايل في مجلد واحد في لندن وليدن عام ١٩١٣م. وأعاد إصداره الدكتور عوني في عمليتين منفصلتين ضمن أعمال سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقيقات المستشرقين، مع ترجمة المقدمة والتعليقات إلى العربية، وتصديرهما بمقدمة عربية عن كلا التحقيقين وطبعاتهما وصاحبيهما.

وقد أسند الدكتور عوني ترجمة مقدمة ديوان عبيد بن الأبرص إلى الدكتورة سهير جمال الدين محفوظ، وترجمة مقدمة ديوان عامر بن الطفيل إلى الدكتورة جيهان شعبان، وترجم سيادته تعليقات تشارلز لايل على الديوانين. كما أنه وضع تصديراً لكلا الديوانين بمثابة الدراسة عن الشاعر والديوان، وجهد المستشرق في التحقيق، وكذلك قائمة نقدية لطبعات الديوان العربية. وأيضاً ألحق الدكتور عوني بكلا التحقيقين ترجمة تشارلز لايل لأشعار الديوانين؛ لتكون مرجعاً مهماً للباحثين "لأن هذه الترجمة تمثل للقارئ العربي فهم لايل للشعر العربي، وتبين مقدار تمكنه من اللغة العربية، وتقدم أحياناً نموذجاً لترجمة الشعر العربي إلى شعر باللغة الإنجليزية يحافظ على الوزن العربي الذي نظم فيه، وجاءت المحاولة جديرة بالاهتمام ومثيرة للإعجاب"^(٢).

وبالنسبة إلى ديوان عبيد بن الأبرص تعد هذه الطبعة التي أصدرها الدكتور عوني من تحقيق المستشرق هي الأدق والأجود للديوان، فالطبعة العربية الأخرى التي أصدرها الدكتور حسين نصار عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٩٥٧م - كانت استناداً إلى طبعة تشارلز لايل أيضاً، دون الرجوع حتى إلى النسخة الخطية التي اعتمدها لايل. فلم تضاف هذه الطبعة جديداً؛ لذلك يظل تحقيق لايل هو الأدق والأجود والأوفى، ويزيد من قيمته - الآن - سهولة الرجوع إليه بعد ما أضافه إليه الدكتور عوني في إصداره الجديد^(٣).

وبالنسبة إلى ديوان عامر بن الطفيل فيصرح الدكتور عوني أن أفضل طبعة لهذا الديوان هي طبعة الدكتور أنور أبو سويلم، بدار الجيل، بيروت عام ١٩٩٦م، وأن المحقق لاحظ أن ثمة قصائد عدة لم تنشر بطبعة لايل، وأن طبعة المستشرق عزيزة المنال ولا توجد إلا في المكتبات الكبرى القديمة^(٤).

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، مقدمة الطبعة، ص ٣٤.

(٢) جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، د. عوني عبد الرؤوف، ج ١، ص ١٨٠.

(٣) انظر في نقد تحقيقي الديوان: ديوان عبيد بن الأبرص بين تحقيقين، للدكتور أحمد عبد الباسط، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، العدد الثامن، أوت ٢٠١٣م.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق: تشارلز لايل، تقديم وإعداد وترجمة: د. عوني عبد الرؤوف، سلسلة الذخائر من تحقيقات المستشرقين (٢)، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٣م، ص ١٢.

لكن بهذا الإصدار الثاني المترجم لتحقيق لایل لم تعد هذه الطبعة عزيزة المنال، ويمكن الرجوع إليها والإفادة من تعليقات لایل عليها وترجمته الإنجليزية لأشعار الديوان.

(٤/٢) الفهرست للنديم:

حققه لأول مرة المستشرق الألماني جوستاف فليجل في جزأين في ليبزج، وصدر الجزء الأول عام ١٨٧١م، وصدر الجزء الثاني بإشراف تلميذه يوهانس ريديجر وأوجست ميللر في عام ١٨٧٢م. ولأن هذه الطبعة الاستشرافية ظلت لزمن طويل هي أجود طبعات الفهرست - أخذ الدكتور عوني على عاتقه إعادة إصدارها في حلة جديدة بمعاونة الدكتورة إيمان السعيد جلال، فأصدرها ضمن أعمال سلسلة الذخائر في جزأين؛ مصحوبة بدراسة تقديمية عن النص ونسخه ونشراته، وترجمة المقدمات والتعليقات، ومضيفين إليها كشافات نوعية جديدة للأعلام، والطوائف والفرق والجماعات، والأماكن والمدن والبلدان، والقوافي، كما أضافا قائمة بالمراجع التي استعان بها فليجل وتلميذاه في التحقيق. وكما هو عهد الدكتور عوني في إيمانه بفكرة العمل العلمي الجماعي فقد أسند ترجمة مقدمات طبعة فليجل إلى الدكتور محسن الدمرداش من اللغة الألمانية. كما قدمت الدكتورة إيمان السعيد للجزء الثاني الذي يحوي التعليقات والكشافات بمقدمة عن صعوبات العمل، وطريقة ترجمة التعليقات، وطريقة عمل الكشافات.

وقد أضاف الأستاذان الجليلان إلى طبعة فليجل مقابلة النص على طبعتين أخريين للكتاب، وهما طبعة إيران لرضا تجدد (طهران ١٩٧١م)، وطبعة بيروت ليوسف علي الطويل (١٩٦٦م)^(١)؛ لأنهما يختلفان في إقامة النص عن طبعة فليجل ويعتمدان على نسخ خطية أخرى غير التي اعتمدها^(٢). وهذه المقابلة بما أثقلت به العمل من قيمة جديدة في القراءات المختلفة؛ أقامت النص على نحو أدق وأجود من طبعة فليجل. لكن الأستاذين الجليلين آثرا الإبقاء على طبعة فليجل كما هي فأثبتنا القراءات الجديدة بالهامش، كذلك حافظا على ترتيب الصفحات بطبعة فليجل؛ "حتى يفيد الدارس المتخصص عند الرجوع إلى دراسات قديمة يرد فيها ذكر الفهرست، أو تنقل نصوصاً منه تذكر أرقام الصفحات التي تنقل عنها، وذلك لأهمية كتاب الفهرست، وكثرة رجوع المتخصصين إليه"^(٣).

وإن الجهد الذي بذله الأستاذان الجليلان في إصدار هذه الطبعة إنما هو عمل تحقيقي بامتياز لنص الفهرست، بما ضمه من دراسات، وإثبات قراءات مختلفة، وكشافات نوعية، وغيرها من الأمور التي هي من إجراءات التحقيق العلمي. وقد أشاد الدكتور أيمن فؤاد سيد - صاحب آخر طبعات الفهرست وأجودها - بهذا الإصدار المهم من طبعة فليجل، فيقدر قيمة ترجمة مقدماتها وتعليقاتها،

(١) يقول الدكتور أيمن فؤاد سيد صاحب أجود نشرات الفهرست: إن طبعة بيروت هذه لم تضاف جديداً، ولم تعتمد على أي أصول خطية، بخلاف طبعة رضا تجدد. انظر: الفهرست، للنديم، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان الإسلامية، لندن، ٢٠٠٩م، ج١، المقدمة، ص ٩٨.

(٢) الفهرست، لابن النديم، تحقيق: فليجل، د. عوني عبد الرؤوف، ود. إيمان السعيد جلال، سلسلة الذخائر (١٤٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١، ص ١١.

(٣) السابق نفسه.

وكذلك قيمة كشافاتها بقوله: "وبذلك فقد أتاحت هذه الترجمة لأول مرة للقارئ العربي الاطلاع على عمل فليجل في كتاب الفهرست وتقييمه؛ لأن من يجيد اللغة الألمانية بين المتخصصين في الدراسات الإسلامية قلة. وامتازت هذه النشرة كذلك بصناعة كشافات تحليلية للأعلام، والطوائف والأمم والجماعات والفرق، والأماكن والمدن والبلدان، والقوافي، لكنها خلت مثل نشرة فليجل، من كشاف بأسماء الكتب، علمًا بأنه الموضوع الأساسي للكتاب"^(١).

(٥/٢) تأريخ الحكماء للقبطي:

نشره المستشرق الألماني يوليوس ليبيرت في ليبزج ١٩٠٣م، اعتمادًا على ثلاثة عشر مخطوطًا. وأعاد إصدار هذه الطبعة أستاذنا الدكتور عوني مترجمًا مقدمات التحقيق، والتعليقات، وملحقًا بها دراسة في حوالى مئتي صفحة تحتوي على ثلاثة مباحث: الأول عن المصنف القبطي، والمحققين أوجست ميللر ويوليوس ليبيرت، ومنهج التحقيق، ومخطوطات الكتاب، وطبعاته، والثاني: به مقالات نقدية للمستشرقين على هذا الكتاب وطبعته مترجمة إلى العربية، والثالث: به تعريف بأعلام العرب والغربيين الوارد ذكرهم في مقدمة المحقق والمترجم، وأخيرًا قائمة بالمراجع التي كتبت عن تأريخ الحكماء، وقائمة بمراجع المحقق والمترجم.

وقد حافظ أستاذنا كذلك في هذا الكتاب - كسابقه - على صفحات طبعة المستشرق كما هي بالطبعة الأولى، بل احتفظ بطريقة طباعتها القديمة بتصويرها من الأصل، في ما عدا التعليقات التي ترجمها إلى العربية. ونبه أستاذنا في مقدمته على منهجه في ترجمة التعليقات، وكذلك نبه على أنه أجرى تصويبات لليبيرت التي وردت في قائمة باللغة الألمانية - أجراها على النص نفسه؛ لأنها تصويبات متعلقة بحركات الإعراب ونقاط الحروف^(٢).

ويعد هذا الإصدار من كتاب تأريخ الحكماء هو الأجود بين طبعات الكتاب؛ لأن طبعة يوليوس ليبيرت محققة تحقيقًا علميًا دقيقًا. أما الطبعات الأخرى للكتاب فلا ترقى إلى مستوى النشر العلمي، ومنها طبعة مكتبة السعادة المصرية (١٣٢٦هـ) التي اعتمدت على طبعة ليبيرت بالإضافة إلى ثلاث مخطوطات محفوظة بدار الكتب المصرية، وقد رجع ليبيرت إلى هذه المخطوطات في تحقيقه، فهي لم تقدم جديدًا للنص. وكذلك طبعة دار الكتب العلمية (٢٠٠٥م) التي لم يصرح القائم عليها على أي مخطوطات اعتمد، وأي منهج اعتمد في تحقيقه، وربما اتخذ من طبعة ليبيرت أو طبعة السعادة أصلًا له، وهذا هو عهدنا بطبعات هذه المكتبة!

فقد حفظ الدكتور عوني لهذه الطبعة قيمتها في إعادة إصدارها، وأضاف إليها ترجمته لتعليقات ليبيرت؛ لتكون سهلة الاستخدام بين الباحثين، كما أن ترجمة كل الدراسات المتعلقة بالكتاب والتحقيق أضفت عليها إضاءات علمية جديدة لم تكن بالطبعة الأصلية.

(١) الفهرست، للنديم، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، ج١، المقدمة، ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) تأريخ الحكماء، للقبطي، تحقيق: يوليوس ليبيرت، ترجم حواشيها ومقدمتها وأضاف إليها: د. عوني عبد الرؤوف، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م، مقدمة المترجم، ص ١٥، ١٦.

- وفي الإجمال نلاحظ ما يلي على إصدارات الدكتور عوني لتحقيقات المستشرقين:
- ١- حفظ الدكتور عوني هذه الطبقات القديمة للمستشرقين من الاندثار، وقَدَّمها في صورة يسيرة للقارئ العربي، كما أن بعضها هو التحقيق الأجود للكتاب على الرغم من طبعاته العربية الأخرى التي تفنَّد إلى النشر العلمي، كما هي الحال في ديوان عبيد بن الأبرص، وتأريخ الحكماء للقفطي.
 - ٢- أفاد أصحاب الطبقات العربية الجيدة من تحقيقات المستشرقين التي أصدرها الدكتور عوني وأشادوا بها؛ بسبب من سهولة البحث فيها والاعتماد عليها، من مثل كل من الدكتور علي محمد عمر صاحب تحقيق الطبقات الكبير لابن سعد، والدكتور أيمن فؤاد سيد صاحب تحقيق الفهرست للنديم.
 - ٣- تميزت هذه الإصدارات الجديدة لتحقيقات المستشرقين بدراسات علمية مهمة عن مصنف النص ومحققه وموضوعه ومخطوطاته وطبعاته، وفي أحيان كشافات نوعية جديدة لم يصنعها المستشرق، كما هي الحال في الفهرست للنديم.
 - ٤- اتسع اهتمام الدكتور عوني بالتراث العربي ليشمل مصنفات كتب التراجم والدواوين الشعرية إلى جانب اهتمامه الأساسي بالمصنفات اللغوية.
 - ٥- غلب على عمله في إصدار طبقات المستشرقين العمل الجماعي، فهو شديد الإيمان بفكرة التعاون العلمي؛ لذلك أسند ترجمة بعض مقدمات المستشرقين إلى عدد من الزملاء، وشاركته الدكتور إيمان السعيد في إصدار طبعة كتاب الفهرست.
- (٣) نقد تحقيقات المستشرقين:**
- قدم الدكتور عوني في كتابه (جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة) في أجزاءه الثلاثة - مجموعة من المباحث في نقد تحقيقات المستشرقين، وهي على النحو التالي:
- ١- زاخو Sachau وبروكلمان Brockelmann وتحقيق طبقات ابن سعد.
 - ٢- توماس كوشينفسكي وتحقيق طبقات خليفة بن خياط.
 - ٣- جمعية المستشرقين الألمان وتحقيق الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي.
 - ٤- ألبرت ديترش Albert Dietrich وتحقيق ترجمة شرح كتاب دياسقوريدوس في هيولى الطب.
 - ٥- أنطوني بيفان Anthony Bevan وتحقيق نقائض جرير والفرزدق.
 - ٦- تشارلز لايل Chars Lyall وتحقيق المفضليات لأبي عبيدة، وتحقيق ديواني عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل.
 - ٧- جوستاف فليجل Flügel وتحقيق الفهرست للنديم.
 - ٨- فريتس كرنكوف Fritz Krenkow وتحقيقاته.
 - ٩- وليم كيرتون William Cureton وتحقيق الملل والنحل للشهرستاني.
 - ١٠- يوليوس ليبيرت Julius Lippert وتحقيق تأريخ الحكماء للقفطي.

- وشاركت الدكتورة إيمان السعيد جلال الدكتور عوني في هذا الكتاب، فقدمت من هذا الفرع:
- ١١- فان فلوتن van Vloten وتحقيق مفاتيح العلوم للخوارزمي.
- كما ينضم إلى ما سبق ما قدمته في رسالتي لنيل درجة الماجستير بإشراف أستاذي الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف والدكتور إيمان السعيد جلال، تحت عنوان: جهود المستشرقين الإنجليز في تحقيق التراث اللغوي العربي (1)، ويضم:
- ١٢- ماثيو لمسدن Matthew Lumsden وتحقيق القاموس المحيط للفيروز آبادي.
- ١٣- وليم رايت William Wright وتحقيقا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث لابن دريد، وتحقيق تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها لابن كيسان.
- ١٤- فريتس كرنكوف Fritz Krenkow وتحقيق جمهرة اللغة لابن دريد، وتحقيق كتاب الأفعال لابن القطاع.

وكل هذه المباحث السابقة دراسات وصفية نقدية لتحقيقات المستشرقين، بالإضافة إلى ترجمة وافية للمستشرق، وتعريف واف بالمصنف موضع التحقيق وصاحبه.

وهذا النوع من الدراسة المسمى بـ (نقد التحقيق) يؤدي بنتائج مهمة في باب تاريخ علم تحقيق نصوص التراث العربي، والمراحل التي مر بها هذا العلم، وخاصة في مرحلته الاستشرافية، كما يعطي صورة دقيقة للغة الاستشراق في تحقيق النص، ويدل على مفاتيح التعامل معها من اختصارات واصطلاحات ومراجع. كذلك فإن نقد تحقيقات المستشرقين مع مقارنتها بالطبعات اللاحقة عليها يدل على أجود الطباعات المتاحة للباحثين، ويساعد في تنقية طباعات التراث العربي مما شابها من قصور.

خاتمة:

- رصد البحث عددًا من النتائج، ألخصها في ما يلي:
- ١- لم يقتصر اهتمام الدكتور عوني عبد الرؤوف على تحقيق نصوص مخطوطات التراث العربي التي لم تنشر من قبل، وإنما امتد اهتمامه ليشمل نقد تحقيقات المستشرقين تحديدًا، وكذلك امتد ليشمل فرعًا لم يسبق لأحد الاهتمام به؛ هو إعادة إصدار نشرات المستشرقين مفسرة للقارئ العربي عن طريق الترجمة والدراسة. ولم يقتصر اهتمام الدكتور عوني في هذه الفروع الثلاثة على المصنفات اللغوية التي هي أساس تخصصه؛ وإنما امتد إلى المصنفات الأدبية وكتب التراجم.
- ٢- اتبع الدكتور عوني في تحقيق النص منهجًا مضطربًا منضبطًا جدًّا؛ أعان فيه القارئ على استيعاب منهج المصنف في التأليف، كما أعانه على تفسير كل ما يتصل بالنص عن طريق

(١) جهود المستشرقين الإنجليز في تحقيق التراث اللغوي العربي/ دراسة تحليلية لنماذج من القرنين التاسع عشر والعشرين، هالة جمال القاضي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٥م.

التحرير بالضبط والترقيم، والهوامش الموسَّعة، والمكملات من مقدمات، وكشافات دقيقة امتدت إلى ما هو أبعد من النص نفسه.

٣- كان لنا عدد من الملاحظات على إصداراته الجديدة لتحقيقات المستشرقين، كان من أهمها تأثيرها المهم على النشرات العربية اللاحقة للأعمال نفسها، كما أنها حفظت هذه التحقيقات- التي لم يكن لها بديل في النشرات العربية- من الاندثار، وقدمتها في صورة يسيرة للقارئ العربي.

٤- لم يكن هناك للدكتور عوني إسهام نظري في علم تحقيق النصوص ونقده، على الرغم من كثرة الأعمال التي قدمها من تحقيق ونقد للتحقيق وإصدارات جديدة لتحقيقات المستشرقين. وعلى الرغم أيضاً من صلته بالمدرسة الاستشرافية في هذا المجال؛ فإنه لم يتأثر بالجهاز الاصطلاحي لها، فعلى سبيل المثال لم يستخدم مصطلح (النشرة النقدية) بدل من مصطلح (التحقيق) في كل ما قدمه.

٥- إن تحقيق نصوص المخطوطات العربية كان البداية الأولى للدكتور عوني على طريق العلم؛ حيث فتح له آفاقاً كثيرة متنوعة عن التراث العربي وعن إسهامات المستشرقين فيه، وأتاح له تقديم دراسات متطورة في مجال تخصصه. وهو الأمر الذي لم يصبح متاحاً لكثير من الباحثين في زماننا؛ حيث بات التحقيق وباتت المخطوطات في آخر سلم اهتمام التعليم الجامعي! إن هذا الجيل المميز من العلماء الذي منحنا الله- عز وجل- شرف التلمذة له والأخذ عنه- يستحق منا فحص منجزه في كل المجالات التي تناولها^(١).

وأستاذي الدكتور عوني عبد الرؤوف أحد هؤلاء الذين يستحقون منا ذلك؛ فمنجزه العلمي طال فروعاً شتى في العربية وغيرها من اللغات، وإسهامه في مجال الترجمة خاصة يحتاج إلى فحص شامل ودراسة دقيقة؛ لما قدمه من ترجمات كثيرة ومهمة من العربية وإليها.

المراجع:

- (١) تأريخ الحكماء، للقفطي، تحقيق: يوليوس ليبيرت، ترجم حواشيها ومقدمتها وأضاف إليها: د. عوني عبد الرؤوف، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.
- (٢) تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.
- (٣) جهود المستشرقين الإنجليز في تحقيق التراث اللغوي العربي/ دراسة تحليلية لنماذج من القرنين التاسع عشر والعشرين، هالة جمال القاضي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٥م.

(١) من الذين اهتموا بفحص منجز أساتذتنا في تحقيق النصوص- الدكتور خالد فهمي؛ حيث قدّم دراستين؛ الأولى: جهود الدكتور رمضان عبد التواب في تحقيق التراث، والثانية: منهج الدكتور حسن الشافعي في تحقيق النصوص العربية، وكلتاها في كتاب: في تحقيق النصوص ونقد الكتب (دراسات ومراجعات)، للدكتور خالد فهمي، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، ٢٠١٣م.

- ٤) جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، د. عوني عبد الرؤوف، إعداد وتقديم: د. إيمان السعيد جلال، مكتبة الآداب، القاهرة، ثلاثة أجزاء، ٢٠١١ - ٢٠١٥ م.
- ٥) ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق: تشارلز لايل، تقديم وإعداد وترجمة: د. عوني عبد الرؤوف، سلسلة الذخائر من تحقيقات المستشرقين (٢)، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق ٢٠٠٣ م.
- ٦) ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: تشارلز لايل، تقديم وإعداد وترجمة: د. عوني عبد الرؤوف، سلسلة الذخائر من تحقيقات المستشرقين (١)، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- ٧) ديوان عبيد بن الأبرص بين تحقيقين، للدكتور أحمد عبد الباسط، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، العدد الثامن، أوت ٢٠١٣ م.
- ٨) شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الجزء الأول، ١٩٨٦ م. والجزآن الخامس والسادس، تحقيق: د. عوني عبد الرؤوف، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م.
- ٩) الطبقات الكبير، لابن سعد، تحقيق: زاخاو ومجموعة من المستشرقين، ترجمة وتعليق: د. عوني عبد الرؤوف، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م.
- تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- ١٠) الفهرست، لابن النديم، تحقيق: جوستاف فليجل، د. عوني عبد الرؤوف، ود. إيمان السعيد جلال، سلسلة الذخائر (١٤٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦ م، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان الإسلامية، لندن، ٢٠٠٩ م.
- ١١) في اللغة والأدب والحضارة، كتاب تذكاري تكريماً للأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف، تحرير: د. إيمان السعيد جلال، ود. ماجد مصطفى الصعيدي، دارة الكرز، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- ١٢) في تحقيق النصوص ونقد الكتب (دراسات ومراجعات)، د. خالد فهمي، دار الكتب والوثائق القومية، ط ١، ٢٠١٣ م.
- ١٣) القافية والأصوات اللغوية، د. عوني عبد الرؤوف، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م.
- ١٤) كتاب القوافي، القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن عبد الله بن المحسن التتوخي، تحقيق: د. محمد عوني عبد الرؤوف، مراجعة: د. إيمان السعيد جلال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩ م.
- ١٥) المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، د. محمد عيسى صالحية، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٩٢ م.

متابعات

١- ملتقى القاهرة الدولي الثاني للنقد الأدبي

الحوار مع النص "دورة عبد القادر القط"

٨ - ١٠ مايو ٢٠١٧

متابعة: آمال شوقي محمد يحيى

تحت رعاية السيد حلمي النمنم وزير الثقافة، نظم المجلس الأعلى للثقافة بأمانة د. حاتم ربيع ملتقى القاهرة الدولي الثاني للنقد الأدبي، بمشاركة سبعين باحثاً وناقداً متخصصاً من مصر ومعظم الدول العربية وأذربيجان تحت عنوان "الحوار مع النص - دورة عبد القادر القط" في الفترة من ٨ إلى ١٠ مايو ٢٠١٧.

وكانت لجنة إعداد الملتقى برئاسة الناقد الكبير الأستاذ الدكتور أحمد درويش مقرر لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس؛ سبق وأن أطلقت دعوة للكتابة في ديسمبر الماضي لجميع المتخصصين والمهتمين من الوطن العربي بقضايا النقد الأدبي؛ ورغم الإعلان عن عدم تحمل المجلس قيمة تذاكر الطيران الخاصة بالمشاركين حيث سيتحمل المشارك من الخارج قيمة تذاكر السفر الخاصة به فإن أمانة المجلس قد تلقت أكثر من مائتي مقترح وملخص بحث من الراغبين بالمشاركة من مصر وعدد كبير من الدول العربية؛ وقد عكفت اللجنة على دراسة الأوراق المقدمة وانتهت إلى اختيار حوالي سبعين مشاركة من مصر وخارجها؛ طبقاً للموضوعات التي تتناسب مع موضوع الملتقى ومحاوره، ومع مراعاة تمثيل أكبر عدد ممكن من البلدان العربية؛ حيث شارك في الملتقى سبعون متخصص من دول: العراق، سوريا، اليمن، المملكة العربية السعودية، لبنان، الأردن، وليبيا، والجزائر، والمغرب، وتونس، والسودان، وأذربيجان، ومصر.

وكانت الدورة الأولى للملتقى قد عقدت في عام ٢٠١٠ تحت عنوان: "النقد الأدبي والواقع الثقافي"، واختارت اللجنة العلمية للدورة الحالية عنوان: "الحوار مع النص" كما قررت اللجنة أن تحمل الدورة اسم الناقد الراحل الكبير عبد القادر القط، وأعدت اللجنة عدداً من المحاور الرئيسية التي سيتناولها الملتقى من بينها:

- الحوار مع النص الشعري.
- الحوار مع النص السردي.
- الحوار مع النص النقدي.
- الحوار مع الدراما.
- الحوار مع النص الإعلامي.
- الحوار مع التجليات الأخرى للنص.

هذا بالإضافة إلى تنظيم عدد من ورش العمل والموائد المستديرة التي تتناول كل واحدة منها موضوعاً من موضوعات الملتقى. وأقيم على هامش الملتقى عدد من الأنشطة المصاحبة منها: تنظيم معرض للكتاب لإصدارات وزارة الثقافة وبعض دور النشر الخاصة.

كما يصدر المجلس الأعلى للثقافة بمناسبة الملتقى عددًا من المطبوعات المتعلقة بالنقد الأدبي وإشكالياته؛ من بينها كتاب "حديث الاثنين" ويتضمن مختارات من مقالات الأستاذ الدكتور عبد القادر القط في جريدة الأهرام، كما يصدر خلال الملتقى نسخة تجريبية إلكترونية من الأبحاث الكاملة المقدمة للملتقى.

وقد افتتح الملتقى السيد حلمي النمنم وزير الثقافة، والأستاذ الدكتور أحمد درويش مقرر المؤتمر ورئيس اللجنة العلمية المنظمة، والأستاذة الدكتورة كريمة سامي الأستاذة بكلية الألسن جامعة عين شمس، والأستاذ الدكتور هيبه هيبتوف (من خارج مصر)، كما تضمنت الجلسة تكريمًا لأسرة الناقد الكبير عبد القادر القط، التي شاركت في الاحتفال؛ حيث حضرت زوجته وابنه وابنته الأستاذة نورا عبد القادر القط التي ألفت كلمة أشارت فيها إلى عبد القادر القط أبًا ومعلمًا وناقداً، فأنفردت كلمتها بالعديد من الجوانب الإنسانية التي لا يعرفها الكثيرون عن عبد القادر القط، كما قدم الأستاذ حلمي النمنم درع المجلس التذكاري لأسرة الناقد عبد القادر القط، وقدم حفل الافتتاح بصوت جهوري فصيح الدكتور الشاعر/ أحمد بلبولة.

وتضمن الملتقى عشر جلسات بحثية موزعة على الأيام الثلاثة للملتقى، عرض كل باحث من خلالها مادته العلمية بشكل موجز، وتضمن الملتقى إلى جانب الجلسة الافتتاحية ثلاث جلسات في اليوم الأول (الاثنين ٨ مايو ٢٠١٧)، جاءت الجلسة البحثية الأولى برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد درويش، وجاءت الأبحاث على هذا المنوال

الجلسة البحثية الأولى:

- **سعود بن سليمان اليوسف:** تداخل الخطاب النقدي مع الخبر.
- **سعيدة كحيل:** مدونة أدب الرحلة في الأصل والترجمة؛ حوار نقدي في ضوء منهج التوطين والتغريب.
- **محمد عبد الباسط عيد:** عبد المنعم تليمة.. البحث في علمية الأدب.
- **محمد عبد المطلب:** حوار مع الدكتور عز الدين إسماعيل.
- **محيي الدين محسوب:** قراءة محمود فهمي حجازي لخطاب رفاعة الطهطاوي: تأسيس فيلولوجيا عربية جديدة.

أما الجلسة البحثية الثانية ، فجاء فيها:

- **أحمد فؤاد مصطفى:** "النص السردي بين الحكاية والواقع. قراءة نقدية في (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد".
- **سمير الفيل:** بنية نص الاغتراب في القصة القصيرة " صغير في شبك الغنم " نموذجاً.

- شكري الطوانسي: نحو بلاغة عربية معاصرة: قراءة النص البلاغي عند شكري عياد.
 - علي حمودين: حوار السرد والتاريخ في أعمال كنفاني الروائية.
 - محمد خلف الله: استجابة القارئ وتعدد القراءات (دراسة تطبيقية في ثلاث روايات).
- وقد كان ختام اليوم الأول وفقاً للمائدة المستديرة تحت عنوان: "الحوار مع النص"، وأدار المائدة الأستاذ الدكتور صلاح فضل، وضمت المائدة عدداً كبيراً من الأساتذة الآتية أسماؤهم:
- السيد مصطفى عبيد: سيميائية العنوان عند يوسف إدريس.
 - حمزة قريرة: السرد التفاعلي العربي إشكالية البناء وأزمة التلقي.
 - حنان الشعار: الحوار والنص السردي "زهرة المانغو" نموذجاً.
 - خيرى دومة: الحوار السردي عند (أبو المعاطي أبو النجا) وقت الزوال (عن قصص أبو المعاطي أبو النجا).
 - صالح السيد: التشكيل الشعري وجماليات التلقي في شعر ماجد يوسف.
 - عادل ضرغام: الرواية التاريخية تحلل النوع الأدبي وإشكالية الهوية.
 - محمد العبد: القصة القصيرة جداً وإعادة بناء السياق عبر الحوار آلية للتأويل.
 - محمد خليفة: ملامح شخصية اليهودي في رواية "يهود الإسكندرية" للكاتب مصطفى نصر.
 - محمد زكريا عناني: حوار مع النص النقدي عند يوسف عز الدين عيسى.
 - محمد مصطفى أبو شوارب: محمد زكي العشماوي .. وقراءة النص الشعري.
 - مصطفى رجب: الحوار مع النص الإعلامي.
 - نادر محمد رفاعي: النقد السيميولوجي للدراما السينمائية المصرية (فيلم الفاجومي نموذجاً).

وفى اليوم الثاني (الثلاثاء ٩ مايو ٢٠١٧)، كانت البداية مع الجلسة البحثية الثالثة، برئاسة: **كاظم فاخر الخفاجي**، وضمت الأبحاث الآتية:

- آمال شوقي محمد يحيى: تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية "قهوة سادة" نموذجاً.
- سعيد خليفى: البعد التاريخي والاجتماعي في رواية زنقة الركابة لمحمد سعادي.
- سمر إبراهيم: الأنا في نصوص سليمان فياض الإبداعية.
- عزوز علي إسماعيل: حوار النص في الرسالة الروائية عند كمال العيادي في رواية "نادي العباقرة الأخير".
- محمد محمود حسين: الإنترنت وشعرية التناص في الرواية العربية.

وفى الجلسة البحثية الرابعة كان محمد أبو الفضل بدران رئيساً للجلسة، وفيها:

- فاطمة الحاجي: حوار النص النقدي.
- كرمة سامى: تجليات القارئ/الكاتب: 'كتابة محبة' ما بين بلال بن رباح و ه. أ. ل. كريج.
- محمد سلامة: حوار مع النص النقدي عند مصطفى ناصف.
- محمود الضبع: النقد العربي والواقع الثقافي.
- هيبه هيبتوف: منهج الحوار مع النص عند ابن منظور المصري.

- وفى الجلسة البحثية الخامسة، قام السيد فضل برئاسة الجلسة، وجاء فيها :
- روفيا بوغواط: شعرية التصديرات النصية وإشراقاتها في الشعر الجزائري المعاصر.
- سعد أبو الرضا: حوار الشعر والثورة.
- شوكت المصري: الشعرية المضادة؛ قراءة في ديوان عماد أبو صالح "كان نائماً حين قامت الثورة".
- عبد الناصر حسن: الحوار مع التراث الصوفي في الشعر العربي الحديث.
- عواد كاظم الغزي: نبؤات الذات والتحويلات الأسلوبية في شعر الرثاء الفلسطيني الحديث؛ إيمان مصاروة اختياراً.

- وجاءت الجلسة البحثية السادسة برئاسة : **نبيل حداد**، وتضمنت الأبحاث الآتية:
- بدرية شريط: جدل الضحية/ الجلال في الخطاب الروائي العراقي "فرانكشتاين في بغداد" للكاتب أحمد السعداوي.
 - شريف الجيار: رواية.. "فاصل للدهشة" لـ "محمد الفخراني" تمرد جمالي.. وواقع عدمي.
 - محمد سيد متولي: الأشلاء الممزقة في الرواية العربية جدلية النص والواقع.
 - منير عتيبة: النص التحتي وأعماق جبل الجليد قراءة في (اثنا عشر ذئبا على مائدتي) لعبد القادر عجيل.
 - نهلة راحيل: العناصر الدرامية في رواية "ابن القبطية" لوليد علاء الدين.

أما اليوم الثالث (الأربعاء ١٠ مايو ٢٠١٧)، فكانت الجلسة البحثية السابعة برئاسة: **علاء عبد الهادي**، وفيها

- إيمان سند: رواية الثورة المصرية "من اليوتوبيا إلى الديستوبيا".
- بشير حاجم: الثنائية الضدية لـ "العالم": الرؤية — الرؤيا؛ عن النظرة التوفيقية لـ "الرؤى" عند "جابر عصفور".
- تامر فايز: نجيب محفوظ ناقدًا " حوار مع حوارات نجيب محفوظ المنشورة في المجالات الأدبية".
- جهاد محمود: الحوارية في روايات الإسلام السياسي .
- عبد السلام الشاذلي: الحوارات في بعض النصوص الأدبية المعاصرة.
- عزة أبو النجاة: قراءة نقدية لرواية الكاتبة المغربية مليكة رتنان.

- وجاءت الجلسة البحثية الثامنة، برئاسة **عبد اللطيف محفوظ**، وفيها:
- أحمد بلبولة: تحولات النسق الثقافي في قصيدة "جيرنكا" لأحمد عبد المعطي حجازي.
 - حافظ المغربي: الحوار مع نص عبد القادر القط الشعري التناص الأسطوري في قصيدته "مثال"؛ نموذجاً.
 - عبد الرحمن حجازي: حوار مع النص الشعري؛ صورة البطل الظاهر بيبرس في الشعر المملوكي.

- **كاظم الخفاجي:** بنى الحوار الدالة في النص الشعري العربي المعاصر؛ قصيدة (الحسين) للشاعر أحمد بخيت اختياراً.

وجاءت الجلسة البحثية التاسعة برئاسة: **هيثم الحاج علي**، وفيها:

- **حمدي النورج:** حوار الذات .. بحث في الخطاب الاستشراقي؛ أدب الرحلة نموذجاً.
- **عبد الرحيم الكردي:** نقد الدراما التلفزيونية عند عبد القادر القط.
- **مروة مختار:** سلطة المفكر بين الخطاب الحجاجي والخطاب الثقافي؛ التعريف بشكسبير نموذجاً.
- **معتز سلامة أحمد:** التوظيف الدرامي للأسطورة الإغريقية "مسرحية مأساة أوديب نموذجاً".
- **نبيل حداد:** النص الإعلامي وأسئلته.
- **وائل علي السيد:** حوار التراث والواقع في مسرحية " العذراء القرطاجية ".

أما الجلسة البحثية العاشرة والأخيرة، فكانت برئاسة: **محمد عبد الرحمن الريحاني**، وفيها:

- **عايدي على جمعة:** تحليل الخطاب في قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة الأندلسي.
- **عبد اللطيف محفوظ:** المؤولات وبناء الدلالة الشعرية.
- **عبد الله رمضان:** تقنيات السينما في النص الشعري الحديث.
- **محمد عطاء الله محرم:** جمال الشاعر و لويس أراجون الروح المتمردة الراضة؛ دراسة مقارنة حول الصورة الشعرية.
- **يسري عبد الغني:** بكثرة الكتابات لا يكون الحوار مع النص [صلاح عبد الصبور نموذجاً].

ومن خلال عرض الأبحاث السابقة يمكن رصد مجموعة من الموضوعات الرئيسية، منها:

• الحوار مع النص الشعري:

وأما محور الحوار مع النص الشعري، فجاءت دراسة د. حافظ المغربي بعنوان " الحوار مع نص عبد القادر القط الشعري التناسل الأسطوري في قصيدته "مثال" نموذجاً؛ فلم يحظ نتائج د. عبد القادر القط الشعري بدراسات نقدية منهجية بوصفه ناقدًا كبيراً .

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند نصوصه محاوراً إياها في منهجية تتكفل هي وحدها بالإشارة إليها طواعية وفق الرؤية والأداة، لنتاج مزيد من الدلالة من خلال بنية نصوصه، تشكيلاً بالصورة الشعرية بمفهومها في الخطاب البلاغي المعاصر.

وعرض د. حافظ لبحثه بوصفه نموذجاً للحوار مع النص الشعري، مؤكداً وجود تناسل مع أسطورة بيجماليون (تناسلاً عكسياً) لعب فيه الرمز دوراً محورياً في بناء الدلالة من خلال استلهم رموز مثل الشاعر أو الفنان والتمثال والفتاة، الذين انصهروا جميعاً في بوتقة رمزية واحدة هي المثال.

• الحوار مع النص السردى:

تبرز العلاقة بين الأدب والتاريخ؛ حيث تفرز الرواية الأدبية الرواية التاريخية، والرواية الاجتماعية، والرواية الواقعية بأنواعها، والرواية التاريخية تشترك مع الرواية الأدبية في وجود بنية تاريخية زمنية لها.

وقد أجمع العديد من الباحثين على وجود علاقة وطيدة بين الأدب والتاريخ، فإذا كان التاريخ ينطلق من معطيات تاريخية واقعية، من أجل التأريخ للمسار البشري، محاولاً الوصول إلى أكبر قدر من الموضوعية والحياد، فإنه يتخذ في كثير من الأحيان من النص الأدبي وسيلة لاشتغاله، بوصفه وثيقة تكشف عن تاريخ المجتمعات. وعلى الرغم من الطابع التخيلي للأدب فإنه كثيراً ما يلجأ إلى التاريخ ليرفده ببعض معطياته من أجل توظيفها في نسج خلفية الأحداث.

ومن الدراسات التي تدخل في إطار هذا الموضوع من موضوعات الملتقى، حوار السرد والتاريخ في أعمال كنفاني الروائية لـ (على حمودين) حيث تتناول الدراسة - مدخلا لحوار السرد والتاريخ - الخيط الذي يشد الرواية إلى التاريخ عبر اشتراكهما بالعناصر الرئيسة: الإنسان والزمان والمكان، وأكثر من ذلك اشتراكهما بالقصة أو الطابع القصصي.

فالنص يكتب في زمن تاريخي. ويتحدد هذا الزمن أولاً بسياق اجتماعي وثقافي محددين، ولا يمكن لإنتاج الكاتب النصي أن يكون خارجاً عن هذا السياق الذي يتفاعل معه إيجاباً أو سلباً، قبولاً أو رفضاً. وهذه البنيات المنتجة في زمنيها التاريخية هذا النص تتجلى لنا ضمناً أو مباشرة في النص ذاته؛ لذلك يجب أن نقرأها من داخل النص ذاته. وهذا ما تجلى من خلال عرض البحث.

ويأتي ضمن محور الحوار مع النص السردى موضوع تداخل الأنواع الأدبية؛ حيث التداخل بين الرواية والمسرح؛ فقد شغلت قضية الأجناس الأدبية حيزاً واضحاً في مباحث النقد الأدبي عند العرب سواء عند النقاد الأدباء أو الفلاسفة كابن طباطبا العلوي، وابن خلدون، وأبى حيان التوحيدي، وحازم القرطاجني. ولم تقتصر جهود النقاد والمفكرين على تمايز الأجناس الأدبية فقط، وإنما تعدت إلى تداخلها وتفاعلاتها المختلفة. وقد حدد أرسطو الخصائص المميزة لكل جنس من الأجناس الأدبية، ويعد كتابه "فن الشعر" مرجعاً أساسياً لدى النقاد في تصنيف الأجناس الأدبية، وأصبحت هذه الخصائص بمثابة القوانين الثابتة لكل النقاد والمبدعين، وقد اعتمد تصنيف أرسطو على المحاكاة في تفريق الأنواع بين غنائي، وملحمي، ودرامي.

ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بحث بعنوان "تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية" "قهوة سادة" نموذجاً، للباحثة/ آمال شوقي محمد يحيى؛ فبناء على هذا الفصل بين الأجناس ظهر مبدأ "نقاء الأجناس"، ويقوم مبدأ نقاء الأجناس على فكرة استقلال كل جنس بخصائصه المائزة؛ فلا يحق لجنس استعارة خصائص جنس آخر في عملية الإبداع الأدبي. ومع بدايات النصف الأول من القرن العشرين ظهرت بعض الأصوات النقدية التي تبنت اتجاهاً ثار على فكرة نقاء الأجناس، ورفض التقسيمات المقترحة، ومثل هذا الاتجاه الناقد والكاتب الفرنسي "هوجو"، وبلغ ذروته عند الناقد الإيطالي

"كروتشه" الذي تبنى في كتابه (المجمل في فلسفة الفن) دعوة صريحة إلى تجاوز التقسيم الأجناسي، كما ظهرت بعض الدراسات التي تنادى بسقوط الجدران العازلة بين الأجناس الأدبية، وذلك ما جاء عند "سبيستان مرسيه" بقوله: "تساقي، تساقي أيتها الجدران الفاصلة بين الأنواع؛ لتكن للشاعر نظرة حرة في مرج فسيح، فلا يشعر بعقريته سجيناً الأقفاس، حيث الفن محدود ومصرغ".

وعنى هذا البحث بدراسة تداخل الأجناس الأدبية من خلال رصد التداخل بين كل من الرواية والمسرح "المسرواية" للوقوف على الخصائص المائزة لهذا اللون من التأليف الإبداعي عند السيد حافظ في "قهوة سادة"، فيتناول تعريف المسرواية، أسباب ظهورها، التقنيات الفنية لكتابتها، رصد أشكال التداخل مع النص السردي، واستنباط كيفية توظيف النص الروائي لتقنيات النص المسرحي في إبداع الرؤية والتشكيل.

• الحوار مع النص النقدي:

يأتي البحث الخاص بالأستاذ الدكتور عبد الرحيم الكردي بعنوان: "نقد الدراما التلفزيونية عند عبد القادر القط"، ويهدف البحث إلى إبراز الدور الريادي الذي أداه عبد القادر القط في نقده للدراما التلفزيونية، والكشف عن المنهج الذي استخدمه في هذا النقد، من خلال قراءته للأعمال التلفزيونية التي كانت تُعرض على شاشة التلفزيون المصري منذ سبعينيات القرن العشرين حتى وفاته ٢٠٠٢م، والتي سجلها في مقالات منشورة في الصحف والمجلات في هذه الفترة.

ومن خلال قراءة نقد عبد القادر القط تبين للكردي أن القط لا يعتمد على نظريات جاهزة، ولا على مقدمات تأملية، بل يحاور النص مباشرة، كما أنه لا يكتفي بنوع واحد من الأعمال، بل يتناول المسلسل التلفزيوني، والتمثيلية التلفزيونية، والمسلسل الديني، والتمثيلات التلفزيونية، ويفرق بين الموضوعات والتقنيات التي تصلح لكل نوع، وهو ينقد كل عنصر من عناصر العمل بصورة شاملة ومتكاملة، النص، والإخراج، والتمثيل، والحوار، والتمثيل، والعرض، والأحداث... إلخ.

كذلك يأتي البحث المعنون: "نجيب محفوظ ناقدًا حوار مع حوارات نجيب محفوظ المنشورة في المجلات الأدبية" لصاحبه "تامر فايز". ويتعامل هذا البحث مع حوارات نجيب محفوظ كونها خطابات من نوع خاص، تحمل عدة دلالات نقدية جلية تتمثل في:

- دلالات سرد الذات.
- دلالات النقد النظري وتأريخ الآداب.
- دلالات النقد التطبيقي الذاتي والغيري.
- دلالات النقد الثقافي.

وتتقاطع هذه الدلالات النقدية في حوارات محفوظ بشكل يجلى خصوصيتها على نحو لا يتسنى لغيرها من بقية الخطابات على تنوعها؛ لذا فإن الدراسة تسعى لمعرفة دلالات النقد الذاتي والأدبي والثقافي في حوارات محفوظ، وإلى أي مدى يمكن الاعتداد بحواراته بوصفها نوعاً من الخطابات النقدية ذات الأثر.

• الحوار مع الدراما:

وفي هذا المحور من محاور الملتقى يأتي البحث الخاص بـ "تجليات القارئ/ الكاتب: "كتابة محبة" ما بين بلال بن رباح وهـ أ. ل. كريج للدكتورة/ كرمة سامي، حيث يعرض البحث لكيفية تأثر "كريج" بسيناريو فيلم الرسالة (١٩٧٦) لإبراز شخصية بلال بن رباح مؤذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - متأثراً بما قرأه عن الإسلام من سيناريو فيلم الرسالة بنسخته العربية والإنجليزية.

وتمثل نتائج قراءة الكاتب لنصوص سابقة في كتابة سيناريو فيلم "الرسالة" وتحوله فيما بعد إلى نص بصري ألحق بسيرة "بلال" متجسدة في نص ورقي يحمل سمات خاصة في الشكل والمضمون من حيث جماليات الطباعة والتصميم وكذلك طبيعة السرد.

وقد شكل النص حرصاً على التأريخ لرحلة من نوع خاص للفكرة الإبداعية داخل ذات الكاتب وتشكله في كينونتها استجابة لتجربة انصهرت فيها فنون الكتابة التي يتقنها كريج وثقافته المتعددة، حيث بدأ رحلته مع بلال من لحظة إشهاره إسلامه لتصبح سيرته تابعة لحياة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيتحول النص إلى خشبة مسرح ينفرد فيه البطل بعملية السرد ما بين المناجاة الفردية ومناجاة النفس.

• الحوار مع التجليات الأخرى للنص:

يتيح منهج النقد الثقافي الفرصة لربط النص بمحيطة الثقافي اعتماداً على مناهج التأويل والسيميائيات ومختلف العلوم الإنسانية المحيطة بالأدب، والإطلال على مناخ جديد في النقد والثقافة والتأويل. ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع دراسة بعنوان "سلطة المفكر بين الخطاب الحجاجي والخطاب الثقافي التعريف بشكسبير نموذجاً" للدكتورة مروة مختار، التي حاولت من خلال البحث أن تكشف عن السلطة التي يمارسها المؤلف على القارئ أثناء عملية القراءة، وذلك من خلال نسج نص يعتمد تقنيات الحجاج بوصفها استراتيجية خطاب، ومنطلقاً من النسق الثقافي الذي بزغت فيه الشخصية التي قام الكاتب بدراساتها في نسيج لا تستطيع تمييزه إلا بقراءة متأنية ومحاورة لعملية الإبداع بأركانها الثلاثة، مرسل ومستقبل وموضوع.

وتبحث هذه الدراسة عن إجابات لمجموعة من الأسئلة يثيرها العمل نفسه منها: هل كان العقاد متحيزاً في اختياره للشخصيات التي يدرسها بصفة عامة ولشخصية شكسبير بصفة خاصة؟ وهل تشابه منهج العقاد في معالجة شخصية شكسبير مع منهجه في الكتابة عن الشخصيات الإسلامية؟... كما تحاول الدراسة كشف البعد التداولي الذي اتكأ عليه العقاد لينسج وسائل حجاجه في إطار لا ينزع الشخصية عن سياقها الثقافي.

وكذلك يأتي تحت سياق أدب الرحلات بحث "حوار الذات .. بحث في الخطاب الاستشراقي (أدب الرحلة نموذجاً) للدكتور حمدي النورج، حيث يهتم البحث بتفسير تأرجح مستويات القراءة حول النص الأدبي، بداية من القراءة الأدبية وصولاً إلى القراءة الثقافية للنص نفسه، مع تبيان منطق الفكر داخل النص نفسه، بعيداً عن ادعاءات مبدعه.

وتعتمد هذه الدراسة في جانبها التطبيقي على ما كتبه الكاتبة الإيطالية آنى فيفانتى في كتابها (أرض كليبواترة) الذي نقل إلى العربية ونشر في طبعته الأولى عام ١٩٢٧م، وجاءت مقدمته بقلم المستشرق لويجي رينالدي والكتاب في (أدب الرحلة) كتب بقلم أوروبي، وفيه وصف لمشاهدات رحلة قامت بها الكاتبة إلى القاهرة بعد أن أشار عليها أحد الأطباء بأن تفعل ذلك...

وتهتم الدراسة برصد البعد الاجتماعي من خلال سلوك التمازج المنضبط بين النص والمتلقى، ويكشف النص عن الكثير من الميزات والخصائص المتعلقة بالنسيج الاجتماعي والوعي في معاملة الآخر وموقع أصحاب السلطة من المواطنين، وحركة الوعي الوطني الناشئة لدى الشباب في ذلك الوقت؛ وذلك من خلال رصد حركة الذات المتحركة والفاعلة عبر خطاب الرحلة السردي.

وقد انتهت فعاليات هذا الملتقى بعقد الجلسة الختامية، برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد درويش، والدكتور حاتم ربيع أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، والأستاذ الدكتور عبد الرحيم الكردي الذي قام بعرض التوصيات التي تمثلت في:

- تحديد موعد ثابت لانعقاد الملتقى يعقد بشكل دوري كل عامين.
- طباعة الأبحاث بعد مراجعتها وتحريرها: حيث قررت اللجنة إخطار جميع الباحثين المشاركين بإرسال الصياغة النهائية لأبحاثهم بعد إجراء التعديلات التي قد يرونها على أبحاثهم على أن يقوم المجلس باتخاذ اللازم نحو نشر الأبحاث الكاملة على موقعه، وإرسال أسطوانة مدمجة (cd) إلى جميع مكتبات الجامعات.
- العمل على تخصيص جائزة محكمة للنقد الأدبي تطرح قبل انعقاد الدورة بعام كامل وتكون خاضعة للتحكيم وإعلان نتائجها مع انعقاد الدورة.
- إنشاء صفحة إلكترونية ثابتة على موقع التواصل الاجتماعي باسم ملتقى القاهرة الدولي للنقد الأدبي تضم أسماء جميع المشاركين في الملتقى وبياناتهم ويتم من خلالها تبادل الآراء والمقالات والبحوث والتشاور وكذلك إدراج جلسات الملتقى المصورة على موقع المجلس الأعلى للثقافة وصفحة الملتقى التي سيتم إنشاؤها.
- ونظرًا لما لوحظ من تركيز خلال الملتقى على طرح قضايا المصطلح النقدي وترجماته المختلفة يوصى المشاركون بعقد الدورة القادمة تحت عنوان: "قضايا لغة النقد الأدبي ومصطلحاته".
- ترحب اللجنة المنظمة بالظاهرة الإيجابية التي تجسدت في هذه الدورة ممثلة في إقبال شباب الباحثين جنبًا إلى جنب مع أساتذتهم مما أتاح الفرصة لحوار الأجيال وانتقال الخبرات وكذلك شباب الباحثين من المتخصصين في العربية من خارج العالم العربي وخاصة في المجتمعات التي كان لها تراث عريق في العربية.
- إدراج جلسات الملتقى المصورة على موقع المجلس الأعلى للثقافة وصفحة الملتقى التي سيتم إنشاؤها.

- الإفادة من المنتدى في اكتشاف المواهب البحثية والتنظيمية ومهارات العرض التي يتمتع بها شباب الباحثين، وتشجيعهم على الاهتمام بالدراسات النقدية لتقديم جائزة للنقد الأدبي التي تُطرح قبل الملتقى وتقدم من خلاله.
- إنشاء صفحة على موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) باسم ملتقى القاهرة الدولي الثاني دورة عبد القادر القط يُعرض من خلالها كل ما له علاقة بالملتقى من أجل فتح باب المشاركة في الملتقى في السنوات القادمة لشباب الباحثين من الجامعات العربية والدولية.
- وبعد عرض التوصيات ألقى الأستاذ الدكتور أحمد درويش رئيس المؤتمر كلمته التي أكد فيها سعادته بنجاح الملتقى وجودة تنظيمه، وقدم كلمات شكر وتقدير لكل من شارك فيه، وأكد دور شباب الباحثين في النهضة بالبحث العلمي، وأشاد بالدور البارز للأستاذ وائل شلبي وفريقه في الشكل التنظيمي الرائع الذي جاء به المؤتمر .
- وبعد، فهذا الملتقى يعد نموذجاً للإخلاص للبحث الأدبي، وقد اتسمت الأبحاث المشاركة بالجدية والعمق.

المؤتمر الثاني لقسم اللغة العربية بكلية الألسن . جامعة عين شمس الاستشراق والثقافة العربية بين الأيديولوجيا والإنجاز المعرفي

٢٨ – ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦

متابعة: هدى عبد الغني باز

برعاية أ. د. عبد الوهاب عزت رئيس جامعة عين شمس، و أ. د. منى فؤاد عميدة كلية الألسن، وتحت شعار "الاستشراق والثقافة العربية بين الأيديولوجيا والإنجاز المعرفي" عقد قسم اللغة العربية بكلية الألسن جامعة عين شمس في الفترة من الثامن والعشرين حتى الثلاثين من نوفمبر ٢٠١٦ مؤتمره الثاني بمشاركة الباحثين من مختلف الجامعات المصرية والأجنبية في بريطانيا وإيطاليا والسعودية والمغرب والعراق؛ مواصلاً طرح التساؤلات حول واقع الدراسات العربية بين الشرق والغرب، من خلال إحدى قضايا الفكر العربي الأكثر إلحاحاً في الوقت الراهن . وقد سعى المؤتمر لوضع إنجاز الاستشراق ومقولاته وأيديولوجيته تحت مجهر الفحص والمساءلة، سعياً نحو تجاوز الإشكالية الراهنة أمام العقل العربي والرؤية الملتبسة لنشاط المستشرقين الذي هو بالأساس نشاط معرفي، هذه الرؤية المتمثلة في ثنائية الرفض والقبول لحركة الاستشراق؛ وضرورة تجاوزها بالتححرر من هذه الثنائية التي مازالت تحكم نظرتنا إلى الغرب عموماً وإلى حركة الاستشراق خصوصاً؛ وذلك بتقديم الدراسات الجديدة في عدد من المحاور حول «الاستشراق والثقافة العربية بين الأيديولوجيا والإنجاز المعرفي» على أساس منهجي سليم، بهدف تبادل الخبرات العلمية، ونشر الوعي بالقضايا والموضوعات التي تتعلق بالهوية الحضارية والاستقلال الفكري. وقد ارتكز المؤتمر على خمسة محاور رئيسة، يندرج تحتها عدد من الموضوعات، وهي :

المحور الأول: المستشرقون ودراسة الثقافة العربية:

- الدراسات اللغوية
 - موسيقى الشعر العربي
 - الأدب العربي
 - التاريخ والحضارة العربية
 - التفسير والحديث والفقه الإسلامي
 - الفلسفة وعلم الكلام
 - الإسهام العربي في العلوم والفنون
- #### المحور الثاني: المستشرقون وتقديم الثقافة العربية:
- تحقيق النصوص العربية ونشرها
 - ترجمة النصوص العربية

- مراكز الاستشراق في المنطقة العربية

- مؤتمرات المستشرقين

المحور الثالث: الاستشراق وتطور الدراسات الأكاديمية في الجامعات العربية

- في موضوعات البحوث والرسائل العلمية

- في مناهج البحث

المحور الرابع: نقد الاستشراق

- إدوارد سعيد وخلفاؤه

- الجامعات العربية ودراسة حركة الاستشراق

- مراكز دراسة الاستشراق في الجامعات العربية

- مشروع موسوعة عربية عن الاستشراق والمستشرقين

المحور الخامس: الدراسات العربية بين الشرق والغرب

- الدراسات العربية في الصين

- الدراسات العربية في اليابان

- الدراسات العربية في كوريا

- الدراسات العربية في أمريكا اللاتينية

وقد بدأت الجلسة الافتتاحية في تمام الساعة العاشرة صباحًا بكلمة السيدة الأستاذة الدكتورة منى فؤاد عميدة كلية الألسن التي ألقاها نائبًا عنها السيد الأستاذ الدكتور عبد المعطي صالح وكيل كلية الألسن لشئون التعليم والطلاب مرحبا فيها بالمشاركين، وأعرب عن سعادته بتنظيم قسم اللغة العربية لمؤتمره الثاني في هذا الموضوع بالغ الأهمية، ثم ألقى الأستاذة الدكتورة نجوى عمر كامل رئيس المؤتمر ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الألسن كلمتها التي أوضحت فيها أن المؤتمر يناقش علاقة الشرق بالغرب، وهي علاقة وطيدة، وليس من الصحيح وجود عراك بينهما، ولكن الحقيقة هي أننا نريد التعرف على الوجه الآخر، ومعرفة كيف ينظر الغرب لنا، في محاولة للوصول إلى صورة ملائمة بين الثقافات العربية وعلاقتها بالآخر، وطالبت بضرورة تنقية أنفسنا من الشوائب والتعصب والعنصرية حتي نصل إلي حوار هادف بين الثقافات، ثم ألقى الأستاذ الدكتور ماجد الصعيدي مقرر المؤتمر كلمته التي تحدث فيها عن حركة الاستشراق وتاريخها وأنها أصبحت الآن من أكثر القضايا إلحاحًا في الوقت الراهن؛ إذ لا يزال العقل العربي غير قادر على حلها أو تجاوزها، ثم ألقى الأستاذ الدكتور علي النملة من المملكة العربية السعودية كلمة الباحثين العرب التي تحدث فيها عن دور العرب في نشر الثقافة على مستوى العالم، وألقى الأستاذ الدكتور جزيبي سكاتولين كلمة الباحثين الأجانب التي نفى فيها اتهام الغرب بالسيطرة علي الثقافة العربية، مشيرًا إلي أنه لابد أن نميز بين الاستشراق السياسي، الذي يتبع السياسات الأوربية، والاستشراق العلمي وهو ما نعنيه لأنه يفيد العالم، مطالبًا بضرورة التعاون في ذلك الأمر حتي تتواصل الحضارات لبناء أفضل مجتمعات، وقال إنه يتناول في بحثه الشاعر

الصوفي ابن الفارض، وقد أثبت فيه أن الدراسات الغربية تبذل الكثير من الجهد للوصول إلى معرفة متعمقة لهذا الشاعر، وهذا نموذج في التعاون في مجال العلم بين الشرق والغرب.

تضمن المؤتمر، إلى جانب جلساته الافتتاحية والختامية، ثلاث عشرة جلسة موزعة على أيام المؤتمر الثلاثة، تنوعت ما بين محاضرات عامة وعروض بحثية باللغتين العربية والإنجليزية.

وقد كانت الجلسة الأولى محاضرة عامة للأستاذ الدكتور حسن حنفي أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة بعنوان من "الاستشراق إلى الاستغراب"، وقد أدار هذه الجلسة أ. د. أحمد زكريا الشلق.

وقد تحدث الدكتور حسن حنفي فيها عن كيف تحول العلم من معلومات إلى حقائق ونتائج، مثل التجربة الفريدة التي قام بها مهاتير محمد في ماليزيا للنهضة والتقدم في الإنتاج العلمي والتكنولوجي، وقال إن التأليف والترجمة عنصران لعملة واحدة، وإن الأضلاع الثلاثة تتعاضد من أجل النهضة العلمية.

أما الجلسة الثانية فقد كانت بعنوان "مداخل إلى الاستشراق"، وقد أدارها الأستاذ الدكتور أنور مغيث، وتضمنت عددًا من الدراسات، توزعت على النحو الآتي:

د. عزت قرني	الوجه المقابل للاستشراق: نحن والغرب على ضوء سمات مفهوم "الثقافة"
د. مكارم الغمري	أجافانجيل كريمسكي والثقافة العربية (١٨٧١ - ١٩٤٢)
د. أحمد درويش	نماذج من دراسة المستشرقين الفرنسيين للثقافة العربية (بلاشير وأندريه ميكيل)
د. حامد أبو أحمد	دور الاستشراق في نشر الثقافة العربية في أوروبا والعالم
د. علي النملة	استشراق الشرق الأدنى والتجسير الثقافي: رؤية في المفهوم

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- الاستشراق حركة معرفية، علمية أو هكذا ظاهرها، موضوعها ثقافتنا السابقة، وأوضاعنا الحديثة، وهو ليس لوجه المعرفة المحضة، كما قديدي الغرب، وما قام الاستشراق في الغرب إلا لترشيد اختيارات وتحركات ساسته وجيوشه ومصارفه وشركاته، ورفض ثقافة الغرب لا يعني عدم الإحاطة التفصيلية بعلومه وبتكنولوجياه؛ لأن هذا أمر أدوات محايدة، تمامًا كما فعلت أوروبا حين أخذت من حضارة المسلمين علومها ومهاراتها وأدواتها، وطرائق إنتاجها، ولم تأخذ ثقافتها الحميمة أي تصوراتها عن الكون والإنسان والحياة.
- من أهم المستشرقين المستعربين في روسيا وأوكرانيا (أجافانجيل كريمسكي)، ويعد كتابه (تاريخ الأدب العربي الحديث) أول مرجع في الاستشراق الروسي، ويتناول بشكل منهجي تاريخ الأدب العربي في فترة القرن السادس عشر، وحتى ثمانينيات القرن التاسع عشر، وقدم فيه مادة كبيرة عالج من خلالها العديد من القضايا المرتبطة بتاريخ الأدب العربي في الفترة المشار إليها.
- لم يقتصر الاستشراق على الجانب التدريسي، بل هناك مستشرقون من كبار الأدباء في العالم أمثال: جوته في ألمانيا، وتولستوي في روسيا، لعبوا دورًا كبيرًا في التعريف بالثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

■ قسّم الغربُ الشرقَ ثلاثة شروق: شرق أدنى وشرق أوسط وشرق أقصى، والشرق الأدنى هو أوربًا الشرقية. والشرق الأوسط يشمل معظم الدول العربية وبعض الدول الإسلامية. وكل هذه التقسيمات مصنّعة، بينما أغفل الغربُ توزيعَ نفسه إلى غروب؛ سعيًا إلى توحيد هذه الجهة ثقافيًا، وربما أنه أراد لشرق أوربًا أن يكون خارج مصطلح الغرب؛ لما اتّسم به هذا الجزء من العالم من التبعية السياسية والفكرية للمعسكر الشرقي سابقًا، ولتصبح أوربًا "الغربية" وأمريكا بشقيها الشمالي والجنوبي ذات مسار ديني وثقافي واقتصادي عام وشامل، رغم الانقسامات الثقافية الجزئية التي أريد لها أن تذوب في مفهوم غربي معلّم ومعلوم. ويظل مصطلح الاستشراق مضطربًا موحياً في الأوساط الثقافية العربية والإسلامية بالسلبية في وجه المستشرقين المُسهمين تجاه التراث العربي الإسلامي، وتجاه الواقع العربي والإسلامي المعاصر وكانت الجلسة الثالثة بعنوان "الاستشراق بين الترجمة والتحقيق"، وقد أدارها أ. د. عامر الألفي، وكانت الدراسات فيها كما يأتي:

د. نجوى عمر كامل	ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإيطالية
د. فاطمة علي الصعيدي	الشرق مؤلفا والغرب محققا: دراسة في الحوار الحضاري بين السيوطي وسارتين
د. باهر محمد الجوهري	(صور مشرقة للإسلام في الثقافة العالمية): يوسف فون همر بورجشتال مستشرق أجاد نقل الثقافة العربية إلى أوربا والعالم الغربي
د. محمد نصر الجبالي	ترجمة الأدب المصري إلى الروسية: رواية "عزازيل" نموذجاً
إسلام فوزي	السياق المرجعي والاختيار البياني في ترجمة شعر نزار قباني إلى الإيطالية

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

■ تعد ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الإيطالي Federico Peirone مواكبة ثقافية للعصر وعلومه الحديثة؛ حيث اعتمد في مقدمته على الجديد في النظريات اللغوية، كمنظريّة الاتصال، وعلم العلامات (Semiology) وحاول أن يفهم القرآن الكريم في ضوءها. وقد أفاد هذا المستشرق الإيطالي من علم اللغة الحديث، واعتمد المقولات العلمية، وحاول التجرد من الأفكار الذاتية الموروثة في معالجته للموضوعات التي تختص بالقرآن الكريم؛ فقدم ترجمة تحاول الاتصاف بالموضوعية، وذلك باعتمادها على المنهج الوصفي. ومن ثم يتضح دور الحركة الاستشراقية — إذا نحينا جانباً الأهواء الذاتية، والموروثات التي تحتاج إلى تحقيق — في تقريب وجهات النظر بين الثقافات المختلفة، ومن ثم يحدث التفاهم والتعارف المطلوب بين شعوب العالم.

- تسعى دراسة الحوار الحضاري بين السيوطي وسارتين إلى إظهار ملامح الاتصال والتواصل بين الشرق والغرب، فالشرق ألف السيرة متمثلة في كتاب جلال الدين السيوطي (التحدث بنعمة الله) والغرب التقط هذه السيرة وحققها، وقدم دراسة عن الكتاب متمثلة في تحقيق المستشرقة الإنجليزية إليزابيث ماري سارتين.
- من الصور المشرقة للإسلام في الثقافة العالمية صورة المستشرق يوسف فون همر بورجشتال؛ فقد سعى بأعماله ومؤلفاته إلى التقريب بين كل من العالمين الشرقي والغربي، بل إنه سعى إلى جلب الشرق إلى قلب الغرب عن طريق التأليف والترجمة، فألف ما يزيد على المائة كتاب، لم يترك فرصة فيها إلا انتهزها لربط مواضيعها بالحقيقة الجلية للعرب والمسلمين، مبرزاً قدر التسامح في عقيدتهم، تارة عن طريق ترجمة مواضع من القرآن الكريم، وتارة من السنة المطهرة، وقد كتب مجلداً كاملاً عن سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.
- يتعلق البحث بتجربة ترجمة رواية عربية إلى اللغة الروسية والخطوات التي تعين المترجم على اجتيازها حتى خروج العمل إلى النور. كما يتطرق إلى الصعوبات الإدارية والفنية التي تواجه المترجم. يتطرق الباحث أيضاً إلى الصعوبات الترجمانية وخاصة عندما يتعلق الأمر بترجمة عمل فلسفي صعب بقيمة "عزازيل".
- تعد ترجمات متعددة لشعر نزار قباني من العربية إلى الإيطالية مادة فكرية وجمالية تنظر إليها القراءة الثقافية بوصفها وثيقة تعلن عن رؤية الذات للآخر وقدرتها على استيعابه وضمه إلى رصيدها اللغوي ليصبح جملة ثقافية في سطرها الذي يغذي أجيالا تلتهم في الإبداع عبر الحدود آفاقاً لوجودها الشعوري.

وكانت الجلسة الرابعة بعنوان "الاستشراق الإسباني"، ورأسها أ. د. قاسم بن أحمد بن عبد الله، وكانت الدراسات فيها على النحو الآتي:

د. حسام مختار العبادي	دراسات المستشرقين الإسبان في مجال الآثار الإسلامية بالأندلس
د. محمد محمد عليوة	دور المستعرب الإسباني إميليو غوث في اكتشاف قصة الصنم والملك وابنته ودراساتها وترجمتها
د. شيماء رضوان	نحو جيل جديد من المستعربات الإسبانيات
د. رشا أبو بكر غانم	المستشرقون الإسبان حول مآدبة الأدب الأندلسي

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- إلقاء الضوء على أمثلة من المستشرقين ودورهم في مجال الآثار الإسلامية بالأندلس أمثال إميليو جارثيا جوميث، وماريا خيسوس روبيرا، مايكل ايبالتا، خواكين بالبية، ماريا خيسوس

بيجيرا.

إن طرح أسماء بعينها ليس دليلاً على الحصر ولكن هي أمثلة قصد بها إظهار مدى تأثير هؤلاء المستشرقين في مجال ذي صلة بالتاريخ الأندلسي والأدب الأندلسي ألا وهو الآثار الأندلسية.

■ جهود المستعرب الإسباني إميليو غرثية غومث Emilio García Gómez (١٩٠٥-١٩٩٥) في الكشف عن المخطوطة العربية التي تحمل عنوان "قصة الصنم والملك وابنته" ودراساتها وترجمتها للغة الإسبانية، وهي مخطوطة لم يسبق نشرها

■ المستعربون الإسبان هم مجموعة من الإسبان الذين ظهوروا في مطلع القرن التاسع عشر واقتصروا في دراساتهم على اللغة العربية وآدابها وحضارة المسلمين وعلومهم في الأندلس. وظهر جيل المستعربات الإسبانيات متأخراً بعض الشيء عن نظرائهم المستعربين، ومن المستعربات في النصف الثاني من القرن العشرين "إسميرالدا خيجون ثاباتا"، "مانويلا مانتاناريث"، "ماريا خيثوث روبيرا" واللواتي سرن على درب نظرائهم المستعربين الذين اقتصرن أغلب دراساتهم وكتاباتهم على العلوم والآداب في الأندلس مع الاتجاه نحو دراسة الحركة الأدبية العربية في القرن العشرين وترجمة بعض الأعمال الأدبية. مع بداية القرن الحادي والعشرين ظهر "الجيل الجديد من المستعربات الإسبانيات"، مثل: "لوث غوميث غارثيا"، و"خيمة مارتين مونيوث"، وقد اتجهتا إلى عنصر جديد لم يكن مطروحا من قبل في دراسات الاستعراب وهو تحليل الأوضاع السياسية في العالم العربي ودراساتها، مثال: القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، والأوضاع السياسية المضطربة في الجزائر، الخ. واستمرت هذه الدراسات بالتزامن مع بدايات الاحتلال الأمريكي للعراق، ثم حدوث التوترات السياسية على مستوى المنطقة العربية مروراً بما يسمى بـ "الربيع العربي" ثم الأوضاع السياسية والاجتماعية الحالية وظهور الفكر المتطرف متمثلاً في تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". لم يقتصر دور هؤلاء المستعربات على تأليف الكتب أو حتى المشاركة في المؤتمرات ذات الشأن، ولكنهن اتجهن لكتابة المقالات الصحفية التحليلية والنقدية في العديد من المجالات والصحف في إسبانيا وأمريكا اللاتينية؛ مما أسهم في نشر أفكارهن وآرائهن بشكل أوسع. وقد لعبت هؤلاء المستعربات دوراً كبيراً في تحليل الأوضاع السياسية العربية بشكل يتسم، إلى حد كبير، بالموضوعية والحياد وذهبن أيضاً إلى تصحيح صورة الإسلام مع ظهور ما يسمى بـ "تنظيم الدولة الإسلامية" ونفي أن يمثل هذا التنظيم صورة الإسلام السمحة.

■ كان للمستشرق الإسباني (آسين بلاثيوس) ١٨٧١ - ١٩٤٤ (دور كبير في التعريف بتراث العرب العظيم في الأندلس، وأبان المستشرق الإسباني (خوليان ريبيرا) ١٨٥٨ - ١٩٣٥ أن المسلمين الذين فتحوا الأندلس لم يكونوا كالرومان الذين غزوا أوربا ببربرية ووحشية ومزقوا إسبانيا شر ممزق، بل جاء العرب لينقذوا إسبانيا من براثن الظلم والطغيان وتعايشوا معهم.

الجلسة الخامسة بعنوان "مسارات الاستشراق والاستغراب" برئاسة د. سعيد الوكيل، ووزعت الدراسات فيها على النحو الآتي:

د. إلهام بوطوب	Cross-Cultural Discourses: From Orientalism to Occidentalism من الاستشراق إلى الاستغراب
جان لوقا بارولين Gianluca Parolin	Al-Tahtawi "Translating" the 1814 French Charter. Crafting a New Semiotics of Law and Governance in 19th Century Egypt ترجمة شرطة عام ١٨١٤ الفرنسية: سيميائيات الطهطاوي الجديدة للقانون والحكم
خوان ف. كرابالو ريستو Juan F. Caraballo-Resto	Orientalist Christianity in the still Colonial Caribbean المسيحية المستشرقة في منطقة البحر الكاريبي المحتل
د. نهلة توفيق	ماكس مايرهوف وتقديم التراث العلمي العربي إلى الغرب

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- إسهام رفاة الطهطاوي بعد عودته من باريس في حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر، وأثره في تأسيس نظام العلامات في لغة القانون والحكم.
- حديث د. نهلة توفيق عن السيرة العلمية للمستشرق الألماني ماكس مايرهوف وتقديمه للتراث العلمي العربي إلى الغرب، فقالت إنه من أبرز المستشرقين في القرن العشرين، الذين أسهموا بشكل كبير في نقل الثقافة بين الغرب والعالم العربي الإسلامي مشيرة إلى أنه لم ينل بعد الاهتمام الكافي به، خاصة مشروعه العلمي العملاق الذي كان يهدف إلى كتابة تاريخ الطب العربي بالرجوع إلى المخطوطات العربية، نفسها، لتعريف الغرب بالمنجزات العلمية للعالم العربي الإسلامي.

الجلسة السادسة بعنوان "الاستشراق الإسرائيلي"، ورأس الجلسة أ. د. أحمد عبد اللطيف حماد، وكان توزيع الدراسات فيها على النحو الآتي:

د. محمد جلاء إدريس	توجيه الاستشراق الإسرائيلي - العبري لخدمة الحركة الصهيونية
د. جمال الرفاعي	السيرة الذاتية للمستشرق الإسرائيلي ريفلين دراسة تحليلية
د. منصور عبد الوهاب	تساؤلات حول الاستشراق اليهودي الغربي والإسرائيلي الشرقي
د. سيد علي إسماعيل	أبراهام دانينوس مستعمراً ومستعرباً فرنسياً وليس مستغرباً جزائرياً

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

■ توجيه الاستشراق اليهودي لخدمة الحركة الصهيونية من خلال دراسة د. جلاء إدريس أوضح فيها أن ارتباط اليهود بالحركة الاستشراقية في الغرب كان لأهداف دينية وسياسية واقتصادية. ومن أبرز الأمثلة علي ذلك ما ذهب إليه أحدهم وهو (شالوم زاوي) بتأويل النصوص القرآنية الكريمة تأويلاً صهيونياً، ينتهي إلي أن هذه النصوص القرآنية تقر وتعترف بالأحقية التاريخية لبني إسرائيل في أرض فلسطين، بالإضافة إلى تأكيد قضية الاختيار الإلهي لهم، بل وصل الأمر إلي اعتبار كل مسلم لا يقر باختيار إسرائيل، ومنحهم أرض فلسطين ملكاً لهم، من الكافرين بالقرآن الخارجين عن الإسلام، ويبرز التوجيه الصهيوني -أيضاً- لهذه الدراسات قضية القدس، لإثبات يهوديتها وطمس عروبتها، فضلاً عن قضايا صهيونية قدمت الدراسات الاستشراقية لها الدعم الكافي لنشرها في عملية تغيير اعتقاد القاريء العبري.

■ اكتسب ريفلين مكانة بارزة في الثقافة الإسرائيلية بفضل ترجماته العبرية للتراث العربي، فترجم معاني القرآن الكريم، كما ترجم السيرة النبوية لابن هشام. وعلاوة على هذا فقد ترجم ألف ليلة وليلة وعدداً كبيراً من أشعار عنتره بن شداد إلى اللغة العبرية. فيهتم بحث د. جمال الرفاعي بالتعرف على السيرة الذاتية لهذا المستشرق، والتعرف على الدوافع الكامنة وراء مشروعه الترجمي العملاق الذي تمثل في نقل أمهات الكتب العربية إلى العبرية، والتعرف أيضاً على دوره الاستشراقي في المشروع الصهيوني

■ إن إبراهيم دانيوس مستعمر ومستعرب فرنسي، وليس ((مستغرباً جزائرياً))؛ لأنه يوناني الأصل .. فرنسي الجنسية .. جزائري الإقامة، وبناءً على ذلك، لا يُعدّ رائداً عربياً للمسرح العربي، ولا يُعدّ رائداً جزائرياً للمسرح الجزائري؛ لأنه ليس عربياً ولا جزائرياً، بل هو فرنسي عاش في الجزائر خدمةً لفرنسا وأطاعها في الجزائر.

الجلسة السابعة بعنوان "الاستشراق وواقع الثقافة العربية الآن"، أدارها د. محمد رعوف حامد، وكانت محاضرة عامة بعنوان "تحو تحرير الثقافة العالمية من هيمنة المعيارية الغربية: الثقافة العربية المعاصرة نموذجاً" ألقاها الدكتور مجدي يوسف، وعلق عليها وناقشه في أفكارها كلٌّ من د. قدرى حفني ود. حامد الموصلي. وفيها أو ضحد. مجدي يوسف ذلك الاحتياج الصارخ لما ينتجه الغرب في مقابل ما نتقاعس عن إنتاجه لإشباع احتياجات غالبية شعوبنا. إن هؤلاء الذين يرفعون راية الانصياع التام للهيمنة الغربية في بلادنا يرون أن في المضي على نهجه، واللهاث وراءه ما يمكن أن يرفع عنا ما نحن فيه من تخلف.

الجلسة الثامنة بعنوان "علاقات أكاديمية في سياقات استشراقية"، وقد أدار الجلسة أ. د. سعيد الوكيل، وكانت ترتيب الدراسات فيها على النحو الآتي:

د. عمرو شطوري	تاريخ دراسة اللغة العربية بجامعة شارل بالعاصمة التشيكية براغ
د. نعيم أمين طلبة	دكتور عوني عبد الرؤوف وجهوده في التعريف بالاستشراق الألماني
د. ماجد الصعيدي	إسهامات مصرية في مؤتمرات المستشرقين (شوقي وطه حسين وأمين الخولي)
د. شكري مجاهد	الأساس الاستشراقي لاستراتيجيات الحرب اليوروأفريقية على الإرهاب في القرن الواحد والعشرين: قراءة في كتاب (المسلمون قادمون) لآرون كوندناني

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- إن دراسة اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة شارل العريقة (تأسست عام ١٣٤٨م) بالعاصمة التشيكية براغ يرجع إلي منتصف القرن التاسع عشر؛ حيث كان يتم تدريس اللغة العربية الحديثة في إطار دراسة الاستشراق. ومنذ ذلك الوقت لم تتوقف دراسة اللغة العربية في هذه الجامعة. وشهد هذا التخصص ظهور أساتذة عظام قاموا بتأليف مئات الكتب عن اللغة العربية وقواعدها وأيضاً المعاجم المختلفة الجامع منها والمتخصص وبالطبع قاموا بترجمة روائع الأدب والشعر العربي إلي اللغة التشيكية مثل ألف ليلة وليلة وثلاثية نجيب محفوظ والأيام لطف حسين وغيرها. في ستينيات القرن الماضي وبعد عودته إلي براغ أدخل دراسة العامية المصرية إلي برنامج دراسة اللغة العربية في جامعة شارل، وفي عام ١٩٩٣ تم تأسيس قسم مستقل يحمل اسم الشرق الأوسط وإفريقيا ويقوم هذا القسم بتدريس عدة تخصصات هي: الدراسات العربية، تاريخ وثقافة الدول الإسلامية، الدراسات العبرية، الدراسات الإيرانية والدراسات التركية. ويمنح هذا القسم درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.
- يعد الأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف من الأساتذة القلائل الذين قاموا بجهود استثنائية في التعريف بالاستشراق الألماني وتبسيط الضوء على أبرز الأعلام في المدرسة الألمانية في الاستشراق. وقد أحرز الدكتور عوني نجاحاً واضحاً في هذا المجال. لم تنقطع اتصالاته العلمية بدوائر الاستشراق الألماني وأعلام المستشرقين الألمان، باحثاً وأستاذاً زائراً وعضواً في قنوات علمية مشتركة مع جامعات ألمانية، وعضواً في جمعية المستشرقين الألمان. وكان حصول سيادته على جائزة فريدريش ريكتر من ألمانيا سنة ١٩٨٦ تنويعاً لجهوده في هذا المجال.
- المؤتمرات الدولية التي كان يعقدها المستشرقون بشكل دوري، منذ عام ١٨٧٣، كانت تضم المئات من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين والشرقيين، وكان يتم طبع أعمال كل مؤتمر في عدد من المجلدات تضم الأبحاث التي أقيمت فيه والمناقشات التي دارت بين المشاركين.

وكان يُشرف على تنظيم كل مؤتمر لجنة من علماء الدولة التي يُعقد فيها، لبحث جدول أعماله، وتحديد موعد انعقاده ومدته. وينقسم المشاركون أربع عشرة جماعة تتفرد كل منها بقسم من جدول الأعمال، وهي: «الدراسات المصرية القديمة»، و«الدراسات الآسيوية البابلية»، و«آثار الشرق الأدنى والعهد القديم»، و«آثار الكتاب المقدس»، و«الشرق المسيحي»، و«بيزنطية»، و«الدراسات السامية»، و«الدراسات الإسلامية (اللغة والأدب)»، و«الدراسات الإسلامية (التاريخ والفن)»، و«الدراسات التركية»، و«الدراسات الخاصة بإيران والقوقاز وما جاورهما»، و«الدراسات الهندية»، و«دراسات آسيا الوسطى»، و«دراسات آسيا الشرقية»، و«دراسات آسيا الشرقية الجنوبية»، و«الدراسات الإفريقية»، وقد أنتت دراسة د. ماجد الصعدي لتبين طبيعة مؤتمرات المستشرقين ودورها في توجيه الدراسات العربية، وطبيعة إسهامات المفكرين المصريين في هذه المؤتمرات، ونوع القضايا التي اهتموا بطرحها أمام مؤتمرات المستشرقين وتطورها من عصر إلى عصر ومدى ارتباطها بالنشاط الاستشراقي وتفاعلها معه من الوجهة البحثية الأكاديمية.

■ يطرح آرون كوندناني موضوعات الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب على الإرهاب طرحًا يجمع بين البحث العلمي النظري وبحث الحالة والبحث الميداني والنقد الصحفي. وهو إذ يكشف الأساس المعرفي لهذه الاستراتيجيات في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة يقرر أن "الدعوة إلى التطرف صارت العدسة التي ترى المجتمعات الغربية الإسلام من خلالها في نهاية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين". واتساقًا مع تراث الاستشراق يرى منظرو الإسلاموفوبيا أن الإرهاب الإسلامي لا علاقة له بسياسات الغرب أو حروبه بل مرجعه إخفاق الثقافة الإسلامية في التكيف مع الحداثة. وقد اجتهد واضعو استراتيجيات مكافحة التطرف والحرب على الإرهاب بغض النظر عن انتمائهم، في تحويل مقولات يعود بعضها إلى الحروب الصليبية إلى أطر عمل وصلت إلى "عرفنة" المسلمين بغض النظر عن أصولهم. يخلص المؤلف من بحثه إلى أن هذه الجهود حلقة في سلسلة مناهضة الفكر الديموقراطي الليبرالي؛ مما يعني أن مكافحة التطرف الإسلامي مجرد غطاء للانقضااض على حريات اكتسبتها المجتمعات الغربية، أي تحول جذري في أصول الحضارة العربية الحديثة نفسها.

الجلسة التاسعة بعنوان "الاستشراق في الرواية"، رأس الجلسة أ. د. محمد العبد، ووزعت

الدراسات فيها على النحو الآتي:

د. نادية جمال الدين	المقاربة بين الثقافات في إبداع الكاتب الإسباني المستعرب خوان غويتيسولو: كتاب "مقاربات لغاودي في كبادوكيا" أنموذجاً
د. سيد قطب	الإطار الذهبي: الخطاب النسائي في مصريات الاستشراق: قراءة في كتاب "كانت ملكة على مصر" لوفرد هولمز

د. أميمة عبد الرحمن	"مصر القديمة" لجيمس بيكي ترجمة نجيب محفوظ من التأريخ الحضاري إلى التوظيف السردي
د. أحمد محمد سليمان	صورة مصر في الأدب الإيطالي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
د. نادين مكرم واصف	إنريكو بيا و"فريق الوسط" في تحليل بناء شخصيات رواية "جودا"
منة الله جمال حسين حماد	المستشرق شخصية روائية، دراسة ثقافية موازنة بين "الجبيل" لفتحي غانم ورحلات الطرشجي الحلوجي لخيري شلبي

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- قدمت د. نادية جمال الدين مقاربة في إبداع الكاتب المستعرب الإسباني (خوان غويتيسولو)، فأوضحت أنه بدأ اهتمامه بالعالم العربي منذ نهاية الستينيات من القرن العشرين، ومن أبرز مقالاته: تاريخ الفتوحات الإسلامية ١٩٨٢، وغاية الحروف ١٩٩٥، وفي ممالك الطوائف ١٩٨٦. فنراه في مقالة بعنوان «الرئيس» يقارب ببراعة بين ما رآه في كبادوكيا بتركيا، وأعمال الفنان الإسباني غاودي، وفي مقال آخر بعنوان "مدينة الأموات" أو القرافة يقارب بين تجربة إقامته في المقابر بالقاهرة وقراءاته للقدس الإسباني سان خوان دي لاکروثو شعراء الصوفية، وهو من خلال مقالاته يحاول البحث عن رؤية جديدة مشتركة لخلق أسمى الحضارات الإنسانية من مجموع كل الحضارات.
- في حديث د. سيد محمد قطب عن الخطاب النسائي في مصريات الاستشراق، قدم قراءة لكتاب (كانت ملكة علي مصر) للمستشرقة الإنجليزية "لوفرد هولمز"، التي أقامت بمصر منتصف القرن العشرين، وفي كتابها تعالج رؤية نسائية للمرأة المصرية في العصور الفرعونية والبطلمية والعربية الإسلامية، من منظور ثقافي يهيمه كيف رأت المثقفة الغربية الشرق.
- وتقف دراسة د. أميمة عبد الرحمن على جهود المستشرقين في التأريخ لشغفهم باكتشافاتهم الحضارية والثقافية عن مصر القديمة، في الوقت نفسه الذي كان المفكرون والمبدعون المصريون يستهوهم شغف مضاعف بتاريخهم العريق في أعماق الزمان، فينتجون فنوناً تعبيرية متنوعة الأشكال زاخرة بالدلالات والرؤى. فتقف على أوليات الكتابة عند نجيب محفوظ التي بدأت بترجمة عمل تاريخي عن مصر القديمة، ومن ثم الكشف عن إرهاصات السرد التاريخي عنده (الذاكرة الفنية الفرعونية)، ومدى التأثير الذي أحدثه ذلك في أدبه السرد: القصصي والروائي.
- يتناول بحث د. أحمد سليمان صورة مصر في الأدب الإيطالي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من خلال أعمال الكتاب والشعراء الإيطاليين الذين ولدوا أو عاشوا في مصر، وخصوصاً مدينة الإسكندرية التي كانت قبلة للمهاجرين من عدة دول ومركزاً مهماً في البحر المتوسط.

■ من خلال دراسة أ. منة الله جمال يتبين أن الخطاب الروائي مادة ثقافية يمكن من خلالها تحليل ملامح شخصية المستشرق كما يراها العقل العربي، بعين مبدعة في سياق عالم حيوي خصب، يعالج قضية الاستشراق بأسلوب فني، معتمداً على أبجدية جمالية، تضع صورة المستشرق في إطار يتسع لعرض صفاته الشعورية، والذهنية، ومشكلته الوجودية، وأدواره الحضارية، ورؤيته الإنسانية. وقد اتخذت من راويتي "الجبلة" لفتحي غانم، و"رحلات الطرشجي الحلوجي" لخيري شلبي مادة للتحليل الثقافي.

الجلسة العاشرة بعنوان "نماذج من قراءة الاستشراق"، وكان رئيس الجلسة أ. د. محمد الوزير، ووزعت الدراسات كما يأتي:

د. سعدية مصطفى	المستشرق فيشر ومعجمه اللغوي التاريخي — دراسة تحليلية
د. سهام سعودي	دور المستشرقين في إثراء الدراسات العربية — فيلهاوزن نموذجاً
د. سميرة سعد حسن	منهج إيجناس جولدتسيهر في القراءات القرآنية: دراسة في نقد المنهج في كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي"

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- اشترك المستشرق الألماني أوجست فيشر (١٨٦٥-١٩٤٩ م) في تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأسهم في وضع المعجم العربي الحديث، وظل يجمع مادته ويؤبها مدة أربع سنوات، ثم عاجلته المنية فلم يكمله، وتحمل المجمع لم شعث ما تفرق من مواد معجمه؛ وفاءً لجهوده وتقديرًا وعرفاناً له، وطبعه عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ولم يحتو إلا على مقدمة طويلة لفيلشر وبعض مادة الهمزة إلى (أبد)، وأطلق عليه "المعجم اللغوي التاريخي" واشتهر بـ "معجم فيشر".
- إن فيلهاوزن أول مستشرق أفاد من تاريخ الطبري، وكان مصدره في كتبه ومقالاته وترجم منه إلى الألمانية كتابين: الدولة العربية وسقوطها " والأحزاب المعارضة الدينية والسياسية في صدر الإسلام" كما أصدر كتابه عن " بقايا الوثنية العربية " عام ١٨٨٧م في برلين، وصدرت الطبعة الثانية ١٨٩٧م ضمن سلسلة بعنوان " تخطيط وإعداد " ويعد هذا الكتاب مصدراً للثقافة العربية وللحضارة الشرقية بعامة ولم يرجع فيلهاوزن فيه إلى كتاب الأصنام لابن الكلبي ت (٢٠٤هـ)، بل رجع إلى النصوص التي نقلها عنه ياقوت الحموي ت (٦٢٦هـ) بمعجم البلدان. وقد رجع كذلك إلى مراجع كثيرة أخرى مكنته من جمع مادة غزيرة في الميدان الذي أراد توضيحه وهو يستند إلى أسماء الأشخاص والقبائل والأماكن التي تحمل أسماء الآلهة، وصدر له بالسلسلة نفسها " مقدمة إلى أقدم تاريخ الإسلام " وهو دراسة تاريخية نقدية لعصر الخلفاء الراشدين الأربعة، ويذكر فيها روايات مختلفة لحوادث جرت في ذلك العصر، ويرجح بعضها على بعض؛ لأنه يرى أن هذه الرواية أو تلك أحسن اتساقاً وتنظيماً من غيرها، وهي أدق وأصدق، وهو بهذا يلقي الضوء على هذا العصر، ويوثق الروايات التي رويت عنه، وبذلك تصبح دراسته دراسة جيدة يمكن الاعتماد عليها وفيها تتجلى قدرته على النقد التاريخي.

▪ فندت د. سميرة سعد في بحثها المنهج الذي اتبعه إيجناس جولدتسيهر في دراسة القراءات القرآنية في كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي"، ووضعت مقولاته تحت مجهر الفحص والتحليل والمساءلة، مطبقة المنهج النقدي التحليلي، بهدف تبادل الخبرات العلمية ونشر الوعي للموضوعات التي تتعلق بالهوية العربية الإسلامية الحضارية، وما تتميز به من سمات الاستقلال الفكري والمنهجي؛ مما يحقق التواصل المعرفي الصحيح بين الثقافة العربية الإسلامية وثقافات العالم شرقاً وغرباً، حالاً ومآلاً.

الجلسة الحادية عشرة بعنوان "الاستشراق بين التوجه الأيديولوجي والإنجاز المعرفي"، رأس الجلسة أ.د. شكري مجاهد، وكانت الدراسات فيها كما يأتي:

د. عبد الحميد مذكور	عن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار: الحملة الفرنسية على مصر نموذجاً
د. جوزيبي سكاتولين	الدراسات الغربية عن ابن الفارض في العصر الحديث
د. إبراهيم عوض	كرستوف لكسنبرج ودعوى سريانية القرآن
د. محمد البويسفي	مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية وأثرها في الفكر العربي المعاصر
د. منى فهمي غيطاس	القصيدة العربية القديمة بين المناهج السياقية والمناهج النسقية، قراءة في إشكالية المنهج في الخطاب الاستشراقي

من أبرز الموضوعات التي تعرض لها الباحثون في عروض دراساتهم:

▪ من خلال دراسة د. عبد الحميد مذكور عن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار: الحملة الفرنسية على مصر نموذجاً، تبين أن كتابات إدوارد سعيد قد ألقت الضوء على الجانب السياسي من أهداف الاستشراق، لافتاً - إدوارد سعيد - إلى أن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار لا ينبغي أن تكون موضعاً للجدل وكان من أسبابها الارتباط بين النزعات الشخصية الذاتية والمعارف المستخلصة من العلوم الإنسانية؛ فالاستشراق الحديث حمل في طياته معالم الخوف الأوربي العظيم من الإسلام، موضحاً أن ما حدث في الحملة الفرنسية على مصر يؤكد هذه العلاقة بين الجانبين.

▪ تناول د. إبراهيم عوض المستشرق المجهول الجنسية والهوية كرسستوف لكسنبرج (Christoph Luxenberg)، وبحثه المعنون بـ "سورة النجم: قراءة سريانية - آرامية جديدة" طبق فيه، على صدر سورة "النجم"، دعواه الطويلة العريضة عن غير علم أو منطق أو برهان بأن في القرآن أشياء كثيرة لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى اللغة السريانية؛ لأنها مأخوذة من تلك اللغة لفظاً ومضموناً، إذ كان لمحمد معاونون ممن يعرفون لغة السريان يساعده على تأليف القرآن وشحنه بالكنوز الدينية السريانية. وهذا البحث مترجم إلى العربية بقلم التونسي ناصر بن رجب،

ومنشور في موقع "الحوار المتمدن". ولكرستوف لوكنسبرج كتاب كامل في دعوي استعانة النبي بالسريان في تأليف القرآن اسمه بالألمانية: "Die Syro-Aramäische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Koransprache", وبالإنجليزية: "The Syro-Aramaic Reading of the Koran: A Contribution to the Decoding of the Language of the Qur'an". وهو أساس تلك الصرعة السريانية الحالية في ميدان التفسير القرآني التي يراد منها نشر التشكيك في القرآن وفي نبوة محمد بين المسلمين بكثرة الإلحاح عليها هنا وهناك.

■ بيان مناهج المستشرقين في الدراسة القرآنية وأثر هذه المناهج في الفكر العربي المعاصر، من خلال معالجة الإشكالية الآتية: ما هي مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية؟ وما مصداقية هذه المناهج وموضوعيتها؟ وما هي نتائج اعتماد هذه المناهج على التصور الغربي للعالم العربي والإسلامي؟ وما أثر هذه المناهج في الفكر العربي المعاصر؟

■ تناولت د. منى غيطاس وفق توجه موضوعي ظاهرة الاستشراق في حضورها النقدي؛ للكشف عن جهود المستشرقين في قراءة القصيدة العربية القديمة؛ من خلال منهج تحليلي يتوخى استشراف الجوانب السلبية والإيجابية لهذا الاقتراب دونما تسليم مطلق لنتائجه. ولا يزعم هذا البحث أنه أول من سلك هذا الطريق؛ فقد سبقته دراسات نقدية من طرق متنوعة لا تلنقي بها في اتجاه واحد، بل تتوزعها مسالك ودروب شتى لباحثين عرب ومسلمين كثر في العصر الحديث، كما خاضه مستشرقون أنصفوا الدرس النقدي العربي.

الجلسة الثانية عشرة بعنوان "مواقف من الاستشراق والمستشرقين"، وقد أدار الجلسة أ. د.

مفلح القحطاني، وكان ترتيب الدراسات في الجلسة على النحو الآتي:

د. نيفين محمد كمال	المستشرقون ومحاولات تحريف النص القرآني
د. ناصر محمود وهدان	الاستشراق في الدراسات القرآنية: دراسة تحليلية في أصنافهم والمآخذ عليهم
د. هاني محمود حسن	نقد الاستشراق بين التاريخ والواقع

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

■ لا يعني نقد الاستشراق خلو الحركة الاستشراقية (الأكاديمية) من مزايا أو إنكار الإسهامات التي قدمها بعض المستشرقين (الأكاديميين) في خدمة التراث العربي والإسلامي، إلا أن هذه الإسهامات ليست شيكاً على بياض يجعلنا نغض الطرف عن المفاصد الناجمة عن النزعة العنصرية التي جعلت الاستشراق مطية للاستعمار والإمبريالية، وإذا كان الاستشراق يأبى أن يعدل في منهجه ليصوغ خطاباً منصفاً فلا أقل من أن نضع أمام بني جلدتنا هذه الحقائق التي اعترف بها المنصفون من المستشرقين أنفسهم.

▪ دوافع المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، وتاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، وبيان ترجمة المستشرق الفرنسي "ريجيس بلاشير" لمعاني القرآن، مع ذكر نماذج من تحريف بلاشير للنص القرآني.

الجلسة الثالثة عشرة بعنوان "الدراسات العربية في الشرق الأقصى"، وكان رئيس الجلسة أ. د. شكري مجاهد، وقد وزعت الدراسات فيها على النحو الآتي:

د. ناصر عبد العال	الدراسات العربية في الصين : قراءة بانورامية نقدية
د. هشام المالكي	قراءة في كتاب «التفاعل بين القومية والدين: دراسات في العلاقة بين القومية العربية والدين الإسلامي»
د. علاء الجابري	حوار الثقافات يفترض تفاعلاً لا نتقنه: اللغة العربية في كوريا
أ. محاسن محمد محمد	الدراسات العربية في كوريا تطبيقاً على ترجمة كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع للمستعربة الكورية "أى ونج أين"

ومن أبرز النقاط التي تناولتها هذه العروض البحثية:

- تاريخ الدراسات العربية في الصين منذ دخول الإسلام، مروراً بالعهود الإمبراطورية للأسر تانغ وسونغ ويوان ومينغ وتشينغ، ثم فترة الحكم الشيوعي ١٩٤٩، ثم فترة ما بعد الإصلاح والانفتاح ١٩٧٨ حتى اليوم .، ودور مراكز الأبحاث والجامعات في الدراسات العربية ونوعية ما تقدمه من أبحاث ودراسات متعلقة باللغة العربية وآدابها والدراسات التاريخية والفلسفية والاجتماعية العربية، مثل (جمعية بحوث الأدب العربي) و (مركز نينغ سيا للدراسات العربية) وغيرها نموذجاً، وحركة الترجمة من العربية إلى الصينية في مجالات المعرفة المختلفة مثل "ترجمة معاني القرآن الكريم" و"ألف ليلة وليلة" و"تاريخ العرب العام" و"تاريخ الأدب العربي" و"الأعمال الكاملة لجبران خليل جبران" و"مقدمة ابن خلدون" وغيرها. وأشهر المترجمين مثل نا تشونغ ومحمد ماكين وتشو ويلي وغيرهم، والعمل المؤسسي المنتظم في مشروعات الترجمة والنشر.
- عرض لكتاب «التفاعل بين القومية والدين: دراسات في العلاقة بين القومية العربية والدين الإسلامي» للمؤلف الصيني ليو جونغ مينغ. ويعرض الكتاب بشكل تاريخي العلاقة المتشابكة بين القومية العربية والإسلام، كما يحلل العلاقة بين النزعات القومية العربية والتيارات الإسلامية عبر فترات تاريخية مختلفة. ويصل إلى تحليل دقيق للوضع العربي الراهن الذي يتمثل في التفكك السياسي للأمة العربية وعدم التمكن من مواجهة المشكلات الراهنة وتفاقم الصراع بين دعاة القومية بتوجهاتهم المختلفة والإسلاميين على اختلاف تياراتهم. والكتاب لا يقدم فقط عرضاً لتاريخ التشابك بين القومية العربية والإسلام، بل يوضح كيف تقوم الدراسات العربية في الصين ومقدار العمق فيها والمنهجية العلمية المتبعة.

- من وحي تجربة ذاتية لد. علاء الجابري في تعليم اللغة العربية للكوريين مدة عامين تبين أن تعليم اللغة القومية لغةً ثانيةً يمثل انعكاساً للاعتزاز بها، ومظهرًا لنشر الثقافة، وتجليًا لسيادتها، وإبرازًا لمسيرة من مقولات تطويرها، وتجسيدًا للاهتمام بها، كما أنها ترتكن على مقولات تربوية تخص تعليم اللغة الثانية.
- تناولت الباحثة محاسن محمد الدراسات العربية في كوريا الجنوبية من خلال ترجمة كتاب "كليلة ودمنة" الذي ألف في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وهو أحد كتب التراث التي تلقت من الآخر وأعطته، ولم يقف أثره على أدبنا العربي بل تعداه إلى الآداب الأخرى؛ حيث تُرجم إلى أكثر من ستين لغة منها الكورية. وتكمن أهمية دراستها في أنها أول دراسة علمية حول الترجمة الكورية لهذا الكتاب، وبأكورة ترجمة الاستعراب الكوري للأدب العربي.

وقد انتهت فعاليات المؤتمر بعقد الجلسة الختامية بحضور السيدة الأستاذة الدكتورة منى فؤاد عميدة الكلية والأستاذة الدكتورة نجوى عمر كامل رئيس المؤتمر؛ حيث أُلقت كلُّ منهما كلمتها، ثم عُرضت التوصيات التي خرج بها المؤتمر، وكُرِّم المشاركون في المؤتمر والقائمون عليه، ووزعت عليهم الدروع وشهادات التقدير.

وتمثلت التوصيات في:

١. التوسع في ترجمة ما يكتبه الأجانب عمومًا والمستشرقين خصوصًا عن مصر والعالم العربي والحضارات الشرقية
٢. التوصية بكتابة الرسائل الجامعية في أقسام اللغات بلغة التخصص وباللغة العربية.
٣. تعميم تدريس كتابات المستشرقين في الجامعات المصرية في مرحلتي الليسانس والدراسات العليا إن أمكن أو في إحداها على الأقل.
٤. ترجمة ما نكتبه نحن عن الحضارات العربية والشرقية إلى اللغات الأجنبية من خلال مراكز الترجمة بالجامعات والمؤسسات الثقافية، وتوزيع تلك الترجمات من خلال الهيئة العامة للاستعلامات والملحقيات الثقافية والمكاتب والمراكز الثقافية التابعة لوزارة التعليم العالي.
٥. عقد ندوات ثقافية دورية لتوعية الطلاب بحركة الاستشراق بسلبياتها وإيجابياتها.
٦. التوسع في فتح قنوات علمية مشتركة لمنح طلاب الماجستير والدكتوراه مع التوصية بوجود مشرف عربي إلى جوار المشرف الأجنبي
٧. إنشاء وحدات إلكترونية خاصة بالجامعات لمتابعة ما يكتبه الغرب عن الحضارات الشرقية على المواقع والصفحات والمدونات والرد على ما يرد فيها من مغالطات
٨. مشروع موسوعة عربية في كلية الألسن للاستشراق والمستشرقين يتم تحديثها بشكل دوري.
٩. إنشاء مركز بحثي بكلية الألسن يُعنى بدراسة حركة الاستشراق.

رسائل جامعية

الصورة الشعرية في مدائح البحري

من المكون التشكيلي إلى القراءة الثقافية^(١)

نهى مختار محمد

إن قراءة النصوص التراثية العربية تماثل فكرة التنقيب عن الآثار والكنوز التي تحتفظ بها الأمة وتشكل بها ثقافتها وتاريخها وتحدد بها ملامحها وهويتها ، تلك القراءة تتطلب تطبيق مناهج جديدة تعيد اكتشاف تلك الكنوز التراثية وتستخرج منها قيما جديدة من شأنها تعميق فهم التجربة الجمالية والثقافية التي يعكسها الإبداع بوصفه مظهرا حضاريا من مظاهر حضارة الأمم ، ومن شأنها كذلك ربط الماضي بالحاضر والمستقبل وإقامة جسور تواصل بينها تجعل للقيمة الجمالية والفكرة الثقافية معينا ممتدا يمكن تلمس آثاره عبر العصور وكشف تحولاته ومساراته وتغيّر ملامحه من جيل إلى جيل.

وفي هذه الدراسة يمثل ديوان البحري هذا التراث ، الذي يمكن - بإعادة قراءته قراءة بلاغية وثقافية- كشف ملامح جديدة تسكن تجربة الشاعر الدالة على رؤية جمالية وثقافية تشغل مساحة واضحة في تاريخ الإبداع العربي؛ بوصف الشاعر البحري صاحب بصمة ثقافية يمكن من خلالها استخلاص كثير من ملامح الثقافة العربية في طورها العباسي الذي ينتمي إليه الشاعر الذي يعد امتدادا لعصور سابقة وإرهاصا لعصور قادمة.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى محاولة الجمع بين الدرس الجمالي والدرس الثقافي عن طريق تطبيق ذلك على دراسة الصورة الشعرية في مدائح البحري التي يمكن من خلال تحليلها التوصل إلى بعض ملامح الرؤية الجمالية والرؤية الثقافية التي يرى بها المبدع تجربته الخاصة التي تنماس مع تجربة الإنسان الكلية في الكون، كما تهدف الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما العلاقة بين الصورة والثقافة في قصيدة المدح كما يمثلها البحري؟
- ما المصادر الكبرى التي يشكل منها المبدع صوره الشعرية، وما علاقتها بتجربة المدح؟
- ما سمات العالم الموازي الذي يصنعه المبدع عن طريق الصورة والاستعارة؟

(١) نوقشت هذه الرسالة بقسم اللغة العربية بكلية الألسن جامعة عين شمس لنيل درجة ماجستير الألسن في اللغة العربية تخصص الدراسات الأدبية في ٣١ من ديسمبر ٢٠١٦م، وقد تشكلت لجنة الحكم من: أ.د/ محمد عبد الرحمن شعيب (مشرفا ومقررا)، وأ.د/ حسن أحمد البنداري (عضوا)، وأ.د/ عاطف السيد بهجات (عضوا)، وأ.د/ سعاد صالح عبد المطلب (مشرفا)، وقد قررت لجنة الحكم منح الباحثة درجة الماجستير بتقدير: ممتاز، مع التوصية بتبادل الرسالة بين الجامعات.

■ ما الأنساق الثقافية المعلنة والمضمرة التي تسكن الصورة الشعرية وقصيدة المدح؟

مصادر الدراسة:

تعتمد الدراسة على ديوان البحري بتحقيق حسن كامل الصيرفي، طبعة دار المعارف عام ١٩٦٣م، ويشمل الديوان تسعمائة وثلاثاً وثلاثين قصيدة ومقطوعة من بينها أربعمئة قصيدة في موضوع المدح تم الاطلاع عليها كاملة واختيار مائة قصيدة منها مادة للبحث، وكانت أسس الاختيار أو المعايير التي تم اختيار القصائد من خلالها كالاتي:

١- شمول القصائد طبقات الممدوحين التي حصرها البحث في [الخلفاء- والوزراء- والكتاب-

وقادة الجيوش- والولاة- والعمال- والمعارف العامة والصدقات].

٢- شمول القصائد أنساق المدح المعلنة لديه التي تشمل [المدح على الطمع- والمدح على الحاجة-

والمدح على سبيل الرشوة- والمدح على الوفاء].

٣- اختيار القصائد بحسب جدة القصيدة وعمقها وتشكيلها الجمالي بحيث تحقق وفاء وغناء عن

استحضار قصائد أخرى مع ضرورة الوضع في الاعتبار سائر الصور الشعرية التي ترددت

في القصائد الأخرى التي تم الإشارة إليها في الهوامش لضمان صحة النتائج والحفاظ على

منهجية البحث العلمي.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي في دراسة الصورة الشعرية من وجهة بلاغية عند البحري، بكشف نوع الصورة وتحديد مجال المصدر ومجال الهدف والجامع بينهما، ثم ينتقل التحليل من المستوى الجزئي إلى المستوى الكلي الذي يعنى بتحديد المجالات الكبرى للصورة والأفق الدلالي الذي يحكم العلاقات المختلفة داخل إطار الصورة، كما تعتمد الدراسة على منهج القراءة الثقافية في قراءة الأنساق المعلنة والأنساق المضمرة في خطاب المدح بوجه عام وفي الصورة الشعرية على نحو خاص.

خطة الدراسة: تنقسم الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، يليها الخاتمة، وقائمة المصادر

والمراجع والفهرس.

المقدمة: وتشمل أهداف الدراسة، ومصادرها، والمنهج المتبع فيها، ومراجعة لأدبيات البحث

والدراسات السابقة، وعرض خطة البحث.

التمهيد: البحري ومحيطه الثقافي، وفيه عدة محاور:

- الميلاد والنشأة.

- ثقافة الشاعر.

- السياق الثقافي.

- التجربة الإبداعية.

الفصل الأول: المرجعية والمنظومة الاصطلاحية بين القراءة البلاغية والقراءة الثقافية، وفيه

ثلاثة مباحث:

- الأول: مدائح البحترى في ضوء مفهوم مقتضى الحال.
- الثاني: الصورة الشعرية في ضوء البلاغة والمكون التشكيلي.
- الثالث: القراءة الثقافية.

الفصل الثاني: الصورة الشعرية في مدائح البحترى "قراءة بلاغية"، وفيه ثمانية مباحث قسمت

بحسب مصادر تشكيل الصورة كالآتي:

- صورة الماء/ صورة السماء/ صورة الضياء/ صورة الحيوان/ صورة السيف/ صورة الجبال/ صورة الجواهر/ صورة الربيع.

الفصل الثالث: الصورة الشعرية في مدائح البحترى "قراءة ثقافية"، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأنساق المعلنة في قصيدة المدح عند البحترى:

- المدح على الطمع.
- المدح على الحاجة.
- المدح على سبيل الرشوة.
- المدح على الوفاء.

المبحث الثاني: الأنساق المضمرة في الصورة الشعرية في مدائح البحترى ويشمل:

- أولاً: الموروث الثقافي للصورة المائية.
- ثانياً: الأنساق المضمرة في استعارة الشمس والقمر.
- ثالثاً: صورة الممدوح وفكرة التنافس والتسخير والنموذج.
- رابعاً: البعد الثقافي في ربط سياق الحرب بسياق الغزل العذري.
- خامساً: توظيف الصورة الجاهلية والصورة الأسطورية.
- سادساً: التورية الثقافية في مدائح ابن وهب.
- سابعاً: قصيدة المدح وصورة الآخر في وصف الربيع.

ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة يليها ثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

ومن أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة:

كشف ملامح العالم الجمالي الذي شكله الشاعر عن طريق الصورة، وقد تم التوصل إلى عدة

نتائج يمكن إيجازها في الآتي :

- ١- الحقول الكبرى التي تتشكل منها الصورة الشعرية عند البحترى تشمل: العنصر الحيوي، والعنصر الطبيعي، والعنصر الشئني، أي الروح والطبيعة والجماد، وتكون المحسوسات هي

المنطقة الفاعلة الصانعة للصورة لديه، وهذا يعني أن مجال المصدر -طبقاً للتحليل الاستعاري الحديث- ينحصر في الطبيعي والحيوي والشئني، في حين أن مجال الهدف يستحوذ عليه شخصية الممدوح، فهو الغيث والشمس والقمر والنجم والأسد والجبل، ويأتي بعده في مجال الهدف القيم المعنوية المرتبطة بالممدوح: كأخلاقه ورأيه ومذهبه ومقامه، ثم القيم المادية شديدة الارتباط به مثل إنتاجه الأدبي.

٢- سلطة الطبيعة هي الأكثر استحواذاً على المعجم التصويري لدى البحثري، فتتشكل الصورة عنده من معطيات الطبيعة من حوله دون الصورة الذهنية أو المغرقة في الخيال، وهذه النزعة الرومانسية المبكرة ربما تعد تجسيدا لقول المعري: "والشاعر البحثري".

٣- استلهم الصورة القرآنية يعد أحد أهم مكونات الخيال لدى البحثري، بوصف القرآن الكريم هو المرجعية الثقافية والمعجمية للرؤية العربية للعالم.

٤- قصيدة المدح عند الشاعر العربي الذي يمثله البحثري في هذه الدراسة تعد لوحة لديها إطار وقلب: الإطار مدح معلن، والقلب رؤية جمالية محضة تتضمن نقداً غير معلن.

٥- الصورة الشعرية في خطاب المدح جعلت للاستعارة طبيعة تبدو وكأنها تنتمي إلى جوهر نظرية الأفعال الإنجازية، لتتحول الاستعارة الجمالية إلى استعارة إنجازية إن صح التعبير، لا يمكن الاعتراف بها إلا بتطبيقها تطبيقاً عملياً يحاكي أثر الشمس والقمر والنجوم والماء والجبال دون الاكتفاء بإشباع الجانب الجمالي الذي تعكسه هذه الصور، وإنما بتجاوزه إلى وجوب استحقاق تلك الصور الشعرية عن طريق الفعل المنجز الملموس.

٦- الاستعارة تعد ممارسة فنية لعملية الإحلال والتبديل والتوفيق، فالشاعر يتحرر بالاستعارة من مرجعية الممدوح الذي يتكرر باستمرار في القصيدة ويحل محله صورة كونية بناء على معجمه التصويري بما يعطي نظرة أوسع للعالم، وفي الوقت نفسه تكون تلك الصورة قناعاً جمالياً يخفي به شيئاً من ملامحه، ويحرره من القيود الإنسانية المرتبطة بالزمان والمكان إلى صورة كونية جمالية ذات مساحة أكبر ومجال مرئي أوضح وأشهر.

٧- دراسة الأنساق الثقافية المعلنة في قصيدة المدح عند البحثري كشفت عن عدة نتائج أهمها:

- في نسق المدح على الطمع: تبين أن هناك عاطفة أقوى من الطمع هي التي تتحكم في المرسل إليه في تجربة المدح في العصر العباسي، وهي الرهبة التي أعلن عنها ابن الرومي في قصيدة ذم القمر في قوله:

لا لأجل المدح بل خيفة الهجو أخذنا جوائز الخلفاء

- استعارة الصورة الشعرية من مجال المنسوجات عن طريق تشبيه قصائد المدح بالثياب والوشى والبرود وتشبيه الشاعر بالنساج يعكس إدراك الشاعر لدور قصيدة المدح في تزيين المرجع/ شخصية الممدوح وتجميله وستره وحمايته وإخفاء عيوبه.

- في نسق المدح على الحاجة: تبين أن توظيف البنية الاستفهامية باستخدام (هل والهمزة) للدلالة على الطلب يبدو على المستوى السطحي تأدبا مع الممدوح وترك حرية الاختيار له في أن يقبل بـ (نعم) أو يرفض بـ (لا)، وقد مثّل هذا في ميزان النقد والبلاغة النموذج الأمثل للطلب فيما يحويه من جمال وخلق، في حين أن القراءة الثقافية لعمق العلاقة بين المادح والممدوح تفسر ثنائية (نعم أو لا) تفسيراً يجعله في الحقيقة بين خيارين: قصيدة المدح أو قصيدة الهجاء.
- في نسق المدح على الوفاء: تبين أن الاستعانة بكتب التراجم تعمق القراءة الثقافية حيث تقدم أحيانا السياق الخارجي المحيط بالتجربة الإبداعية، تمثل ذلك في نسق المدح على الوفاء الذي كشف عن فكرتين أصيلتين في الثقافة العربية:
- الأولى: رسوخ ثقافة مكافأة الشاعر المّداح مهما كان عليه المانح من ضيق وعوز، حتى وإن كان الشاعر صادق الزهد فيما عنده، ويمثل ذلك خروجاً عن القانون الثقافي الذي يفترض تحكم عاطفة الرهبة بشكل أساس في سلوك المرسل إليه.
- الثانية: تقديس العربي -الذي يمثله في هذه الدراسة أحد ممدوحى البحترى- لقيم الوفاء والجمال والإبداع جعلته يؤثر أن يبيع بيته ليسكن بيت الشعر على أن يسكن بيتاً من جدران وحجارة زائلة، وبهذا يحيا في الذاكرة الجمعية للأمة، مصاحباً كل قارئ لديوان العرب، فيتردد ذكره مع الإبداع الذي يتردد إيقاعه أبد الدهر.
- ٨- دراسة الأنساق المضمرة في قصيدة المدح عند البحترى كشفت عن عدة نتائج يمكن إيجازها في الآتي:
- إن التراسل بين الماء والأخلاق في المعجم التصويري لدى الشاعر يفضي إلى رؤية حضارية ترتبط مقوماتها بالماء كما ترتبط بالأخلاق على نحو من المساواة.
- غزارة الصورة المائية في ديوان البحترى وجعلها أصل الصورة لديه بحيث تشغل المساحة الكبرى من مساحة التصوير يتماهى مع الرؤية الإيمانية للعالم التي تجعل الماء أصل كل شيء حي، في قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" [الأنبياء ٣٠]، وبهذا تكتسب القصيدة عنصر الحياة بفضل العنصر المائي الذي يجري بداخلها، وبالتالي فإن الممدوح في إطار هذه الفكرة يكون عليه مسئولية الحفاظ على تلك الحياة.
- استعارة الشمس والقمر في صناعة الصورة المدائحية أثرت القراءة الثقافية بدلالات عدة تجعلها تجسيدا لأنساق مختلفة تسكن البنية العميقة للصورة، فتجعل تعاقبهما تجسيدا لنسق الخلافة التي ينبغي أن تسير سير السنة الكونية في التحالف السالم المحمود المتكامل، تلك السنة التي افتقدها قانون الخلافة في العصر العباسي الذي ينتمي إليه البحترى. كما أفضت استعارة صورتى الشمس والقمر إلى نوع من تحقيق المساواة الجمالية بين البشر الذين

- ساوت الصورة الشعرية بينهم وحقت لهم وجودا مشتركا ينقل ميزان التفاضل بين البشر من الأسس القائمة على العنصرية والطبقية إلى ميزان أخلاقي يتفق مع الرؤية الإسلامية التي تجعل أساس التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح.
- ارتباط سياق الحرب بسياق الغزل العذري الذي كشفت عنه قصيدة المدح اعتمد في التحليل الثقافي على النظرة الثقافية للمرأة بوصفها وطنا وسكنا، وهذا يخرج شخصية القائد من إطار العدو المغتصب إلى إطار شخصية الفاتح المنتظر والمحرم السلمي المعشوق.
 - ظاهرة التورية الثقافية أو التوجيه البلاغي في قصائد المدح تعد نوعا من تمرد الشاعر على صفة النفاق التي تصاحب نسق المدح عادة في العصر العباسي، وذلك بالتعويل على ذكاء المتلقي في فهم تلك التورية وكشفها عن طريق إزالة الغطاء الجمالي الذي غلف به الشخصية عبر تحليله تحليلًا يعتمد على مرجعيات لغوية وثقافية مختلفة.
 - توظيف الصورة الجاهلية والصورة الأسطورية في الخطاب الشعري يحفظ لتلك الصور وجودها وحضورها وبها تكون اللغة متحفا للتقاليد والموروثات القديمة حتى لو افتقدت تلك الصور البعد السلوكي أو الوجودي أو الحيوي.

الأسس النظرية للمشروع الفكري لأسين بلاثيوس

وأثرها على أعماله عن ابن حزم القرطبي - دراسة وتحليل^(١)

إيناس علي أحمد

إن البدايات العلمية والأكاديمية الأولى للاستعراب الإسباني ترجع إلى كتابات باسكوال جاجينجوس أرثي (*Pascual Gayangos y Arce*) (١٨٠٩-١٨٩٧) الذي شغل كرسي الدراسات العربية في جامعة مدريد المركزية عام ١٨٤٣. منذ تلك اللحظة المهمة في تاريخ الاستعراب الإسباني بدأ المستعربون الإسبان في إرساء قواعد مدرسة وتقليد خاص بهم قائم على علاقة التواصل بين الأستاذ والتلميذ.

هذه العلاقات يمكن أن نراها بوضوح بين فرانسيسكو كوديرا زايدن *Francisco Codera Zaidín* (١٨٣٦-١٩١٧)، الذي شغل كرسي الدراسات العربية في جامعة مدريد المركزية عام ١٨٧٤، وتلاميذه خوليان ريبيرا تراجو *Julián Ribera Tarrago* (١٨٥٨-١٩٣٤) وميجيل آسين بلاثيوس (١٨٧١-١٩٤٤). ولقد ظهر هذا التواصل بين الأستاذ والتلميذ في الجيل التالي من المستعربين الإسبان الذين أسسوا مدرسة الدراسات العربية في مدريد وغرناطة عام ١٩٣٢. في مقر هذه المدرسة في مدريد، والذي كان مخصصاً للبحث فقط وليس للتدريس، عمل الأستاذ وتلاميذه معاً. هناك عمل الأستاذ آسين بلاثيوس مع تلاميذه أنخل جونتالث بالنسيا *Ángel González Palencia* (١٨٨٩-١٩٤٩)، خوسيه أنخل لوبث أورتيث *José Ángel López Ortiz* (١٨٩٨-١٩٩٢) وسالفادور بيبلا إيرنانديث *Salvador Vila Hernández* (١٩٠٤-١٩٣٦). لقد عمل كل منهم في تخصصه في التاريخ السياسي للأندلس، أو اللغويات أو تاريخ الأفكار، ولكنهم اشتركوا في اهتمامهم بكتابة مظاهر وأوجه مختلفة لتاريخ الأندلس.

لقد حقق آسين بلاثيوس تغييراً أساسياً في الدراسات العربية في إسبانيا ؛ لأنه استطاع أن ينجز مشروعاً فكرياً أصيلاً خاصاً به، وهذا المشروع لم ينتبه إليه أي مستعرب إسباني قبل آسين بلاثيوس. لقد أفاد آسين من النظريات والمنهجيات العلمية التي ازدهرت في أوروبا في النصف الثاني من القرن

(١) نوقشت هذه الرسالة يوم ٢٠ يناير ٢٠١٧ في جامعة كومبلوتنسي في مدريد، وتكونت لجنة الحكم أ. د. إدواردو منتانو مورينو الأستاذ في معهد التاريخ في CSIC (المجلس الأعلى للبحث العلمي) والمتخصص في تاريخ الأندلس (مشرقاً)، وأ. د. سها عبود حجار الأستاذة بقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة كومبلوتنسي في مدريد (مشرقاً)، وأ. د. بدرو مارتينث مونتاث أستاذ الدراسات العربية بجامعة أوتونوما (مناقشاً)، وأ. د. خوان سيسينيو بيريث جارتون أستاذ التاريخ بجامعة كاستيا لا منشا (مناقشاً)، وأ. د. فرناندو رودريجت ميديانو المستشرق والأستاذ بمعهد لغات وثقافات البحر المتوسط في السيسيك (مناقشاً)، وأ. د. تيريسا جارولو أستاذ الأدب العربي بقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة كومبلوتنسي (مناقشاً)، وأ. د. إيميليو تورنيرو بوييدا أستاذ الأدب العربي بالقسم نفسه (مناقشاً)، وحصلت الباحثة على درجة الدكتوراه بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف .

التاسع عشر في مختلف فروع المعرفة ليدعم أسس مشروعه الفكري بكل الأدوات العلمية الممكنة. وهذه الدراسة تحلل الأسس النظرية التي وظفها آسين بلاثيوس في أعماله، والأسئلة الرئيسية التي كان يطرحها، والمشكلات المتعلقة بالفكر الإنساني التي كان يرصدها. وعلى الجانب الآخر، تدرس الحلول التي كان يقترحها آسين بلاثيوس، والنتائج التي كان يتوصل إليها. إن الأسئلة التي كان يطرحها آسين بلاثيوس تتعلق بكيفية كتابة تاريخ للثقافة وليس فقط للسياسة. فقد كان مهتمًا باكتشاف - وتوصيف - العلاقات بين الفترات المختلفة في التاريخ الإنساني والربط بينها وإقامة الصلات بين القديم والجديد. كان يتساءل عن إمكانية وجود رابط بين ما أنتجه الفلاسفة اليونانيون والآباء المسيحيون في الشرق والكتاب المسلمون في الشرق وفي الأندلس والكتاب الأوروبيون في عصر النهضة وما تلاه. وإذا كان هناك رابط، كان يسأل كيف يمكن أن نفهمه ونصّفه، وما هي أهمية فهم تلك العلاقات بين الأفكار في أزمنة وبيئات مختلفة، وما أهمية دراسة أصل الأفكار وكيفية انتشارها.

طرحًا هذه الأسئلة، عدّ آسين بلاثيوس تاريخ الثقافة *Kulturgeschichte* الأساس الذي يمكن من خلاله مناقشة كل هذه القضايا. تاريخ الثقافة هو مذهب ظهر في حركة التأريخ في أوروبا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأعطى أهمية كبيرة لدراسة أوجه الحضارة والثقافة المختلفة بدلا من التركيز على دراسة الحروب والحياة السياسية فقط. من خلال هذا الاتجاه في كتابة التاريخ، ناقش آسين بلاثيوس موضوعات مثل حركة الأفكار في التاريخ وطبيعة هذه الحركة، وتفسير نشأة - وظهور - الأفكار والنصوص الأدبية. وعالج كذلك موضوعات مثل دور العوامل الثقافية والاجتماعية في كتابة التاريخ وكيفية انتشارها من بيئة لأخرى أو من دين لآخر. ومن خلال هذه القضايا والعناوين الكبرى، استطاع آسين مناقشة وتحليل موضوعات أكثر تخصصًا مثل تاريخ الأفكار الدينية والتصوف بين الإسلام والمسيحية. واستعان آسين بلاثيوس أيضًا بالنقد التاريخي *Crítica histórica* وتاريخ الأفكار *Historia de las ideas* كأساس منهجي لأعماله.

يدرس هذا البحث ما الذي كان يعنيه مشروع آسين بلاثيوس الفكري لإسبانيا في أوائل القرن العشرين وكذلك ما الذي أضافته دراسات آسين بلاثيوس لنصوص التراث العربي، أن يكون أحد مؤسسي الاستشراق الإسباني راهبًا مسيحيًا صاحب أفكار مُحافِظة مشكلة لم يتم تحليلها ودراستها بالشكل الكافي. لقد اعتبر جيمس مونرو، في كتابه *Islam and Arabs in Spanish Scholarship* المنشور سنة ١٩٧٠، أن جزءًا كبيرًا من المستعربين الإسبان في القرنين التاسع عشر والعشرين الذين يُقرون بتأثير الإسلام في الثقافة الأوروبية، ينتمون إلى التيار الليبرالي. أعتقد أن هذه القضية لها أبعاد أخرى وليست بسيطة. يحلل هذا البحث خطاب آسين بلاثيوس، أحد أهم مؤسسي مدرسة الاستعراب الإسباني في القرن العشرين.

تهدف الدراسة إلى تحليل الأسس النظرية للمشروع الفكري لأسين بلاثيوس والتغيير المهم الذي أحدثه مشروعه في تاريخ الاستعراب الإسباني. أدرس في هذا البحث كتابات آسين بلاثيوس، وخاصة كتابه عن ابن حزم ومؤلفه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" الذي ترجمه آسين بلاثيوس إلى الإسبانية كاملاً وسبقه بدراسة وافية عن ابن حزم وحياته ودراسة مفصلة عن كتابه "الفصل"، والكتاب بعنوان "ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي للأفكار الدينية" (١٩٣٢-١٩٢٧)

Abenházam de Córdoba y su historia crítica de las ideas religiosas.

يذكر بلاثيوس أن كتاب الفصل هو: "تاريخ نقدي للأديان، والفرق"، ويمثل أول دراسة نقدية ومنهجية للمعتقدات الدينية الرئيسية للإنسانية ولكل الفرق الإسلامية، ويوضح بلاثيوس منهجه من خلال ما يأتي: "ومن أجل تقييم أدق للفضائل العلمية للكتاب رأينا أنه من المفيد أن يسبق ترجمته الإسبانية تمهيد يمكن فيه اعتبار كتاب ابن حزم من حيث علاقته مع سوابقه في الآداب المسيحية والكلاسيكية، تصوراً واستنباطاً عبقرياً لثلاثة فروع من الدراسة التاريخية كانت قد ظهرت في القرن التاسع عشر تحت مسمى تاريخ الأديان، وتاريخ العقائد، وتاريخ علم اللاهوت."^(١)

منهج البحث

لقد اخترت المنهج الذي اقترحه سوزان مارشند *Suzanne Marchand* في كتابها المنشور عام ٢٠٠٩ *German Orientalism in the Age of Empire: Race, Religion and Scholarship*. لقد درست مارشند كتابات المستشرقين الألمان في القرنين التاسع عشر والعشرين بوصفهم جزءاً من الحركة الثقافية والفكرية في أوروبا في تلك الفترة. من هذا المنطلق، لا تضع مارشند الثقافة الأوروبية في مواجهة الشرق. ولذلك لم تتبنَ مارشند رؤية إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق، حيث يفسر سعيد حركة الاستشراق في ضوء نظرية ميشيل فوكو عن المعرفة بوصفها أداة السلطة، ويرى أن المستشرقين مهدوا للحركات الاستعمارية لإنجلترا وفرنسا في الشرق. مارشند تفكر في المعرفة ليس بوصفها سبيل للتحكم ولكن بوصفها طريق للحوار ونقد الذات وفهم الذات والآخر. إن المنهج الذي تقترحه مارشند لا يهاجم نظرية سعيد ولا يدافع عنها. إنه فقط يقدم طريقاً آخر لتحليل كتابات المستشرقين بوضعها في السياق الذي نشأت وأنتجت فيه، وبوصفها جزءاً من الإنتاج المعرفي والثقافي في أوروبا.

هذا البحث يتبنى المنهج الذي تقترحه مارشند لأنني أرى أن النظرية التي طرحها سعيد ليست هي الأنسب لقراءة كتابات المستشرقين الإسبان وتحليلها؛ لأننا لا نستطيع أن نقارن حركات الاستعمار الفرنسية والإنجليزية في الشرق بحركة الاستعمار الإسباني في المغرب. وكذلك فإنني أرى أن القراءة الأيديولوجية التي قدمها سعيد لبعض المستشرقين لا يمكن أن تفسر كل أعمالهم. لقد اخترت منهج مارشند لتحليل أعمال آسين بلاثيوس لأنه يدرس عمليات خلق المعرفة في كتابات المستشرقين ويربطها بالوسط والبيئة التي أنتجت وبموامله التاريخية والثقافية والدينية والحركة العلمية فيه. هذا

(1) Asín Palacios, Miguel, *Abenházam de Córdoba y su historia crítica de las ideas religiosas*, tomo II, Ediciones Turner, S. A., España, segunda edición, 1984, pp. 7 y 9.

النمط من التحليل مناسب لفهم أعمال آسين بلاثيوس وقراءتها، فتكوين فكره كان عملية معقدة أثرت فيها عوامل شتى.

هذا البحث يدرس الأسس النظرية للمشروع الفكري لآسين بلاثيوس مقسماً إياها جزئين رئيسيين: تاريخ الثقافة بوصفها العنصر الموضوعي في هذا المشروع، و تاريخ الأفكار أو النقد التاريخي بوصفه الجانب المنهجي. إن أعمال آسين بلاثيوس كانت تشكل جزءاً، ليس فقط من تاريخ حركة الاستعراب الإسباني، ولكنها كانت جزءاً من كل من السياقات الأربعة التالية: الوسط العلمي والفكري لأوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حركة الاستشراق في وسط أوروبا، إسبانيا بما فيها من تيارات فكرية وسياسية وتاريخية واستعرابية، والتيارات الفلسفية المختلفة التي ظهرت في الكنيسة الكاثوليكية وخاصة اتجاه تجديد الفلسفة المدرسية *Neoescolástica* وتجديد فلسفة توماس الإكويني *Neotomismo*. إن البحث يبحث الأوجه المختلفة لتاريخ الثقافة وتاريخ الأفكار التي تظهر في كل من السياقات الأربعة وكيف أفاد آسين من كل منهم في فهم النصوص العربية.

بنية البحث:

لقد قسمت الرسالة أربعة أبواب وكل باب يضم مجموعة من الفصول، ثم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع.

الباب الأول بعنوان "مقدمة عامة" ويضم فصلين: الفصل الأول بعنوان "قواعد منهجية" وفيه عرضت لموضوع البحث ومنهجيته وأهداف الرسالة. الفصل الثاني بعنوان "آسين بلاثيوس وأعماله عن ابن حزم" ويضم ثلاثة مداخل: في المدخل الأول أدرس حياة آسين بلاثيوس لأنها المدخل للفترة التي كان يعيش فيها. وفيها درست تكوينه الأكاديمي والديني ومكانته في الاستشراق الأوربي. لقد قرأت أعماله الكاملة وكل الدراسات التي حللت هذه الأعمال. وكذلك قرأت أعمالاً عن تاريخ إسبانيا لفهم السياق التاريخي الذي كان يعيش فيه المستعرب. وقد زرت أرشيف آسين بلاثيوس المحفوظ في كل من الأكاديمية الملكية للتاريخ، والمجلس الأعلى للأبحاث العلمية والأكاديمية الملكية الإسبانية، والتي تحفظ مراسلات استقبلها آسين من شخصيات مختلفة في وقته مستشرقين ومؤرخين وغيرهم. وقد خصصت المدخل الثاني لدراسة أعمال آسين بلاثيوس عن ابن حزم. ولأن الموضوع الرئيس للبحث هو دراسة - وتحليل - كتاب آسين بلاثيوس عن الفصل لابن حزم، فقد كان ضرورياً دراسة أعمال المستعرب عن ابن حزم لكي نرى تطور أفكاره فيما يخص مؤلفات ابن حزم. أما المدخل الثالث فهو عرض لسيرة ابن حزم كما كتبها آسين بلاثيوس في الجزء الأول من كتابه "ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي للأفكار الدينية" لربط ما كتبه آسين بلاثيوس عن حياة المؤرخ الأندلسي برأيه في كتابه.

الباب الثاني بعنوان "تاريخ الثقافة في حركة التأريخ الأوربي وكتابات آسين بلاثيوس" وهو يضم أربعة فصول. في الفصل الثالث، أدرس تاريخ الثقافة بوصفه اتجاه في التأريخ ظهر في البلاد التي تتكلم الألمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر خاصة بعد ثورات عام ١٨٤٨ حيث كان المؤرخون الألمان يبحثون عن هوية للشعب الألماني طبقاً لمفهوم الأمة والشعب والثقافة، وليس فقط

طبقاً للتعريفات السياسية ومفهوم الدولة. أدرس الموضوعات التي كانت يهتم بتحليلها المؤرخون الألمان في هذه الفترة وأدواتهم المنهجية وأهداف دراساتهم. في الفصل الرابع أدرس توظيف المستشرقين في وسط أوروبا لاتجاه تاريخ الثقافة في أعمالهم عن الأدب العربي والتاريخ الإسلامي. وفيه أركز على استخدام المستشرق ألفريد فون كريم *Alfred von Kremer* (١٨٢٨ - ١٨٨٩) لمصطلح تاريخ الثقافة خصوصاً في كتابه "تاريخ الثقافة في الشرق تحت حكم الخلافة" *Culturgeschichte des orientis unter den kalifen*, Wien, 1877.

لقد كانت أعمال كريم من مراجع أسين بلاثيوس الأساسية لمصطلح تاريخ الثقافة. في الفصل الخامس أدرس ظهور مصطلح تاريخ الثقافة في كل من حركة التأريخ في إسبانيا ومؤلفات المستعربين الإسبان قبل أسين بلاثيوس. من أوائل المؤرخين الإسبان الذين استخدموا هذا المصطلح رافائيل التاميرا كريبيو *Rafael Altamira y Crevea* (١٨٦٦-١٩٥١) وقد وظفه لمناقشة قضايا مثل علاقة المصطلح الجديد (تاريخ الثقافة) بالنماذج التقليدية في كتابة التاريخ التي ظهرت في العصور الوسطى وخاصة كتابات ابن خلدون. وهذه القضية ذاتها قد ناقشها أسين بلاثيوس. أما الفصل السادس، فأدرس فيه استخدام أسين بلاثيوس لمصطلح تاريخ الثقافة بوصفه إطاراً موضوعياً لمشروعه الفكري. أسين بلاثيوس كان يرى أنه على المستعربين الإسبان أن يتبنوا هذا الاتجاه الجديد في التأريخ في دراساتهم عن تاريخ الأندلس، فيدرسون موضوعات مثل الأدب والتصوف والأديان والعلوم بدلاً من التركيز على التاريخ السياسي والحروب في تلك الفترة. لقد أكد أسين بلاثيوس أن استخدام المصطلح تاريخ الثقافة هو و أستاذه وزميله المستعرب خوليان ريبيرا يمثل تغييراً مهماً في تاريخ الاستعراب الإسباني لأنهم واكبوا هذا التطور في الدراسات التاريخية في أوروبا في تلك الفترة ولم يكونوا بمعزل عنه.

أما الباب الثالث بعنوان "تاريخ الأفكار في التقاليد الأوروبية والإسبانية في القرنين التاسع عشر والعشرين وتطبيق أسين بلاثيوس له في أعماله"، ويضم خمسة فصول، فقد خصصته لدراسة الإطار المنهجي للمشروع الفكري لأسين بلاثيوس الذي يمكن أن نلخصه في مصطلحين رئيسيين: تاريخ الأفكار والتاريخ النقدي. في الفصل السابع درست كيف ظهر منهج تاريخ الأفكار في فروع مختلفة من العلوم والدراسات الإنسانية في كل من الأنثروبولوجيا وخاصة المدرسة الانتشارية الألمانية *Difusionismo alemán* عند فريتز جراينر *Fritz Graebner* (١٨٧٧-١٩٣٤) وفي الأدب المقارن خاصة عند المدرسة الفرنسية في كتابات فان تيجيم *Paul Van Tieghem* (١٨٧١-١٩٤٤) في علوم المنطق والفيزياء خاصة تفسير ليبنتز *Leibniz* (١٦٤٦-١٧١٦) لطبيعة حركة الأجسام وقانون الاستمرارية، وأخيراً في دراسات النقد التاريخي عند ارنست رينان *Ernest Renan* (١٨٢٣-١٨٩٢). لقد درست مفهوم تاريخ الأفكار في كل من هذه العلوم والمجالات المعرفية لأن أسين بلاثيوس قد أشار إليهم بوصفهم مصادره عن مفهومه عن تاريخ الأفكار والنقد التاريخي وقانون الاستمرارية وحركة الأفكار عبر التاريخ وانتشارها. الفصل الثامن خصصته لدراسة تاريخ الأفكار كما بلورته التيارات الفلسفية المسيحية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي

عاصرهما القسيس والمستعرب آسين بلاثيوس وتأثر بها وشكلت جزءاً كبيراً من تصوره عن تلك حركة الأفكار بين الإسلام والمسيحية. في هذه الفترة كانت الكنيسة الكاثوليكية والبابا ليون الثالث عشر *Papa León XIII* يحاولون تجديد الفلسفة المدرسية وخاصة فلسفة القديس توماس الإكويني (١٢٧٤-١٢٢٥) لكي تصلح للتطبيق في القرن التاسع عشر. رسالة البابا ليون الثالث عشر المعروفة بالأب الخالد *Aeternis Patris* (١٨٧٩) هي نص مركزي في هذا السياق لأنها توضح موقف الكنيسة من العلاقة بين القديم والجديد وأهمية القديم، في هذه الحالة الفلسفة المدرسية في القرن الثالث عشر، في تجديد الفلسفة المسيحية في القرن التاسع عشر. وقد أشار آسين بلاثيوس إلى أن دراساته تتبنى ما طرحته هذه الرسالة من تجديد فلسفة القديس توماس الإكويني بتطبيق قواعد النقد التاريخي عليها وبيان أصولها وامتدادها عبر التاريخ.

الفصل التاسع خصصته لدراسة تاريخ الأفكار كما يظهر في كتابات اثنين من المفكرين الإسبان الذين أثروا بوضوح في مشروع آسين بلاثيوس. الأول هو المؤرخ مارثيلينو منندث بيلايو *Marcelino Menéndez Pelayo* (١٨٦٥-١٩١٢) الذي أثر في جيل من الكتاب الإسبان ذوي الاتجاه المحافظ ، وخصوصاً في التركيز على الاتجاه القومي في كتاباتهم وإبراز دور إسبانيا في نقل العلوم إلى أوروبا في العصور الوسطى وكذلك في إثبات هوية إسبانيا الكاثوليكية. الكاتب الثاني هو المستعرب خوليان ريبييرا تاراجو الذي مثل هو و آسين بلاثيوس جيلاً جديداً من المستعربين الإسبان الذين درسوا الجوانب الثقافية في تاريخ الأندلس.

أما الفصل العاشر فقد درست فيه كيف طبق آسين بلاثيوس منهج تاريخ الأفكار في أعماله المختلفة، وكيف أفاد من النظريات التي ظهرت في الأنثروبولوجيا والأدب المقارن والفيزياء وعلوم المنطق في إرساء أساس علمي لكتاباته. لقد حلت كيف درس آسين بلاثيوس أربعة كتاب مسلمين وهم ابن عربي وابن رشد والغزالي وابن مسرة بمنهج تاريخ الأفكار أو النقد التاريخي والنتائج التي توصل إليها وكذلك الأهداف التي كان يريد أن يثبتها في دراساته.

الفصل الأخير خصصته لدراسة كتاب آسين بلاثيوس عن ابن حزم، وكيف قرأ آسين كتاب "الفصل" لابن حزم بمنهج النقد التاريخي، وكيف عقد صلات بين نظريات ابن حزم في علم الكلام وكتابات القديس توماس الإكويني. لقد جعل آسين بلاثيوس كتابات توماس الإكويني امتداداً لما كتبه ابن حزم في القرن الحادي عشر. لقد أثبت آسين عدداً كبيراً من المقاربات والتشابهات بين فكر كل من الكاتبين المذكورين ولم ير أي اختلاف بينهم. أراد آسين بلاثيوس أن يثبت أن أصل الأفكار في المسيحية كان موجوداً في الإسلام وقد أخذ الإسلام هذه الأفكار عن الآباء المسيحيين في الشرق. في رأيه، الأفكار في المسيحية لم تختف قط ولكنها تمتعت بطبيعية أبدية تظهر في مختلف الأديان والبيئات.

(١) البنية اللغوية للمفردات ودلالاتها في اللغتين الإسبانية والفرنسية مروة مصطفى عبد الحميد عيسى

يرتكز موضوع الرسالة على دراسة مقارنة بين اللغتين الإسبانية والفرنسية تهدف إلى التعرف على البنية اللغوية للمفردات ودلالاتها في اللغتين كما تهدف أيضاً إلى التعرف على الفروق الصرفية والمعجمية ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين النظامين اللغويين من خلال دراسة تطبيقية. تشتمل الرسالة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة يلحقها ثبت شامل بالمراجع والمصادر الأساسية والثانوية المستخدمة في البحث وملحق.

يتناول التمهيد نبذة عن تاريخ اللغة اللاتينية وتعريف باللغات الرومانسية، مع الاهتمام في المقام الأول باللغتين المعنيتين بموضوع الدراسة وهما الإسبانية والفرنسية وعلاقتها بلغتهما الأم: اللاتينية. فكلتا اللغتين تنتميان إلى أصل مشترك واحد وهو اللاتينية العامية ويوجد بينهما أصول تاريخية مشتركة، فقد نشأتا وتطورتا نتيجة انفصال بطيء عن لغتهما الأم. ومن المعروف تاريخياً أن اللاتينية كانت اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية التي سرعان ما انتشرت وتطورت حتى أصبحت لغة الحضارة الرومانية شرقاً وغرباً فقلها الجنود الرومان والتجار أينما ذهبوا. ولكن بعد انحلال الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، تحولت الولايات الرومانية إلى دويلات منفصلة عن بعضها البعض، وبدأت اللاتينية الفصحى تفقد انتشارها شيئاً فشيئاً، وشاعت اللاتينية العامية إلى أن جاء وقت انكسرت فيه الوحدة اللغوية اللاتينية وظهرت لهجات ولغات متعددة في مختلف الأماكن.

يناقش الفصل الأول الطرق المختلفة لبناء المفردات في اللغتين مع إلقاء الضوء على ثلاثة أساليب رئيسية في بناء المفردات وهي : الاشتقاق اللغوي والتركيب اللفظي وأسلوب ثالث يعتمد على المزج ما بين الأسلوبين السابقين معاً. ويعد بناء المفردات مطلباً من متطلبات أي لغة يمكنها من النمو الذاتي والتكيف مع المجالات المختلفة والمستجدات.

يهتم الفصل الثاني بدراسة الاشتقاق اللغوي عن طريق إضافة لواصق (سوابق ودواخل ولواحق) لجذر الكلمة. أما الجذر فإنه يتضمن المعنى الأساسي للكلمة ومن خصائصه ألا يقبل التجزيء، ويمكن التعرف عليه عن طريق تجريد الكلمة من كافة أنواع اللواصق التي تضاف إليها، وأما اللواصق فتقوم بإضافة التخصيص لهذا المعنى. وتتعدد صور الكلمة بتعدد إمكانيات التأليف بين مكوناتها : فقد يرد مكوناً من سابقة وجذر، أو من جذر ولاحقة ، وغيرها من الصور الممكنة.

(١) نوقشت هذه الرسالة بقسم اللغة الإسبانية بكلية الألسن جامعة عين شمس في ١٨ يناير ٢٠١٧م، وقد تشكلت لجنة الحكم من: أ.د/ نادية جمال الدين (عضواً ومقرراً)، وأ.د/ زيدان عبد الحميد زيدان (عضواً)، وأ.د/ علوية سليمان الحكيم (مشرفاً)، وأ.د/ ياسمين محمود (مشرفاً)، وقد قررت لجنة الحكم منح الباحثة الدكتوراه في الدراسات اللغوية بتقدير مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأخرى.

- السوابق: ترد في بداية الكلمة وتغير معناها أو نقوم بإضافة معنى جديد لها.
 - الدواخل: تأتي وسط الكلمة ووظيفتها الربط بين أجزائها.
 - اللواحق: ترد في نهاية الكلمة ويمكنها تغيير الصفة النحوية للكلمة فتحولها على سبيل المثال من اسم إلى فعل أو من صفة إلى ظرف وهكذا.
 - يتناول الفصل الثالث دراسة التركيب اللفظي الذي يعد من أهم الخصائص التي تتميز بها البنية التركيبية والدلالية لتكوين أو إنشاء عدد كبير من المفردات في اللغتين الإسبانية والفرنسية معاً. وتركيب اللفظ متنوع ؛ إذ يتكون من مصطلحين متشابهين أو مختلفين، على حد سواء، إما أسماء أو أفعال أو صفات، كما أن التركيب في أغلب الأحيان يتم من خلال كلمتين. وتكفي عملية استقراء لأي معجم في أي من اللغتين حتى لو كان معجماً بسيطاً لملاحظة العدد الهائل من المركبات المتنوعة. إلا أن هذه العملية ليست بالأمر السهل ، فتفكيك بعض هذه المركبات وفهم أجزائها يحتاج إلى إطلاع واسع بالمعجم للإحاطة بالعناصر التي تدخل في التركيب. ونناقش أيضاً في هذا الفصل السوابق واللواحق الفصحى، من الأصل اليوناني أو اللاتيني، أو كما يطلق عليهما المشبهات بالسوابق والمشبهات باللواحق، إذ تقوم بدور مهم في إنتاج قدر كبير من المفردات في كلتا اللغتين.
 - يناقش الفصل الرابع أسلوب ثالث لبناء المفردات الجديدة في اللغتين وهو يساعد أيضاً في إثرائها لغوياً ؛ هذا الأسلوب يعد لافتاً لانتباه كل متفحص لكلمات كلتا اللغتين، إذ يجمع ما بين الاشتقاق والتركيب متمثلاً في مزيج من الاثنين معاً أو يجمع ما بين السوابق واللواحق مع جذر كلمة واحدة.
 - يتناول الفصل الخامس دراسة وتحليل عشرين عنصر تركيبي من أصل يوناني أو لاتيني ومقارنتهما بين اللغتين في كل من: معجم الأكاديمية الملكية الإسبانية (Diccionario de la Real Academia Española) ومعجم لو بيتي روبير (Le Petit Robert) مع دراسة وتصنيف هذه الكلمات تصنيفاً صرفياً وآخر دلاليًا. وهي مرحلة البحث المعجمي عن كل كلمة من الكلمات المكونة من المشبهات بالسوابق واللواحق تليها مرحلة التحليل الصرفي ودراسة المعنى الدلالي للكلمة وأطر المعرفة التي تمثلها.
 - تشمل الخاتمة الأفكار الرئيسية المطروحة في الرسالة وما تم التوصل إليه من نتائج مهمة . ثم يلحقها ثبت شامل بالمراجع والمصادر الأساسية والثانوية المستخدمة في البحث وملحق.
- الكلمات المفتاحية:** البنية اللغوية للمفردات - الإسبانية - الفرنسية - الدلالة - الاشتقاق اللغوي - التركيب اللفظي - سوابق ولواحق (فصحى)

تعبيرات أعضاء جسم الإنسان الاصطلاحية في اللغتين الروسية والعربية (دراسة تقابلية في علم اللغة الثقافي)

سعيد أحمد محمد عبد الحميد

يقدم هذا البحث دراسة تقابلية للتعبيرات الاصطلاحية التي تتضمن أسماء أعضاء جسم الإنسان في لغتين تنتميان لعائلتين مختلفتين هما الروسية والعربية، وذلك من خلال بيان السمات المشتركة والفريدة للتعبيرات موضوع الدراسة في ضوء نظريات علم اللغة الثقافي.

شهد علم اللغة الحديث تطوراً منهجياً مهماً أدى إلى ظهور اتجاه ما بعد البنيوية وهو ما يعرف بالاتجاه الإنساني في فهم الظواهر اللغوية. تعتمد دراسة اللغويات في هذا الاتجاه على ركيزة أساسية هي أن اللغة جزء لا يتجزأ من الثقافة، تنبت فيها وتعبّر عنها وتعد عاملاً ضرورياً في تطورها. ولأن العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة تظهر جلياً في دلالة التعبيرات الاصطلاحية، فقد ازداد الاهتمام بدراسة الدلالات الثقافية للتعبيرات الاصطلاحية وخاصة تلك التي تتضمن أسماء أعضاء جسم الإنسان، وكذلك دورها في تكوين الفضاء الثقافي والقيمي للشعبيين العربي والروسي.

تستمد تلك التعبيرات الاصطلاحية أهميتها ودورها الفريد في تشكيل صورة العالم اللغوية من كونها تحتوي من بين عناصرها على اسم من أسماء أعضاء الجسم.

تمتاز أسماء أعضاء جسم الإنسان عن غيرها من الألفاظ بالقدم، فهي ألفاظ قديمة النشأة في كل من اللغتين الروسية والعربية، بل إنها تشكل لب معجمها اللغوي؛ حيث ترتبط هذه الألفاظ ارتباطاً مباشراً بكل جوانب الحياة الإنسانية، وتعكس السمات الأنثروبولوجية والثقافية للأفراد المنتمين إلى الشعب الروسي والعربي، كما تحمل في نسيجها دلالات رمزية تشكلت على مدار قرون.

وكون هذه الألفاظ تمثل واحدة من المجموعات اللفظية التي لا تخلو منها أية لغة، فإن ذلك لا يمنعها من أن تحمل بين طياتها إشارات ودلالات رمزية فريدة تخص اللغة الروسية دون العربية والعكس.

ويلقي هذا البحث الضوء على القضايا المتعلقة بكيفية دراسة واستخلاص السمات المشتركة والفريدة للتعبيرات الاصطلاحية التي تحتوى على أسماء أعضاء جسم الإنسان في اللغتين الروسية والعربية، وذلك في إطار علاقتها بالنظريات المستشكلة الخاصة ببحث علاقة اللغة بالثقافة، وعلاقة اللغة بالوعي. وتعد هذه الاتجاهات العلمية من الاتجاهات الجديدة والرائدة في الدرس اللغوي. وفي هذا الإطار، فإن دراسة التعبيرات

(^١) نوقشت هذه الرسالة بقسم اللغة الروسية بكلية الألسن جامعة عين شمس في ٢٢ مايو ٢٠١٧م، بإشراف أ. د. علي أبو الفتوح الشيخ، وأ. د. عامر محمد أحمد، وأ. د. نيكولاي فيودورفيتش أليفيرنكو أستاذ اللغة الروسية بجامعة بيلجورود الحكومية بروسيا الاتحادية، وناقشها كل من: أ. د. سامية حلمي بهمان، وأ. د. دينيس جيناديفيتش برونكوف، وقد قررت لجنة الحكم منح الباحث درجة الدكتوراه في الدراسات اللغوية بتقدير مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأخرى.

الاصطلاحية التي تحوي بين عناصرها لفظاً من ألفاظ أعضاء الجسم، تكتسب أهمية علمية كبيرة. كما تكمن أهمية الموضوع كذلك في إشكالية تحديد التعبيرات التي لها مقابل أو مماثل دلالي أو تلك التي ليس لها مقابل في اللغتين الروسية أو العربية، حيث تعد إحدى مهام البحث المهمة والصعبة، التي تتطلب وضع آليات واضحة لكيفية تحديد درجات التشابه والتباين بين التعبيرات موضوع الدراسة.

أهداف البحث ومهامه:

يتلخص الهدف الأساسي للبحث في دراسة أوجه التشابه والتباين بين التعبيرات الاصطلاحية التي تحتوي على أسماء أعضاء جسم الإنسان في اللغتين الروسية والعربية وذلك على المستوى النحوي والدلالي والثقافي، وانطلاقاً من هذا الهدف تتضمن الرسالة المهام الآتية:

1. حصر التعبيرات الاصطلاحية التي تحتوي على أسماء أعضاء جسم الإنسان في اللغتين الروسية والعربية.
2. بيان مكانة التعبيرات الاصطلاحية موضوع الدراسة في الفضاء الثقافي والقيمي للشعبيين الروسي والعربي.
3. تقسيم التعبيرات الاصطلاحية موضوع الدراسة إلى حقول دلالية، مع تحليل ومقارنة خصائصها الدلالية وتحديد عناصر التشابه والاختلاف فيما بينها في اللغتين الروسية والعربية.
4. رصد المدلولات الرمزية التي تحويها دلالة تلك التعبيرات في اللغتين الروسية والعربية، وذلك من منطلق تقابلي لمقارنة هذه التعبيرات في اللغتين موضوع البحث.
5. بيان دور ألفاظ أعضاء الجسم في علاقتها مع غيرها من الألفاظ في تكوين البنية الدلالية والثقافية للتعبيرات موضوع الدراسة.
6. بيان الأنماط التركيبية للتعبيرات موضوع البحث، وذلك للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف في بنيتها التركيبية.
7. تحديد علاقات التقابل الدلالي بين التعبيرات.

مادة البحث:

تتناول الرسالة التعبيرات الاصطلاحية التي تتضمن أسماء أعضاء جسم الإنسان في اللغتين الروسية والعربية. وتتألف المادة التي اعتمد عليها البحث من أربعة آلاف وأربعمئة تعبير اصطلاحية، تمّ جمعها من المعاجم اللغوية ومعاجم المفردات، ومعاجم التعبيرات الاصطلاحية في اللغتين الروسية والعربية، والمؤلفات الأدبية و الجماهيرية.

منهج البحث :

يعتمد الباحث في دراسة مادته على عدة مناهج منها: المنهج المقارن، والمنهج الوصفي، ومنهج التحليل التكويني، والمنهج الإحصائي بحسب مقتضيات البحث.

حادثة البحث:

تتمثل حادثة الموضوع في تحليل ومقارنة التعبيرات الاصطلاحية التي تتضمن أسماء أعضاء جسم الإنسان وتحديد علاقات النقابل والتماثل القائمة بينها ليس فقط من الناحية الدلالية والتركيبية ولكن أيضا من المنظور الثقافي، الذي لم ينل حظه من البحث و الدراسة حتى وقتنا هذا في اللغتين الروسية والعربية.

القيمة النظرية والتطبيقية للبحث:

إن تحديد عناصر التشابه والاختلاف في الدلالات اللغوية والثقافية للتعبيرات الاصطلاحية موضوع هذا البحث في اللغتين الروسية والعربية من شأنه أن يسهم بشكل جد مهم في الدراسات اللغوية المقارنة التي تهدف إلى الكشف عن عناصر التفرد والتميز وعناصر التلاقي والتشابه بين اللغات التي تتحدر من أصول مختلفة.

أما القيمة التطبيقية فتتمثل في إمكانية الاستفادة من النتائج التي سيتوصل إليها البحث عند وضع المعاجم اللغوية ثنائية اللغة، وكذلك في علم الترجمة التطبيقي وتدريس اللغتين الروسية والعربية، وخاصة في مجال اللغويات المقارنة.

بنية الرسالة:

تتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة بـ المراجع، وذلك على النحو الآتي:
تتناول المقدمة أهمية الموضوع ومدى حداثته، وكذلك الأهمية النظرية للبحث وقيمه التطبيقية والهدف منه، كما تتناول طرق البحث المستخدمة ومادة البحث.

أما الفصل الأول فيتناول بحث علاقة اللغة بالثقافة، ودور التعبيرات الاصطلاحية التي تتضمن أسماء أعضاء جسم الإنسان في تشكيل الصورة اللغوية العربية والروسية، وبيان أسس التحليل اللغوي الثقافي، والعوامل اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في خلق السمات المشتركة وغير المشتركة بين اللغات، وبحث وسائل تجسد العناصر الثقافية الفريدة في البيئة الدلالية للتعبير الاصطلاحي. كما يهتم هذا الفصل أيضا بتوضيح مفهوم الرمز، وبيان دوره في التحليل اللغوي الثقافي للتعبيرات.

ويعنى الفصل الثاني ببيان علاقة ألفاظ أعضاء الجسم بغيرها من الألفاظ في البنية الدلالية للتعبير الاصطلاحي، وإبراز أوجه التشابه والتباين في الأنماط التركيبية للتعبيرات، وتقسيم التعبيرات في مجموعات دلالية، ورصد المدلولات الثقافية المشتركة بين اللغتين الروسية والعربية، وكذلك المدلولات التي تتميز بها لغة دون الأخرى.

ويهتم الفصل الثالث ببيان آليات تحديد علاقات النقابل الدلالي بين التعبيرات الاصطلاحية، وكما تبين من الدراسة والتحليل، فإن التعبيرات الاصطلاحية التي تحتوى على أسماء أعضاء جسم الإنسان يمكن تقسيمها أربع مجموعات من حيث النقابل الدلالي من عدمه، وهي: تعبيرات لها مقابل دلالي تام في اللغتين العربية والروسية، وتعبيرات لها مقابل دلالي جزئي، وتعبيرات لها مماثل دلالي، وتعبيرات ليس لها مقابل دلالي.

أما الخاتمة فتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

وتحتوي قائمة المراجع على المراجع التي يستند إليها الباحث خلال الدراسة.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١. إن أسماء أعضاء جسم الإنسان بوصفها إحدى المجموعات اللفظية الرئيسة في اللغتين الروسية والعربية نجدها مشاركة في وصف العديد من جوانب الحياة الإنسانية.
٢. تعد الدراسات المقارنة من أهم الاتجاهات البحثية المثمرة في دراسة التعبيرات الاصطلاحية؛ فمقارنة التعبيرات الاصطلاحية في لغة ما بتمثيلتها في لغات أخرى يتيح لنا التعرف على ما هو خاص بلغة ما دون غيرها ، وما هو عام تشترك فيه العديد من اللغات ، وتسفر مثل هذه الدراسات عن نتائج ذات أهمية كبيرة في التواصل بين الثقافات ، فمن أهم خصائص التعبيرات الاصطلاحية ارتباطها الوثيق بالبيئة والإطار الثقافي بشقيه المادي والروحي ، وما تحمله في دلالتها من تصوير واضح لخصائص تفكير الشعوب، وعاداتها، وتاريخها.
٣. اتضح من الدراسة أن هناك العديد من السمات المشتركة بين التعبيرات الاصطلاحية موضوع الدراسة في اللغتين الروسية والعربية، ويرجع السبب في ذلك إلى وجود قوانين وأحكام عامة تشترك فيها جميع اللغات ، وتشابه البيئة الطبيعية والظروف وتشابه الحواس والمشاعر وآليات التفكير لدى شعوب الأرض، والأهم التشابه في الوظائف التي تقوم بها أعضاء جسم الإنسان وما يتعلق بها من عمليات حيوية.
٤. تعود الاختلافات الدلالية والثقافية والرمزية إلى الاختلاف في نمط تفكير الشعوب، واختلاف ظروف المناخ، والعوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تخص شعباً دون الآخر.